



وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات العليا

فرع اللغة العربية (الأدب والبلاغة)

الصورة التَّشْبِيهِيَّة في شعر العباس بن مرداس السلمي

"دراسة بلاغية تحليلية"

بحث مقدّم لاستكمال مُتطلبات نيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة : عائشة أحمد بابا

إشراف : أ. د. نجاح بنت أحمد الظهار

العام الجامعي
١٤٣٦هـ - ١٤٣٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ وَالَّذِي
يُحْيِي الْمَوْتَى
وَالَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ وَالذُّرْءَ
وَالَّذِي يُصَوِّرُ
الْبَشَرَةَ كَيْفَ يَشَاءُ
وَالَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ تَحْتِ
أَمْرٍ أَلْفٍ
مَرَّةٍ
وَالَّذِي يُدْخِلُ
الْمَاءَ فِي
الْأَرْضِ
وَالَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ وَالذُّرْءَ
وَالَّذِي يُصَوِّرُ
الْبَشَرَةَ كَيْفَ يَشَاءُ
وَالَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ تَحْتِ
أَمْرٍ أَلْفٍ
مَرَّةٍ
وَالَّذِي يُدْخِلُ
الْمَاءَ فِي
الْأَرْضِ

" قال العباس بن مرداس السلمي :

رَأَيْتُكَ يَا حَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نشرت كتابا جاء بالحقِّ معلما
شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا عَنِ الْحَقِّ لِمَا أَصْبَحَ الْحَقُّ مُظْلَمَا
وَنُورَتْ بِالْبُرْهَانِ أَمْرًا مُدْتَسَا وَأَطْفَأَتْ بِالْبُرْهَانِ نَارًا تَضَرَّمَا
فَمَنْ مَبْلَغَ عَنِّي النَّبِيِّ مُحَمَّدَا وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمَا
أَقَمْتَ سَبِيلَ الْحَقِّ بَعْدَ اعْوْجَاجِهِ وَكَانَ قَدِيمًا زُكْنَهُ قَدْ تَهَدَّمَا
تَعَالَى عُلوًّا فَوْقَ عَرْشِ إِيْهِنَا وَكَانَ مَكَانَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

فأعطاه الرسول - ﷺ - حُلَّةً ."

الذهبي ، شمس الدين : العرش ٢ / ١٣٠

إلى بسمة الأمل وسرّ نجاحي ، وبدعائهما يكون التفوق والتميز ..

أمي الحبيبة ، وأبي الرحيم .

إلى عضدي في هذه الحياة .. أخواني وأخواتي .

إلى سعادتني وسندي .. زوجي ، وأبنائي ، وبناتي .

وإلى من لهم الفضل في التعليم .. أستاذتي الفضلاء .

إلى كلّ مهتم بالتراث العربي .

وإلى كلّ محبّ للسيرة النبوية .

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

الحمد لله من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين إلى يوم الدين .
أتوجه بجزيل الشكر إلى والديّ الكريمين، لماهما من فضل عليّ ، في حرصهما على حب العلم والتشجيع عليه ، وإلى إخوتي وأخواتي ، وزوجي الذي وقف بجاني ، وقدم لي الكثير .
كما أتقدم بجزيل العرفان ، وعظيم الامتنان للأستاذة الفاضلة الدكتورة : نجاح الظهار التي تعاهدت الزرع حتى نما ، ولما شملتني به من توجيهٍ ، ونصحٍ ، وعنايةٍ ، واهتمامٍ ، فكانت تُسخر وقتها لمتابعة إعداد هذه الرسالة ، حتى تمّ لنا ذلك .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة طيبة التي جادت عليّ بمنح هذه الفرصة لإتمام دراستي العلمية وأخص بالشكر قسم اللغة العربية ممثلاً في أعضاء هيئة التدريس جميعاً .
وللأستاذة الكرام الذين تفضلوا عليّ بمناقشة هذه الرسالة ، والأخذ من وقتهم الثمين ، لهم من الشكر جزيله ، ومن الثناء أعلاه ومزيده ، على ما قدموه من جهدٍ في قراءة هذه الأطروحة ، وتكثف عناء ذلك ، وتقديم الإرشادات والنصائح التي من شأنها إثراء هذا البحث وتقويمه .
ولكل من أعانني وساعدني في إتمام هذه الرسالة على أكمل وجه ، وأسأل الله قبول هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزيّ خير الجزاء كل من أعانني ، أو وجهني .

المُستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى بيان السمات الخاصة بالصورة التشبيهية عند العباس بن مرداس السلمي -رحمته الله - ، كما تسهم في مجال الدراسات البلاغية الأسلوبية التطبيقية ، وإعطاء صورة عن تطور الصورة بعد الإسلام وما في ذلك من تجديد وابتكار ، وذلك من خلال الصورة التشبيهية التي هي أهم ركائز التصوير عند العباس ، وقد تجلت من خلال التحليل اللغوي ، والدلالي ، والنفسي قوة شعر شعراء صدر الإسلام ، وعدم ضعفه ، وثرائه بالألفاظ والمعاني اللغوية المعبرة ، وأنه ذخيرة أدبية وبلاغية للأجيال عبر الزمن .

وقد بُنيت هذه الدراسة على جزءٍ نظري وهو التمهيد ، وآخر تطبيقي وهو فصول الرسالة ، فقد حللت فيها الباحثة الشواهد البلاغية ، وبيّنت ما حوته من بلاغةٍ وحُسن نظمٍ .

وكان من أهم نتائج هذا البحث :

- يعدُّ شعر العباس صُورةً ناطقةً ، نستجلي من خلالها أموراً ذات قيمة تاريخية ، وأدبية ، ولُغوية تتعلق بواقع فترتين متميزتين ومتباينتين .

- تداخل الصور البيانية مع الصورة التشبيهية ، إمّا تمهيداً لها ، أو تعقيباً عليها ، أو توسيعاً لها .

- بُعد صورهِ عن الوحشية ، والتعقيد اللفظي بعد إسلامهِ ، تأثراً بالقرآن في أسلوبهِ ، وبتعاليم الإسلام في نبذ الضغينة والتهاجي .

- تحيّر الشاعر للدلالات اللفظية الحسيّة المعبرة ، وتفردهِ بأدوات تشبيه خاصة به .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٨	المقدمة
٢٩	التمهيد
٢٩	المبحث الأول : الصورة التشبيهية مفهومها وتطورها .
٣٧	علماء العصر الحديث
٤١	المبحث الثاني : الشاعر وشعره
٥٧	الفصل الأول : مُستويات الصورة التشبيهية عند العباس بن مرداس
٥٩	المبحث الأول : المستوى اللغوي
٦٨ - ٥٩	المستوى الصوتي
٨٨ - ٦٨	المستوى الصرفي والنحوي
١١١-٨٨	المبحث الثاني : المستوى الدلالي للصورة التشبيهية عند الشاعر
١٤٤-١١٢	المبحث الثالث :المستوى النفسي
١٤٥	الفصل الثاني : سمات الصّورة التشبيهية عند الشاعر
١٦٧-١٤٨	المبحث الأول : خصائص الألفاظِ
١٨٠ - ١٦٨	المبحث الثاني : خصائص التراكيبِ عند العباس بن مرداس
١٩٢ - ١٨١	المبحث الثالث: مصادر التشبيه ومنازعه
١٩٣	المبحث الرابع : من القيم الجمالية للصورة التشبيهية عند الشاعر .
١٩٤	التشخيص
٢٠٠	كثرة تفاصيل وأبعاد الصورة
٢٠٣	غرابة التشبيه وندرته وخفاؤه
٢٠٦	التباعد في الجنس بين الطرفين
٢٠٩	الخيال الإبداعي الصادق
٢١١	التوافق النفسي في الصورة التشبيهية
٢٢١	الفصل الثالث : المُوازنة بين الصورة التشبيهية في شعر العباس في الجاهلية والإسلام.
٢٤٩ - ٢٢٣	المبحث الأول : الأسلوب .

٢٨١ - ٢٥٠	المبحث الثاني : الأبعاد الموضوعية .
٢٨٢	الخاتمة
٢٨٥	ملحفات البحث (الجداول البيانية)
٢٨٩	الفهارس الفنية
٣١٩ - ٢٩٠	ثبت المراجع والمصادر
٣٢٠	فهرس الآيات
٣٢٣	فهرس الأحاديث
٣٢٩ - ٣٢٤	فهرس الأعلام
٣٣٦ - ٣٣٠	فهرس الأبيات الشعرية
٣٣٧	فهرس المصطلحات البلاغية
٣٣٩	المستخلص باللغة الانجليزية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُتَمِّم النِّعم ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم فضله ، حمداً يملأ الميزان ، ويرضى به الرحمن ، تُمِّم الصَّلَاة والسلام على سيد الرُّسل ، المبعوث رحمةً للعُربِ والعجم ، وعلى آله وصحبه ، ومن اقتفى نهجه إلى يوم الدين ، وبعد :

إنَّ ثرائنا العربيِّ الأدبيِّ والبلاغيِّ ، تراث أصيل مليء بالنفائس الشعريَّة الفريدة من نوعها ، تعبر عن عصور ذهبية للشعر العربي ، وتحوي أصول اللغة ومكوناتها ولذا احتلَّ الشعر مكانةً عظيمة في نفوس الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً ، وعدّوه ديوانهم ، وترجمان أفكارهم ، وصورة تعبر عن حقبة تاريخية بكل تفاصيلها الحية من عادات وتقاليد ، وما يطرأ عليهم من أحداث ومهمات ، وفيه تظهر جلياً قدرتهم البيانية، ومعرفتهم بطرق التصوير والتشخيص والتجسيم ، والتي ميّزتهم عن سائر الأمم لذا ظلَّ أدباً خالداً فريداً من نوعه على مر العصور لكونه ضمَّ المآثر والمفاخر ، ولم يتأثر بمحاولات التنقيص من شأنه بأنه قديم ، أو ضعيف في فترة من الفترات ، وهو مع ذلك أدب إنساني يُؤثّر ، ويتأثر ، وخاصّة في عصر صدر الإسلام ، إذ كان ذروة سنام ملكاتهم الإبداعية حتى نزل القرآن معجزة لهم ، وتحدياً لبلاغتهم ، وهنا بدأت مرحلة شعريّة جديدة ، تأثّر فيها الشعراء بالأفكار ، والمعاني ، والألفاظ ، وحتى الأسلوب ولذا كان أدب هذه المرحلة في مسيس الحاجة إلى الدراسة ، والتطوير ، وكشف جمالياته ، وبلاغته ، خاصة إن كان الشعرُ لشاعرٍ مغمورٍ كالعباس بن مرداس حيث دُرست حياته ، وأدبه بشكل موجز ، وحُقق ديوانه ، ولم يكثر الحديث عن بلاغته وحُسن نظمه ، وهو ما أثار فضولي في معرفة مدى بلاغة العباس بن مرداس - رحمته الله - ، فمن خلال تأملي في شعر شعراء صدر الإسلام ، وجدته من بين معاصريه أقلهم دراسةً ، وتمعنّاً في بلاغة شعره ، مع تنوع صورته ، ومن هذا المنطلق زادت رغبتني في دراسته ، ومعرفة مكانه شعره ومتعة فنّه ، وذلك من خلال صورة متكاملة لفنِّ بلاغي قديم : وهو الصورة التشبيهية ، وإن كانت فرعاً عن علم البيان ، إلاّ أنّها لأهميتها في توضيح المعنى ، وتأكيدِه ، فقد ظلت فنّاً أصيلاً وأسلوباً بديعاً منذ القدم حتى قال عنه المُبرد : " " والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم،

لم يبعد. " (١) ، والشعر ما هو إلا ضرب من التصوير ، وتعبير عن الأحاسيس ، ونسج من الخيال ، والصورة تقود إلى اكتشاف مواضع الجمال ، وجواهر تراثنا الأدبي ، ولها كذلك دورها في إنتاج الزاد المعرفي ، وتنوعه بما حواه هذا الأدب الرصين من معانٍ وألفاظ تعدُّ غريبةً على أدبنا المعاصر .

وقد وقع اختياري على الصورة التشبيهية من بين ضروب البيان عند العباس -عليه السلام- لكونها أكثر الصور وروداً عنده ، فقد ربت على (مئتي صورة) ، كان أقلها التشبيه (المرسل المجمل) الذي بلغ (تسع) صورٍ فقط ، وأكثرها كان للتشبيه المركب التمثيلي الذي بلغ (مائة وتسعاً وخمسين) صورةً ، بينما توسط المركب الضمني بـ(أربع وخمسين صورةً) ، وقد كشفت هذه الصور عن ملكة الشاعر الإبداعية ، وحوث الكثير من ألفاظ الفروسيّة المعبرة ، والمصورة ، وقدرته على التصوير في براعة ، وحسن نسج ، و هذا ما جعل الباحثة تحار كيف يُوصف ذلك العصر بأن الشعر فيه ضعيف ، ولم يُعبر عن المراد ، بل ظلّ تابعاً للعصر الجاهلي في نهجه ، وألفاظه ومعانيه ، ولم يستجد فيه جديد ، وهي مشكلة البحث : فكثيراً ما كُنْتُ أسمع ذلك الاتهام الموجه لشعر صدر الإسلام بأنه يخلو من الصُّور البيانية الجمالية ، فكُنْتُ أتساءل كيف يكون ذلك؟! وقد نزل فيه القرآن الكريم ببيانه المعجز الذي عجز عن مجاراته الفصحاء ، والبلغاء ، حتى قال عنه الوليد بن المغيرة : " إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوةً ، إن أسفله لمغدق ، وإنّ أعلاه لمثمر .. " (٢) ، كما كان للبلاغة النبوية المعجزة التي جرت على لسان أفصح العرب النبي الأمي -عليه السلام- الذي أوتي جوامع الكلم، الأثر الواضح في نمو اللُّغة ، وجمال التراكيب ، واتساع الصور ، فكيف يُتهم هذا العصر بالقصور وقد توافرت فيه أدوات ، و أساليب تطوير اللغة؟! وهذا التساؤل دفع الباحثة إلى اختيار شاعر مغمور من عصر صدر الإسلام ، وهو العباس بن مرداس السلميّ ، لم يسبق أن دُرست بلاغة شعره ، وجماليات الصُّورة التشبيهية عنده وذلك لمعرفة صحة هذه المقولة من عدمها .

(١) المراد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ؛ (القاهرة :

دار الفكر العربي ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .) ، ج ٣ / ٧٠ .

(٢) . البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردِي الخراساني ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال

صاحب الشريعة ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ) ، ج ٢ / ١٩٨

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدّة منها :

١- يعد شعر العباس -رضي الله عنه- سجلاً تاريخياً حافلاً بوقائع المسلمين وانتصاراتهم - خاصة يوم فتح مكة ويوم حُنين - .

٢- محاولة إضافة الجديد إلى مجال البلاغة الأسلوبية التطبيقية التي ما تزال في حاجة إلى مزيد بحث ، ودراسة .

٣- تعدّ هذه الدراسة أول دراسة بلاغية أسلوبية لشعر العباس -رضي الله عنه- ، مستوفية لفن بلاغي في ديوانه -مع تواضعها - .

٤- بيان مدى التفوق الأدبي لشعراء صدر الإسلام ، وأهمية شعر تلك الفترة ، وما حواه من معانٍ وأفكار ، وما طرأ عليه من تجديد من حيث الأسلوب ، والألفاظ والمعاني ، كمحاولة لتبرئة شعر تلك الفترة مما نُسب إليه من الضعف .

وقد قاذني إلى هذا البحث تساؤلات عدّة منها:

* ما التطورات التي طرأت على الصورة التشبيهية منذ القديم، وحتى العصر الحديث ؟

* ما جماليات الصورة التشبيهية عند العباس بن مردّاس ، وما هو مصدر ذلك الجمال ؟

* هل لهذه الصّورة سمّات ، أو خصائص عند العباس ؟

* ما مدى إسهام الصّورة التّشبيهيّة في توضيح المعنى ، و دقّة التّصوير ، وجمال السّياق ؟

* هل لهذه الصّورة التّشبيهيّة مُستوى واحد ، أم لها مُستويات عدّة ؟

* كيف أغنى الإسلام صور العباس ، وهل تأثر الشاعر بالألفاظ ، والمعاني الإسلامية ؟

وتهدف هذه الدراسة من خلال شرح الصور ، وتحليلها إلى أهداف من أهمها :

- إبراز الصّورة التّشبيهيّة لدى العباس بن مردّاس ، وإيضاحها ، وإظهار المعاني المُختلفة التي رسمها الشاعر .
- بيان السمات الخاصّة التي تميّزت بها الصّورة التّشبيهيّة عند العباس بن مردّاس .

- محاولة إثبات قُوّة شعر العَبَّاس ، وفصاحته ،وبلاغته في العَصْرين الجَاهِلي والإِسْلَامِي ، الأَمْر الذّي يُدِحِض القَوْل بضعفِ الشّعر إِبّان عَصْر صَدْرِ الإِسْلَام .
 - توضيح مواطن القوة ، والضعف في شعر العباس .
 - بيان أنواع الصور التشبيهية التي حواها ديوان الشاعر ، وما ارتبط بها من أنواع بلاغية ساهمت في رسم أبعاد الصورة .
 - الموازنة بين صورته قبل إسلامه ، وبعده بغرض إيضاح أثر الإسلام في شعره .
- وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنّها :**

- * تُسهم في الدّراسة التّطبيقية لجماليات الصّورة التّشبيهيّة .
- * ترسم صورة كاملة عن الصّورة التّشبيهيّة لدى العَبّاس بن مردّاس ، وعن بلاغته ، وما طرأ على ألفاظه ومعانيه من تغيرات ، وما استحدثته من معانٍ .
- * تعطي فكرة عن التغيرات التي طرأت على حياة الناس بعد إسلامهم ، وعن الغزوات والمعارك الإسلاميّة .

وقد واجهت الباحثة في سبيل تحقيق هذه الأهداف صعوبات تمثلت في :

- قلة المراجع التي تحدّثت عن العَبّاس بن مردّاس -رضي الله عنه-، وخاصة من الناحية البلاغية ، وشرحها .
- محاولة تطبيق المناهج الأسلوبية الحديثة على النصوص القديمة ، خاصة أن بعض ألفاظه أعرابية ، وحشية ، وبها غرابة .
- اختلاط شعر العَبّاس بن مردّاس -رضي الله عنه- بغيره من شعراء عصره .
- صُعوبة الحصول على الدّراسات السّابقة فيما يتعلّق بالعَبّاس بن مردّاس فأغلبها خارج المملكة .
- يُعدُّ العَبّاس من الشّعراء المغمورين فلذا قلّت تراجمه والدّراسات حول شعره .

أما حدود البحث : فهي الصورة التشبيهية بالأخص من بين الصور البيانية ، وإن أسهمت صور أخرى في بيان الصورة أكثر فسأذكرها ، وذلك في ديوان العباس بن مرداس الذي من تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، وهي الطبعة الثانية من الديوان ، وقد حوت الكثير من التصويبات ، وزادَ فيها المُحقق من الأشعار المنسوبة إلى العباس ، وخصَّص جزءًا من الديوان في الأشعار المنسوبة له ، ولغيره .

ومن أجل تحقيق ما سبق جمعت هذه الدراسة بين عدد من المناهج منها المنهج النظري في معرفة الصورة التشبيهية ، والوقوف على بداياتها وتطورها ، وفي هذا اطلعت الباحثة على باب التشبيه في الكتب البلاغية قديماً ، وحديثاً ، واختصرت مفيد ما قاله العلماء في التمهيد ، والمنهج التاريخي ، في ترتيب العلماء الذين تحدثوا عن التشبيه ، وما أضافوه على سابقهم، ومنها أيضاً المنهج التحليلي الوصفي: في شرح الصورة ، وأبعادها البلاغية ، والموضوعية ، ووصف الصورة ومستوياتها ، وتطورها في العصرين الجاهلي والإسلامي ، دراسة تحليلية شاملة للجانب اللغوي ، والمعنوي ، والبلاغي ، مع الاهتمام ببيان قيمة التشبيه الفنيّة ، وأثرها في إيصال المعنى، وبيان ما صاحب الصورة من أساليب البلاغية الأخرى بغية إيضاح اللطائف البلاغية التي صاحبت الصورة التشبيهية ، وأثرت في قوتها ، وحسنها ، ومنها كذلك المنهج النفسي: في تفسير خلجات النفس وما تبوح به الصورة من مشاعر الشاعر الداخلية، أو مكان من نفسه والذي هو أحد مستويات الصورة التشبيهية لديه، والمنهج الموازن : في الموازنة بين العباس ، ومن سبقوه أو من تلوه ، ومدى التأثير والتأثر بينهم ، في أخذه للصور ، وكذا في صوره قبل إسلامه وبعده ، وما اقتبسه من القرآن والسنة الشريفة ، كما التزمت الباحثة في بحثها بعزو الآيات في سورها وبخط المصحف الشريف ، كما عملت على تخريج الأحاديث النبويّة من مصادرها ، ونسبة الأبيات الشعريّة إلى قائلها ، والعمل على ترجمة بعض الشخصيات الواردة في السياق ، ونسبة أقوالهم لهم .

مُصطلحاتُ الدّراسة :

أبو الهيثم : كُنية العباس .

فارس العُبيد : كنية للعباس ، بنسبته إلى فرسه .

– سماتُ الصّورة التّشبيهيّة : وأقصد بها خصائص الصّورة التّشبيهيّة عند العباس بن مرداس .

المستوى الصوتي : " الذي يتناول فيه الدارس ما في النص من مظاهر الإتقان الصوتي ، ومصادر الإيقاع فيه ومن ذلك التّغمة ، والتّبرة ، والتّكرار ، والوزن ، وما بيته المثنى من توازٍ ينفذ إلى السّمع " (١) .

المستوى الدلالي : يتناول المعنى بكل جوانبه ، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ . (٢)
المستوى النفسي : وهو الذي يكشف عن الجانب النفسي لدى الشاعر ، أو الحالات النفسية التي اعترت الشاعر ، ودعته إلى خلق صورة تشبيهية مختلفة وذلك لأنّ : " العلاقة بين التحليل النفسي تُسهم في الكشف عن المكنونات النفسية ، وفي فهم العلاقات الناشئة بينهما لحظة الإبداع " (٣) .

المنصفة : قصيدة العباس السينية ، قالها إنصافاً لأعدائه يوم تثليث .

وهذه الدراسة قامت على دراسات سبقتها ، منها ما يتعلّق بالشاعر ، ومنها ما يختصّ بالصورة التشبيهية ، وهي خمس دراساتٍ تتعلّق بالشاعر ، في حين كثرت الدراسات حول الصورة التشبيهية ، وأبرز تلك السابقة :

أولاً: الدراسات المتعلقة بالتشبيه والصورة التشبيهية :

١ - فنّ التشبيه عند شعراء النبي ﷺ . محمد المأمون ولد مينحن . ماجستير . (٤)

من أهداف هذه الدراسة : دراسة الصورة التشبيهية عند حسان بن ثابت ، و عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، إبراز أهمية التشبيه في الكشف عن المعاني ، وإيضاحها ، وبيان خصائص الصورة التشبيهية عند كل شاعر من هؤلاء الشعراء الثلاثة .

(١) . بشير ، د. تاويرت ، (٢٠٠٩ م) ، مُستويات وآليات التحليل الأسلوبية للنص الشعري ، مجلة كلية الآداب

والعلوم الإنسانية ، والاجتماعية جامعة محمد خيضر - مسكرة . الجزائر . (٥) ، ص ٧

(٢) . انظر ، داود ، د. محمد محمد ، العربية وعلم اللغة الحديث ، د.ط (القاهرة : دار غريب ، ٢٠٠١ م) ، ص

١٠٧ .

(٣) . انظر عيسى ، د. محمد ، (٢٠٠٣ م) ، القراءة النفسية للنص الأدبي العربي ، مجلة جامعة دمشق ، م ١٩)

(٢ ، ١) ، ص ٧ .

(٤) . إشراف : أ. د: سعد الدين كامل عبد العزيز شحاته . صدرت هذه الرسالة عن قسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ

ومن أهم نتائج هذه الدراسة : أهمية التشبيه الذي هو وسيلة من الوسائل البيانية المهمة ، تأثر أسلوب الشعراء الثلاثة بالقرآن الكريم ، ولغته العذبة ، جاءت التشبيهات أكثر في شعر الشعراء الثلاثة في شعرهم الجاهلي أكثر من الإسلامي .

وتلتقي هذه الدراسة مع هذا البحث في أنها دراسة في التشبيه وبلاغته ، محاولة الإسهام في مجال الدراسة التطبيقية للبلاغة من خلال نماذج معينة ، فالشعراء كلهم من شعراء صدر الإسلام وكذا العباس بن مرداس ، ومناقشة قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام، ومدى صحة ذلك .

نقاط الاختلاف بين الدراستين : في التبع التاريخي لتعريف التشبيه وكثرة الحديث عنه والإطالة في تعريف التشبيه ، في حين أنّ هذه الدراسة ستقتصر على الصورة التشبيهية ، وتعريفها في عَجالة وعند علماء مُحَدِّدين ، وأزمة معينة لمعرفة تطوّرها ، كذلك كثرة التّقسيمات للتشبيه من حيث أقسامه بحسب النوع ، والأوجه ، وأداة التشبيه ، كما أنّها ستقتصر على الدور البلاغي الجمالي للصورة التشبيهية ككل في السياق ، أو التّظم فهي تقترب من الدّراسة التّطبيقية أكثر من النّظرية ، وفي الموازنة بين الشعر في صدر الإسلام والشعر الجاهلي كمحاولة لدحض شبهة الضّعف عن الشعر في صدر الإسلام ، وتختلف منهجية هذا البحث عن الدراسة السابقة فلم تكن له أسس معينة للموازنة بل ناقش أسباب الضعف ، في حين أنّ للموازنة في هذا البحث أمورٌ محددة قائمة كالأسلوب ، والأبعاد الموضوعية ليسهل معرفة الفرق .

وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة في : التعرف على أسس الاختلاف حول ضعف الشعر في صدر الإسلام ، وكذا اطلاعها على بعض خصائص عصر صدر الإسلام.

٢ - التشبيه في شعر السّري الرّفاء، للطالب : محمّد آية الله الجبّاري . ماجستير^(١).

من أهم أهداف هذه الدراسة : بيان أهمية التشبيه ، دون غيره من ألوان البيان ، و الجمع بين الشعر وسحر البلاغة .

(١) . إشراف : أ. د : محمود السيّد شبحون . صدرت هذه الرّسالة عن قسم البلاغة والتّقد بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة

ومن أبرز النتائج التي سجلها الباحث : ولع الشاعر بالتشبيه ، وظهوره في أغلب شعره ، وكان أكثر تشبيهاته من الطبيعة ، وجاءت " كأن " أكثر من غيرها .

وقد التقت هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : أنها اختصت بدراسة التشبيه ، وبيان جمالياته البلاغية ، وكذلك محاولة الاسهام في مجال الدراسة التطبيقية للصورة التشبيهية .

بينما اختلفت عنها في : تتبع تعريف التشبيه عبر العصور دون تقسيم لذلك ، وكذا كثرة التقسيمات للتشبيه بحسب النوع ، والأدوات ، والوجه ، والنوع وغير ذلك ، كما أطنب الباحث في الحديث عن الشاعر ، وعن بيئته ، وأثرها في شعره ، في حين أن هذا البحث أوجز الحديث عن العباس بن مرداس في التمهيد مقتصراً على نسبه ، وشعره ، ومكانته الشعرية ، وآراء النقاد في شعره مُحاولاً قدر الإمكان إعطاء صورة كاملة عن العباس بن مرداس ، وعن شعره ، وذلك في إيجازٍ لأنّ الدراسة دراسة بلاغية أكثر منها أدبية ، وإن استعانت بالأدب من ناحية ، حتى لا يخرج البحث عن أهدافه المطلوب تحقيقها .

وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة في : معرفة دور التشبيه في أداء المعاني ، و تصويرها .

٣- التشبيه عند المبرد . للطالبة : وهيبة بن جدو . ماجستير .^(١)

من أهداف هذه الدراسة : بيان جهود المبرد في مجال البلاغة وخاصة التشبيه ، وذكر نماذج شعرية تحوي التشبيه ، وتقسيم التشبيهات إلى أقسام كل قسم بحسب صفته مُعتمداً على ذوقه الخاص فمنها ما هو مليح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها البعيد ، والمُصيب ، وغيرها من أنواع التشبيه عنده .

ولهذه الدراسة نتائج أهمها : يعرض المبرد لأبيات التشبيه ، وذلك على طريقة اللغويين المحاضرين فيفسر لغويا مفردات البيت مُستشهداً بأبيات أخرى ، و رأت أن المبرد رتب باب التشبيهات حسب الزمن ، فقد بدأ بتشبيهات الشعراء الجاهليين فالأمويين فالعباسيين ، كما توصلت الباحثة أن المبرد لم يُشير إلى التشبيه المعكوس .

(١) إشراف د . عبد الجليل مُصطفاوي . كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر .

وتلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : الحديث عن التشبيه ، والصورة التشبيهية ، وذكر الدور العلمي للسابقين : أمثال الجاحظ، وابن المعتز، و الإمام عبد القاهر الجرجاني ، و آرائهم القيمة حول التشبيه .

في حين تختلف عنها في أمور منها : المادة التطبيقية : كونها تتمحور حول عالم نحوي له تقسيمات بعينها في التشبيه ، وهذه الدراسة حول شاعر له جماليات بلاغية منها التشبيهات، كما اختلفا في التبع التاريخي للتشبيه ، و تشعبه، و كثرة تقسيماته، واعتمدت الباحثة في الأغلب على الأمثلة التي ذكرها البلاغيون في أثناء حديثهم عن التشبيه ، غير أنها جاءت بها على نحو ما ذكره المبرد.

و قد استفدت من هذه الدراسة في : معرفة اختلاف التشبيه بحسب آراء العالم ، و تذوقه البلاغي .

٤ - صنعة التشبيه بين أوس بن حجر ، و زهير بن أبي سلمى "دراسة مُوزانة" ، يوسف بن طفيف بن مبارك الصاعدي . ماجستير .^(١)

الهدف من هذه الدراسة : الدراسة التحليلية البلاغية لشعر الشاعرين أوس وزهير ، و الموازنة بين منهاج الصنعة الفنية في أسلوب التشبيه بينهما.

ومن نتائج الدراسة : أن التشبيه وسيلة يُمكن من خلالها التوصل إلى الكشف عن أحوال الشاعر، وميوله الفطرية ، فبالنظر إلى تشبيهات الحيوان عند الشاعرين تبين أن أوساً كان أقدر على تصوير مشاهد العراك ، والقتال ، والمشاهد التي تفيض بروح العنف ، والانتقام ، والزهو ، وهو ما يُمثل طبيعة الشاعر بينما كان زهيراً أقدر على سرد الأحوال الإنسانية ، والمعاناة ، وهو ما يعكس طبيعة أخلاق الشاعر ، ونتج عنها أيضاً أن ذكر الناقة في تشبيهات أوس وزهير من المظاهر الشعرية التي تعكس بيئة الشاعرين وحالتهم النفسية .

(١) . (١٤٢٨ هـ.) ، إشراف أ.د: دخيل الله محمد الصحفي . كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والتقد ، بجامعة أم القرى

وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في نقاط منها : أنّ الباحث درس المُوازنة بين الشّاعرين ، وجعل التفاضل بين الصّورتين من خلال المعنى ، و التراكيب ، و الإشارة ، وهو ذاته الذي سأقومُ به في الفصل الأخير ، و هو يتعلّق بالموازنة بين شعرِ العباس في الجاهلية والإسلام من خلال الألفاظ ، والمعاني ، والأسلوب ، والأبعاد الموضوعية .

تختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في : كثرة التقسيمات للتشبيه بحسب معاني التشبيه والصور ، فمنها ما يتعلّق بتشبيهات الطلل ، والديار ، و الصحراء ، وغيرها ، والمادة التطبيقية فقد كانت حول شاعرين جاهليين ، وهذا البحث يتحدث عن العباس بن مرداس .

واستفادت الباحثة من هذه الدراسة في : تكوين فكرة عن المعاني التصويرية لدى الشاعر ، و كيفية المُوازنة بين الشاعرين .

٥ - التّشبيه التمثيلي في قصيدة المدح عند أبي تمام ، لسعيدة بنت عتيق بن مليح الفهمي . بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير^(١) .

من أهمّ أهداف هذه الدراسة : محاولة الكشف عن اهتمامات الشاعر الأخلاقية ، وفهمه لطبائع النفوس ، وما في ذلك من اهتمام بمكارم الأخلاق .

ومن أبرز نتائج هذه الدراسة : تنوع التشبيه التمثيلي في شعر أبي تمام ، تعدد منازع التشبيه عنده .

وقد التقت هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : إلقاء الضوء على مفهوم التّشبيه عند بعض علماء البلاغة ، وخاصّة الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وتوضيح سمات التّشبيه ، والاستشهاد عليها بأدلة من شعرِ الشاعِر ، وبيان منازع التشبيه كإحدى سمات التّشبيه في هذا البحث .

في حين اختلفتا في نقاط : أنّ الباحثة خصصت التّشبيه التمثيلي دون غيره من أنواع الصّورة التّشبيهية ، كما اقتصرّت دراسة الباحثة على المديح من بين الأغراض الأدبية عند أبي تمام ، وعللت لذلك الاختيار ، فحديثها عن المنازع أخذ فصلاً كاملاً ، في حين أنّ هذا البحث ستكون منازع التّشبيه فيه إحدى خصائص الصّورة التّشبيهية ، كما أن المادة التطبيقية في

(١) . (١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م) ، إشراف أ. د . السّعيد عبد المجيد الثّوّتي . كلية اللغة العربية فرع البلاغة والنقد . بجامعة أم

الدراسة السابقة قد ارتكزت على شعر أبي تمام ، فإن هذه الدراسة ستقتصر الحديث على شعر العباس بن مرداس -رضي الله عنه - .

وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة في: معرفة تطور التشبيه ، وكذا استخراج مصادر التشبيه من شعر الشاعر .

٦- التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع العاملي . مريم بنت عوض بن جابر الحارثي . ماجستير . (١)

ومن أهداف الدراسة :الكشف عن القدرة التصويرية البيانية لدى الشاعر ، الوقوف على نماذج مُستفيضة من شعره تبين فيها مساهمة هذه الفنون البلاغية في تكوين الصورة البيانية في ديوانه ، المُقارنة بين شعره ، وشعر غيره من الشعراء المعاصرين له ، والسابقين ، واللاحقين وتقسيم التشبيه عنده إلى : التشبيه المركب ، والتشبيه المفرد ، ولكل منهما مصادر مختلفة : كالمراة ، والحَيوان ، والطبيعية ، وغير ذلك .

وقد سجلت الباحثة نتائج كان أهمها :أنَّ الشاعر جاء بصورٍ تشهد له بسلامة الابتكار والزيادة على السابقين ، كما وجد عدي من فنون البيان المختلفة مجالاً بيانياً خصبا لرسم صورهِ ، ولكن التشبيه والكناية استأثرا بنصيب الأسد من ديوانه .

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : مجال الدراسة وهو الصورة التشبيهية ومفهومها عند القدماء والمحدثين ، ومُحور الدِّراسة شاعر واحد ، والاستشهاد من شعرهِ ، ومُحاولة إظهار قدرة الشاعر على التصوير .

وتختلف عنها في : أتها شملت فروع البيان من تشبيه، واستعارة، وكناية، ومجاز ، وفي حديثها عن التشبيه خصّصت نوعيه المُفرد ، والمُركب ، وأطالت في تعريفه ، وفي الدراسة التطبيقية كانت على عدي بن الرقاع ، و هذه تختص بالعباس بن مرداس -رضي الله عنه - .

(١) . (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ، إشراف د. يوسف عبد الله الأنصاري. كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى .

وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسة في : معرفة الآراء حول الصورة التشبيهية ، وكيفية تحليل النصّ، ودلالته على الشاعر.

٧- الصورة التشبيهية في شعر ذي الرمة . د. أحمد مصطفى أحمد الحضراوي .^(١) (كتاب مطبوع)، صعب على الباحثة العثور على هذه الدراسة بسبب عدم توفره ، والأوضاع في بعض الأقطار العربية .

٨- الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسّان بن ثابت الأنصاري . حميد قبائلي ماجستير .^(٢) ، ومن أهم أهداف هذه الدراسة : رسم ملامح فن المدح النبوي عند حسّان بن ثابت ، وإبراز جماليات هذا الفن في صدر الإسلام ، وإيضاح الصورة التشبيهية ، وأنواعها ، وأغراضها ، وبلاغتها في المدحة النبوية .

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته - فيما يتعلق بالصورة التشبيهية : تبدو الصورة التشبيهية في المدحة النبوية عند حسّان بن ثابت في أغلبها حسيّة بسيطة ، فمعظم الصور التشبيهية عند حسّان توضيحية تصويرية ، كما أن صورة الرسول - ﷺ - في تشبيهات الشاعر مستوحاة من البيئة الجامدة والحية ، فالرسول ﷺ كالسراج ، كالنور ، كالشهاب ،....، وهي صور مشتركة عند أغلب شعراء المدح النبوي في عصره ، وأن الصورة التشبيهية عنده لم يقتصر توظيفها في المدح فقط ، وإنما عدّها إلى الهجاء ، والفخر ، وهذه خاصية من خصائص عصر صدر الإسلام ، ولئن كانت الصورة التشبيهية بعدت الصورة التشبيهية في المدحة عند حسّان عن الغموض والخيال ، فهي ترقى إلى مصاف الصورة الفنية الجمالية الموحية ، إذ أن التشبيه إذا وصل هذا المستوى من اللطافة ، والغموض تتجه الدلالة فيه نحو الإيحاء الذي هو ميزة اللغة الشعرية .

تلتقى هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : الصورة التشبيهية ، كذلك المجال التطبيقي ، وتحليل الشواهد ، وأيضاً في تتبع مفهوم الصورة تاريخياً .

(١) . جامعة المنصورة - كلية التربية - قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، ط ١ ١٩٨٥ .

(٢) . (٢٠٠٣-٢٠٠٤ م)، إشراف د . حسن كاتب . كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة منتوري . فسنطينة . الجزائر .

وتختلف عنها في أمور: أمّا أوسع مجالاً من هذه الدراسة ، فقد شملت ألوان البيان المختلفة ومن بينها الصّورة التّشبيهية ، وأنّ الباحث فيها اقتصر على المدح فقط دون غيره من بقية أغراض الشعر الأخرى ، وشملت هذه الدراسة جميع أغراض العباس -عليه السلام- الشعرية ، وفي التّطبيق كان على شعر حسان بن ثابت -عليه السلام- ، وفي هذه الدراسة سوف يكون التطبيق على شعر العباس بن مرداس -عليه السلام- ، مع أنّهما من عصر واحد ، وكلاهما مدح النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا أن لكل مميزات لشعره ، ومدحه ، ولن تقتصر على غرض واحد من شعر العباس -عليه السلام- ، اختلاف النظرة إلى الصّورة التّشبيهية ، وتقسيمها إلى أقسام منها: وجه الشبه ، وأدواته ، وغير ذلك ، بخلاف هذه الدّراسة تقتصر على جماليات الصّورة التّشبيهية ، كدراسة تطبيقية بلاغية حديثة .

١٠ - الصّورة البيانيّة في شعر أبي الحسن التّهامي . " دراسة بلاغية نقدية " . أحمد بن يحيى بن إبراهيم بن عواف . ماجستير . (١)

من أهداف هذه الدراسة : استجلاء ما انطوت عليه الصّورة البيانية في شعر التّهامي من قيم معنوية ، وفنية ، وجمالية ، وبيان مظاهر التصوير البياني ، وما في معظمها من القدرة على التصوير ، والمخيلة الخصبّة ، والأسلوب الحسن الطّريف .

وكانت التّائج التي توصل إليها الباحث متعددة من أهمّها : تنوعت أدوات التصوير البياني عند التّهامي على تفاوت بينها في الكثرة ، والقلة بحسب حاجة الشاعر ، ولون تجربته الشعورية ، كما ظهرت عناية التّهامي بالتّشبيه ، و الذي شكّل قرابة نصف صوره البيانية ، وأظهر ميولاً واضحاً نحو التّشبيهات التي تنطوي على قدر كبير من الإيجاز ، والإيحاء نحو التّشبيه البليغ ، والتّشبيه المضمّر ، كما أظهر وعياً ملموساً بالفروق الدّقيقة بين الأدوات المُختلفة التّشبيه بما يدل على رهافة حسّه ، وتكامل إحساسه .

وتلتقي هذه الدّراسة مع دراسة الباحثة في : التّشبيه ، وخصائص التّشبيهات ، وفي خصائص الصّورة البيانية من بينها الوضوح ، والغموض ، وكذا بُعد التّشبيه ، وقربه ، كما جمعت الدّراسة بين النظرية ، والتّطبيق .

(١) . (١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ) ، إشراف د. صالح بن محمّد الزهراني . كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب

الإسلامي . بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

في حين تختلف هذه الدراسة عن دراسة الباحثة : من حيث تقسيم التشبيهات إلى أقسام عدة بحسب الخيالية المركبة ، والتشبيهات الوهمية ، والتشبيه التام ، وغيرها ، واختلاف منهج الدراسة فقد جعل للتشبيه محاور ثلاثة وهي : المادة ، و هذه المادة على أنواع : (مادة الحس ، والعقل ، والتخييل ، والوهم) ، ثم التشكيل اللغوي ، وتخصيصه لأركان التشبيه ، وفي المحور الثالث القيمة : وهي الصورة الفنية لتشبيهات التهامي ، وجعل لها معايير محددة وهي : البعد والغرابة ، وهذا يختلف عن منهج دراسة الباحثة والذي يأخذ القيمة البلاغية الجمالية للصورة التشبيهية ، وما يتعلق بالنظم معياراً مهما كانت مُرتكزات تلك الصورة ليكشف عن جمالياتها ومدى تأثيرها في المُتلقي .

١١- التصوير البياني في شعر القطامي " دراسة وتحليل " . مرزوقة عبد الله السفياني . رسالة ماجستير . (١)

كان لهذه الدراسة أهداف منها : دراسة طريقة صوغ القطامي لألوان البيان المختلفة من تشبيه ، واستعارة ، وكناية ، وكيفية تدقيقه في رسم الصورة ، والمساهمة في معرفة الصورة المتنامية ، وكيف أطال القطامي الوقوف أمام المُشبه به ؟ باعتبار أن ذلك من مذاهب الشعراء ، والتعرف على الصور النادرة في شعره ، مع الوقوف على الصور البدوية عنده .

وقد سجلت الباحثة نتائج لهذه الدراسة من تلك النتائج : أن للقطامي تشبيهات جيدة ، وله صور نادرة منها وصفه للجمل ، وكان التشبيه ، والكناية من أكثر ألوان البيان التي اعتمد عليها القطامي ، كما راعى التأخي فيما أتيح له من صور بيانية ، وعدم تعارضها ، بل إنه يحرص على علاقات الصور ، والعناصر مما يشهد له بالبراعة .

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة : في دراسة التشبيهات ، وموضوعاتها ، ودراسة العلاقة بين الصور ودورها في توسيع أبعاد الصورة .

وتختلف عنها في : حديث الدراسة عن شتى ألوان البيان من استعارة ، وكناية ، وغيره ، وقد وزعت الباحثة التشبيهات على موضوعات عدّة منها : المرأة ، والنّاقة ، والطبيعة ، والحرب ،

(١) . (١٤٢٤هـ - ١٩٩٤م) ، إشراف د . عوض بن معيوض ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا في البلاغة و

وغيرها ، في حين تركز هذا البحث على الصّورة التّشبيهية ، كما تختلف من ناحية الشّاعر ، أو مجال التّطبيق ، و المنهج : فهذه الدراسة قسمت شعر القطامي إلى موضوعات ، أما هذا البحث فهو يخصص الحديث عن الصّورة التّشبيهية من الناحية البلاغية ، والجمالية من منظور متكامل .

١٢- الصّورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين . يحي أحمد رمضان غبن . رسالة ماجستير . (١)

من أهداف الدراسة : دراسة الصّورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وإظهار قوة هذه الأشعار الإسلامية ، وجمالها ، ورونقها . وكان من أهم نتائجها : اتسام هذه الأشعار بالطابع الإسلامي ، فقد كان لهذا الطابع دور كبير في صياغة هذه الأشعار ، ومنها كذلك تطور الشعر الذي يُكتب على بحر الرجز ، فكان قالباً شعرياً عاماً مُميزاً في هذه الأشعار ، وأدى هذا الاستخدام إلى النهوض بهذا البحر الشعري فيما بعد، كما يتميز شعر الفتوحات بالقصر، والإيجاز، والابتعاد عن التعقيد ، والالتواء، وأنّ شعر الفتوح الإسلامية يزخر بشتى أنواع البيان، فقد أبدع الشعراء الفاتحون في استخدام التشبيهات ، والاستعارات ، والكنائيات علاوةً على سيطرة الأساليب الخبرية في هذا الشعر لملاءمتها لغرض وصف المعارك .

تتفق دراسة الباحثة مع هذه الدراسة في : دراسة التشبيهات دون تقسيم إلى أركان التشبيه ، و وجه الشبه ، ونحوهما، وفي دراسة حركة الصّورة ، ووظيفة الصّورة ، وتقسيم الصور إلى جُزئية وكُلّية ، كما تناولت قضية ضعف الشعر الإسلامي خاصة في صدر الإسلام بالدراسة ، والمناقشة.

وتختلف عنها في : مجال الدراسة فدراسة يحي تدرس الصّورة الفنية بشكل عام وواسع ، بينما تقتصر دراسة الباحثة على جُزء من الصّورة البيانية ، وهو الصّورة التّشبيهية ، وفي مجال التطبيق فقد تطرق الباحث إلى عددٍ كبير من الشّعراء الإسلاميين ، فيما اقتصرت هذه الدراسة على شعر العباس بن مرداس -رضي الله عنه-

(١) . (٢٠١١) ، إشراف أ. د. عبد الخالق محمد العف. كَلِّية الآداب ، قسم اللّغة العربية بالجامعة الإسلامية بغزة في فلسطين.

ثانياً: أهم الدراسات المتعلقة بالشاعر :

١- العباس بن مرداس " الصّحابيّ الشّاعر " للدكتور : عبد الله عبد الرّحيم عسيلان. (١)
وهو كتاب مطبوع ، ومن أهداف هذه الدراسة : محاولة الكشف عن شخصية الشاعر وجوانب من شعره ، ونواحٍ من نشأته في الجاهلية والإسلام ، وإلقاء الضوء على جوانب من أدبه كالصّوير ، والتشخيص ، وألفاظه ، وتراكيبه ، وأغراضه الشعرية .

وقد ذكر الدكتور نتائج عدّة لهذه الدراسة منها : يُعدّ العباس أُمّودجاً فريداً يُمثّل واقع عصر صدر الإسلام وروحه ، فقد واكب شعره أهم أحداث قومه إبّان جاهليته ، وأبرز الأحداث الإسلامية في فترة إسلامه ، وحوى شعره الكثير من القيم التاريخية واللغوية والأدبية ، و التحقق من أن أم العباس بن مرداس هي هند بنت سنّة بن سنان السّلمية بخلاف ما جاء في أغلب المصادر من أنّها الخنساء بنت عمرو، وذكر الأدلة على ذلك ، وقلة الدراسات المتعلقة بالعباس وبمعاصريه ، وأنّ العباس بن مرداس كان فارساً مغواراً ، و هو ممن حرّم شرب الخمر على نفسه .

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في أمورٍ منها : الشّاعر ، وسيرته ، وإلقاء الضّوء على مُميزات شعره ، والنّاحية البلاغيّة ، و حديثه عن الصّوير ، والتشخيص ، وعن الألفاظ والتراكيب ، والأغراض الأدبية .

وتختلف عن البحث في: أنّ هذه الدّراسة ارتكزت على حياة العباس وحده دون التّظر إلى النّاحية البيانية عنده ، و خاصّة الصّورة التّشبيهية ، فقد عُنت هذه الدراسة بحياة الشاعر ، وسيرته الشخصية ، و في الفصل الأخير أشار إلى النّاحية البلاغية وهي : خصائص شعر العباس منها دلالة الألفاظ، والتراكيب ، والمضمون ، والتصوير ، وكان من النّاحية الأدبية أكثر منه بلاغياً ، و أنّ جُلّ هذه الدّراسة تاريخية أدبية ، ولم يتعرض إلى التّحليل البلاغي إلّا في بعض الشواهد لبيان مقدرة الشاعر على الصّوير .

(١) . المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية ، ط ١ (الرياض : دار المريخ ، ١٣٩٨ هـ) .

وقد استفادت الباحثة منها : من حيث الإلمام بجوانب مختلفة من حياة الشاعر ، وشعره ، وخصائص شعره الفنية .

٢- العباس بن مرداس السلمي " حياته وشعره " ، محمد ساري عبد رشيد الديك . ماجستير . (١)

أهم أهداف هذه الدراسة: دراسة حياة الشاعر ، وإلقاء الضوء على الصورة الفنية ، معرفة الصورة الفنية ، ومفهومها لدى القدماء ، والمحدثين ، ومكوناتها ، وأماطها ، والإشارة إلى العناصر الرئيسة المكونة للأدب عنده من تشبيه ، واستعارة ، ومجاز ، وكنايه ، مبينا في خلال ذلك أسلوب الشاعر .

من أهم نتائج الدراسة : تنوع الصورة الفنية في شعر العباس بن مرداس . تلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحثة : في أنّ الدراسة التطبيقية على شعر الشاعر خاصة الصورة الفنية ومن بينها التشبيه ، محاولة إبراز خصائص أسلوب الشاعر . وتختلف عنها في : التوسع في الحديث عن حياة الشاعر ، وأدبه ، وأهم المؤثرات في شعره .

و استفادت منها الباحثة في : معرفة حياة الشاعر ، وخصائص شعره الفنية ، ومميزات شعره .

٣- العباس بن مرداس . شاعر الفخر والحماسة . د. أحمد حسن بسج (٢) . وهو (كتاب مطبوع) ، ومن أهداف هذه الدراسة : إلقاء الضوء على حياة الشاعر والتعريف به و التعرف على أغراضه الشعرية ، والخصائص العامة لشعره .

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الدكتور : قلة المصادر التي تحدّثت عن العباس بن مرداس ، وأن العباس سار على سنن معاصريه في تعدد موضوعات القصيدة الواحدة ، وأن صورته كانت مُستمدة من البيئتين الإسلامية والجاهلية .

تتفق الدراسة مع بحث الباحثة في : الشاعر ، أو المادة التطبيقية ، الخصائص الأسلوبية لشعر العباس ، وخصائص صورته .

(١) . (١٩٩٤ م) ، كلية الآداب بجامعة الكوفة .

(٢) . ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .

وتختلف عنها في أنها : ارتكزت على حياة الشاعر أكثر من بلاغته .

٤ - بناء الجملة العربية في شعر السُّلميين (الخفاف بن ندبة ، والخنساء بنت عمرو ، والعباس بن مرداس) للباحث : مؤمن عمر محمد البدارين ،^(١) ماجستير .

وترجع أهمية هذه الدراسة كما يذكر الباحث ، إلى أنّها دراسة تطبيقية ، تبسط استعمال هؤلاء الشعراء الذين يُحتجُّ بأشعارهم للجملة العربية ، وتكشف عن مدى إفادة النحاة والصرفيين من هذا الاستعمال في بناء القواعد النحوية ، والأبنية الصرفية .

وكان من أبرز نتائجها : تميّز لغة بني سليم بعدد من القضايا اللغوية ، في حين أنّها تشارك غيرها من القبائل في عموم القضايا ، ومن القضايا التي تميّزت بها : إجراء بني سليم للقول مجرى الظن مُطلقاً ، فيعدون القول إلى مفعولين ، فتحتم للام الأمر ، كسرهم لهزمة (أيّان) وهو اسم استفهام ، في حين أنّ العرب تفتحها .

تلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في : مجال التطبيق وهو الشاعر ، وفي بعض أبنيته النحوية والصرفية ، التي استعان بها العباس في رسم صورته التشبيهية .

أما محاور الاختلاف فهي : مجال الدراسة فدراسة الباحث لغوية نحوية، تتوقف على أبنية الأفعال والأسماء من الناحية الصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، وهذه الدراسة بلاغية أسلوبية، وكذلك في أنّها تعدّت العباس إلى الخنساء وخفاف ، واقتصرت هذه الدراسة على العباس -
صلى الله عليه وسلم - .

٥ - شعر بني سليم في الجاهليّة والإسلام حتى نهاية العصر الأموي (جمع و توثيق ودراسة) للباحثة : صباح محسن الراددي (رسالة دكتوراه)^(٢) .

من أهداف هذه الدراسة : الكشف عن جوانب الإبداع الشعري عند بني سليم ، والأغراض الشعرية التي برع فيها شعراء بني سليم وذلك عن تصنيف الشعر الثابت النسبة إلى شعراء بني سليم ، وترتيب القصائد حسب القصائد ، والترجمة للشاعر، ومعالجة النص المثبت تحت عدّة عناوين .

(١) . (١٤٢٠ - ١٩٩٩ م) ، إشراف د. كمال جبيري عبهري ، كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت .

(٢) . (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م) ، إشراف أ.د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم

توصلت الباحثة إلى نتائج من أهمها : تعدد مصادر الشعر السلمي ما بين كتب ودواوين وكتب تراث ، وأن كثرة أيام بني سليم في الجاهلية والإسلام أكّدت على تأصيل الفروسيّة والشجاعة في نفوس أبنائها ونتيجة لذلك كان غرض الفخر والحماسة من أكثر الأغراض الشعرية عند بني سليم نتاجاً .

وتلتقي الدراسات في : دراسة العباس كقائد لبني سليم في بعض أيامهم ، والترجمة لحياته وجوانب من شعره .

في حين تختلفان في : مجال الدراسة ، فدراسة شعر بني سليم هي دراسة أدبية توثيقية محضّة ، تعلّقت بشرح النص ، والتعليق عليه ، ونسبته إلى قائله ، والترجمة له ، دون الالتفات إلى النواحي البلاغية .

أما خطة البحث : فهذا البحث يتكون من : مقدمة ، وتمهيدين ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

في المقدمة : تحدّثت الباحثة ، عن مكانة الشعر عند العرب خاصة القديم منه ، وعن الصورة التشبيهية وأهميتها ، ثم مشكلة البحث ، وأسباب اختيار الموضوع ، وتساؤلات البحث ، و أهداف البحث ، ووضّحت الباحثة فيها أهمية الدراسة ، وحدود البحث ، ومصطلحاته ، والدراسات السابقة ، وهي مقسّمة إلى : دراسات متعلّقة بالصورة التشبيهية ، و دراسات متعلّقة بالشاعر ، وذكرت فيها أهداف الدراسات ، والنتائج التي توصل إليها الباحثون ، وأوجه الشبه ، والاختلاف بين الدّراسات وهذه الدراسة .

*التمهيد : وهو في مبحثين ، الأول : الصورة التشبيهية ، مفهومها ، وتطورها ، وقد عرضت فيه الباحثة لأبرز علماء التشبيه قديماً وحديثاً ، الذين تحدّثوا عن الصورة التشبيهية ، ودورهم في تطويرها ، وما أضافوه من تحليلات ، ونظرات بلاغية حول الصورة التشبيهية .

المبحث الثاني : الشاعر وشعره ، وفيه تطرقت الباحثة إلى جوانب من حياة الشاعر ، وسيرته ، ونسبه ، وإلى آراء النّقاد في شعره .

الفصل الأول : "مستويات الصّورة التّشبيهية عند الشاعر " ، وقد قسّمته إلى ثلاثة

مباحث :

المبحث الأول: المُستوى اللغوي، وفيه المستوى الصوتي ، والصرفي ، والنحوي للصورة التشبيهية .

المبحث الثاني: المُستوى الدلالي ، وفيه قامت الباحثة بدراسات الدلالات الخاصة بالصورة التشبيهية عند الشاعر ، والموازنة بين دلالات الألفاظ .

المبحث الثالث: المُستوى النَّفْسِي ، حيث قامت الباحثة فيه بدراسة وحدة فنية متكاملة وهي: (المنصفة) للكشف عن مكونات الشاعر ، وخلجاته النفسية ، من خلال وحدة فنية كاملة بصورها المختلفة .

الفصل الثاني : " سمات الصورة التشبيهية عند العباس بن مرداس " : وينقسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، وهي:

*المبحث الأول : خصائص الألفاظ ، وحاولت الباحثة فيه أن توضّح ، الألفاظ الخاصة بالصورة التشبيهية للعباس ، وأثر ذلك في الصورة .

*المبحث الثاني : خصائص التراكيب عند العباس بن مرداس ، وفيه تظهر سمة التراكيب وتعددتها عنده ، وطريقته في رسم الصورة التشبيهية ، بتراكيب خاصة به .

*المبحث الثالث: مصادر التشبيه ومنازعه ، وفيه تطرقت الباحثة إلى تعدد تلك المصادر وتنوعها ، وأثر ذلك في إثراء الصورة ورسم أبعادها .

*المبحث الرابع : من القيم الجمالية للتشبيه عند الشاعر : وقد اقتصرَت الباحثة على (غرابة التشبيه وندرته وخفائه ، والتشخيص ، وكثرة التفاصيل وأبعاد الصورة ، والتباعد في الجنس بين الطرفين، والخيال الإبداعي الصادق، و التوافق النفسي في الصورة التشبيهية .

أما الفصل الثالث وهو : المُوازنة بين الصورة التشبيهية في شعر العباس في الجاهلية والإسلام ، وذلك لتوضيح التطورات التي دخلت على الصورة عند الشاعر بعد إسلامه ، وكذا الفرق بين صورته قبل الإسلام ، وبعده .

وقد درات حول محورين ، وهما مبحثا الفصل :

المبحث الأول : الأسلوب، وفيه تتضح الألفاظ ، والمعاني ، والأفكار ، وأثر الإسلام في ذلك .

المبحث الثاني : الأبعاد الموضوعية : وفيه تظهر الأغراض التي ظهرت عند الشاعر بعد إسلامه، وكذا الاختلافات في الغرض الشعري قبل إسلامه وبعده .

وفي الخاتمة : ختمت الباحثة البحث بأهم ما توصلت إليه من نتائج ، وتوصيات حول البحث.

كما ذيلت البحث بمجموعة من الفهارس لتعين القارئ على الاستدلال على بغيته في يسر وسهولة ، وبعد هذا أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما سعيت له ، وأن يسهم هذا البحث في الدراسة البلاغية النبوية ، والقرآنية ، وأن يجعل ما بلغته مفيداً نافعاً ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

المبحث الأول : الصورة التشبيهية مفهومها وتطورها

أولاً: مفهوم الصورة التشبيهية قديماً وحديثاً

التشبيه أحد أدوات التصوير وأولها، وأدقها ، وأجملها ، وأكثرها وروداً على لسان الشعراء والأدباء^(١)، وهو مدخلٌ من مداخل البراعة والبلاغة ، وكان من أول المباحث البيانية ظهوراً، وتبلوراً في البلاغة العربية^(٢)، لذا سأبين أولاً مفهوم الصورة التشبيهية ، ثم أذكر أهم التطورات التي طرأت عليها.

الصورة في اللغة " " من الفعل " صَارَ " صَوَّرْتُ صُورَةً، وتجمع على صُورٍ، وصُورٌ لغةً فيه، والتَّصْوِيرُ : نقش صورة الأشياء، أو الأشخاص على لوحٍ ، أو حائطٍ والصَّوْرَةُ : الشَّكْلُ ، والتَّمَثَالُ المُجَسَّم ، وفي التَّنْزِيلِ

العزير : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٧) (٣) " (٤).

والتشبيه في اللغة من " شَبِهَ : الشَّبَهُ والشَّبَهُ، والشَّبِيَّةُ فِي الشَّيْءَيْنِ الْمُتَشَابِهَيْنِ . (٥) " يقال: هذا شَبِهُهُ، أي شَبِيهُهُ، ^{والمُتَشَابِهَاتُ: المِثْلَاتُ، والتَّشْبِيهُ: التَّمثِيلُ (٦) (٧)}.

أما التشبيه في الاصطلاح فهو : " الوصف على أنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب " (٨) ، وعرفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله " أن تُثبِتَ لهذا معنى من معاني ذلك أو

(١) . انظر الجندي ، علي ، فُنُّ التَّشْبِيهِ ، ط١ ، (مصر : مكتبة تحفة مصر ، ١٩٥٢م) ، ٤٥ / ١ .

(٢) . انظر التلب ، د. إبراهيم عبد الحميد السيد التلب ، التشبيه دراسة في تطور المصطلح ، ط١ ، (دارالطباعة المحمدية بالأزهر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) ، ص٧ .

(٥) . سورة الانفطار، آية (٧).

(٤) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، د. ط ، (دار ومكتبة الهلال) ، (صور) ، ج٧ / ١٥٠ .

(٥) . الرازي ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمَل اللغة ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، ط٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، (شبه) ، ١ / ٥٢٠ .

(٦) . الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، (شبه) ، ٦ / ٢٢٣٦ .

(٧) . مصطفى إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، (تركيا : استنبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٩م - ١٤١٠ هـ) ، (ش ب هـ) ، ١ / ٤٧١ .

(٨) . العسكري ، أبي هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، د. ط ، (بيروت : المكتبة العنصرية ، ١٤١٩ هـ) ، ص

حكما من أحكامه ، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحُجة حكم الثور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء" (١) .

وقد تطور مفهوم الصورة التشبيهية - على أنها لم تختلف عن تعريف الأوائل لها - وإنما صيغت بلغة عصرية فيها نوع من التفصيل وعليه فإن الصورة التشبيهية هي الصورة التي يتجسّم فيها المعنى على علاقة بين حدين ، فإذا قلنا : سعيد كالأسد ، فلا تعني بهذا أنّ سعيداً يُشبه الأسد في شكله ، بل نعني أنّ سعيداً قد حلّ بجنس الأسود ونال منها معناها وهو الشجاعة" (٢) ، وقيل هي " تشكيل لغويّ يُكوّنها خيالُ الفنّان من مُعطياتٍ متعددةٍ يقفُ العالمُ المحسوسُ في مُقدّماتها تدلُّ على مُشاركة أمرٍ لأمرٍ في المعنى " (٣) ، ونسج التشبيه هذا يقوم على دعامتين وهما : طرفا التشبيه " يذكران صراحةً أو تأويلاً ، ولغز حُذف أسلوبياً أحدهما فهو يعدُّ موجوداً من جهة المعنى ، وقد اصطلح النقاد والبلاغيون على تسمية لكلٍ من ذينك الجزأين فالأول : مُشبهه والآخر مُشبه به لأنّ الشاعر إنما يقف عند طرف أو زاوية ومنها ينطلق إلى المُشبه به يحملُ منه لوناً، أو شكلاً، أو حركة أو وظيفة فتتسع النقطة أو الزاوية في تجربته تنويراً وعمقاً" (٤) ، وقيمة الصورة التشبيهية وجمالها البلاغي يعود إلى " حداثتها ، وعمقها ، وتُعدها ، وقُدرتها الإيحائية أكثر مما هي في الشكل الذي أخرجت فيه " (٥) .

ثانياً :تطور الصورة التشبيهية :

من المتعارف عليه عند علماء البيان أنّ الصورة التشبيهية هي من التشكيل اللغوي الذي يلجأ إليه الأديب ، ومن الوسائل التي يستثمرها في تجسيد تجربته ، وخلق صورة فنية جديدة توحى بأعمق مشاعره (٦) ، وما يحصل لها من أثر في نقل التجربة إلى المتلقي ، آثرت الباحثة الوقوف على بداية هذا الفن من

(١) . الجرجاني ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أسامة صلاح الدين ميمنة ، ط ٢ ، (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ، ص ١١٢ .

(٢) . عبد الرحمن ، نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ط ٢ ، (الأردن : عمان : مكتبة الأقصى ١٩٨٢ م) ، ص ١٤ . وانظر البصير ، كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، موازنة وتطبيق ، د . ط ، (العراق : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ هـ) ، ص ١٨٣ .

(٣) . انظر طبل ، د ، علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ط ٣ ، (بيروت : دار الأندلس ، ١٩٨٣ م) ، ص ٣٠ ، نقلاً عن غين ، يحي أحمد رمضان غين (٢٠١١ م) ، الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، رسالة ماجستير (غير منشور) ، الجامعة الإسلامية ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، غزة ، ص ١٤ .

(٤) . الداية ، د ، فايز الداية ، جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي ، ط ٢ ، (لبنان : بيروت : دار الفكر المعاصر وسورية : دمشق : دار الفكر ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) ، ص ٧٢ .

(٥) . بستان ، ضحي ، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية والفروع ، ب ط ١ ، (بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٨٦ م) ، ص ٤٥ نقلاً عن / قبابيلي ، حميد قبابيلي (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م) ، الصورة البيانية في المدحة النبوية ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، الجزائر ، ص ١٣٤ .

(٦) . انظر طبل ، حسن طبل ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

فنون البيان فهو علم مسائر لتطور الزمن^(١) وتذكر بعض المصادر العربية القديمة أن أول من التفت إلى أهمية التشبيه وقيمتها الفنية هو الشاعر بشار بن برد (١٦٧هـ) حين سُئل عن سبب تفوقه على أهل عصره " قال : لأني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي... ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيد...، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها... " ^(٢)، ويُنسب لبشار قوله : " ما قرّ بي القرار مُدّ سمعت قول امرؤ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهِا العُنَابُ وَ الحَشْفُ البَالِي ^(٣)

حتى صنعت :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ ^(٤) " ^(٥)

وهذا كما يقول د. شوقي ضيف^(٦) : " دليل على عقل بشار وذوقه وبراعته في التصوير " ^(٧) ، أما بدايته من حيث التحليل وذكر بلاغته وأدواته وطرفاه ، فقد كانت على يد علماء اللغة والنحو ، ومن أوائل هؤلاء النحاة الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) في معجمه " العين " فقد تطرّق إلى بيان معنى التشبيه اللغوي

(١). انظر حسين ، د، عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، د، ط ، (القاهرة : دار غريب ، ١٩٩٨ م) ، ص ٤ .

(٢). الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق ، زهر الآداب وثمر الألباب ، بيروت : دار الجيل، د. ط ج / ١ / ١٥١ .

- حمود ، د. حمادي حمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ط ١ ، (منشورات الجامعة التونسية ، طبع بالمصلحة الرسمية بالجمهورية التونسية ، ١٩٨١ م) ، ص ١٢٥ .

(٣). الكندي ، امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، تحقيق ، مصطفى عبد الشافي ، ط ٥ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ) ، ص ١٢٩ .

(٤). جاء في الديوان (فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ) / ابن برد ، بشار بن برد ، ديوان بشار بن برد ، تحقيق ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، د. ط ، (الجزائر : وزارة الثقافة ، ٢٠٠٧م) ، ص ٣٣٥ .

(٥). الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، سر الفصاحة ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، ص ٢٤٨ .

- العباسي ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د. ط ، (بيروت : عالم الكتب ، د. ت .) ، ج ٢ / ٣٠ .

(٦). أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، الشهير بشوقي ضيف ، أديب وعالم لغوي مصري ، والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري ، ولد شوقي ضيف عام ١٩١٠ ، كان عضوا في مجمع اللغة العربية في سوريا و الأردن والمجمع العراقي ، ونال أكثر من جائزة منها : جائزة الملك فيصل العالمية ، من أشهر مؤلفاته سلسلة تاريخ الأدب العربي ، والفن ومذاهبه في الشعر والنثر ، / الجبوري ، كامل سلمان ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي وحتى ٢٠٠٢م ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م - ١٤٢٤هـ) ، ج ٣ / ١٥١ ، ١٥٢ .

(٧). ضيف ، شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ط ١٢ ، (مصر : دار المعارف ، د. ت .) ، ص ١٥٣ .

وطرفيه ، ووجهه ، وبعض أدوات التشبيه ، وطُرقه كتشبيه المصدر وتشبيه هيئة بأخرى^(١)، وكذا كان من سيويه (١٨٠ هـ) ، وكان كتابه (الكتاب) ، أول كتاب ورد فيه مُصطلح التشبيه بمعناه البلاغي المعروف^(٢)(٣) وساق الأمثلة لذلك^(٤) ، ومنها ذكره لمصطلح المشبه به في قول النابغة الذبياني :
مَفْدُوفَةٌ بِدَخِيسٍ^(٥) النَّحْضِ^(٦) بَارِئُهَا^(٧) لَهُ صَرِيفٌ^(٨) صَرِيفَ الْقَعْوِ^(٩) بِالْمَسَدِ^(١٠)(١١) "
والشَّاهد هنا كما يذكر د. عبد السلام هارون^(١) في قوله " صريف " أنها نُصبت على " المصدر التشبيهي
والعاملُ فيها مُضمَّرٌ دلَّ على ما مثله أي يصرف صريفَ القعو " ^(٢).

(١) . التلب ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢) . انظر حسين ، د. عبد القادر حسين ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

- بنت جدو ، وهيبة ، (١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٥ م - ٢٠٠٦ م) ، التشبيه عند المبرد ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، ص ٤٥

(٣) . انظر سيويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) ، ج ١ / ٢١٢ .

(٤) . انظر المصدر السابق ، ج ١ / ٤١٦

(٥) . الدخيس : لحم باطن الكف . / الحميرى ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من

الكولوم ، تحقيق : د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، ط ١ ، (دار الفكر المعاصر : لبنان : بيروت و سوريا : دمشق ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، (دخيس) ، ٤ / ٢٠٥٢ ،

(٦) . النَّحْضُ اللَّحْمُ الْمَكْتَرُ . / الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ،

تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط ١ ، (دار إحياء التراث العربي) ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ، (نضح) ، ص ٩٤ .

(٧) . بزل : الشاب بزلًا وبزولا طلع فَهُوَ بازلٌ وَالْبَعِيرُ طلع نابه وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ أَوْ التَّاسِعَةِ فَهُوَ وَهِيَ بازل / مصطفى

، مرجع سابق ، (زلل) ، ج ١ / ٥٤

(٨) . الصَّرِيفُ : صريف الفحل من الإبل بناه حتى يُسمع له صَوْت . // ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

الأردني ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط ١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧ م) ، (صرف) ، ج ٢ / ٧٤١ .

(٩) . الْقَعْوُ : حَشَبَتَانِ فِي الْبَكْرَةِ فِيهِمَا الْمِحْوَرُ ، فَإِنْ كَانَا مِنْ حَدِيدٍ فَهُوَ حُطَّافٌ ، / ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم

بن علي ، لسان العرب ، ط ٣ (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ) ، ج ١٥ / ١٩١ .

(١٠) . المسد : المِحْوَرُ ، / الولاء الشيباني ، أبو عمرو إسحاق بن مزار الشيباني الولاء ، الجيم ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ،

محمد خلف أحمد ، د. ط ، (القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ، (مسد) ٣ / ٢٣٨ .

(١١) . الذبياني ، النابغة ، ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق ، حمدو طماس ، ط ٢ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٦ هـ -

٢٠٠٥ م) ، ص ٣٣ .

وإلى الفراء (٢٠٧هـ) يعود الفضل في الإشارة إلى التشبيه الخيالي^(٣)، وطرفي التشبيه الحسين وتفسيرهما ، وله الفضل في وضع قاعدة التناسق بين طرفي التشبيه من حيث العدد والإفراد والجمع^(٤) .

أما بالنسبة للصورة التشبيهية عند البلاغيين والنقاد فقد استخدم أبو عبيدة المعمر بن المثنى (٢٠٩هـ) مصطلح التشبيه بمدلول يقترب كثيراً من مصطلحه البلاغي ويقرنه بالكناية^(٥)، وكان أساس تأليفه لكتابه (مجاز القرآن) هو التشبيه حين سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رِيءٌ وَسُ الشَّيْطَانِ ﴾^(٦) "إنما يقع الوعد الإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ،....."^(٧)، وقد اتسعت هذه الإشارات وازدادت وضوحاً في كتابه: "النقائض بين جرير والفرزدق" فهو يقوم بتوضيح طرفي التشبيه ، ووجهه ، والغرض منه^(٨)، كما ذكر أبو عبيدة في كتابه هذا ما سُمي فيما بعد بالتشبيه المقيّد بالصّفّة ، أو تشبيه التمثيل^(٩)، أما الأصمعي (٢١٦هـ) فقد كانت له آراء نقدية حول التشبيه ضمّنها (باب التشبيه في كتابه فحولة الشعراء) ، وظهر عنده مصطلح (التشبيهات العقم)^(١٠) ،

(١) . عبد السلام هارون ، عالم باللغة والأدب ، يُنعت بشيخ المحققين من أعضاء مجعبي اللغة العربية بالقاهرة وعمّان ، وُلد بالاسكندرية عام ١٣٢٧هـ ، حفظ القرآن الكريم وهو صغير له تحقيقات عدّة كان أولها تحقيق كتاب خزنة الأدب للبغدادى ثم حقق كتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان ، اشترك مع الشيخ محمد محمود شاكر في تحقيق بعض الكتب منها : الأصمعيّات للأصمعي ، توفي سنة ١٤٠٨هـ ، / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ج ١ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٢) . سبويه ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣٥٥ الهامش ،

(٣) . الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق : أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، ط ١ ، (مصر : دار المصرية للتأليف والترجمة ، د ، ت) ، ٢ / ٣٨٧ .

(٤) . المصدر السابق ، ج ١ / ١٥

(٥) . زايد ، د ، علي عشري ، البلاغة العربية - تاريخها مصادرها مناهجها - ، ط ٦ ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) . سورة الصافات آية (٦٥)

(٧) . التيمي ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فواد سزكين ، ط (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٨١هـ) ، المقدمة ، ص ١٦ .

- لاشين ، د . عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن ، د . ط . (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٨ - ١٩٩٨م) ، ص ٢٥ .

(٨) . التيمي ، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ، كتاب النقائض - نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، ج ١ / ٣٨ .

- وانظر حمود ، م ، مرجع سابق ، ص ١٢٤

(٩) . التيمي ، المثنى ، أبو عبيدة ، كتاب النقائض ، مصدر سابق ، ١ / ١٣٥ ، ١٣٦

(١٠) . الأصمعي ، فحولة الشعراء ، ط المنيرية ص ٦٤ ، نقلاً عن التلب ، التشبيه دراسة في تطور المصطلح ، ص ٤٠ .

وبعد هذه الآراء وضح التشبيه وعُرف واشترط مجموعة من العلماء الغيرية في التشبيه ، والإصابة فيه ومنهم الجاحظ (٢٥٥هـ) ، وابن قُتيبة (٢٧٦هـ) ، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ، والرماني (٣٨٦هـ) ، والقاضي الجرجاني (٣٩١هـ) ، وابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، والشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) وغيرهم ، فقد أجادوا في تعريف التشبيه وذكر الشواهد عليه ، غير أن الجاحظ والشيخ عبد القاهر الجرجاني والمبرد ، زادوا على ما قاله العلماء وفي نظرهم للتشبيه ، فالجاحظ تحدّث عن التشبيه في كتابه (الحيوان) أكثر منه في (البيان والتبيين) ^(١) ، وهو يُعدُّ أول من أرسى فكرة العلاقة بين المُشبه والمُشبه به حين كان يرى أنّ التشبيه "لا يُلغى الحدود بين الأشياء بل يظلُّ مُحافظاً على تمايزها وانفصالها" ^(٢) ، ويرى أنّ أهمّ مقاصد التشبيه هو الإيجاز في عرض المعاني ، و تعرّض لذكر التشبيه الوهمي ، والتشبيه المقلوب ، أما الصّورة التشبيهية المقلوبة فقد ذكرها في بيت بشر بن أبي خازم ^(٣) :

لِلَّهِ ذُرٌّ بَنِي الْحَدَاءِ مِنْ نَقْرِ وَكُلُّ جَارٍ عَلَى حَيْرَانِهِ كَلِبٌ ^(٤)

إِذَا عَدُوا وَعَصِي الطَّلْح ^(٥) أَرْجُلُهُمْ كَمَا تُنصَّبُ وَسَطَ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ ^(٦)

وإنما شبه أرجلهم بعصي الطلح لأنّ أغصان الطلح تنبت معوجة ^(١) ، في حين امتاز المبرد (٢٨٥هـ) ، بتخصيصه لباب التشبيه في كتابه وتقسيمه للتشبيه إلى أربعة أنواع فقال : " والعرب تشبه على أربعة

(١) انظر عبد ربه ، أ. د. فوزي السيّد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، د. ط ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٥م) ، ص ٢٢٥ .

(٢) عصفور ، د. جابر عصفور ، الصّورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط ٣ (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م) ، ص ١٧٤ .

(٣) . هو بشر بن أبي خازم (وأبو خازم اسمه عمرو) بن عوف بن حميري بن ناشرة بن أسامة بن والبة بن الحارث بن بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة ، شاعر جاهلي بن أسد ، قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان ، النابغة وبشر بن أبي خازم ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات شعراء الجاهلية ، قيل أنه توفي ٢٢ قبل الهجرة وقيل ٣٢ قبل الهجرة أي سنة ٦٠٨ م . / الدينوري ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، ط ، (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٣ هـ) ، ١ / ٢٦٢ .

-الأمدي ، أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي ، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، تحقيق : د . ف. كرنكو ، ط ٢ ، (لبنان : بيروت : دار الكتب ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ص ٧٣ ، ٢٢٢ .

(٤) . وكلبٌ كلبٌ : يكلب بأكل لحوم الناس ، أي : أصابه داء يسمى الكلب . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (كلب) ج ٥ / ٣٧٥ .

(٥) . الطلح : شجر أم غيلان ، له شوكٌ أحججٌ ، وهو من أعظم العُضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . / الأزهرى ، الأزهرى ، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط ١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م) ، (طلح)

(٤ / ٢٢٢ .

(٦) . الأسدي ، أبو خازم ، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق : مجيد طراد ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، ص ١٥٥ .

أضرب: تشبيه مفرد، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه: وهو أحسن الكلام " (٢)، وهو يرى أن " الإصابة والمقاربة أهم دواعي حسن التشبيه وبلاغته " (٣)، أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد كان أول من جعل التشبيه حقيقة لا مجازاً (٤)، و قد اعتمد في تحليله على التأمل الباطني وعلى التأثير النفسي (٥)، وهو أول من أقام الحدود الفاصلة بين أقسام تداخلت في الماضي واضطربت مدلولاتها ، من ذلك : الفرق بين التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي (٦) ، وفيه بين أسباب تفضيل التمثيل منها " نقل النفس من العقلي إلى الحسي ومن النظري إلى الضروري ، ... واحتياجه إلى أعمال الفكر من منشئه وسامعه " (٧)، وعن السبب الثالث يقول : "ونيل الشيء بعد الطلب له واشتياق إليه، تلهف له" (٨)، ويضرب المثل بقول القطامي (٩) :

(١) الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، الحيوان ، ط ٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ) ، ج ٦ ، ٥٧٩ .

- صباغ ، د . محمد علي زكي ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ، ط ١ ، (بيروت وصيدا: المكتبة العصرية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ م) ، ص ٢٣٩ .

- المصري ، د. محمد عبد الغني ، نظرية أبي عمر الجاحظ في النقد الأدبي ، ط ١ ، (الأردن : عمان : دار مجدلاوي ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م) ، ص ١٢٢ .

(٢) المررد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد المررد، الكامل في اللغة و الأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ، (القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ، ج ٣ / ٩٥ .

(٣) المصدر سابق ، ج ١ / ٢٣٤ .

(٤) الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، (مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ، ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) ، ص ٢٤٠ .

(٥) انظر مطلوب ، أحمد ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ط ١ ، (الكويت : وكالة المطبوعات ، وبيروت : د ، م ١٩٧٣ - ١٣٩٣ هـ) ، ص ٢٥٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٧) انظر التلب ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

(٨) الجرجاني ، أسرار البلاغة ، شاكر ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٩) القطاميُّ الشاعِر المشهور عمرو بن شَيْبَمِ ، وقيل شَيْبَمُ بْنُ عمرو التَّغْلِيّ ، وقيل عمير بن شَيْبَمِ بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وقال: كان القطامي شاعرا فحلا رقيق الحواشي حلو الشعر والأخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا، كان نصرانياً فأسلم ، منهم من قال إنّه ظل على نصرانيته ، له ديوان مطبوع ، توفي ١٣٠ هـ وقيل ١١٠ هـ . / الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف ، ط ١ (دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣ م) ، ج ٣ / ١٤٣ .

وَهَرٌّ يَنْبُدُّ مِنْ قَوْلٍ يُصَبَّنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي (١)

ومنها بيانه للفرق بين التشبيه المفرد والمركب والمتعدد ، كذلك فرّق الشيخ بين التشبيه القريب والتشبيه الغريب (٢) ، كما ميّز التشبيه الخيالي من التشبيه الوهمي ، والتمثيل عنده من مقتضيات النظم (٣) ، فتصنيفه هذا للتشبيه وأنواعه أدى إلى خلق نظرية بيانية كان الغرض منها " الكشف عن دقائق هذه الصورة تحللها نظرات نفسية وذوقية وجمالية رائعة " (٤) .

أما السكاكي (٦٢٦ هـ) فيرى أن التشبيه هو أساس علوم البيان وأفضلها فهو " الذي إذا مهت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني " (٥) .

واستمر الاهتمام بالصورة التشبيهية حتى العصر الحديث فقد حازت اهتمام كثير من الدارسين في البلاغة العربية في العصر الحديث لما تُضفيه من خيال وتصوير و تشخيص على الموقف ، وعلى رأس هؤلاء العلماء الذين جمعوا بين التنظير والتطبيق د.علي الجندي (٦) ، فقد استوفى التشبيه من جميع جوانبه بالدراسة والتمثيل ، وخص شعراء التشبيه بالدراسة وجعلهم بحسب العصور على ثلاثة أقسام : فكان في القسم الأول : " امرؤ القيس من الجاهليين ، وذو الرّمة من الإسلاميين " (٧) ، وفي القسم الثاني وهو العصر

(١) القطامي ، ديوان القطامي ، تحقيق: إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، ط١ ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٠ م) ، ص ٨١ ، وفيه : " فَهَرٌّ يَنْبُدُّ مِنْ قَوْلٍ " .

(٢) الجرجاني ، أسرار البلاغة ، شاكر ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٣) لاشين ، د. عبد الفتاح ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. ط ، (المملكة

العربية السعودية : الرياض : دار المريخ ، د . ت) ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، بتصرف .

- الظهار ، د. نجاح أحمد الظهار ، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني " توثيق

وتحليل ونقد " ، ط ١ ، (د.م ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، ج ٣ / ٣٥٣

مطلوب ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٤) . دهان ، د. أحمد علي ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً ، ط ٢ ، (دمشق : مطبوعات

وزارة الثقافة ، ٢٠٠٠ م) ، ص ٢٣٣ بتصرف .

(٥) . السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، تحقيق: نعيم زرزور ، ط ٢ ، (لبنان : بيروت :

دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، ص ٣٣١ .

(٦) . علي الجندي : هو علي بن السيد الجندي شاعر وأديب مصري ولد سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م ، تخرج في كلية دار

العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٥ م ، ثم صار عميداً لها ، كان من أعضاء الجمع اللغوي ، توفي في القاهرة عام ١٣٩٣ هـ -

١٩٧٣ م ، له خمسة دواوين شعرية ، وثلاثون مؤلفاً في الأدب منها : " أغانيد السحر " (شعر) و " ترانيم الليل " (شعر) ،

و " فن التشبيه " ، " أدب الربيع " ، و " البلاغة الفنية " ، و " الشعراء وإنشاد الشعر " . / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع

سابق ، ج ٤ / ٢٤٩ .

(٧) . المرجع السابق ، ج ٢ / ٢١٦ .

العباسي عُرف أبو نواس بجودة التشبيهات^(١) ، ثمّ ابن المعتز " أكبر شاعر انتهى إليه هذا الفن " (٢) ، أمّا القسم الثالث والأخير فخصّصه لشعر الأندلس وقد اشتهر فيه " أبو عامر " بالتشبيهات البليغة^(٣) ، مُستعيناً في ذلك بأراء السابقين ، ولتوضيح تطور الصورة التشبيهية على مر العصور يوازن بين شاعرين من عصرين متباعدين وذلك في وصف الشّعراء للسفينة ففي العصر الجاهلي يقول طرفة بن العبد :

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ^(٤)

ثمّ يأتي شوقي فيصف ما أمدّتها به الحضارة و العلم من أسباب الراحة والتّرف فيقول :

وَالْقُلُكُ مُشْرِقَةُ الْجَوَانِبِ فِي الدُّجَى يَبْدُو لَهَا ذَيْلٌ مِّنَ الْأَنْوَارِ

بَيْنَا مَحْطَرٌّ فِي لُجَيْنٍ مَّائِحٍ إِذْ تَنَثَّنِي فِي عَسَجِدٍ زَخَارِ^(٥) " (٦)

والذي يبدو أن القصد من هذه الموازنة بين وصف السفينة في زمنين متباعدين ليُدلّ بذلك على تطور الصّورة التشبيهية من زمن لآخر تبعاً للأفكار و أحوال المعيشة وأتّما معرضٌ واسع للتجديد وحقل خصبٌ للإبداع والاختراع^(٧) ، وهذا رأي اتفق عليه جلُّ علماء البيان في العصر الحديث ، ومنهم د. بدوي طبانة^(٨) في دارسته التاريخية للبيان العربي فهو يثني على كتاب الكامل للمبرد وأتّنه " زاخرٌ بفنون الأدب مع كثير من الشرح والتحليل... والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية ، وإن كان يحتوي على كثير من آثار الفطنة والفهم ، كالبحت المستفيض الذي كتبه في فن التشبيه " (٩) ، وهذا ليس ببعيد عما أشار إليه

(١) . انظر المرجع السابق ، ج ٢ / ٢١٧

(٢) . المرجع السابق ، ج ٢ / ٢١٧ ، ٢١٨

(٣) . انظر المرجع السابق ، ج ٢ / ٢١٨

(٤) . من معلقة طرفة " لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرِيفَةِ تَهْمَدٍ " ، / طرفة بن العبد ، ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : مهدي محمد

ناصر الدين ، ط ٣ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) ، ص ١٩

(٥) . شوقي ، أحمد ، الشوقيات ، ط (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٨ م) ، ج ٢ / ٣٢

(٦) . الجندي ، علي ، فن التشبيه ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٢٣٧

(٧) . انظر المرجع السابق نفسه

(٨) . د. بدوي طبانة : ناقدٌ أدبي وشاعرٌ عربيٌّ مصري ، ولد الدكتور في المنوفية عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م ، تنقل في

مراكز مختلفة للتدريس الجامعي ، أنتدب أستاذا في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ثم أستاذا للدراسات العليا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، له عدّة مؤلفات منها : " السرقات الأدبية " و " المثل السائر في

أدب الكاتب والشاعر " و " التيارات المعاصرة " / الجبوري ، ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ج ١ / ٤٥٧ ،

(٩) . طبانة ، بدوي طبانة ، البيان العربي - دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ،

ط ٧ ، (جدّة : دار المنارة للنشر والتوزيع ، الرياض : دار الرفاعي للنشر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٠ م) ، ص ٩٧ .

أ.د. محمد أبو موسى^(١)، فهو يرى أنه من الضروري الالتفات إلى " تاريخ الفن البلاغي فقد نجد لفظة زكية واحداً من العلماء القدماء ،..فلو أننا استثمرنا هذه اللفظة واستخرجنا التشبيهات التي تكررت لمشبه واحد عند كل شاعر ،وفي كل جيل ،وكل عصر لأمدنا ذلك بعلمٍ كثير عن الشعر والشعراء وعرفنا الكثير عن حقائق الأشياء في شعر الشعراء .." ^(٢).

وكانت الصورة التشبيهية هي أول صور البيان دراسة عنده ذلك لأنها في رأيه " جزء أصيلٌ من بلاغة اللغة و آدابها...وسبيل إلى الكشف عن أسرارها ومواطن التأثير فيها " ^(٣) .
وأختم هذه الآراء بدراسة أ. د. نجاح أحمد الظهار^(٤)، فقد درست الصورة التشبيهية من جميع نواحيها وبمختلف أجزائها، وأركانها، واستخلصت مقاييس جمالية للصورة التشبيهية في العصر الحديث من كتابي عبد القاهر الجرجاني الدلائل ، والأسرار وهي نتاج تَمَرَس ومعرفة وهذه المقاييس هي : " تجسيم المعاني ، وكثرة تفاصيل وأبعاد الصورة ، والخفاء والغموض ، و الخيال الإبداعي الصادق ، والتباعد في الجنس بين الطرفين ، وندرة التشبيه وغرابته ، و التوافق النفسي في الصورة التشبيهية " ^(٥) ، وبيّنت معنى كل مقياس ثم

(١) أ. د. محمد محمد حسنين أبو موسى ولد في مصر سنة ١٩٣٧ م ، ثم تخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٦٣ م ، وكان من أوائلها وعين معيداً بها ، أعير من جامعة الأزهر إلى جامعة بني غازي في ليبيا من سنة ١٩٧٣ م - ١٩٧٧ م ، أعير من جامعة الأزهر إلى جامعة أم القرى وبقي إلى سنة ١٩٨٥ م ، أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه ، وناقش رسائل ماجستير ودكتوراه في جامعتي الأزهر وأم القرى ، وله من الكتب : خصائص التراكيب ، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم . / موقع جامعة أم القرى <https://uqu.edu.sa/page/ar/184454>

(٢) . أبو موسى ، د، محمد محمد أبو موسى ، مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م) ، ص ٨ ، ٩ بتصرف

(٣) . أبو موسى ، د . محمد محمد ، التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م) ، ص ٢٥ .

(٤) . أ.د. نجاح بنت أحمد عبد الكريم أحمد الظهار ، وُلدت الدكتورة في جدة ، حصلت على درجة البكالوريوس والماجستير ، ثم على درجة الدكتوراه في البلاغة العربية عام ١٤٠٨ هـ ، تدرجت الدكتورة من مرتبة معيدة ثم مرتبة أستاذ مشارك في جامعة طيبة بالمدينة المنورة عام ١٤١٩ هـ ، حتى أستاذ بجامعة طيبة بالمدينة المنورة ، شاركت في عدد من الندوات منها: ندوة " ماذا قالوا عن المرأة " ، و ندوة " تربية الطفل المسلم لغوياً " ، وأشرفت الدكتورة على عدد من رسائل الماجستير في جامعة طيبة ، ومن مؤلفاتها : الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني " توثيق وتحليل ونقد " ، تبرئة النقد العربي القديم من ثنائية اللفظ والمعنى ، فكر عبد القاهر النقدي بين النظرية والتطبيق و الإيجاز والإطناب والمساواة - النشأة التطور الدلالي . / موقع الدكتورة نجاح بنت أحمد الظهار

<http://www.htm.net/moalafat.drnajah>

(٥) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، قيد الطباعة ، ص ٨١ .

مثلت له وحللت وأوضحت أوجه البلاغة فيه ،وتشترط في تحقق الفائدة من المقاييس السابقة التوافق النفسي والشعوري لكي تصل الصورة التشبيهية إلى أعلى درجات التصوير الفني والبلاغي الجميل^(١).
ومما سبق اتضح للباحثة أن الصورة التشبيهية اقتضت إلى حد بعيد على إيضاح طرقي التشبيه ووجهه عند القدماء بل كان هناك خلط بين التشبيه والاستعارة وكونه من الحقيقة أو المجاز ، على أن القدماء كانت لهم جهودٌ مشكورة في نمو الصورة التشبيهية اتكأ عليها المحدثون في أبحاثهم ودراساتهم ،فأخذوا ما تركه السابقون في هذا الفن ، وعملوا على توسيعه فشملت الصورة التشبيهية :الإحساس ،والشعور، والتصوير، والخيال ،وتطورها عبر العصور ، وأصبح للصورة التشبيهية عند المحدثين أبعاداً نفسية وشكلية وصوتية وغيرية ، وهو ما تحاول الباحثة أن تطبقه في هذا البحث - إن شاء الله -.

(١) . انظر المرجع السابق ، ص ١٤٠.

المبحث الثاني : الشاعر وشعره

لفهم الظاهرة البلاغية ، وجمالها البياني التعبيري ، ومعرفة تجلياتها ، وما تكشف عنه من ظواهر زمانية ومكانية ونفسية وإبداعية ، كلها تدور حول الشاعر، كان لابد من إلقاء الضوء في عُجالة على حياة الشاعر وما كان فيها من متغيرات وأمور أثرت فيه وأثرت شعره بالأحاسيس والمشاعر والجمال ، وآراء النقاد في شعره .

أولاً : نسبه وحياته :

هو العباس بن مرداس بن أبي غالب بن حارثة بن عبد بن عيس بن رفاعة بن الحارث بن بثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ^(١) ، يُكنى أبا الهيثم ^(٢) ، وقيل: أبو الفضل. ^(٣) ، لقب بـ " شاعر حنين " ^(٤) ؛ لكثرة ما قاله في ذلك اليوم من الشعر ، كان والده حليفاً لحرب بن أمية ، أمّا نسبه من جهة أمّه فقد تكرر عند جلّ العلماء القدماء أن أمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد نقلاً عن أبي عبيدة وكذا ذكر صاحب الأغاني ^(٥) ، في حين ذكر " الكَلْبِيّ أم ولد مرداس جميعاً الخنساء إلاّ العباس فإنّها ليست أمه ولم يذكر من أمه " ^(٦) ، ومن العلماء من خطأً نسبته لجهة أمه للخنساء وجعله

(١) . البغدادي ، ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، الطبقات الكبرى ، تحقيق:

محمد عبد القادر عطا ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ج ٤ / ٢٠٥ .

-البغوي ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المؤزبان بن سابور بن شاهنشاه ، معجم الصحابة ، تحقيق ،

محمد الأمين بن محمد الجكني ، ط ١ (الكويت : مكتبة دار البيان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ج ٤ / ٣٩٤ .

- بابتي ، عزيزة فوال ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ، ط ١ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٨) ، ص ٢٣٦

(٢) . النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ، الكنى والأسماء ، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري ،

ط ١ (المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ،

ج ٢ / ٨٨٠ .

(٣) . ابن الأثير، الجزري ، الشيباني ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، عز

الدين ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ (بيروت : دار

الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) ، ج ٣ / ١٦٧ .

(٤) . البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٥) . العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق ، عادل أحمد

عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ) ، ج ٣ / ٥١٢ .

(٦) . البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون

، ط ٤ القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ١ / ٤٣٤ .

-التبريزي ، أبو زكريا ، يحيى بن علي بن محمد الشيباني ، شرح ديوان الحماسة ، د.ط (بيروت ، دار القلم د.ت) ،

ج ١ / ١٦٦

من الخطأ المحض^(١) ، وفي هذا الإطار قدّم د. عسيلان أدلة تُبرهن على أنّ أم العباس ليست الخنساء بل هي أم أخوته لأبيه منها أنّ " هناك نصّاً لابن حبيب يفيد أنّ أمه كانت من الزنجيات وهي : هند بنت سنّة بن سنان جارية بني عبد السُّلمية التي ولدت يزيد ذا الرُّمحين ، وهريما ، ... وعباس بن مرداس بن أبي عامر السُّلمي ، كما أنه لم يرد في أشعار العباس ما يدلُّ على أنّ أمه الخنساء ، أو في شعرها ما يدلُّ على ذلك " (٢) ، ومنهم من قال بأنّ " أمه هند بنت شيبية بن سفيان بن حارثة بن عبس بن رفاعة " (٣) ، وقد تزوج العباس من حبيبة بنت الضحّاك بن سفيان (٤) وكان من ولده جلهمة (٥) ، وكنانة ، وكلاهما روى عن رسول الله - ﷺ - وكنانة هو من روى عن جدّه العباس وعن رسول الله - ﷺ - حديث يوم عرفة ودعاء النبي - ﷺ - لأُمَّته بالمغفرة (٦)(٧) ، ويُجمل ابن حزم ذكر ولده وحفدته " ولعبّاس من الولد: كنانة، وجلهمة، وسعيد، وعبيد الله، .. ومنهم: أبي بن العباس بن مرداس، .. ومنهم ابنه عمرو بن عتبة، من نساك الكوفة، من جلة أصحاب ابن مسعود- رضي الله عنه - " (٨) .

أما عن أهم ما كان من سيرة حياته فلعل من التيسير على القارئ اتباع منهج محقق الديوان في تقسيم حياته بحسب مراحلها المهمة على مرحلتين : أولاهما: قبل إسلامه ولها مرحلتان كذلك: قبل مقتل صخر بن عمرو بن الشريد وبعده حيث التنازع على الزعامة مع ابن عمه خُفاف ، وثانيهما: بعد إسلامه .

(١) . فهمي ، جابي زاده علي ، حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، ط ١ ، (الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤٣٤هـ) ، ج ١ / ١٠٨ .

(٢) . عسيلان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السُّلمي (الصحابي الشاعر) ، ط ١ (الرياض : دار المريخ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، ص ٢٦ .

(٣) . ابن عسّاكر ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف ، تاريخ دمشق ، تحقيق ، عمرو بن غرامة العمري ، ط (د.م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) ، ج ٢٦ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٤) . العسقلاني ، بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٨ / ٨٣ .

(٥) . الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة ، ط ٢ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م) ، ج ١ / ٣٣٦ .

(٦) . القزويني ، ابن ماجة ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخريين ، ط ١ (بيروت : دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ج ٤ / ٢١٦ . وهذا ضعّفه الألباني / المصدر السابق .

(٧) . الشيباني ، أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) ، ج ٢٦ / ١٣٦ .

(٨) . الأندلسي ، ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣) ، ج ١ / ٢٦٣ .

كان أول ما لفت انتباه المؤرخين وأصحاب السيرة وأشادوا به في مُبتدأ سيرة العباس ، حيث أنّ العباس كان ممن حرّم الخمر على نفسه في الجاهليّة ، وحين سأله أترابه عن ذلك في قولهم : " ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد في قوتك وجراءتك؟ قال: لا أصبح سيّد قومي وأمسي سفيهاها، لا والله لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبداً " (١) ، وقد كان العباس في الفترة التي سبقت مقتل صخر بن عمرو بن الشريد ، مع القبيلة يذود عن حماها مع الجيش ويبرز شجاعته في الميدان ، ويشاركها في أيامها وحروبها ، مدافعاً عنها بسيفه وشعره ، باعتباره فرد عادي من أفرادها وبطل من أبطالها ، وكان أول ذكر له في يوم (حوزة الأول) وكان بين بني سليم وقائدهم معاوية بن عمرو بن الشريد وبين بني ذبيان بقيادة هاشم بن حرملة بن مرة حين طلب هاشم من امرأة جُهينة أن تصف له الفرسان فقالت في صفته : (ورأيتُ شاباً جميلاً له وفرة حسنة ، قال : ذاك العباس بن مرداس) " (٢) ، من هذا بدأ صيت شجاعة العباس ينتشر ويذاع خبره بين القبائل ، ومن الأيام التي شارك فيها العباس قومه ودوتها في شعره (يوم الجونين ويوم الرغام ، ويوم الكُديد ويوم برزة والفيفاء) (٣). (٤) ومما يُصور ملامح مهمةً من حياته في تلك الحقبة تلك القصائد التي تبادلها مع عمرو بن معد يكرب الفارس الشهير (٥) ، وله قصائد أشار فيها لمعارك خاضها مع بني سُليم ، ولقي فيها العباس ، أقرّ فيها بالهزيمة وأنهم غلبوا في يوم تثليث :

(١) . ابن الأثير، الجزري الشيباني ، ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مصدر سابق ، ج ٣ / ١٦٧ .

-الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى ، د.ط (بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، ج ١٦ / ٣٦٣ .

- ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي ، كتاب ذم المسكر ، تحقيق : د. نجم عبد الرحمن خلف ، د.ط (الرياض : دار الراجية ، د. ت) ، ص ٧٤ .

(٢) . انظر ، البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ، ج ٥ / ٤٤٧ .

(٣) . انظر عسيلان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السُّلمي (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .
-الأصفهاني ، أبو الفرج ، مصدر سابق ، ج ١٤ / ١٩٩ - ٢٠٣ .

-و التيمي ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق) ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢٩٥ .

(٤) . انظر السلمي ، العباس بن مرداس ، ديوان العباس بن مرداس السُّلمي ، تحقيق : د. يحيى الجبوري ، ط ١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، ص ١٢٥ .

(٥) . الأندلسي ، ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ، العقد الفريد ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) ، ج ١ / ١٣٠ .

وانظر : الزبيدي ، عمرو بن معد يكرب ، شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، جمعه : مطاوع الطرايشي ، ط ٢ ، (دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، ص ١٢٥ .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً^(١) جِيَادُنَا بَتَّلَيْتَ مَا نَاصَيْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا^(٢)

على أن هذه الحرب لم تنته لصالح أحدٍ منهما، بل "صبروا فيها ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى، وفي ذلك اليوم وضع العباس قصيدته السينية وهي إحدى القصائد المنصفتات"^(٣)، ولكن سرعان ما أنصف كلاهما الآخر واعترف له بالفروسية والشجاعة والإقدام، فحين سُئل عمرو "ماذا نقول في العباس بن مرداس؟ قال: أقول فيه ما قال فيّ:"

إِذَا مَاتَ عَمْرُو قَلْتُ لِلخَيْلِ أَوْطِئُوا زَيْدًا فَقَدْ أَوْدَى بِنَجْدَتَهَا عَمْرُو " (٤).

أما المرحلة الثانية من حياته في الجاهلية: فهي بعد استشهاد صخر بن عمرو بن الشريد في يوم (ذات الأثل)، فهنا بدأ النزاع مع ابن عمه خُفاف على الزعامة، وبدأ الهجاء حتى وصل بهما الأمر إلى الحرب وسفك الدماء وكثرة القتلى، وقد خلف هذا النزاع نقائص منها للعباس إحدى عشرة قصيدة"^(٥)، (٦) (٧)، ولكن سرعان ما زال العداء بعد الإسلام وصفت النفوس وبدت أحقية العباس في زعامة قومه ومكانته فيهم، ورضي بذلك خُفاف وصفت النفوس من البغضاء وتوحدت صفوفهم.

وبدخول العباس الإسلام تبدأ المرحلة الثانية من حياته التي اختلفت تماماً عما كانت عليه في الجاهلية مع الحفاظ على مكانته في قومه، فقد عُدد في بداية إسلامه من المؤلفة قلوبهم، ثم ما لبث أن حسن إسلامه وجعله النبي - ﷺ - على صدقات قومه و مازن ابني منصور^(٨).

و اختلف الرواة في قصة إسلامه، ما بين مَنْ جعلها من دلائل النبوة المحمدية في مشاركة الجنّ له في الدعوة، فمما ذكره ابن هشام أنّ العباس أسلم حين سمع صوتاً من جوف صنمه ضمّار الذي أوصاه والده به وبعبادته، يقول:

(١) خيلٌ شيارٌ: أي: سمانٌ حسنٌ. / الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: عبد

الحميد هندراوي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ - ١٤٢٤هـ)، (شور)، ج ٢ / ٣٦٥.

(٢) انظر، السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) عسيلان، عبد الله عبد الرحيم، العباس بن مرداس السلمي (الصحابي الشاعر)، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ط ١ (د.م، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص ١٨٠.

(٥) عسيلان، عبد الله عبد الرحيم، العباس بن مرداس السلمي (الصحابي الشاعر)، مرجع سابق، ص ٣١.

(٦) شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب، مجالي الأدب في حداثق العرب، د.ط (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩١٣م)، ج ٥ / ١٨٢.

(٧) السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ٧٩.

وانظر هذا البحث، ص ٤٥، ٧٧، ١٣٢.

(٨) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، جمل من أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ١ / ٥٣٠.

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا أُوْدَىٰ ضِمَارٌ وَعَاشِرَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ

إِنَّ الدِّيَّ وَرِثَ التَّبُوءِ وَالْهُدَىٰ بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

... فحرق عباس ضممار، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم. (١)، ويروى أيضاً أنه كتم الأمر قال: " فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إبلي بطرف العقيق من ذات عرق راقداً سمعت صوتاً، فإذا برجل على جناحي نعامة، وهو يقول: التور الذي وقع ليلة الاثنين، وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء... ثم انصرفت إلى ضممار، فأحرقته بالنار... " (٢)، ومنهم من ذكر بأنه خرج مرعوباً بعد أن سمع ذلك، وقصص على قومه القصة فأسلموا وقدموا معه على النبي -ﷺ- قال: " فدخلنا المسجد، فلما رأني رسول الله -ﷺ- قال لي: " يا عباس كيف كان إسلامك؟ فقصصت عليه القصة، قال: فسرت بذلك وأسلمت أنا وقومي " (٣)، ومنهم من يذكر بأنه أسلم على يد رجل من بني سليم يدعى (قيس بن نسيبة) (٤)، وهجرته زوجته حين علمت بإسلامه وأخذت تؤنبه ورحلت لأهلها، لكن ذلك لم يرده عن الاقتناع بالدين واتباع النبي -ﷺ-:

حُبِّيْبَةُ آلُوْتٍ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَىٰ لِيَبِيْنَ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعٌ

فَإِنْ تَبَتَّغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَيَائِي وَ زِيْرٌ لِلنَّبِيِّ وَ تَابِعٌ (٥).

- (١) . انظر الحميري، بن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشليبي، ط ٢ (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م) ج ٢ / ٤٢٧.
- (٢) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الخصائص الكبرى، د. ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت ج ١ / ١٧٩).
- (٣) . الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، دلائل النبوة، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط ٢ (بيروت: دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ج ١ / ١١٩، ١١٨.
- (٤) . القرشي، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ج ٢ / ٤١٧.
- (٥) . طه، أبو أسماء محمد بن طه، الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي، والشيخ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر، ط ٢، (القاهرة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، و الفيوم: دار سبل السلام، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ص ٤٨٣.
- والصالح، محمد بن يوسف الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط ١ (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ج ٦ / ٣٤٦.
- (٥) . السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ١٠٧.

وبعد إسلامه اشترك في عدد من المعارك منها معركة (ذات السلاسل)^(١) ، كما أوفى بما عاهد به الرسول -ﷺ- فقد أمده بألف من بني سليم على القنا والدروع لفتح مكة والطائف ، فقد ذكر أهل الأخبار أن رجلاً من بني سليم يدعى " (قَدْر بن عَمَّار) ، كان قد قدم على النبي بالمدينة فأسلم، وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه، فلما ذهب إلى قومه، وعاد ليأتي إلى الرسول برجاله، نزل به الموت، فأوصى إلى رهط من "بني سليم" بالذهاب إلى الرسول، من بينهم "عباس بن مرداس" وأمر كل واحد منهم على ثلاثمائة، ليقدّموا على الرسول، ثم جاء من بعدهم "المنقع بن مالك بن أمية" وهو على مائة رجل، فصار عددهم ألفاً " (٢) ، والعباس في طبيعته البدوية ظلّ محتفظاً بأعرابيته ، فكان يقاتل مع النبي -ﷺ- ويعود لديار قومه ، وأثرت عليه هذه النزعة الأعرابية حين رأى كثرة الغنائم في يوم حُنين واستقلّ ما أعطاه الرسول -ﷺ- من الغنائم فعاتبه بأبيات منها :

أَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْبَ الْعُبِّ حِيدَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرَعِ

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ^(٣)

فبلغ ذلك النبي -ﷺ- فقال : " لأقطعن لسانك. وقال بلال: إذا أمرتك أن تقطع لسانه فأعطه حلة. ثم قال: يا بلال اذهب به فاقطع لسانه ، فأخذ بلال بيده ليذهب به فقال: يا رسول الله أيقطع لساني؟ يا معشر المهاجرين أيقطع لساني؟ يا للمهاجرين أيقطع لساني؟ وبلال يجره. فلما أكثر قال: إنما أمرني أن أكسوك حلة أقطع بها لسانك ، فذهب به فأعطاه حلة." (٤) ، وعند آخر أن أبا بكر -ﷺ- حين سمع اقطعوا عني لسانه فهم المراد "فذهب حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال له -ﷺ- (أتقول فيّ الشّعْر؟) ، فجعل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر ديببا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر، فتبسّم -ﷺ- وقال : (لا تدع

(١) . أبو شُهبة ، محمد بن محمد بن سويلم ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ط ٨ (دمشق : دار القلم ،

١٤٢٧ هـ) ، ج ٢ / ٤٣٣

(٢) . علي ، د. جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٤ (د. م : دار الساقية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)

، ج ٧ / ٢٥٨ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١١

(٤) . البغدادي ، ابن سعد ، مصدر سابق ، ج ٤ / ٢٠٦ .

العرب الشَّعر حتى تدع الإبل الحنين) " (١) ، وله موقف مشابه في غنائم يوم حنين حين قدم وفد هوازن على رسول الله - ﷺ - وطلبوا منه رد السبايا والأموال ، فرد لهم ما كان له ولبنى عبد المطلب ، وطلب من المسلمين ردَّ السبايا والأموال ، فرد المهاجرون و الأنصار ، وأبي جماعة منهم العباس : أمّا أنا وبنو سليم فلا ، فاعترض بنو سليم وقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله - ﷺ - فقال : وهنتموني (٢) ، وهو في هذه المرحلة يعدُّ من المؤلِّفة قلوبهم ، لكن ما لبث أن حسن إسلامه ، وقد حمل لواء قومه في يوم الفتح وحنين مع ابن عمه خُفاف بن نُدبة والحجاج بن علاط والضحاك بن سُفيان ، وأبلى فيهما ، وقد حفل شعره بذكر تلك المعاناة من أجل النصر (٣) ، وكذا برّه الرسول الكريم حين أرسله إلى قومه لحثهم على الجهاد وترغيبهم في الصدقة وذلك في الاستعداد لغزوة تبوك (٤) .

ولم يسكن المدينة ولا مكة ، بل سكن بادية البصرة في آخر حياته وكتب عنه البصريون (٥) ، أما أبناء سنة وفاته فهي غير مؤكدة أو محددة السنة ، فابن حجر يقول : " وكأنه مات في خلافة عثمان " (٦) ، أما الزركلي فيبين أنه تُوفي عام ثمانية عشر هجرية (٧) ، وندر من قال بأنه تُوفي بالمدينة ودفن بالبقيع " وفي الصحابة العباس بن مرداس - ﷺ - قبره بالبقيع وقد زرت قبره " (٨) ، وقد رثته أخته لأبيه عمرة بنت مرداس بأبيات تقول فيها :

أَعْيَنِي لَمْ أَخْتَلِكُمْ بِخِيَانَةٍ أَبِي الدَّهْرُ والأَيَّامُ أَنْ تَتَّصِبَرَا

- (١) . العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بhamash إحياء علوم الدين) ، ط ١ (لبنان : بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) ، ص ١٠١٧ .
- (٢) . انظر / الجوزية ، ابن قيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ٢٧ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، و الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) ، ج ٣ / ٤١٧ .
- البغدادي ، ابن سعد ، مصدر سابق ، ج ٢ / ١١٦ ، ١١٧ .
- (٣) . انظر ص ١٧٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، من هذا البحث .
- (٤) . المقرئ ، تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، ج ٢ / ٤٧ .
- (٥) . انظر / البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، جمل من أنساب الأشراف ، مصدر سابق ، ج ١٣ / ٣٢٠ .
- (٦) . العسقلاني ، ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، تهذيب التهذيب ، ط ١ ؛ (الهند : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٦ هـ) ، ج ٥ / ١٣٠ .
- (٧) . الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الأعلام ، ط ١٥ ؛ (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ م) ، ج ٣ / ٢٦٧ .
- (٨) . الصفوري ، عبد الرحمن بن عبد السلام ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، د.ط ؛ (مصر : المطبعة الكاستلية ، ١٢٨٣ هـ) ، ج ٢ / ١٨١ .

وَمَا كُنْتُ أَحْسَى أَنْ أَكُونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يَنْعَى أَخِي تَحْسُرًا
تَرَى الْخَصَمَ زُورًا عَنْ أَخِي مَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِي بِأُزُورًا (١) .

وقد كشف شعره عن جوانب من شخصيته ، فمن خلاله اتضحت معالم فروسيته وإقدامه ، " وميله إلى السلم والتطلع إلى المعالي ، والمجد ، وحب الخير ... " (٢) .

وأولى تلك الخلال وأبرزها هي الشجاعة ، فقد " كانت العين لا تأخذه ، فرآه عمرو بن معدي كرب ، فَقَالَ: هَذَا عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ؟ لَقَدْ كُنَّا نَفْرَقُ بِهِ صَبِيانًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ " (٣) ، لذا حكم له الخليفة عبد الملك بن مروان بأنه صاحب أشجع بيتٍ قالته العرب وذلك في قوله :

أَشْدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لِأَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمٌ سِوَاهَا (٤)

وانطوى تحت هذه الشجاعة حبُّ المعالي والتطلع لنيل المجد :

وَلِي نَفْسٌ تَتَوَقُّ إِلَى الْمَعَالِي سَتَلِفٌ أَوْ أُبَلِّغُهَا مُنَاهَا (٥)

كما ظهرت صفة حبه للخيل واضحةً فأكثر ما حوى ديوانه وصف المعارك والخيل الأصيلة وفخره بامتلاكه لها ، وذكر صفات الأصالة التي امتازت بها خيله وسمّاها بأسمائها كالصموت (٦) ، ولحبه لها كُنِّي بفارس العبيد ، والعبيد هذا فرس له ، وفي وصفه للخيل يورد صورة من التشبيه (المرسل المؤكد) ؛ ليرسل بها صفات خيله فيعلمها المتلقي ويعيها ، ويؤكد أصالة خيله و نفاستها بين سائر الخيول فهي سريعة تنطلق كالرمح غالية الثمن :

(١) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق: غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين ، ط ١ (لبنان : بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ص ٧٧١ .

(٢) . عسيان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السلمي (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٣) . البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، ط ١ (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ، ج ١٣ / ٣٢٠ .

(٤) . انظر/ النويري ، شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط ١ (القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ) ، ج ٣ / ٢٢١ .

والوطواط ، أبو إسحق ، برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي ، غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط ١ (لبنان : بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ، ص ٤٠٨ .

السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .
(٥) . المرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٦) . انظر ص ٦٦ ، ٦٧ ، من هذا البحث .

عَلَى مَثْنٍ جَزْدَاءِ السَّرَاةِ (١) نَبِيلَةٍ كَعَالِيَةِ الْمُرَّانِ (٢) بَيْعَةٍ (٣) الْقَدْرِ (٤)

أما سيادته لبني سليم فقد تعدت إلى غيرهم فقد وثق فيه القريب والبعيد وساد منطقته بعلو أخلاقه وحسن سيرته :

وَإِنْ أَدْعُ يَوْمًا فِي فُضَاعَةٍ تَأْتِنِي شَأْيِبُ بَحْرِ ذِي عَوَارِبِ (٥) مُزِيدِ (٦)

فالكل ينصاع لأمره ويلبي نداءه بدون تردد ، وأنصاره أكثر ، وكان العباس مُحباً للعدل كارهاً للظلم يسعى دائماً لنصرة المظلوم وعونه على من ظلمه ، ويصوّر ذلك بالتشبيه مُستغنياً عن أداة التشبيه ووجهه ، ليبلغ قصده و يجذّر عدوه ، فهو وقومه دمهم (كالشفاء) لطالب الثأر :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دِمَاؤُهُمْ شِفَاءٌ لِطُلَّابِ الثَّرَاتِ (٧) مِنَ الْوَعْمِ (٨) (٩)

أما صفاته الجسدية فالذي يبدو أنه كان نحيف الجسم ، ولكن له هيئته بين أعدائه ، ويتضح ذلك في قوله :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ (١)

(١) . سِرَاةُ الْفَرَسِ: أَعْلَى مَثْنِهِ / الأزهري ، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الهروي ، تهذيب اللغة ، مصدر سابق ، (سرو) ، ج ٣٨ / ١٣ .

(٢) . (الْمُرَّانُ) بِالضَّمِّ الرِّمَاحُ الْوَاحِدَةُ (مُرَّانَةٌ) . / الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط ٥ (بيروت وصيدا : المكتبة العصرية :الدار النموذجية) ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، (مرن) ، ص ٢٩٣ .

(٣) . بَيْعَةُ أَي : مَرِحَةٌ . / الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط ١ (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، ج ١ / ٨٧ .

(٤) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

(٥) . انظر شرح البيت في هذا البحث ، ص ٢٠٨ .

(٦) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦١ .

(٧) . الْمُؤْتُوْرُ: الَّذِي قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَلَمْ يُدْرِكْ بَدْمَهُ . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (وتر) ، ج ٥ / ٢٧٤ .

(٨) . الْوَعْمُ: الْحَقْدُ الثَّابِتُ فِي الصَّدْرِ / الفراهيدي ، ت : د. مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، مصدر سابق ، (وغم) ، ج ٤ /

(٩) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٥٣ .

وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ^(٢) فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

فَمَا عِظْمُ الرَّجَالِ هُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ^(٣)

وهناك صفات أخر ظهرت بعد إسلامه ، كالطاعة لأمر الله ورسوله ، وغيرها من الصفات الإسلامية .^(٤)

ثانياً : شاعريته وآراء النقاد في شعره :

كان أبو الهيثم " فَارِسًا شَاعِرًا مَخْضُومًا شَدِيدَ الْعَارِضَةِ وَالْبَيَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ "^(٥) و " دارت أشعاره حول الفخر والحماسة والحروب بين بني سليم وأعدائهم ، وله شعر في الهجاء ، وله أشعار في يوم خنين "^(٦) ، وقد أشاد بشاعريته عدد من النقاد ، وكان من أوائلهم أبو عبيدة المعمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) ، فقد عدّه من " أشعر أبناء مرداس وأفرسهم وأسودهم "^(٧) ، فحين فسر قوله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٨) ، قال : " قال العباس بن مرداس :

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَحْوَكُمْ فَقَدْ بَرَّتْ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ^(٩)

(فَبُهِتَ) : انقطع ، وذهبت حجته ، وبهت : أكثر الكلام ، " ^(١٠) وفي شرحه للنقائض ، جعل من شعر العباس سبيلاً لشرح أيتام العرب ، من ذلك هجاء العباس لكليب بن عهمة أخي بني سليم ، حين جحد حقه وشراكة أبيه في الأرض التي اقتطعها مع حرب بن أمية ، فأبدى إعجابه بطريقة نظمه للأبيات وتحذيره

(١) . الطَّرِيرُ: الرَّجُلُ الْقَوِيُّ. / الرازي ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد

السلام محمد هارون ، د.ط (د. م ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.) ، (مزر) ، ج ٥ / ٣١٩ .

(٢) . الطَّرِيرُ: ذُو الرِّوَاءِ وَالْمَنْظَرِ. / الجوهري ، إسماعيل بن حماد الفارابي ، مصدر سابق ، (طر) ، ج ٢ / ٧٢٥ .

(٣) . البيت مما نُسِبَ للعباس ولغيره السُّلَمِيِّ / العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٧٢ .

(٤) . عسبلان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السُّلَمِيُّ (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٥) . التبريزي ، شرح ديوان الحماسة ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٦٦ .

(٦) . أبو ناجي ، محمود حسن ، شعراء العرب الفرسان في الجاهلية والإسلام ، ط ١ ؛ (بيروت ودمشق : دار علوم

القرآن ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، ص ٢٤٣ .

(٧) . الأصفهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسن ، كتاب الأغاني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، وآخرون ، ط ٣ ؛ (بيروت

: دار صادر ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ج ١٤ / ٢٠٣ ، بتصرف .

(٨) . سورة البقرة آية (٢٥٨) .

(٩) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

- وانظر هذا البحث ، ص ١٩١ .

(١٠) . المثنى ، أبو عبيدة معمر بن التيمي البصري ، مجاز القرآن ، مصدر سابق ، ج ١ / ٧٩ .

من عواقب الظلم ، وتذكيره بنهاية ظلم كليب التي قضت عليه وقادت إلى الحرب لسنواتٍ طَوَالٍ (١) ، أما الأصمعي (٢١٢هـ) ، فلم يُخَفِّ إعجابه بشعر العباس فحين سُئِلَ " عن خُفاف بن ندبة وعنتره ... ، قال: هؤلاء أشعر الفرسان، ومثلهم عباس بن مرداس السلمى .. " (٢) ، ولإعجابه بشعره وفروسيته أورد له المنصفة كاملة في كتابه عوناً منه في حفظ الشَّعر المنصف. (٣)

ولشعر العباس نصيب وافر عند الجاحظ (٢٥٥هـ) ، فلا تكاد تخلو مؤلفاته من شواهد من شعر العباس ، ولجاحظ يرى أن من عيون المعاني في وصف الخيل قوله :

جَاءَ كَلَمَعَ الْبَرْقِ جَاشَ نَاطِرُهُ
يَسْبُحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ

قال الجاحظ: جاش ناظره، أي جاش بمائه، وناظر البرق: سحابه. يسبح، يعني يمد ضبعيه، فإذا مدهما علا كفله .. " (٤) ، كما يورد له في حُسن التشبيه قوله :

على قُلُوصٍ نَعْلُو بِهَا كُلَّ سَبَسِبٍ تَخَالُ بِهِ الْحِرْبَاءُ أَشْمَطَ جَالِسًا (٥)

وكذا كان من ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، فقد حوت مؤلفاته النقدية والأدبية سيرة العباس ، واستحسن بعضاً من أبياته ، ومن ذلك الإشادة بفروسيته وإقدامه فيقرُّ له بما ذكره عنه عبد الملك بن مروان ، وأنَّ بيته الذي قاله في الشجاعة لا مثيل له (٦) ، ويشيد ببراعته وشِدَّة بأسه وطعنه للعدو " (١) ، وفي الهيبه والعز يورد أبياتاً للعباس ينصح فيها ويحث على المحافظة على المكانة والعزة :

(١) . انظر ، المثنى ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، شرح نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق: محمد إبراهيم حور ، وليد محمود

خالص ، ط ٢ (الإمارات ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي، ١٩٩٨م) ، ج ٣ / ١٠٠٩ ..

(٢) . الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، فحولة الشعراء ، تحقيق المستشرق: ش. تورّي ، قدم لها:

الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط ٢ (لبنان : بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ١٤ .

(٣) . الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعيات ، تحقيق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون ،

ط ٧، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٣م) ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٤) . الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، البيان والتبيين ، د. ط (بيروت : دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ)

، ١ / ١٤١ .

- وانظر شرح الأبيات في هذا البحث ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) . الجاحظ، الحيوان ، ط ٢ مصدر سابق ، ج ٦ / ٤٧٣ .

السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٩٢

(٦) . الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، د. ط (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ) ،

٢ / ٢١١ .

" أَبْلَغُ أَبَا سَلَمٍ رَسُولًا نَصِيحَةً فَإِنْ مِعْشَرًا جَادُوا بِعِرْضِكَ فَابْخَلْ

وَلَا تَطْعَمَنْ مَا يُعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَانِهِمْ بِالْمَثْمَلِ " (٢)

وحين قسّم قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) كتابه بحسب نعوت الشعر الجيد وحدوده ، ذكر في باب ائتلاف اللفظ مع المعنى بيتاً للعباس لكونه به ائتلاف وارتكز على التمثيل في إيصال الصورة :

" كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ ذَرِيَّةً وَالْبَيْضَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ

يريد أن البيض عليهم قد صارت شمساً. " (٣) ، وفي جمال التوشيح يذكر له :

" هُمْ سَوْدُوا هُجْنَا وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يَبِينُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا

فمن تأمل هذا البيت، وجد أوله يشهد بقافيته ... " (٤) ، وفي التكافؤ يمثل بقوله :

" مَطْهَمًا خَلَقَهُ شَتْنَا سَنَابِكُهُ صَعَلًا عَلَى أَنْ فِي الْجَنَّبِينَ إِجْفَارًا

فجعل: صعلًا مكافئًا لجفر ... " (٥) ، وفي سرقات المتنبي يصف القاضي الجرجاني (٣٩١ هـ) اقتباس المتنبي للمعنى من بيت للعباس وهو قوله :

" فَمَا عِظَمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرْمٌ وَخَيْرٌ

أخذ أبو الطيب المعنى فقال :

وما الحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرْفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَاتِقِ " (٦)

أما أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) فقد أخذ عليه قوله :

(١) . الدينوري ، ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ، تحقيق : المستشرق د سالم الكرنكوي ،

عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، ط ١ (الهند ، حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩ م ، و لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ، ج ٢ / ٩٧٤ .

(٢) . الدينوري ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، مصدر سابق ، ج ١ / ٤٠٨ .

- الأبيات تختلف عما ذكر في الديوان انظر / السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) . البغدادي ، أبو الفرج ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، نقد الشعر ، ط ١ (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب

، ١٣٠٢ هـ) ، ص ٦٠ . في الديوان (والشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ) / السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(٤) . البغدادي ، أبو الفرج ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، نقد الشعر ، مصدر سابق ، ص ٦٣ .

(٥) . المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٦) . الجرجاني ، القاضي ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، د. ط (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، ص ٣٤٣ ، ٣٩٠ بتصرف .

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً وَالْبَيْضَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ

أراد تَلَأُوَ البِيضَ في الشمس، فكأن على كل رأس شمسا ..^(١)، بينما أبدى إعجابه ببيته في الشجاعة وأنه يدل على الشجاعة الخالصة^(٢)، وكذا بتشبيهاته، وخاصة وصف سرعة الخيل وسعة المنخرين...^(٣)، على حين انتقى المرزوقي (٤٢١ هـ) من أبيات العباس ما يختص بالحماسة والإنصاف، وشرح عدداً من الأبيات لكنه اقتصر على المعنى اللغوي دون إبداء للإجادة أو عدمها منها قوله في بيت العباس:

" أَتَشْحَدُ أَرْمَاحاً بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَتْرُكُ أَرْمَاحاً بِيَهْنٍ نَكَائِدُ^(٤)

هذا مثل، والمعنى: أتعين أعداءنا علينا، لأن من أحدّ سلاح العدو الذي يقاتل به، وترك سلاح صاحبه الذي يكايده فقد أعانه عليه...^(٥).

وفي العمدة لابن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ)، خصّ يوم تثليث بالذكر وأشار إلى سينيته دون أن يوردها، وفي باب التريديد^(٦) أعجب ببيت العباس؛ لقرب اللفظتين مع اختلاف المعنى وهو قوله:

تُعْرَضُ لِلسِّيُوفِ بِكُلِّ نَعْرٍِ وَجُوهَاً لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ^(٧)

وفي الكلام عن الفصاحة وجوهاً ساق ابن سنان الخفاجي (٤٦٦) مثلاً على صرف ما لا ينصرف، وأن العرب استشهدوا به في منع المصروف من الصرف، وذلك في قول العباس:

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يُفُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي مَجْمَعِ^(٨)

(١). العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا، الصناعيتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩ هـ)، ص ٣٥٦.

(٢). العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا، ديوان المعاني، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)، ج ١ / ١١١.

(٣). العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني، مصدر سابق، ج ٢ / ٤٥٩.

(٤). السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٥). المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة:

إبراهيم شمس الدين، ط ١ (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ج ١ / ٣١٥.

(٦). التريديد: وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردّها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه. / القيرواني، ابن رشق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م)، ج ١ / ٣٣٣.

(٧). المصدر السابق، ج ١ / ٣٣٤. والبيت فيه اختلاف عما جاء في الديوان، انظر، السلمي، العباس بن مرداس،

الديوان، مرجع سابق، ١٨١

(٨). الخفاجي، ابن سنان، مصدر سابق، ص ٨٣.

أما النقاد المحدثون فقد بيّن منهم محقق الديوان د. يحيى الجبوري مكانة العباس الشعرية، وأن الناس حفظوا أشعاره وتمثلوا بها ، ومن ذلك ما تبادلته عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير من أشعاره في التهديد (١) ، وأن شعره " يحوي ثروة كبيرة في المعاني واللغة ، وفي الدلالة على المواضيع ، وعلى العصر وأحداثه ومثله وقيمته ، وأنه ميدان واسع ينتظر الكفاء الذي يفرغ له ويقوم به " (٢) ، في حين اقتصر د. الملوحي على شرح المنصفة لتعلقها بمؤلفه ، ونعت المنصفة بأنها أقلّ المنصفات إنصافاً عدا الأبيات التي ذكرها أبو تمام في حماسته وأنها وصفٌ لشجاعة العباس وشجاعة بعض إخوانه من الفرسان ، أما أعداؤه فلم يرد لهم ذكر فيها (٣) .

ولما كانت دراسة د. عسيلان خاصة بالعباس فقد بيّن شخصيته من خلال شعره ، فرأى أنّ العباس أجاد في اتحاد اللفظ والمعنى وإحكام النسج وانتقاء الصور وأنها واقعية مستمدة من بيئته بسيطة ومشرفة ، بها الكثير من الاستعارات والتشبيهات الجيدة (٤) ، وكذا المحسنات البديعية العفوية بما طابع عصره ، وهي بعيدة عن الأساطير التي لا يصدّقها العقل (٥)(٦) ، وأنّ مضامينه نابعة من معانٍ وأفكارٍ تمتاز بالصدق ، والإيجاز والوضوح معبرةً عن مشاعره في غير تكلف (٧) ، في حين أخذ عليه : عدم التزامه بالوحدة الموضوعية فالقصيدة تتطرق لأكثر من معنى وغرض ، وأنه لا يقصد تفكك القصيدة بل هي محكمة النسج ، وأحسن فيها التخلص دون أن يُشعر المتلقي بالانتقال من غرض إلى سواه (٨) ، والمأخذ الثاني : هو قُرب شعره من الطابع الثري أو النظم التقريري ، كما في وصفه ليوم حُنين ، وذكره للأعداد والأشخاص ، دون ظهور للعاطفة في الأبيات كما في قوله :

وَالْقَائِدُ الْمَائِدَةِ الَّتِي وَقَى بِهَا تِسْعَ الْمِئَتَيْنِ فَتَمَّ أَلْفٌ أَقْرَعُ (٩)

وأخذ عليه كذلك لجوءه إلى ألفاظ تبدو عليها الغرابة (١) كقوله :

(١) . ينظر الأصفهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسن ، كتاب الأغاني ، مصدر سابق ، ج ١٤ / ١٩٧

-انظر ، السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٢٧

(٢) . المرجع السابق ، ص ٢٨

(٣) . ينظر الملوحي ، عبد المعين ، المنصفات ، د. ط (دمشق ، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، إحياء التراث

القديم ، ١٩٦٧ م) . ص ٦١ .

(٤) . عسيلان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السلمي (الصحابي الشاعر) ، ص ١١٦ وما بعدها .

(٥) . انظر المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٦) . انظر المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٧) . انظر المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٨) . انظر المرجع السابق ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٩) . انظر المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

مُطَمَّهًا خَلْفَهُ شَتْنَا سَنَابِكُهُ صَعْلًا عَلَى أَنَّ فِي الْجَبِينِ إِجْفَارًا (٢)

ومن التقاد الذين أشاروا لشاعرية العباس د. محمود أبو ناجي ، فهو يرى بأنّ العباس شاعر لكن ألفاظه خشنة عليها الجفاء والغلظة الأعرابية (٣) ، وأنه في منصفته حشد الألفاظ القتالية التي تحمل صفة البداوة لكونه لم يسكن المدن (٤) .

وقريب من هذه الآراء رأي د. أحمد حسن بسج ، فهو استحسن شعر العباس في كونه يسير على سنن معاصريه في تعدد المضامين ضمن القصيدة الواحدة ، وبيّن أنواع التصوير التي حوتها أبياته (٥) ، ويرى أن صورته ليست غريبة بل هي من واقعه وأنّ ألفاظه تشاكل معانيه (٦) ، فهي في الغزل رقيقة ، وفي الفخر قوية عالية الصخب ، وهي في كلتا الحالتين جزلةً على شيءٍ من البداوة (٧) .

وترى الباحثة بعد هذا أنّ شعر العباس كان دالاً على شخصيته البدوية الأعرابية ، حوى الكثير من التراث اللغوي الغريب ، ويحتاج في غالبه إلى تفسير لغوي يكشف عن المعنى ، وأنّه تأثر بالألفاظ الإسلامية والمعاني القرآنية بعد إسلامه فرق شعره وحسن .

(١) . انظر المرجع السابق .

(٢) . انظر المرجع السابق .

(٣) . انظر ، أبو ناجي ، محمود حسن ، شعراء العرب الفرسان في الجاهليّة والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

(٤) . انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٥) . انظر بسج ، أحمد حسن ، العباس بن مرداس السُّلمي (شاعر الفخر والحماسة) ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب

العلمية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . ص ٣٥ - ٧٢ .

(٦) . انظر المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٧) . انظر المرجع السابق ، ص ٧٥ .

الفصل الأول :

مُستوياتُ الصُّورة التَّشبيهُية عند العباس بن مرداس

الفصل الأول : مُستويات الصورة التشبيهية عند العباس بن مرداس

إنَّ مما يُسهم في بيان جماليات النصّ الشعري ، وبلاغته معرفة أسلوب الشاعر ، ودراسته، واستخراج الجماليات من ذلك الأسلوب ، ومنه تظهرُ الخصائصُ الأسلوبيةُ عند الشاعر، والأسلوب في اللغة من سَلَب " سلب: سَلَبَهُ الشَّيْءَ يَسْلُبُهُ سَلْبًا وَسَلْبًا، وَالسَّلْبُ: مَا يُسَلَّبُ، وَالْفِعْلُ سَلَبْتُهُ أَسْلَبْتُهُ سَلْبًا إِذَا أَخَذْتَ. (١) " ، ومنه "الأسلوب: الطَّرِيقُ وَالْجَمْعُ أساليب ، وَيُقَالُ: أَخَذَ فَلَانٌ فِي أساليبٍ مِنَ الْقَوْلِ أَي فنونٍ مِنْهُ" (٢) ، مع أنّ علم الأسلوب علمٌ حديث إلا أن له جذوراً تاريخية في علم البلاغة ، فقد أشار إلى أهمية الأسلوب الشيخ عبد القاهر الجرجاني : "الأسلوب: الضَرْبُ مِنَ النِّظْمِ والطَّرِيقَةُ فِيهِ" (٣) ، وكان الشيخ عبد القاهر قد عرّف النّظْمَ بقوله : "اعلم أنّ ليسَ النّظْمُ إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو " (٤) ، والأسلوب عنده يتساوى فيه الرّسام والأديب "واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثُر في العين، فأنت لذلك لا تُكبرُ شأنَ صاحبه ، ولا تُفضي له بالحذق والاستاذية وسعة الذّرع وشدّة المنة ، حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبياتٍ" (٥) ، أمّا حازم القرطاجني (٦) فقد عرّف الأسلوب بأنّه : " الأسلوب هيئة تحصل عن التاليفات المعنوية، والنظم هيئة

(١) . ابن منظور ، مرجع سابق ، (سلب) ، ج ١ / ٤٧١ .

(٢) . الأزدي ، بن دريد. بكر محمد بن الحسن . جمهرة اللغة. تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٧م) ، ج ١ / ٣٤١، ٣٤٠ .

(٣) . الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣ ، (القاهرة : مطبعة المدني ، جدة: دار المدني ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ، ص٤٦٩ .

(٤) . المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٥) . المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٦) . القرطاجني ، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم ، ولد عام ٦٠٨ هـ . أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة بشرفي الأندلس، تعلم بها وبمرسية وأخذ عن علماء غرناطة وأشبيلية، وتلمذ علي الشلوين ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمر، وتوفي بها. من كتبه (سراج البلغاء) طبع طبعة أنيقة محققة، باسم (مناجح البلغاء وسراج الأدباء) وله ديوان شعر. توفي عام ٦٨٤ هـ / الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط١٥ ، (لبنان : بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ م) . ١٥٩ / ٢٠ .

تحصل عن التأليفات اللفظية. " (١) ، ويُرجع ابن خلدون الأسلوب إلى " صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كُليَّة باعتبار انطباقها على تركيب خاصّ ، تلك الصورة ينتزعها النص من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثمّ ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيُرصُّها فيه رصًّا كما يفعل البناء في القالب ، أو التّساجُّ في المنوال " (٢) ، ومن هذا يتضح أنّ ابن خلدون يتفق مع حازم القرطاجني في أنّ الأسلوب يقوم على البنية المعنوية بمعنى : أنّها تقوم على النظم ، وعلى مراعاة النحو في الكلام (٣) ، ويرى سيد قطب " أنّ الصورة اللفظية الموحية المثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين ، هي قوام العمل الأدبي " (٤) ، ويعني بالصورة اللفظية : الأسلوب الذي يميز العمل الأدبي ، ويتحدث عما يسميه القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، وهو ما يقابل التأليفات المعنوية والتأليفات اللفظية عند القرطاجني (٥) ، ومما سبق يتضح أن مفهوم الأسلوب في معناه العام أنه : " منحى الكاتب العام أو الشاعر ، وطريقته في التّأليف و التعبير ، والنظم والتفكير والإحساس على السواء " (٦) ، ومن هذا يتبيّن أنّ دراسة الأسلوب تُوضح المعنى اللغوي والبنية اللغوية للنص ، وكذا تُلقي الضوء على القيم الشعورية وعلى نفسية الشاعر ، وعلى خياله وصوره ودلالاتها ، وبهذا يمكن تمييز سمات أسلوب الشاعر عن غيره من شعراء عصره ،

(١) . القرطاجني ، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : د. محمد الخوجة بن حبيب ، ط ٣ ، (تونس : الدار العربية للكتب . ٢٠٠٨ م) ، ص ٣٢٧ .

وانظر الشنطي ، محمد صالح ، فن التحرير العربي ، ط ٥ ، (السعودية : حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ، ص ٧٥ . و عياد ، شكري ، علم الأسلوب ، ط ١ ، (المملكة العربية السعودية : الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، ص ٢٤ .

(٢) . ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : عبدالله محمد الدرويش ، ط ١ ، (دمشق : دار البلخي و دار الهداية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ، ج ٢ / ٣٩٦ .

(٣) . انظر عياد ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٤) . قطب ، سيد قطب ، ، النقد الأدبي - أصوله ومناهجه ، ط ٥ ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ص ١٣ .

(٥) . انظر عياد ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

وانظر الشنطي ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٦) . ثويني ، حميد بن آدم ، فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور ، ط ١ ، (عمّان : دار صفاء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ) ، ص ١٨ .

وتكمن أهمية دراسة أسلوب الشاعر في أنّها تبرز دقائق نظمه ومعانيه التي من خلالها ينجلي أسلوبه ويتضح ، وليبيان ذلك قسمت الباحثة هذا الفصل إلى عدة مباحث وهي :مستويات الصورة التشبيهية ،وفي أثناء ذلك يتضح مضمون الصورة التشبيهية وغرضها .

المبحث الأول : المستوى اللغوي

بما أنّ النحو "سر صناعة العربية لكونه يشكل رابطاً بين الصيغ، يساعد اللغة على تخطي كل الصعاب وصولاً إلى عملية الإبداع ،..ويستهدف في كثير من مباحثه تحليل علاقة الألفاظ المستقلة بالمعاني " (١) فإنّ هذا المبحث يتركز على البنية الصوتية ،والنحوية ،والصرفية للصورة التشبيهية عند الشاعر لتصل الباحثة من خلالها إلى معرفة درجة الإبداع عنده ، وأول مستويات التحليل اللغوي وأبسطها مع دلالتها على المعنى هو المستوى الصوتي ، وفضلت الباحثة البدء به لكون اللغة ماهي إلاّ " أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " (٢) ، في حين عُرف المستوى الصوتي أو علم الصوت بأنّه " علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة ، فهو فرع عن علم اللغة ، ويتميز عن غيره من فروعها بأنّه يعنى بجانبها المنطوق فقط ، كما أنّه يعنى بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة ، والأصوات أصل طبيعة اللغة ، والكتابة لاحقة عليها ، فهي رمز الصوت وتجسيد مادي له " (٣) ،وعلى هذا كان من الأفضل البدء بالمستوى الصوتي لبيان معانيه اللغوية الأخرى ويظهر من خلاله إبداع الشاعر ، ومن الأبيات التي برز فيها الجانب الصوتي ودلّ على المعنى والغرض ، وصف العباس ليوم حنين وما بذله بنو سليم من أجل تحقيق النصر والدفاع عن الإسلام والمسلمين في قوله :

﴿ في مَأَزِقٍ مِنْ مَجْرٍ ﴾ (٤) الحرب كلُّكُلِّهَا (١) تَكَادُ تَأْفُلُ (٢) مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٣)

(١) . عبد المطلب ، د. محمد ، البلاغة والأسلوبية ، ط ٤ ، (مصر : الشركة المصرية العالمية للنشر ، ٢٠١٢ م) ، ص ٤٢ .

(٢) . الموصللي ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ط ٤ ؛ (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ج ١ / ٣٤

(٣) . عكاشة ، د. محمود ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية) ، ط ٢ ؛ (القاهرة : دار النشر للجامعات ، ٢٠١١ م) ، ص ١٧ .

(٤) . المجر بفتح الجيم، وهو ما يكون في بطون الإبل والشاء من داءٍ . / الرازي ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مصدر سابق، ج ٥ / ٢٩٨ .

انظر لتعبيره عن هول الموقف بقوله في الصورة التشبيهية : (تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فهو يصور الأحداث حين أُحيط بهم ، وأنهم في شدة ومحنة لا مثيل لها ، حتى صارت مأزقاً ومرضاً عليهم في هذه الحرب ، فقد قارب بين طرفي التشبيه فالمشبه (في مأزقٍ من مجر الحرب) والمشبه به (تأفل منه الشمس والقمر) ، والأداة هي الفعل (تكاد) ، وصوّر حالة الذعر الذي هم فيه وما هم فيه من كرب ومواصلة القتال دون توقف ، بصورة غياب الشمس والقمر فلا يعرف الإنسان ليله من نهاره ويتملكه الخوف من ذلك ، ولم يُفصح عن وجه الشبه ، والذي يمكن أن يكون شدة أو صعوبة أو ظلمةً ، مُكتفياً بما حوته الصورة من وصفٍ ، وعليه فالصورة التشبيهية التي استعان بها الشاعر هي من التشبيه (المركب التمثيلي)

وحتى يُنفس عما به من كرب ، نَوَّعَ المقاطع الصوتية في هذه الصورة التشبيهية ما بين طويلة وقصيرة ، وارتفعت في خلال ذلك النبرات معها ما بين مرتفع ومنخفض ، فيظهر الهدوء في بدء البيت باختياره لحرف الجر (في) بهمس الفاء ولين الياء ، لكنه ما لبث أن قطع ذلك الهدوء في (مأزقٍ) فالميم التي هي حرف يدلُّ " على الانقطاع والاستئصال " (٤) قطعت سكون الحروف وهدوءها ، ثم في صفير الزاء أخرج مشاعر القلق وأبداها ، والقاف بقلقلته عبّر عن اضطراب النفس وحيرتها في هذا الموقف ، وأنهم داخل موقف شديد جرّت عليه الحرب بدائها ، وانتقى (مجر الحرب) بإطباق الباء وقلقلته فهي حرب أطبقت عليهم وشدّت ، واختار مقطعاً طويلاً ليوصل الشعور الذي ألمّ به إلى المتلقي ، ويبيّن سبب خوفه وقلقه ، وأنهم أحاط بهم العدو وأمرضتهم الحرب ، ثم تلاعب في التنغيم ، وفي الفصل في كلمة (

(١) . الكَلْكَلُ من كُلِّ شَيْءٍ: الصَّدْرُ. / الأزدي ، كراع النمل، أبو الحسن علي بن الحسن، المُنْجِدُ في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، ط ٢؛ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٨م) ، (كلكل) ، ص ٣١٩ .

(٢) . أَفْلٌ: أَفَلَّتِ الشَّمْسُ تَأْفُلُ أَفُولًا. وكلّ شيء غاب فقد أَفَلَ. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (أفل) ، ج ٨ / ٣٣٧ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق، ص ٧٤

(٤) . الفاخري ، د. صالح سليم عبد القادر ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، د. ط ؛ (الإسكندرية : المكتب العربي الحديث) ، ص ١٥١ .

كلُّكُلها) فقد حوت الحركة ثم السكون ، ليرتفع الصوت ويهبط كاندفاع الشاعر وقومه في الدفاع فساعة يرتفع الأمل فتعلو الهمة وينطلقون في حماسة، وتارة تُحيط بهم الحيبة ويخشون الهزيمة فتهدب تلك الحماسة ، في محاولة للحفاظ على ما قدموه من نصر ، وتكراره لحرفي اللام والكاف ، زاد في المعنى وصوّر مشقة ذلك اليوم على نفس الشاعر ، وفي ذات الوقت أحدث تنغيماً جميلاً في البيت ، مع الوقفة القصيرة والنبرة القوية وشدة انفجار حرف الكاف ^(١)، بعد توسط اللام في النطق ، وتكرار الصوت هنا فُصد منه المبالغة وتقوية المعنى ، موضعاً من خلالها حالته التي تتذبذب ما بين أمل وخوف وصعوبة موقف، وأنه لشدته (تكاد تأفل منه الشمس والقمر)، مقطع طويل به تنعيم وتناوب للصوت من صعود وهبوط والعكس بالعكس، بحسب أحاسيس الشاعر فقد تأثر بالموقف وإحاطته بالمسلمين ، والحيرة والخوف فلهول الموقف ظنّ أن الشمس والقمر قد غابا ، فلا يعلم في أي زمن هو ، أو أن القتال استمر حتى اتصل النهار بالليل ، وما شعر المسلمون بذلك لانشغالهم في الدفاع وتحقيق النصر ، وهذا الشطر من البيت حوى وقفات مفتوحة قصيرة في (تكاد) و (تأفل) ، ثم أطال المقطع بأن جمع بين الشمس والقمر ، واستعان فيه بأصوات اللين (الألف والواو) ، أمّا شدة الموقف فقد صورها صوتاً (التاء والدال) في (تكاد) و (تأفل) وقلقلة القاف في (القمر) ، مُبيناً من خلال ذلك طول الزمن وطول انتظارهم للفرج وسعيهم نحوه سعياً حثيثاً ، في حين توسط الخوف من الهزيمة ، وظهر عندهم الأمل وتكرار المحاولات للنبيل من العدو حين اعتمد على حروف التوسط وهي " الرء واللام والميم " ^(٢) ، في حين علت هذه الحماسة وظهرت في ذكره لحرف الرء الذي دلّ على التكرار مراراً ، والمحاولة بأكثر من شكل ، ومحاولة استعادة الخطط الحربية القديمة التي خاضوها قبل هذا؛ بغية الوقوع بالعدو ومحاولة السيطرة عليهم ، وفرض سيطرتهم على المكان وليس هذا بمستغربٍ عليهم فلهم أيام عُرفوا بها وانتصروا على عدوهم فيها، وهذا من دلالات حرف الكاف الذي عادةً ما يدل على " التمكين في الشيء " ^(٣) ، ويظهر ذلك في قطع التردد في الأمر والخوف من الهزيمة باستعادة

(١) . انظر ، داود ، د. محمد محمد ، العربية وعلم اللغة الحديث ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٢) . داود ، د. محمد محمد ، العربية وعلم اللغة الحديث ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٣) . الفاخري ، د. صالح سليم عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

ما حققه من نصر ، وما أوفى به من عهدٍ للرسول الكريم - ﷺ - ورغبة منه في نيل رضا الله ورسوله ، ومن هذا يتضح أن أصوات الحروف أعطت معانيها ودلت على مشاعر الشاعر فأوضحت ما أصابهم ، وبيّنت هول الموقف ، وأفصحت عنه حين جاء حرف الفاء بعد التاء التي نبهت السّمع (تأفل) ، والألف كذلك اللينة ، ثم أتى بالفاء ليفصح عن صورة ميدان المعركة فقد غابت عنه الشمس ، وعلا التّعق لكثرة المقاتلين وكثرة الكر والفرّ ، فلا يمكن الرؤية أو تمييز النهار من الليل ، وفي نهاية الصورة ترك الأمر لحرف الشين ليُفشي ، وينشر، ويذيع خبر ذلك اليوم من خلال كلمة (الشمس والقمر) فيقر بقلقلة القاف وصغير الرءاء شجاعة بني سليم وحسن بلائهم ووفائهم بعهدهم.

والعباس شاعر حُنين بلا منازعٍ ، فبعد أن مدح النبي - ﷺ - في قصيدة له ذكّر الصحابة والسامعين بما كان من بني سليم يوم حُنين فقد كانوا الحماة وهم من طلبوا من الرسول الكريم - ﷺ - تقديمهم في ذلك اليوم فقدّمهم فأعجب بذلك ، وقال:

﴿ كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً ﴾^(١) وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ^(٢)

فالصورة هنا في قوله: (وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ) ، رسمت تفاصيل يوم حُنين وصبر المسلمين بل تصبُّرهم في وهج الصحراء وشدّة حرّها ، وما أصابهم من خوف ، فقد شبه الشمس في كبد السماء بالأشمس المتعددة المتوهجة لشدة حرارتها وقربها منهم ، ووجه الشبه : شدّة الحرارة مع صعوبة الموقف ، وهي من التشبيه (البليغ) ، فقد بالغ الشاعر في تهويل الموقف وشخص الصورة ورسم لها أبعاداً ، وجاء بالجمع في هذه الصورة في بدء الكلام وانتقى (الكاف) ؛ دلالة على التمكين والمكانة التي جعلها النبي - ﷺ - لبني سليم ، معتمداً على حروف اللين والتوسط (الكاف والنون والواو) فالشدّة في الكاف ، ثم اللين واليسر في المد بالألف ، والعودة إلى الفخر والدلالة على الظهور في المكان في حرف النون ، وإطالة الصوت بالواو اللينة التي جمع بها بين كثرتهم ومساواتهم في التقديم وفي الشجاعة ؛ ليرسم

(١) . الدَّرِيئَةُ: كُلُّ مَا اسْتَبْرَ بِهِ ، وَتَدْرَأُ الْقَوْمَ: اسْتَبْرُوا عَنِ الشَّيْءِ لِيَحْتَلُوهُ. / المرسي ، ابن سيّدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ج ٩ / ٣٧٤ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

بذلك صورة الوحدة والقوة والتعاون ، وتقديمهم أمام الجند لم يكن لولا شجاعتهم التي عُرفوا بها ، وهنا أتى بالظرف (أمام) ليمدّ في عددهم ، وفي تعاقب حرفي (الألف والميم) والمدّ ليزيد المعنى فخراً وزهواً بالمكانة ، وينعم البيت في تعاقب الألف والميم بغنتها الهادئة المكررة ، والألف في لينه ومدّه للصوت ؛ يُعلم أنه جيش على امتداد البصر متقدم نحو هدفه ، وزاد من هذا التنعيم بأن فصل بين الظرف وكلمة (دَرِيئَةٌ) ، والتنعيم هنا له مصادر منها حركة الصوائت^(١) وتنوع الصوامت^(٢) ، وتباعده مخارج حروفها ، فالدال المفتوحة المجهورة والتي حوت القوة مع الشدة والانفجارية في النطق^(٣) ، دلت على قوتهم وشدة بأسهم والفخر بالدفاع والتفاني في ذلك ، تلا ذلك كسر الراء لتكرير الهدف من التقدّم أمام المسلمين والتأكيد على مرادهم ، فحرف الراء " يحدّث نوعاً من الوضوح السمعي ، أقوى مما يحدث مع بقية الأصوات الصامتة الأخرى مما يقرب صوت حرف الراء من الحركة كونه صوتاً مجهوراً " ^(٤) وما بين فتحٍ وكسر لان الكلام ، وحسن بلين ياء المدّ، و وافقتها الهمزة في اللين مع اختلاف الحركة ، واختلاف مخرج الحرفين ، وأما التنوين الذي حُتّمت به الكلمة فقد أعطى جرساً وتنغيماً جميلاً للكلمة ، والكلمة هنا مشتقة من (درأ) بحروفها الدالة على التأكيد والتكرار واللين ، واشتق منها (دريئة) في سرعة نُطقها ليزيد في معنى الحماية والدِّفاع ، فالظواهر " الصوتية التي تصحب الكلام تسمى الأصوات فوق القطعية ، وتتمثل في النبر والوقفة ، ونمط التنعيم وطبقة الصوت ، ومن هذه الملامح أيضاً يعلو الصوت غالباً على الغضب ومعدل السرعة في الأداء الذي يرتبط بمعاني الإلحاح، أو الانفعال ، أو التأكيد ، أو التروي " ^(٥) ،

(١) . الصوائت : وتعرف في العربية بالحركات القصيرة (الفتحة و الكسرة والضمة) بالإضافة إلى أصوات المدّ (ألف المد ، و ياء المد ، و واو المد) ، ويُطلق عليها حديثاً (الحركات الطويلة) . / داود ، د. محمد محمد ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

(٢) . هي حروف اللغة ما عدا (الألف والواو والياء) . / العبيدي ، أ.د. رشيد عبد الرحمن ، معجم الصوتيات ، ط ١ ؛ (العراق : مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ديوان الوقف السني ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ، ص ١١٤ .

(٣) . المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٤) . قِيَّاض ، سليمان ، استخدامات الحروف العربية . (معجمياً ، صوتياً ، صرفياً ، نحويّاً ، كتابياً) ، ط ١ ، (المملكة

العربية السعودية : الرياض : دار المريخ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ص ٥٩ بتصرف .

(٥) . عكاشة ، د. محمود ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وعلى هذا دلت أحرف نبرات هذه الكلمة على أنّ هناك إلحاحاً ، وتأكيداً على النصر ، وانفعالاً من شدة الموقف ، وقد أظهر هذه الأمور ، وذاع أمر القلق من طول المعركة ، فقد همس بها أولاً في سين كلمة (الشمس) ثم غلبه الانفعال فأفشى الحرص على النيل من العدو ، والإصرار على متابعة القتال حتى النصر في حربي التنفشي (الميم و الشين) ، فهي بحرّها وحرّوفها حملت مشاعر القلق ، والانفعال وطول الصبر ، وفي (يومئذٍ) تنغيم مع ارتفاع الصوت ، وهدوء الأحرف والنبر هنا ارتفع في الذال فقد أكدّ بها إصراره وعزمه على المُضي مهما كلفه الأمر ، ومهما أحاط به ، ولن يستسلم أو يتراجع ، ثم عاد فوصف انتشار حرّ الشمس مع تجلّدهم وأنها ، (عليهم) ، فترتفع أنفاسهم لحرّها ، ويتضابق الجند من قربها في تلك الصحراء بلا ظلٍ يحميهم ، وترتفع مع ذلك النبرات ويطول المقطع ، وكأنّ المكان قد أُطبق (عليهم) بجره ، فالعين في رخاوتها الاحتكاكية ، واللام في ذلاقتها وتوسطها بين لين وشدة ، والهاء في رخاوته والميم في توسطها وتنفسيها ^(١) ، نقلت لنا مشاعر الشاعر في الحيرة والتحدي لنفسه وصلابته ، وتحمله للموقف ، وأنّ تلك الشمس لتنفسيها وانتشار حرارتها ، وقوة أشعتها في المكان ، وقربها من الرؤوس صارت كأنها (أشمس) وليست شمساً واحدة ، فقطع الصمت بالألف اللينة والشين والميم المجهورتين ، واختار جمع القلّة ^(٢) ؛ ليعبر عن صرامة الجيش مع صعوبة الموقف ، وشراسة القتال ، وطول الوقت مع قوة الدفاع ، والزيادة في اللفظة هنا زادت في المقطع وزادت في المعنى ^(٣) بتكثير الشمس وتعددتها ، كذلك أضاف التجنيس بين (الشمس) و (أشمس) جرساً موسيقياً جميلاً على البيت ، وجمع الشمس فجعلها أشمساً متفرقة على رؤوس الجند ، ولم يرد عند علماء اللغة هذا الجمع وإنما جاء على (شمس) ^(٤) ، وذلك بُغية الفخر بقومه وبما قدموه لنصرة الدين .

(١) . انظر داود ، د. محمد محمد ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٧

(٢) . انظر العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، تحقيق : الدكتور عزة حسن ، ط ٢ ؛ (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٩٦ م) ، ص ٢٥٥

(٣) . عكاشة ، د. محمود ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٤) . انظر الثعالبي ، أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، فقه اللغة وسر العربية ، مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

وعلى هذا النحو أتت صورته في الوصف وتصوير الموقف ، فقد اختار في صورته بعد إسلامه الاقتباس من القرآن أو ذكر الأنبياء ؛ ليعلم السامع أنه على علم بهم ، وأنه صادق في إيمانه وإسلامه ، يقول مُفتخراً :

﴿ فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ لُبُوسٌ هُمْ مِنْ نِسْجِ دَاوُدَ رَائِعٌ ﴾^(١)

أخفى التشبيه هنا وضمه لبيته في قوله : (لُبُوسٌ هُمْ مِنْ نِسْجِ دَاوُدَ رَائِعٌ) ، وهي من التشبيه (الضمي) ، فالمشبه (لُبُوسٌ هُمْ) والمشبه به (من نِسْجِ دَاوُدَ رَائِعٌ) ، ووجه الشبه : جودة الصناعة ، وقوة الحبكة ، والأصالة في نسبة تلك الدروع لداود -عليه السلام- ، وقد اقتبس الشاعر هذه الصورة من القرآن الكريم بتشبيهه جودة الدروع التي يحتمي بها بنو سليم وحبكتها باللباس أو الدروع التي من صنع داود -عليه السلام- قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(٢) .

وقد ارتكز على السياق واتحاد الأصوات وتنعيمها وتنوعها ، في التعبير عن قوة قومه وشدة بأسهم ومهارتهم في القتال والدفاع والخبرة فيه والجهازية في ذلك ، دون الحاجة إلى التشبيه المفرد في رسم الصورة .

فلظهورهم في المكان ومعرفتهم من بين القبائل ، اختار الفاء ليستأنف بها الوصف وليستدل بها على وضوح دورهم وبيان مكانتهم في ذلك اليوم ، وحركة الفاء الإعرابية أعطت بأن هناك مجيءً يختلف عن آخر ، فمجيئهم مثلاً في يوم (تثليث) ، وغيره بغرض الإغارة أو الرد على اعتداء الأعداء عليهم ، أما هنا فهو تلبيةً لأمر الله ، ووفاء لمعاهدة تمت على يد العباس ؛ ولذا جاء الجيم بعدها ليفصح عن حقيقة الأمر والوفاء بالعهد ، وهي مركبة ما بين الشدة والرخاوة ، وهي متأثرة بالهمزة بعدها المحققة بعلو نبرتها ، والتي دلت على ارتفاع مشاعر الإعجاب والزهو بقومه ، أما نون الجماعة بطول نبرتها ، ومدّها باللين وغنتها أعطت تنغيماً للكلمة وتطويلاً له حتى يُطيل في الإعجاب بالوفاء بالعهد وبالكثرة ، ولذا أتى بكلمة (بِأَلْفٍ) منونة بالكسر ، ليكتمل التناغم بين الكلمتين؛ وليصف العدد ، وأنه حقيق به الفخر ، وفي هذا المقطع أدت حركات الإعراب دورها في التنعيم ، وفي الوقفة القصيرة فقد اختارها

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٢) . سورة الأنبياء آية (٨٠) .

؛ "تدل على معانٍ في نفس المتكلم" ^(١)، وكما يذكر ابن مضاء القرطبي ^(٢)، أن القصد من "النصب والرفع والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه" ^(٣)، كذلك المقطع وفواصله (بألفٍ من سليمٍ عليهم) فخر بالعدد ، وتحقيق باختيار أصوات تناسب الفخر ، قلقلة باء الجر ثم لين الألف ، وتوسط اللام والفاء بمسه أبان العدد وأظهر القوة والكثرة ، أما صفيير السين واللام التي بين التفخيم ولين المد ثم تفشي الميم ، وذكر الاسم عالياً حتى يعلم القارئ القصد من هذا الوصف بأن بني سليم لا مثيل لهم في الاستعداد لخوض المعارك ، وأن تلك الدروع تغطي كامل جسد الفارس (عليهم) ، فعلى بعينها المجهورة وإذلاق اللام بعدها ثم مدّ الصوت ولينه بالألف المقصورة ، أفادت العموم والشمول ، حتى كأنها تأتيه من أعلاه لتشمله كله ، أما الهاء بعدها فقد نبهت قوة نبرته السمع وأتم المعنى بتنغيم المقطع ، وإعطائه جرساً بغنة الميم في آخر الكلمة ، وكلمة (لبوس) ، في هدوءها وسيورتها ، وحسن نغمها ، وخفت اللام ، ومدتها وقلقلة الباء وهمس السين وصفيره ، جمعها لتدلّ على حسن اللباس وملاءمته للفارس ، وقد اشتقها من لبس يلبس لبوساً؛ ليزيد على أصل الكلمة في القدر والجودة والحبكة ، فصفيير السين هنا نبه السامع وشوقه لمعرفة نوع اللباس وشكله ، فجاءه بالرد بأنها من أفخر الأنواع ، وأجودها فهي (مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ رَائِعِ) ، فأطال المقطع ونوع في تنغيمه في الميم والنون ثم السين المهموسة الساكنة والجيم المجهورة المضعفة ^(٤) ؛ ليظهر أنه نسج متين ومحكم حسن الصنعة ، وحتى يُضفي عليه نوعاً من الخصوصية والجودة العالية

(١). عكاشة ، د. محمود ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢). أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مضاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس: عالم بالعربية، له معرفة بالطب والهندسة والحساب، وله شعر. أصله من قرى شذونة ومولده بقرطبة عام ٥١١هـ ، وولي القضاء بفاس وبجاية، ثم بمراكش سنة ٥٧٨ هـ وتوفي باشبيلية سنة ٥٩٢ هـ ، من كتبه : (تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان) و (المشرق في إصلاح المنطق) في النحو، و (الرد على النحاة) / الزركلي ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٣). القرطبي ، ابن مضاء ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ابن عمير اللخمي ، الرد على النحاة ، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا ، ط ١ ؛ (د.م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، ص ٦٩ .

(٤). انظر سلمان ، د. علي جاسم ، موسوعة معاني الحروف العربية ، د.ط ؛ (الأردن : عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ م) ، ص ٩٢ .

نسب صنعته لداود - عليه السلام - فقد وقعت قوة النبر على الدال لشدتها وقوتها ، وهي بين الجهر والهمس لكون الدال بين مخرجين فهي " أخت التاء في المخرج فهي مهموسة ، وأخت الزاي في الجهر.... " (١) ، ثم مدّ ذلك الجهر مع الهمس باللين والسهولة في ألف المد ، وبالواو بعدها ليختم المقطع بقوة الدال وشدته أيضاً دليلاً على قوة بني سليم وصرامتهم وجاهزيتهم وطواعية أدواتهم القتالية لهم ، ويكمل وصف اللباس الشبيه بصنع داود - عليه السلام - وطواعية الحديد له وجودة صنعه قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ^ط يَجِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ ^ط وَالطَّيْرُ ^ط وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ^ط ۝ ١٠ ﴾ (٢) ، فهو على علم بالأنبياء بما اختصوا به من معجزات ، وأن دروعهم مُجبكة الصنعة مساوية لجسد الفارس مطاوعة له ، ومدّه الصوت في كلمتي (داود و رائع) ليصور امتداد الجيش وكثرته ، وشدّة تحصنه ، واستعان بزيادة النبر في (رائع) وهو يعدُّ من "النبر الصرفي" (٣) ؛ لكونها على وزن (فاعل) ، وقد اختار التكرار في الرّاء ليعلم الجميع صفاتهم ، ومد وألان في ألف المد والهمزة ، وارتفعت النبرة وعلت وختمت العبارة بالعين بجمهوريته ومصاحبته لـ " نعمة موسيقية إذ يتذبذب الوتران الصوتيان عند تكوينه ، فالعين صامت مجهور حلقي احتكاكي " (٤) ، وعمد إليه ليحدث جرساً موسيقياً ، ويجهر بالاستعداد للحرب في أي وقت ، والحقيقة أنّ هذه الحروف في الصورة وسابقتها لم تكن لتعطي معناها دون أن تنسجم مع بعضها البعض ذلك " أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً من العقل اقتضى أنّ يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه ، فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال: (ربضَ) مكان (ضربَ) ، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فسّاد ، وأما (نظمَ الكلام) فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني ، وثُرّيها على حسب ترتب المعاني في النفس ، فهو إذن

(١). الموصلي ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، سر صناعة الإعراب ، ط ١ ؛ (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ج ١ / ١٩٧ .

(٢) . سورة سبأ آية (١٠)

(٣) . الفاخري ، د. صالح سليم عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٤). السعران ، محمود ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ط ٢ ؛ (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٧) ، ص

نظّم يُعتبرُ فيه حال المنظوم بعضُهُ مع بعضٍ^(١) ، فالأصوات إذا ما لم تكن في سياقها فإنها لن تؤدي الدلالة المطلوبة منها ، وقد أجاد الشاعر في تنوع الأصوات حتى لا تملّ أذن السامع وتتشوق لمعرفة المزيد وتأنس بسماعه .

ونظراً للعلاقة الوثيقة التي تربط المستوى الصرفي بالمستوى الصوتي أصبحت الدراسة للمستوى الصرفي ضرورية وذلك باعتبارهما يعينان ببنية الكلمة وهيئتها ؛ ولهذا الارتباط تُلقي الباحثة الضوء على المستوى الصرفي ، والنحوي للصورة التشبيهية إكمالاً لدور المستوى الصوتي في الكشف عن شخصية الشاعر في شعره ، وإبداعه ، فمن خلال آخر دراسةٍ عن العباس بن مرداس ، وهي عن (بناء الجملة العربية في شعر السُّلميين^(٢)) ، ومن بينهم العباس بن مرداس ، حكم فيها الباحث بغلبة الأفعال على الأسماء ، فقد شكلت الأفعال في ديوان العباس أكثر من (مائة وواحد وخمسين فعلاً)^(٣) ، والأفعال عنده متنوعة منها ما كان ناقصاً^(٤) ومنها ما كان مزيداً ، كما ظهر عنده كثرة استخدامه لصيغة المبالغة ، وامتاز العباس باستخدامه لأبنية صرفية معينة وهي أبنية الرباعي المزيد فيه حرفان كـ " فَعْلَلان ، فَعْلَلان ، فَعْلَلالة ، فَعْلُولة ، ومَفْعَللة ، فَعْيَعْللة"^(٥) ، وفي هذه الصيغ بيان طبيعة الشاعر وفروسيته ، فهي تناسب فروسية العباس وقيادته^(٦) ، كما توصل الباحث فيها إلى تميّز أسلوب العباس بكثرة استعماله ل(إن) الشرطية^(٧) ، أما من حيث المضامين ، فقد فاق الفخر عند العباس جميع الأغراض الشعرية^(٨) ، كما ظهر عنده أنواع عدّة للجموع منها : جموع القلة

(١) . الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، شاکر ، مرجع سابق ، ص ٤٩ بتصرف .

(٢) . البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٣) . انظر المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٤) . انظر المرجع السابق .

(٥) . البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

(٦) . انظر المرجع السابق .

(٧) . انظر المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

(٨) . انظر المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

وجموع الكثرة^(١)، هذا من حيث الديوان عموماً أما على مستوى الصورة التشبيهية، فقد اتضح للباحثة بعد إحصاء للصور التشبيهية عنده وأنواعها أنّ الأفعال شكلت (ثلاث مائة وتسعاً وسبعين فعلاً)، في حين ربت الأسماء على (ألفٍ وسبعين اسماً)، أما الحروف فقد اقتضرت على (سبع مائة وسبعة عشر حرفاً)، ولعل القارئ لحظ اختلافاً بين الإحصائيتين، ومردُّ ذلك أن الباحث في بناء الجملة عمد إلى اختيار نموذج واحد لكل نوع من دراسته دون تتبع له حتى يترك المجال للشاعرين الآخرين، بينما عملت الباحثة في هذا البحث على تتبع الصور التشبيهية وتفصيلها دون استثناء، وقد عملت الباحثة على انتقاء نماذج من الصور التشبيهية يتضح من خلالها طريقة العباس، وأسلوبه ومميزات اللغة عنده للصورة التشبيهية؛ ومنها كذلك تتبين قوة لغة العباس أو ضعفها، ومن ذلك قوله:

❖ لَا يَغْرَسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطْهَمْ وَلَا تَخَاوُرُ فِي مَشْتَاهُمْ الْبَقْرُ
إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ^(٢) مُقْرَبَةً فِي دَارَةِ حَوْهَلَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ^(٣)

(٤)

يفخر العباس في هذين البيتين بقبيلته وفرسه، فهم لديهم أجود الخيول السابح ويشبهها في قوله: (كَالْعِقْبَانِ مُقْرَبَةً)، فالمشبه الخيل، والمشبه به (العقبان)، ولم يصرح بوجه الشبه، ليكسب الخيل صفات العقاب في السرعة والقوة، وقرن بين الطرفين بـ(الكاف) ، وعليه فالصورة هنا من قبيل التشبيه (المرسل المجلمل).

ورثته للصورة هنا جاء عن طريق الكناية التي سبقت التشبيه، وقصده منها " أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نعم، وإنما هم أهل حرب وانتقال " ^(٥)، فبنو سليم ليسوا من أهل الزراعة؛

(١) انظر المرجع السابق . ص ٩١، ٨٢ وما بعدها .

(٢) . الْعِقْبَانُ: عِتَاقُ الطَّيْرِ، وَسَبَاعُ الطَّيْرِ الَّتِي تَصِيدُ / ابن منظور، مرجع سابق، (عتق)، ج ١/ ٦٢١. والعقاب مؤنثة. والجمع القليل أعقب، والكثير عقبان، ويُقال: كسرت العقاب على الصيد، إذا انقضت عليه، فهي كاسر. / العسكري، أبو هلال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، مصدر سابق، ص ٣٩٦.

(٣) . الْعَكْرُ: الْقَطِيعُ الضَّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ فَوْقَ الْخَمْسِمِائَةِ. / الرازي، ابن فارس، مصدر سابق، (عكر)، ج ٤/ ١٠٦.

(٤) . السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٥) . عسيلان، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

وفسيل النخل هو من الغراس^(١) ، وفي هذا بُعد عن الترف بل هم أهل حرب وانتصار ؛ لذا نفى عنهم ذلك حتى أن الناظر لا يرى البقر عندهم ، وخصص البقر لأتباعها من بين الماشية تحتاج إلى كثرة علف وأكثر من يقتني البقر و الغنم هم المزارعون^(٢)، ولكي يؤكد شجاعتهم استثنى بـ(إلا) ثم أثبت ما يريد وهو أنّ بني سليم أهل فروسية وخوض معارك قال : (إلاّ سَوَابِحُ كَالْعُقْبَانِ مُقْرَبَةً)هم يربون الخيل ، وليست أي خيل بل هي خيل سوابح ، وسوابح للخيل السريعة^(٣) ، وهذه التسمية من قبيل المجاز فمن المجاز قولهم: " فرس سابعٌ ، وخيلٌ سوابح .. ، والنجوم سوابح "^(٤)، والمجاز هنا استعارة لصفة السرعة والخفة ، وهي (استعارة تصريحية) ، وجمع الكثرة هنا جاء على وزن " فواعل " ، وهذا الجمع يأتي في الاسم والصفة "فواعل: اسما سَوَابِط وصفة كَوَاسِر، وفُوعَل: اسماً صُواعق ، وصفة دُوَاسِر . "^(٥)، ومن معاني هذا الوزن " إثبات القوة "^(٦) واستخدام الكاف في التشبيه ليقرب بين سرعة الفرس ، وسرعة العقبان التي هي من عتاق الطير بل سباع الطير ، وأفضلها ، وأقوها ، وتشبيهه هذا للخيل بالعقبان أكسبها سرعة العقاب ولونها وخفتها وانقضاضها على فريستها ، وهو ما أضافه الوزن (فعَلان) ، لأنّ وزن (فعالن) هو من الأوزان التي " تدلُّ على الحركة والاضطراب "^(٧)، وحتى يُضفي نوعاً من التقريب أو التغيير قال: " مُقْرَبَةً " : أي أنّ هذه الخيول السوابح

(١) . الجوهري ، مصدر سابق ، ج ٣ / ٩٥٥ .

(٢) . الدينوري ، ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، ط١ ، (بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٩٧) ٢ / ٢٩٠ .

(٣) . عَمْر ، أحمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١ ، (د.م . عالم الكتب ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .) ج ٢ / ١٠٢٤ .

(٤) . الزمخشري ، أساس البلاغة ، مرجع سابق ، ج ١ / ٤٣٣ .

(٥) . السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ،

ط١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) ، ج ٢ / ١٦ .

(٦) . الإشبيلي ، علي بن مؤمن بن محمد ، الحضرمي ابن عصفور ، المتن الكبير في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ط١ (لبنان : مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ م) ، ص ٢٢٦ .

(٧) . الرازي ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ، الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في

كلامها ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط١ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ، ص ١٧١ .

انظر شوقي ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، المدارس النحوية ، د.ط . (مصر : دار المعارف . د.ت) ، ص ٩٢ .

قريبة من البيوت بجانب مربطها ومعلفها ؛ لنفاستها وكرمها ^(١) ، فأهلها يهتمون بها ، وهم في الوقت نفسه جعلوها قريبة ليسهل ركوبها والنجدة بها ، ومما زاد في جماليات هذه الصورة تقديمه للخبر " حولها " على المبتدأ المعرف بأل " الأخطار " جوازاً ^(٢) ولعلّ قصده من ذلك تشويق القارئ لمعرفة ما الذي حول الدار ^(٣) ، فيتطلع لمعرفته فجاء المبتدأ بعد الخبر (حولها) ؛ ليعين له أن تلك الدار تحفها المراعي من كل مكان ، ويكثر عندهم الخيل والأخطار ، التي هي جماعات الإبل يقول ابن السكيت: "الخِطْرُ : مائتان من الإبل والغنم" ^(٤) ، أما العكر ، فهي تأكيد لكثرة جماعة الإبل عندهم ، وهو (كناية) عن الثراء لامتلاكهم الإبل الكثيرة ، وفيه أيضاً وصف لطبيعة بيئة بني سليم ، فهم أهل خير وفير ترعى الإبل حول ديارهم ، ولهم عناية خاصة بالخيل وموطن بني سليم متسع المساحة فأراضيهم تمتد من " أعالي الحجاز شرقي مدينة جدة الشمالي ، وشرقي المدينة المنورة الجنوبي ،... وكان استقرار سليم في هذا المكان في فترة الجاهلية القريبة من صدر الإسلام " ^(٥) ، وبالعودة إلى جماليات تشبيه الخيل بالعقبان يتضح غرض الشاعر من هذا التشبيه وهو : إثبات القوة للفرس وهذا معناه أن الفرسان أقوى وأشجع مما يتخيله السامع أو القارئ ، وإلا فكيف تستمد تلك الخيل قوتها وتعرف طريقها دون أن يعتليها فارسها ، وفي هذا بيان مقدار حال المشبه به بمعنى حال الفرس وسرعتها بحال العقبان ، وذلك فيه ما فيه من إظهار قوة بني سليم حال خوضهم المعارك وفي إقدامهم ، وسرعة نجاتهم وقضائهم على عدوهم كما تقضي العقبان الجارحة على فريستها ، وهو ما اتفق البلاغيون على أنه من أغراض التشبيه التي أشار إليها د. عبد العزيز

(١) انظر الزمخشري ، أساس البلاغة ، مرجع سابق ، ٦٤ / ٢ .

القزويني ، أحمد بن فارس ، مجمل اللغة ، مرجع سابق ، ص ٧٥١ .

(٢) انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد البدارين ، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق ، إصلاح المنطق ، تحقيق : أحمد شاكر و عبد السلام هارون . د. ط ، (مصر : دار المعارف . د. ت) ، ص ١٢ .

(٥) الأنصاري ، عبد القدوس الأنصاري . كتاب بنو سليم ، ط ١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ١٣٩١ هـ) ،

عتيق^(١) مُعتمداً على أقوال السابقين في أن الشاعر قد يلجأ في التعبير إلى أسلوب التشبيه من بين صور البيان لكونه أكثرهم توضيحاً للغرض ودلالةً على المعنى " من ذلك بيان مقداره ، أي مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان .. " ^(٢) ، من أجل ذلك أخفى وجه الشبه ليتسنى للقارئ تخيل سرعة تلك الخيل .

ومما سبق تبين أن الفخر كان من أبرز ما برع فيه العباس ، إلا أنه في بعض صورته اختلط بالوصف كما في البيتين السابقين ، و وصفه لبيئة بني سليم وأهم أهل عناية بالخيال وتربيتها . وإلى العباس وابن عمه خُفاف^(٣) ، يعود بدأ النقائص التي أصبحت فناً متكاملًا في عهد الدولة الأموية " إذ رأينا النقائص فناً متكاملًا له أصوله وشعراؤه المبرزون من مثل: الفرزدق وجريير والأخطل ، ويظهر أن نقائص العباس كانت في جملتها مما قاله في الجاهلية " ^(٤) ، وامتازت نقائص العباس وابن عمه خفاف " بجريانها في حدود قبيلة ملحوظة المكانة من قيس عيلان ، وأنها بدأت في قصد للبقيا على صلوات القرى ، وأن عناصرها فضائل اجتماعية

(١) . عبد العزيز عتيق ولد في محافظة القليوبية بمصر عام ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م ، عاش في مصر وإنجلترا ولبنان . التحق بالتعليم الديني الأزهرى، ودرس في مدرسة المعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي، ثم التحق بدار العلوم ، تولى عمدة كلية الآداب بجامعة بيروت العربية وكان أول عميد لها، له عدة دواوين شعرية منها : " ديوان عتيق " - (وديان أحلام النخيل ، من أهم مؤلفاته: ألف موسوعة بلاغية في أربعة أجزاء: من مقدمة في علم البلاغة، ثم علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع . توفي سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م . / موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، http://www.almojam.org/poet_details.php?id=3985

(٢) . السبكي ، بهاء الدين، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ١؛ (لبنان : بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م) ، ج ٢ / ٨٠ . عتيق ، عبد العزيز ، علم البيان ، ط ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص ١٠٥ ، ١٠٧ بصرف

(٣) . خفاف بن ندبة ، هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلميّ، من مضر، أبو خراشة: شاعر فارس، من أغربة العرب. كان أسود اللون (أخذ السواد من أمه ندبة) ، وعاش زمنًا في الجاهلية، وله أخبار مع العباس بن مرداس ودريد بن الصمة. وأدرك الإسلام فأسلم. وشهد فتح مكة وكان معه لواء بني سليم، وشهد حنينًا والطائف. وثبت على إسلامه في الردّة، ومدح أبا بكر وبقي إلى أيام عمر. أكثر شعره مناقصات له مع ابن مرداس وكانت قد ثارت بينهما حروب في الجاهلية، وله يقول العباس بن مرداس: (أبا خراشة إما أنت ذانفر - البيت) قال الأصمعي: خفاف، ودريد بن الصمة، أشعر الفرسان ، وللدكتور نوري حمودي القيسي (شعر خفاف بن ندبة) ، توفي عام ٢٠ هـ / الزركلي ، خير الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٣٠٩

(٤) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

حتى إذا اشتد أوارها ودعت إلى القتال وجدت من يجد من صورتها ثم عادت قوية ملحّة،... وكانت طرائفها القلب والموازنة ، والتكذيب ، وغلب عليها الفخر وإن لم تخل من الهجاء " (١) ، وقد جاء في بعض هذه النقااض بعض من الصور التشبيهية ، منها قول العباس رداً على خفاف :

خُفَافٌ أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنَنَا يَزِيدُ اسْتِعَاراً إِذَا يُسْعَرُ
لَنَا شَيْمٌ غَيْرٌ مَجْهُولَةٌ تَوَارَتْهَا الأَكْبَرُ الأَكْبَرُ
وخيْلٌ تَكْدَسُ^(٢) بِالذَّارِعِ نَ تُنْحَرُ فِي الرُّوعِ أَوْ تُعَقَّرُ
عَلَيْهَا فَوَارِسٌ مَحْبُورَةٌ^(٣) كَجَنٍّ مَسَاكِنَهَا عَبَقَرُ^(٤)

في هذه الأبيات كثرت المشتقات وتنوعت الأوزان ؛ وشدد فيها الأفعال ليظهر به الغضب ، بل يستعين بالجن ليرسم صورته التشبيهية في قوله : (كَجَنٍّ مَسَاكِنَهَا عَبَقَرُ) ، وتشبيهه هذا لفرسان بني سليم بجن عبقر في كثرتهم وقوتهم فيه دلالة على شجاعتهم وجرأتهم في الحرب وسرعة جريانهم في المعارك، وبراعتهم في المعارك ، وهذه الصورة التشبيهية حوت الوصف ، والفخر ، والوعيد في أبيات قلائل ، وهذا دليل على براعة العباس الشعرية ، ويظهر للباحثة أنّ التشبيه هنا هو من التشبيه (المرسل المجمل).

(١) . الشايب ، أحمد ، تاريخ النقااض في الشعر العربي ، ط٢ ؛ (مصر : مطبعة النهضة المصرية ١٩٥٤ م) . ص

(٢) . التكلُّسُ: السرعةُ في المُشي . / الأزهري ، أبو منصور ، مُصدر سابق ، (كدس) ، ج ١٠ / ٢٨ .

(٣) . مَحْبُورَةٌ : أي عَزِيْرَةٌ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (خبر) ، ج ١١ / ١٣٣ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

هذه الأبيات كانت رداً على أبيات قالها ابن عمه خفاف مطلع تلك القصيدة :

أعباسُ إنّا و ما بيننا كصدعِ الرّجاجةِ لا يُجْبِرُ .

السلمي ، خفاف بن ندبة ، ديوان خفاف بن ندبة السلمي . تحقيق : نوري حمود القيسي ، (ط بغداد : مطبعة المعارف ١٩٦٨ م) ، ص ٥٩ ، نقلاً عن عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

-السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

فهو يُريد أن يُبلغ عدوه بغضبه واستعداده للحرب في أي وقت ، واتخذ من الفخر سبيلاً للتهديد والوعيد ، فالعباس هنا يحذّر ابن عمه من زيادة العداوة بينهما حتى أنه قال " يزيدُ استعاراً " ومعنى ذلك أنّ هجاء خفاف له ما هو إلا كالوقود الذي يزيد من اشتعال النار وتوهجها، ولكنها هنا نار العداوة التي قد تهدد القبيلة بأسرها ، وفي الرد على خفاف ، وتهديده يُشير بافتخار إلى ما لديه من حسن أخلاق وشيم كريمة تمنعه من الرد عليه ، وقيام حرب بينهما وأنّ هذه الأخلاق ليست مستجدة ، بل هي متوارثة عبر الأجيال ، ومعنى ذلك أنّها محمودة ، و لولا ذلك لَمَا توارثتها الأجيال من جيل إلى جيل ، أو كما قال : (توارثها الأكبر الأكبر) أي أنّها ممتدة على مرّ الزمن ، وفي قوله (الأكبر الأكبر) يرمز به إلى أنّ بني سليم هم من عليّة القوم وأكابرهم ، واستعان هنا في إيصال تناقل الأخلاق ، والشيم ، والحرص على ذلك باستخدامه للفعل الماضي (توارث) الذي هو على وزن (تفاعل) وهو " يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو بَجَادًا وَتَنَاطَرًا وَتَحَاكَمَا، ويكون بمعنى أَظْهَرَ " (١) ، وبعدها اعتدّ بفروسيته وما لديه من خيل وأنّ هذه الخيل لها القدرة على النحر والعقر ، وفي هذا (استعارة مكنية) ؛ لأنّ الخيل لا تعقر ولا تنحر وإنما أُسند إليها الفعل على سبيل المجاز دلالةً على قوة الفارس وتمكّنه من فرسه ، و شددّ في ذكر هذه الصفات بتشديد الفعل قبلها (تَكَدَّسُ) على وزن (تفعل) دليل على سهولة الأمر عليها وقدرتها عليها ، ف" هَذِهِ التَّاءُ إِنَّمَا لَحِقَتْ فَعْلًا وَفَاعِلًا فِي الْأَصْلِ فَيَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا الْمَطَاوِعَةُ وَذَلِكَ نَحْوُ نَاوَلْتَهُ فَتَنَّاوَلُ " (٢) ، ثم بدأ بالتشبيه ليصوّر ويشخص ، فقال :

عَلَيْهَا فَوَارِسُ مَجْبُورَةٌ كَجِنَّ مَسَاكِنُهَا عَبْقَرُ (٣)

فوصف تلك الخيل التي تكدس وتنحر وتعقر أنّ عليها فوارس وليس فارساً واحداً ، وفي هذا افتخار بكثرة فرسان القبيلة وكثرة فرسهم ، وتقديمه هنا للخبر وهو الجار و المجرور ليشوّق السامع إلى معرفة ما الذي على تلك الخيول ويجعلها تكدّس وتعقر وتنحر ، وقد صوّغ

(١). الثعالبي ، أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٥٨ .

(٢). المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد ، المقتضب ، محمد عبد الخالق عظمة ، د.ط (بيروت : عالم الكتب ، د.ت

(ج ١ / ٧٨ .

(٣). السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

للابتداء بالنكرة بأن قدّم عليها الجار والمجرور لكون فوارس هنا نكرة ولا يصحُّ الابتداء بها^(١)، إذاً متعلق الجار والمجرور هنا هو (فوارس) جمع تكسير دلّ على القوة والتمرس^(٢)، وفوارس هنا جمع لفاعل (فارس) وهي من صفات الفاعل والاسم هنا شاذ ليس من أوزان اسم الفاعل المتعارف عليها أو المتفق عليها في تصريفات الصفة^(٣)، كما أنه لجأ إلى وزن (فواعل) في (فوارس) ليكسبهم الصفة والهيبية فالقصد من هذا الجمع " المبالغة والتكثير "^(٤)، أما وصف الفوارس بأنها مخبورة^(٥)، فُصد منه الدلالة على كثرة خيلهم وغزارتها، ولربما اختار عبارة (مخبورة) ليشير به إلى أنها ذات خبرة في خوض المعارك، ومجيئه هنا بكلمة (مخبورة) بعد جمع التكسير ما هو إلا تهديد، ووعيد كما أنّ لجوءه إلى وزن (مفعول) في (مخبورة) هو زيادة في " البنية ؛ فيقال: ضارب على وزن فاعل، ومضروب على وزن مفعول."^(٥)، فزاد في البناء حتى يزيد في المعنى ويعطيه قوة، ويوصل الغرض، ومن الناحية الصوتية "يقع الارتكاز القوي على المقطع، وفي الكلمات التي على وزن (مفعول) يقع الارتكاز القوي على المقطع المقابل لـ"ع" مثل محبوب، مفهو، مضروب"^(٦)، وحتى يزيد في تهديده

(١) . انظر الأنصاري ، ابن هشام ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، ابن هشام ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، د. ط ، (القاهرة : دار الطلائع للنشر ، د. ت) ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

-حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ط ١٥ ، (مصر: دار المعارف ، د. ت .) ج ١ / ١٠٥

(٢) . انظر الأشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد ابن عصفور الحضرمي ، المتع الكبير في التصريف ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) . انظر الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق : د. علي بو ملحم ، ط ١ ، (بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٩٣) ، ص ٢٤١ .

(٤) . الأسدي ، ابن يعيش ، ابن الصانع ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي ، شرح المفصل للزمخشري ، تحقيق : د. إميل بديع يعقوب ، ط ١ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ، ج ٤ / ٩٨ .

(٥) . الأسترابادي ، ركن الدين ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق : د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة) ، ط ١ ؛ (د.م ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ، ج ١ / ١٧٥ .

(٦) . السعران ، محمود ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

هذا وفي افتخاره بقومه شبه هؤلاء الفرسان بالجنِّ ، واستخدم حرف الكاف في التشبيه هنا ليصور به مدى التقارب بين هذه الفوارس الكثيرة وبين الجن التي تسكن أرض عبقر^(١) ، ولعلَّ الشاعر أخذ هذه الصورة من بيتٍ لزهير بن أبي سُلمى :

بِحَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا^(٢) .

ومن الصور التشبيهية عند العباس والتي ظهر فيها الجانب اللغوي عنده بتعدد معانيه قوله :

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَتَلْتَهُمُ أَلْدُ مِنَ الشَّرَابِ^(٣)

وكان العباس قد خصص المهجاء هنا لبني ثقيف فقال :

لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ ثَقِيفُ بجنب الشَّعبِ أَمْسٍ مِنَ الْعَذَابِ

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَتَلْتَهُمُ أَلْدُ مِنَ الشَّرَابِ^(٤)

ففي هذين البيتين قدّم المبتدأ على الخبر ، ليسخر ويهجو ثقيفاً وأنهم رأسُ العدو والرأس من كل شيء : " أَعْلَاهُ وَسَيْدُ الْقَوْمِ " ^(٥) ، فقال في ذلك : (هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ) ، فالتشبيه في هذه الصورة هو من قبيل (التشبيه البليغ) ، فقد شبه بني ثقيف برأس العدو ، ووجه الشبه يكون في العداوة ، أو المحاربة ، وحذف أداة التشبيه "ليكون تشبيهاً بليغاً، بمعنى أنّ المشبّه هو عَيْنُ المشبّه به ادّعاءً" ^(٦) ، وفيه بيان اتحاد المشبه والمشبه به وعدم تفاضلهما

(١) . عبقر موضع بالبادية كثير الجنِّ. يقال: كأهمَّ جنُّ عَبْقَرٍ. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (عبقر) ج ٢ /

.٢٩٨

(٢) . ابن أبي سلمى . ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي فاعور ، ط ١ ، (لبنان : بيروت . دار الكتب العلمية

. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، ص ٨٤ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) . مصطفى ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، (رأس) . ٣١٩/١

(٦) . الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة ، البلاغة العربية ، ط ١ ، (دمشق : دار القلم ، بيروت : الدار الشامية ،

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) . ص ١٧١

فلذا يقتصر الشاعر على ذكر طرفي التشبيه ^(١) ، وذلك من خلال تشبيه بني ثقيف برأس العدو مبالغة في وصف عداوتهم ومحاربتهم للدين الإسلامي ؛ لذا " يرى البيانون أنّ التشبيه البليغ يعتمد على المبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبّه به نفسه " ^(٢) ، وظهر الإغراق حين شبه القتل بالشراب ، وتمّ له بذلك ما أراد من التخويف والتحقير فحقق ما يصبو إليه من خلال الصورة التشبيهية .

وهذا التشبيه برأس العدو كناية عمّا كان بينهم من العداوة وما كان عليه بنو ثقيف من المكر والخداع حتى وصفهم بأنهم رأس العدو وأعلامهم ، ويزيد في وعيدهم بأنه إن ظفر بهم فقتلهم عنده ألدّ من الشراب، بمعنى أنه يستمتع بقتلهم أكثر مما يستمتع بالشراب ، وفي هذا تهديد وتحقير ووعيد ، وفي هذا البيت جاء المبتدأ " هُم " معرفة في حين كان خبره معرفاً بالإضافة " رأس العدو " ^(٣) ، وقدّم هنا الشاعر المسند إليه ، وهو المبتدأ (هُم) على المسند وهو المشبه على الخبر (رأسُ العدو) وهو المشبه به ؛ لزيادة التقرير والإيضاح ^(٤) ، فإن " كل معنى يصلح له اسم المسند إليه إذا أُريد به تَعَجِيلُ إفادته قدم كل جزء من أجزاء الكلام عُمدة كَانَ أو فضلة فقد حكم عَلَيْهِ ضمنا بما هُوَ لَهُ " ^(٥) ، وإذا كان اسم المسند إليه صالحاً للإساءة أو التفاؤل أو نحوه " فتقدمه أفضل لتسر السامع أو تسوؤه " ^(٦) ، ومن العلماء من يرى أنّ ذكر المسند إليه والمسند في الكلام إضافة إلى ما فيه من الإيضاح والتنبيه فيه هو كذلك " زيادة التقرير أو التعريض بغباوة سامعك أو استلذاذه أو قصد التعجيب من المسند إليه ... الدلالة قرائن الأحوال أو تعظيمه أو إهانتته أو غير ذلك .. أو إثبات المسند إليه أو

(١) . انظر الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، تحقيق : د. يوسف

الصميلي ، د. ط ، (بيروت - صيدا : المكتبة العصرية . د. ت .) ، ص ٢٣٨ .

(٢) . الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

(٣) . انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد البدارين ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٤) . السكاكي ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

(٥) . الحنفي ، أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق :

عدنان درويش - محمد المصري ، د. ط . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د. ت .) ص ١٠٠٢ .

(٦) . السكاكي ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ .

ليتعين بالذكر كونه اسماً .." (١) ولهذا التقديم سببه (٢)، واختار تشبيه أعدائه برأس العدو؛ لكونهم أشدّ الأعداء عنده وأكثرهم بأساً ويتمنى أخذ الثأر منهم ، وقد ضمهم لأهل نجد حتى يحدد مكانهم ، ولعل بعضهم يجاور بني سليم في جزء من أراضيهم (٣)، أما تلذذه بالقتل فكتلذذه بالشراب ، يقصد به الشراب العادي أو عموم ما يشربه الإنسان من الماء ونحوه ؛ لكونه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، فكيف به بعد إسلامه ؟ كما أن الخمر حرم في أول السنة الرابعة من الهجرة (٤)، والعباس أسلم بعد غزوة الأحزاب التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة (٥)، والصورة فيها مبالغة قصده من ذلك التخويف منه ، وبث الرعب في نفوس أعدائه ، وليصور شعوره تجاههم وفيها كذلك تحكم وسخرية منهم بأن عدّ قتلهم كالشرب ، وفيها كذلك اعتداد بنفسه كونه مقداماً لا يخاف القتل بل يستعذبه ويستسيغه ، وفي هذا أيضاً تشبيه آخر وهو تشبيه القتل بالشراب لكون الشراب يروي صاحبه من الظمأ ونحوه ، والقتل يروي غيظ صاحبه حين يأخذ بثأره، فكلاهما يحوي الشفاء ، ويلبي الحاجة ، ويُحقق المراد .

(١) . المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

وقارن بالقزويني ، أبو المعالي ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق: محمد عبد المنعم خلفاوي ، ط ٣ ؛ (بيروت : دار الجيل) ، ٧ / ٢ .

(٢) . لعل العباس قال هذه الأبيات بعد فتح مكة رداً على ما كان من بني ثقيف تجاه الدعوة الإسلامية في بدايتها وكذا مشاركتهم الأحزاب في التآمر في غزوة الأحزاب ، ولكنه بقوله : (يجنب الشعب) دليل على أنّ هذا الأبيات قالها العباس بعد فتح مكة ، وغزوة حنين اللتان شارك فيهما العباس وكان على رأس بني سليم فقد " سار رسول الله - ﷺ - إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله - ﷺ - السير إلى الطائف ، وفي تلك الغزوة كان لبني سليم ثلاث رايات : " كانت في بني سليم ثلاث رايات ، راية مع العباس بن مرداس ، وراية مع خفاف بن ندبة ، وراية مع الحجاج بن علاط " . / الحميري ، ابن هشام ، عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، مصدر سابق / ٤٧٨ .

(٣) . انظر الأنصاري ، عبد القدوس الأنصاري ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٤) . الظاهري ، أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، جوامع السيرة النبوية ، د. ط ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص ١٤٤ .

(٥) . النمري ، الحافظ يوسف بن البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، ط ٢ ؛ (القاهرة : دار المعارف - القاهرة ، ١٤٠٣ هـ) ، ص ١٦٩ .

وهنا دلت الجملة الاسمية " هُم رَأْسُ العدو " على ثبوت عداوة بني سليم لبني ثقيف في نظر الشاعر نتيجة لما كان منهم من محاربتهم للإسلام في بدء ظهوره ، وتشير إلى قوة العداوة بينهما لما كان منهم عند فتح الطائف ، وهذا من دلالة الجملة الاسمية ذلك لأنَّ " الجملة الاسمية تُفيد الثبوت والدوام، والفعلية تفيد التجدد والحدوث " (١)، ويرى الدكتور فاضل السامرائي (٢) " أن الجملة لا تدلُّ على ثبوت أو حدوث، ولكن الذي يدلُّ على الحدوث أو الثبوت ما فيها من اسم أو فعل ... فالجملتان " يحفظ محمد " و " محمد يحفظ " ، كلتاها تدلان على الحدوث إلا أنَّه قُدم الاسم في الجملة الثانية لغرض من أغراض التقديم كالتخصيص أو إزالة الشك ، أو نحو ذلك ، أما من حيث الدلالة على الحدوث فهما متشابهتان (٣) ، إذأ غرض العباس هنا من تقديم " (هَم) على (رأسُ العدو) تخصيص بني ثقيف بالهجاء و بالوعيد والتهديد .

وبعد إسلام العباس يبدو أنه ندم على ما كان بينه وبين ابن عمه خفاف ، وحتى يُظهر ذلك الندم، قال أبياتاً في الحكمة أو الدعوة للأخلاق الحميدة ، وقد استعان فيها العباس بأفعال اليقين ومفعوليها ؛ لوصف حاله وما به من ندم على ما كان ، منها قوله :

❖ وَأَيَقِنْتُ أَنِّي لِمَا جِئْتُهُ مِنْ الْأَمْرِ لِأَبْسُ ثَوْبِي خَزَى
حِيَاءً وَمِثْلِي حَقِيقٌ بِهِ وَلَمْ يَلْبَسِ الْقَوْمُ مِثْلَ الْحَيَا (٤)

(١) . القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ١ / ٧٦ الهامش ، بتصرف .

(٢) . هو فاضل صالح مهدي السامرائي ، نحوي ، لغوي باحث، ولد في سامراء العراق عام ١٣٥٢ هـ ، وتخرج من كلية التربية ، وهو أول طالب حاز على شهادة الماجستير من جامعة بغداد في اللغة العربية ، ثم حصل على الدكتوراه ، وعين عميدا لكلية الدراسات الإسلامية في بغداد ، كان أول كتاب ألفه هو كتاب نداء الروح ، وله مؤلفات أخرى مثل معاني الأبنية في العربية والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري والتعبير القرآني غيرها وهو الآن أستاذ في جامعة الشارقة بدولة الإمارات / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ٤٠ / ١٨٥٧ .

(٣) . السامرائي ، فاضل ، الجملة العربية - تأليفها وأقسامها - ، ط٢ ، (الأردن : عمان . دار الفكر ناشرون ومفكرون . ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ .) ص ١٦٢ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

تأمل قوله : (لَابِسُ ثَوْبِي خَزَى) ومجئته بعد الفعل (أيقن) في البيت الأول جاء فاعله ضميراً متصلاً ، وهو تاء الفاعل ، وقوله الأمر الذي هو المشبه ، ومفعوله حال في قوله : (لابس ثوبي خزي) وهو المشبه به ، وقد سدّت الجملة مسد مفعولي (أيقن) ^(١) ، والفعل والجملة الحالية تدلان على شدة ندم العباس على ما كان منه فمحور القصيدة عتاب ، فالصورة من (التشبيه التمثيلي) الذي أعطى معنى المبالغة مع المقاربة ؛ أي كي يقارب حاله بحال اللابس للثياب المكتسي بها ، فقد شبّه حاله في ذلك الوقت كحال من يلبس ثوبي خزي واللباس هنا من باب المجاز لأنّ الخزي لا يلبس وإنما من قبيل البعد الخيالي ، وثناه (ثوبي) ليعين ما وصل به الندم والحسرة على ما كان منه ، والتقدير ك(لابس ثوبي خزي) فحذف كاف التشبيه أو غيرها من أدوات التشبيه ، لجعل المشبه وهو الشاعر هو عين المشبه به وهو (لابس ثوب الخزي) ، وتقدير وجه الشبه في هذه الصورة يؤول بمعانٍ منها : الحال أو الصفة أو الهيئة أو الخجل والندم ، والعلاقة بين طرفي التشبيه علاقة حسية معنوية حسية في اللباس والتغطية ، ومعنوية في التحلي بخلق الحياء .

فقد بين ندمه على ما كان بينه وبين ابن عمه خُفاف بن نُدبة حتى شاع أمر هجائهم بين العرب فضاق العباس من ذلك وأنشد :

أَلَمْ تَرَ أَيَّ كَرِهَتْ الحُرُوبَ وَأَيَّ ندمتُ عَلَيَّ ما مَضَى ^(٢)

وبلغ به الندم حتى شبه نفسه بمن يرتدي ثوبي خزي وليس ثوباً واحداً ، وقوله (لَابِسُ) اسم فاعل ، وقد يحوي اسم الفاعل بالإضافة إلى الفعل وعامله المبالغة ، وهو ما ذكره سيبويه : " وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مُجره إذا كان على بناء فاعلٍ، لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلاّ أنّه يُريد أن يُحدّثَ عن المبالغة " ^(٣) ، وقال : (أيقنتُ) حتى يؤكد كلامه بأنّه بلغ به مبلغاً بعيداً على ما كان منه من هجاء وحرب وغيرها ، حتى قال : (أني لَمَّا جُنْتُهُ من الأمر) ، أي وقت قدومه إليه لأجل حربه وأنه ما كان ينبغي منه ذلك

(١) . انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق ، ص ٣٥ ، والقصة في الديوان: ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) . سيبويه ، الكتاب ، مصدر سابق ، ج ١/١١٠ .

خاصة وأنه سيّد قومه وفارسهم وبينهما قرابة ورحم ، وفي البيت التالي ظهرت صورة تشبيهية في قوله :

❦ حياءً ومثلي حقيقٌ به ولم يلبس القوم مثل الحيا ^(١)

فالشاهد التشبيهي في هذه الصورة قوله : (ولم يلبس القوم مثل الحيا) ، وهو من التشبيه (المرسل المجمل) ، فالمشبه (اللباس) ، والمشبه به (الحياء) ، ذكرت الأداة (مثل) وحذف وجه الشبه ، الذي تقديره (تخلقاً) أو نحوها .

ولهذا البيت روايتان من الناحية الإعرابية ، قيل : (حياءً) ؛ ليكون قوله (حياءً) خيراً لمبتدأ محذوف تقديره هو حياءً أي عائد على لبسه ثوب الخزي ، والمبتدأ (مثلي) نكرة " وهي لفظة غارقة في الإبهام لا تُعرف ، وخبرها نكرة أيضاً (حقيقٌ) ، وسوّغ الابتداء لهذه النكرة إضافتها إلى الضمير (ياء المتكلم) فأكسبتها تخصيصاً " ^(٢) ، ولذا أوضح مجموعة من النحاة أن التخصيص يعدُّ أحد مسوغات الابتداء بالنكرة ^(٣) ، وقال (حقيقٌ) على وزن (فعيلٌ) " في موضع مفعول ، كما في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ^ع

﴿ ١٠٥ ﴾ ^(٤) معناه محقق كما تقول: واجب " ^(٥) ، وذلك له دلالتة الخاصة وهي المبالغة فحين جاء باسم الفاعل حقيقٌ هو من قبيل المبالغة " فعيلٌ " تعمل عمل اسم الفاعل ، فتنصب المفعول به مثل: شرب الماء " ^(٦) ، فمثله يحقُّ له الحياء ، وهذا من معاني حقيق فحقيق من حقٍّ ، و" حُقَّ لك أن تفعل هذا وحقيقت أن تفعل هذا بمعنى ، وحُقَّ له أن يفعل

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) . البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٣) . انظر السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ، الأشباه والنظائر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، ج ٢ / ٢٤٣ .

(٤) . سورة الأعراف جزء من آية (١٠٥)

(٥) . الفراهيدي ، مصدر سابق ، (حقق) ، ج ٣ / ٦ .

(٦) . ضيف ، شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، مرجع سابق ، ص ٣٣١ .

النجار ، محمد عبد العزيز ، ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ط ١ ؛ (د.م . مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ٣ / ٨٠

كذا وهو (حَقِيقٌ) به و (مَحْقُوقٌ) بِهِ أي خَلِيقٌ به " (١) ، ومعنى هذا أنّ الحياء يليق بالشاعر وحفي به هذا الخلق الكريم ، ويقرُّ بذلك ويؤكدُه أحقيته به ؛ لأنّ الحياء كاللباس يستر صاحبه ، ويرده عن أمورٍ كثيرة ، وفي هذا اعتراف بالحق ورجوع إليه ، وربما كان هذا الموقف منه بعد إسلامه ، فقد دعا الإسلام إلى الحياء والتخلق ففي الحديث الشريف : " أخبرنا محمد بن الحسن بن قُتَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا ابن أَبِي السَّرِيِّ ، حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزُّهري ، عن سالم ، عن ابن عمر أنّ رسول الله - ﷺ - مرَّ برجلٍ يعظ أخاهُ في الحياءِ ، فقال رسول الله - ﷺ - : " دَعُهُ ، فَإِنَّ الحياءَ من الإيمان " (٢) بل جاء في أحاديث شريفة أن الحياء ميزة اختص بها الدين الإسلامي : " أخبرنا أبو مُصعب ، قال : حَدَّثَنَا مالك ، عن سلمة بن صفوان بن سلمة الزُّرْقِيِّ ، عن يزيد بن طلحة بن رُكَّانَةَ ، يرفَعُهُ ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : (لكلِّ دينٍ خُلُقٌ وخُلُقُ الإسلامِ الحياءُ) " (٣) ، وجاء في بيان معنى هذين الحديثين " أنّ الحياءَ يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان " (٤) ، وجاء من معاني لباس التقوى في قوله تعالى : ﴿ وَلبَّاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٥) ، إنّه الحياء " (٦) ، وهذا فيه كذلك الستر والزينة وهما من فوائد اللباس ، وسُبق الفعلُ (يلبَس) بلم الجازمة ، وهي مختصة بجزم الفعل

(١) . الرازي ، الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، ط ٥ ؛ (بيروت : المكتبة العصرية ، و صيدا : الدار النموذجية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)

(حقق) ، ص ٧٧ .

(٢) . البستي ، ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي الدارمي ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط ٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) . / ٢ . ٣٧٤ .

(٣) . الأصبحي ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر ، موطأ الإمام مالك ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ومحمود خليل ، ط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ) . / ٢ ٧٦ .

(٤) . ابن بطلال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، شرح صحيح البخاري لابن بطلال ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط ٢ ، (السعودية ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) ، / ١ ٦٧ .

(٥) . سورة الأعراف جزء من آية (٢٦) .

(٦) . انظر الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، / ١٠ ١٢٥ .

المضارع ، وهي تُغير الفعل في معناه إلى الماضي ويبقى في صورة المضارع معنى ذلك أنها " نقلت الفعل نقلتين : نقلته إلى الماضي ، ونفته " (١) ، والذي يظهر من معنى الحرف (لم) أنّ هناك بُعداً زمانياً ، وأن الخَلْقَ مهما كان زمنهم ، وحيثما كانت أماكنهم لا بد أن يتحلوا بخلق الحياء ، وأن هذه الفضيلة لها مكانة أخلاقية على مرّ العصور الماضية حين نفى ب(لم) ، أما الحاضر والمستقبل فهي في صورة الفعل المضارع (يلبس) ، وفي البيتين جاءت كلمة (اللباس) ، ولكن اختلف المعنى فقوله : (لابس ثوبي خزي) أعطى اسم الفاعل معنى الشمول وحالة صاحبه ، وإضافته إلى ثوبي الخزي حددت نوع اللباس وزاد في ذلك بالثنية ، لكن في الصورة الثانية اتضح معنى ثانٍ أقرب إلى النصيح والوعظ والإرشاد وهو: التَّحَلِّي بالحياء لأن اللباس يُزين صاحبه ، وكذلك الحياء يزين مَنْ تَخَلَّقَ به ويستره ، وقد يحميه من الوقوع في أمور يندم عليها فيما بعد ، كما كان من العباس حين ندم على هجائه لابن عمه ومحاربتة له وهذا ما كان ينبغي من سيد القوم .

ولئن كان العباس في البيتين السابقتين أراد النصيح و الإرشاد ، فقد غلب على شعره طبع صاحبه وهو الفخر ، والحماسة ، فهو كثير الفخر بانتصاراته ، وفي كل مرة يستعين بتنوع الجمل ليحقق مطلبه ، ومن ذلك استعانه بأفعال الرجحان ، والتي وردت في ديوانه أكثر من (ثلاث عشرة مرة) (٢) منها قوله :

﴿ سَأَجْعَلُهَا لِأَجْمَعِكُمْ شِعَارًا ﴾ (٣) وقد يَمْضِي اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ (٤)

في هذا البيت يتوعد أعداءه بأن انتصاره هذا عليهم سيكون كالشعار (سَأَجْعَلُهَا لِأَجْمَعِكُمْ شِعَارًا) يميزهم عن غيرهم ، في حين كان التشبيه هنا (تشبيهاً تمثيلاً) ؛ لكونه شبه حال أعدائه بحال مَنْ يحمل شعاراً يميزه عن غيره ، وترك للسامع تحيُّل وجه الشبه وكيفيته ومدى

(١) . الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، كتاب معاني الحروف ، تحقيق : حسين إسماعيل شلي ، ط ٢ ؛ (المملكة العربية السعودية : جدة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، ص ١٠٠ .

وانظر سلمان . د . علي جاسم ، موسوعة معاني الحروف العربية ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٢) . انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، (مرجع سابق) ، ص ١٨٣ .

(٣) . الشعار : علامة ينادي بها القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً . / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (شعر) ، ج ٦ / ٣٤٨٠ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

استمراره ،ويمكن تأويله بأنه (تمييز ، أو تفرد ، أو وصمة ، أو اعتراف ، أو ذل) ، وفي الوقت ذاته يصور لأعدائه شكل الهزيمة التي ستحلّ بهم إن لم يتوقفوا عن إيذائه ، وأنّه لن يُميز بين صديق منهم أو عدو وأنّ هذه الهزيمة ستكون علامة تُعرف بها قبيلتهم بين القبائل العربية بل إنّ أقرب ما يكون بوصمة عارٍ لهم ، ومن خلال هذه الصورة التشبيهية يعبر عن غضبه ، وضيقة ذرعاً منهم مع أنّه لا يزال يهدد ولم يمضِ فيما قاله فما هو إلا وعيد وتهديد .

وحوى هذا البيت الفعل القلي (جعل) ، حتى يقلب الشكّ الذي عندهم إلى حقيقة مؤكدة ، ذلك أنّ من أغراض أفعال القلب : " العلم في الخبر ومن ههنا أشبهت هذه الأفعال الحُرُوف لأَنَّها أفادت معنى في غيرها " (١) ، واقترن الفعل (جعل) هنا بالسين ليزيد من تأكيده بأنّ هذا الشعار أو تلك الوصمة ستستمر مستقبلاً ، والفاعل هنا " مستتر تقديره (أنا) ، أمّا مفعولاً جعل فهما الضمير المتصل الهاء في (سأجعلها) ، والثاني (شعاراً) " (٢) ، ثمّ أكّد تهديده هذا ووعيده بأنّ اللسان سيمضي في تحقيق ما قاله ، بمعنى أنّه لن يكتفي بالقول فقط بل سيفعل ما قاله ، أو أنّ الرد سيكون أشد ممّا يتوقع ، وكان العباس قد قال هذه الأبيات في هجاء لسفيان بن عبد يغوث (٣) ، ويبدو أنّه ما قالها إلا بعد تدمير مما كان منه وفي ذلك قال :

أَلَا مِنْ مُبْلِغٍ سُفْيَانَ عَنِي وَظَيِّ أَنْ سَيُبْلِغُهُ الرَّسُولُ

حتى قال :

أَلَا مِ عَلَى الْهَجَاءِ وَكُلُّ يَوْمٍ تُلَاقِينِي مِنَ الْجِيرَانِ عُوْلُ
سَأَجْعَلُهَا لِأَجْمَعِكُمْ شِعَارًا وَقَدْ يَمْضِي اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ (٤)

(١) . العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي ، اللباب في علل البناء والإعراب ،

تحقيق : د. عبد الإله النبهان ، ط ١ ، (دمشق: دار الفكر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) ، ص ٢٤٩ .

المصري ، حمدي فراج محمد فراج المصري ، الأفعال الناسخة ، د.ط. (د. م . ١٩٩٨ م) ، ص ١٨٨ .

(٢) . انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٤) . المرجع السابق ص ١٢٦ .

يتضح من هذا مدى ما يُلاقيه الشاعر من هؤلاء الجيران ، حتى كَتَّى عمّا جرى بينهم من حروب بالغول وهي " الداهية والهلكة " (١) ، وهذا ما جعله يضيق بهم ذرعاً ، ويؤكد لهم القول والتهديد بتشبيهه عاقبة أمرهم بالشعار الذي يكون ميزة للقوم ، والشعار هنا شعار الهزيمة ، التي تبقى سيرتها على مدى الزمان .

ومن إبداعات الشاعر في الجانب اللغوي للصورة التشبيهية ، تنوعه في التقديم والتأخير للمبتدأ والخبر كما مر سابقاً ، كذلك استخدامه لكأنّ حيث جاء بضمير الغائب ليكون اسماً لها ، واختار لها الجملة الشرطية لتكون خيراً لها في قوله :

﴿ رَجُلًا بِهِ ذَرْبٌ ^(٢) السِّلَاحِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَكَنَّفُهُ ^(٣) الْعَدُوُّ يَرَاكَ ^(٤) ﴾

وفي هذا الشاهد يظهر اختياره لكأنّ ليصوغ بها التشبيه " واسمها هنا ضمير غائب وخبرها جملة شرطية (كأنّه لَمَّا تَكَنَّفُهُ العدو يراكا) وهي الصورة التشبيهية ، والرابط بينهما ضمير مستتر في فعل الشرط يعود على اسم كأنّ تقديره (هو) " (٥) ، واستخدم الشاعر كأنّ وهي أقوى من الكاف ، لكونها تحوي التشبيه والتأكيد معاً (٦) ، والتشبيه في هذه الصورة ينعقد من خلال المشبه به وهو (ذرب السلاح) الذي سبق المشبه (يراكا) ، وهو جواب للشرط (لَمَّا تَكَنَّفُهُ) ، أي أنّ التشبيه هنا هو (تشبيهه مقلوب) (٧) ، فقد شبهه حِدّة بصر النبي - ﷺ -

(١) . الزبيدي ، مرجع سابق ، (غول) ، ١٢٩ / ٣٠ .

(٢) . الذَّرْبُ: الحادُّ من كل شيء / الجوهري ، مصدر سابق . (ذ ر ب) ، ج ١ / ١٢٧ .

(٣) . وتكنفوه واكتنفوه: أحاطوا به من كل جانب. / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مصدر سابق ، (كنف) ، ج ٢ / ١٤٨ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

البيت في كتاب التادلي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجزائري التادلي ، (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق : محمد رضوان الداية . ط ١ ، بيروت: دار الفكر المعاصر ، ١٩٩١ م) ، ج ١ / ٦٥ .

و النويري ، شهاب الدين ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مرجع سابق ، ج ١٧ / ٣٥٠ .

(٥) . انظر البدارين ، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٦) . الجندي ، فنُّ التشبيه ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٨١ .

(٧) . أن يقصد الشاعر ، على عادة التخيل ، أنّ يُؤهم في الشيء هو قاصرٌ عن نظره في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها ، واستيجاب أن يُجعل أصلاً فيها ، فيصعُ على موجب

دعواه وسرّفه أن يجعل الفرغ أصلاً // / الجرجاني ، أسرار البلاغة ، شاکر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

الصعيدي ، مرجع سابق ، ٤١٨ / ٣ .

وطول نظره في جميع الأمور بحدة طرف السلاح ، فهو رغم إحاطة العدو به من كل جانب ، إلا أنه يرى ما ستكون عليه الأحداث فهو لديه بُعد نظر وحدّة بصر ، وتوفيق من الله ونصر وحماية ، ولربما أراد سرعة مُضي سلاحه كما يمضي البصر وسط تزاخم الناس ، أو العدو وسط المعركة فيرى ما لا يراه غيره ، فهو وسيلة من وسائل الإغراق والإيهام ، وادّعاء أنّ المشبه قد بلغ من التّمكّن في الصّفة درجةً لا مثيل لها حتى تجاوز المشبه به وتعداه (١) ، وهو ما أراد الشاعر إثباته للنبي - ﷺ - بأن به حدّة بصر وبصيرة وسلاح ، وكان هذا البيت ضمن أبياتٍ قالها العباس في المديح النبوي مطلعها :

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّهُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَ
إِنَّ الْإِلَهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَ (٢)

ومن خلال ما سبق ظهر تنوع أغراض العباس ، وقدرته على وصف الأحوال ، والأماكن و المشاعر مستعيناً في ذلك بالصورة التشبيهية ، وظهر كذلك سهولة ألفاظه ووضوحها ، مع تعدد استخدام الجمل ، فتارة يعمل على صوغ التشبيه بالجمل الفعلية ، فيقدم فيها ويؤخر ليظهر للقارئ قدرته النحوية والبلاغية ، وتارة يعمد إلى الجمل الاسمية ليبرهن بها على صدق قوله ومشاعره كما كان منه في الشاهد الأخير .

(١) انظر هدارة ، مصطفى هدارة ، في البلاغة العربية - علم البيان - ، ط ١ ، (بيروت : دار العلوم العربية ،

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، ص ٣٩ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

المبحث الثاني : المستوى الدلالي للصورة التشبيهية عند الشاعر :

الدلالة في اللغة : من (دلّ) الدالّ واللّام أصلان: أحدهما إبانة الشّيء بأمانة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشّيء ، فالأوّل قولهم: دللت فلانا على الطّريق ، والدليل: الأمانة في الشّيء ، وهو بين الدّلالة و الدّلالة^(١).

وفي الاصطلاح : " الدّلالَةُ : هي كون الشّيء بحالَةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشّيء الأوّل هو الدّالّ، والثّاني هو المدلّول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النّص، وإشارة النّص، ودلالة النّص، واقتضاء النّص "^(٢).
والقصد مما سبق أنّ الدّلالة تشمل أموراً منها : دلالة اللفظ على المعنى ودلالة المعنى على الغرض، وما أبعاد النص القريبة والبعيدة ، أو ما أسماه الشريف الجرجاني (بإشارة النص) ، ثم ما يدلُّ عليه النصُّ بجملة من المعنى الإجمالي، والغرض من ذلك، وحالة الشاعر أو الكاتب وغيرها مما يمكن التوصل إليه من خلال النصّ .

وقد اتضح فيما سبق براعة العباس في صياغة الجمل وانسجام النظم ، ولمّا كان لكل لفظة دلالتها ، وكانت الصورة التشبيهية هي من الدلالة المستنبطة من النّص ، جاء هذا المبحث ليوضح الدلالات التي حوتها الصورة التشبيهية عند العباس وحين تنوعت الصور والصيغ تنوعت تبعاً لذلك الدلالة ، ومن تلك الدلالات وأشهرها : الألفاظ الدالة على الحرب والشجاعة ، وذلك لكون العباس " أشعر أبناء مرداس و أشهرهم وأفرسهم ، وينطوي شعره على معاني الفروسية ، وهذا ما حمل عبد الملك بن مروان - وهو البصير بالشعر - إلى أن يعتبره أشجع الناس في شعره " ^(٣)، فهو شاعر حماسة وإقدام ^(٤) ، وكان الشعر الحماسي في الجاهلية يدور حول وصف المعارك والبطولة ، وقد برع الشعراء في وصف أدوات الحرب من

(١) . القزويني ، أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٢٥٩ .

(٢) . الجرجاني ، الشريف ، علي بن محمد بن علي الزين ، كتاب التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، ص ١٠٤ .

(٣) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٤) . الطائي ، أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، الوَحْشِيَّات وهو الحماسة الصُّعْرَى ، تحقيق : عبد العزيز الميمني و محمود محمد شاكر ، ط٣، (القاهرة: دار المعارف ، د.ت .) ، ص ٨٥ .

سيف ورمح وقوس ، وهم يمتطون الخيول التي تسابق الريح " (١) ، ومما قاله العباس في مجال الألفاظ الدالة على الحرب والدفاع ، وصف الأسد ومبارزته :

﴿ إِن تَلَقَّنِي تَلَقَّ لَيْثًا فِي عَرِينَتِهِ ﴾ (٢) مِنْ أُسْدٍ حَقَّانٍ (٣) فِي أَرْسَاغِهِ فَدَعَّ (٤)

لَا يَبْرُحُ الدَّهْرَ صَيْدًا قَدْ تَفَنَّنَصَهُ مِنْ الرِّجَالِ عَلَى أَشْدَاقِهِ الْقَمْعُ (٥)

في قوله : (إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّ لَيْثًا فِي عَرِينَتِهِ) ، يفتخر العباس في هذه الأبيات بفروسيته وإقدامه وشدة بلائه في المعارك ، ومما اعتاد عليه الشعراء لإظهار شجاعتهم ووصف أنفسهم في الإقدام والبسالة ، تشبيه أنفسهم بشجاعة الأسد والليث (٦) ، ويتضح ذلك من خلال الصورة التشبيهية والتي جاءت على جزأين في هذا الشاهد فهو في البدء شبه نفسه بالليث فالتشبيه هنا (تمثيلي) حين قال : (تَلَقَّ لَيْثًا فِي عَرِينَتِهِ) ، فقد حذف الأداة ووجه الشبه ليقرب طرفي التشبيه من بعضهما ، وحذف وجه الشبه ، لتكون الزعامة ، والشجاعة والإقدام أمام ناظر المتلقي وفي مخيلته عن هذا الفارس ، واكتفى بتصوير حالة اللقاء بينهما بلقاء الليث في عرينته ، وما يتبع ذلك من تأويل للصفات ، كالزعامة والإقدام والتمكن من الأمر ، والجزء الثاني من الصورة قال فيه : (مِنْ أُسْدٍ حَقَّانٍ فِي أَرْسَاغِهِ فَدَعَّ) ، حيث المشبه هنا صورة قومه بني سليم ، والمشبه به صورة أسد خفان القوية ، وبها عوج في مفاصلها من كثرة القتال والجري والصيد ، فهو هنا من قبيل التشبيه (التمثيلي) كذلك ؛ لأن التأويل ما زال

(١) . النبالي ، عبد اللطيف مطيع ، لغة الحرب في شعراء الحماسة " دراسة دلالية " ، ط ١ ؛ (الأردن : عمّن : دار جرير ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ٢٤ بتصرف .

(٢) . العرين : مأوى الأسد ؛ لأنه مكانه الذي يثبت فيه / القزويني ، أحمد ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (عرن) ، ٢٩٤ / ٤ .

(٣) . الخفان موضع تنسب إليه الأسد / الطرابلسي ، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو إسحاق اللواتي الأجدابي ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية ، تحقيق : السائح علي حسين . د . ط ، (الجماهيرية الليبية : طرابلس : دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة . د . ت .) ، ص ١٢٧ .

(٤) . الفدع : هو زيف في الرسغ بينها وبين الساعد / ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، الكنز اللغوي في اللسن العربي ، تحقيق : أوغست هفتر ، د . ط . (القاهرة : مكتبة المتنبّي) ، (فدع) ، ص ٢٠٩ .

(٥) . السلمى ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

(٦) . انظر الدمشقي ، يوسف البديعي ، الصبح المنبي عن حثية المتنبّي (مطبوع بمهامش شرح العكبري) ، ط ١ ؛ المطبعة العامة الشرفية ، ١٣٠٨ هـ ، ج ١ / ٢٨٧ .

مُستمرّاً للصفات، فهذه الصورة أعطت معنى القوة والخبرة ، والشراسة في القتال ، وفي هذا ترك للقارئ المجال في تخيل مدى شجاعة هؤلاء الفرسان وإقدامهم في الحرب .

فقد أراد فارس العبيد تهديد خصمه وتخويفه من ملاقاته ، ففي حال لُقياه سيلقى ليثاً مقدماً في عربته أي مكان ملكه وسلطانه ، ونصرته ، وعزته ، ولم يكتفِ بتشبيه نفسه بالليث بل هو من أسدٍ حَقَّان ، موضع الأسود وفي هذا اعتراف منه ، وافتخار بشجاعة بني سليم كلهم ، وهنا يظهر تمام الفخر ، بأنّه مقاتل مغوار وشجاع لا يُبارى ، وكل من حوله هم في براعته وشجاعته في القتال ، وهذه الصفات ظهرت من خلال تشبيه العباس بالليث ، وزاد في الوصف حين قال: (من أسد خفان) وسط جماعة من الأقوياء ، بل إنّ لشدة قتاله و خوضه للمعارك أصابه فدع في رسغه أي أنه اعتاد خوض المعارك والقتال ، وهذا البيت ليس ببعيد عن بيت عنتر بن شداد حين وصف نفسه بقوله :

أَيُّ أَنَا لَيْثُ الْعَرِينِ وَ مَنْ لَهُ قَلْبُ الْجَبَانِ مُحَيَّرٌ مَدْهُوشٌ (١)

فهنا يفخر عنتر بأنه ليث العرين كما كان من العباس ، غير أن عنتر زاد في أن الجبان تُصبيه حيرة ودهشة وخوف من ملاقاته عنتر ، ولمعاصره حسان بن ثابت بيت جاء فيه التشبيه بالأسد وفي أرساغه فدع حين قال في مدح الصحابة -رضوان الله عليهم -:

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أُسْدٌ بَيْشَةٌ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ (٢)

وقد ارتجل حسان هذا البيت في قصيدته العينية التي فاخر بها "وفد بني تميم وردّ بها على الزريقان بن بدر، ووصف في هذا البيت شجاعة الصحابة -رضوان الله عليهم- حتى لكأنهم أسدٌ من أسود منطقة بيشة الأقوياء الأشداء ذوي المفاصل العوج " (٣) ، أما العباس فقد خصّ نفسه بأنه ليث العرين ، ثم وصف قومه بأنهم أسد خفان ، ثم عاد ليفتخر بقوته وشجاعته وليؤكد إقدامه ، وصف الليث بأنّ في أرساغه فدع ، ولعل قصده من هذا التشبيه

(١) . العبسي ، عنتر بن شداد ، ديوان عنتر بن شداد ، تحقيق : مجيد طراد ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب

العلمية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، ص ٨٩ .

(٢) . الأنصاري ، حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : أ. مهنا عبد ، ط ٢ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ،

ص ١٥٣ .

البرفوقي ، عبد الرحمن ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ط ١ ؛ (مصر : المطبعة الرحمانية ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م) ، ص ٢٥١ .

(٣) . ولد مينحن ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

بيان مكانته في قومه وإعطاء الصفات الفذة لنفسه ، مع أنه في الأولى قال: (ليث)، وفي الثانية قال : (أسد) ، وفي هذا يرى أبو هلال العسكري أنّ الوصف بالأسد فيه نوع من التقييح والسبّ ، ذلك لما في منظر الأسد من القبح " (١) ، في حين أنّ الليث غلب استعماله في الدلالة على الشجاعة والإقدام والقوة من ذلك قولهم : " (أشجع من ليث العرين) ، وقولهم : (أَجْرًا مِنْ لَيْثٍ بِحَقَّانَ) وذلك للتناهي في الوصف بالشجاعة والإقدام " (٢) ، ولعل الشاعر فطن إلى كلتا الداليتين فاستخدمهما عمداً ؛ ليعطي صورة الأسد المخيفة فيخوف عدوه ، وكذا يبرهن على قوته وشجاعته بوصف نفسه بالليث المتمكن من عرينه ، وببسالة الأسود من حوله ، وليزيد من افتخاره وبما يحققه من انتصار قال :

لا يَبْرُحُ الدَّهْرُ صَيْدًا قَدْ تَقَنَّنَصُهُ من الرِّجَالِ عَلَيَّ أَشَدَّاقِهِ الْقَمْعُ (٣)

بمعنى أنّه إذا وقع اختياره على شيءٍ لا يمكن لأبيّ كان التعدي عليه أو الطمع فيه مهما بلغ من شجاعة وإقدام .

(١) . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، ، معجم الفروق اللغوية ، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـقم)، ١٤١٢ هـ) ، ص ١٥٣ .

(٢) . النيسابوري ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، د. ط ، (لبنان : بيروت : دار المعرفة ، د. ت) ، ج ١ / ١٨٩ .

- العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، جمهرة الأمثال ، د. ط ، (بيروت : دار الفكر) ، ج ١ / ٥٣٨ .

- الأتباري ، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط ١ ، (بيروت . مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢) ، ج ١ / ٢٠٩ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

ومما يدلُّ على فطنة العباس بالفرق بين دلالة اللفظتين ما قاله في صورة تشبيهية أخرى يفتخر فيها بانضمامه لجيش الرسول - ﷺ - وبسالة قائدهم الضحاك :

﴿ تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَاكِ يُقَدِّمُنَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْحَدِرُ ﴾ (١) (٢)

انظر لجمال الوحدة والسعي وراء الهدف سعياً حثيثاً وذلك في الصورة التشبيهية في قوله : (كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْحَدِرُ) ، انعقد التشبيه في هذه الصورة من خلال تشبيه حال مسيرتهم وهيئة هذه المسيرة التي يقدمها الضحاك لمعركة حنين ، بحالة وهيئة الليث في غاباته ، مُصَوِّراً أثناء ذلك شكل المسيرة وانتظامها في صفوف ومُعدداً لصفات أصحابها من شجاعة وتمرسٍ في القتال وجراءة عليهم ، ورغبة في امتلاك المكان ، فهي على هذا من التشبيه (التمثيلي)؛ لسهولة تأويل الصفات وبيانها والصورة هنا أعطت معنى القيادة والطاعة حين قال: (تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَاكِ يُقَدِّمُنَا) ، بمعنى أنهم يسرون حيث أمرهم قائدهم ، وكأنَّ اللواء نبراسٌ يقودهم نحو النصر، وفي هذا أيضاً نوع من التعاون من أجل الانتصار على الأعداء دون تعال أو تعصب .

وهذا الشاهد كان ضمن أبياتٍ قالها الشاعر في الفخر ببلاء بني سليم يوم حنين " وخوضهم غمار حنين يحملون أرواحهم على أكفهم في ثبات وصبر مع الضحاك بن سفيان الذي أمره الرسول - ﷺ - على بني سليم " (٣) ، وفخره هذا بقائده الضحاك ما هو إلا أثر من آثار إسلامه فالإسلام حين جاء ضمَّ العرب تحت لواء واحدٍ ، وراية واحدة وهي (لا إله إلا الله محمد رسول الله) " فجاء يملأ الأجواء متغنياً بانتشار الدين الجديد في لهجة حافلة بعزة النصر " (٤) ، من ذلك قوله :

(١) . خَدْرُ الْأَسَدِ مَوْضِعُهُ وَقَدْ خَدَرَ خُدُوراً وَأَخْدَرَ لَزِمَ خَدْرَهُ وَأَخْدَرَهُ عَرِيْنُهُ سَتْرَهُ ، وَقِيلَ الْمُخْدِرُ الَّذِي اتَّخَذَ الْأَجْمَةَ خَدْرًا وَالْحَدِرُ: الظُّلْمَةُ وَ السَّتْرُ، وَالبَطْءُ وَ الإِقَامَةُ / المرسى ، ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، ط١؛ (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) ، (خدر) ، ج ٢ / ٢٩٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٤) . النبالي ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنَّ مَشْهَدُنَا لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ
 إِذْ نَزَكِبُ الْمَوْتَ مُحْضَرًا بَطَائِنُهُ وَالْحَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِرُ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَاكِ يَفْدُمُنَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِرُ^(١)

لا حظ معي كيف وصف المعركة وأهم يركبون الموت على سبيل (الاستعارة التصريحية) وبأيدهم أسلحتهم ، وقد جعل الاستعارة سبيلاً للتشبيه ، وحتى يُضفي نوعاً من التشويق والإثارة على الصورة قال: إنَّ هذا الليث يقود جيشه في غاباته ، التي يمتلكها ، وكأنَّ الأمر قد حُسم بالنسبة للشاعر ، ومن العلماء من جعل الليث من مرادفات الأسد^(٢) ، ومنهم مَنْ رأى أنَّها من الزيادة في المعنى وأنها " من سنن العرب كما تقول: زَيْدٌ لَيْثٌ إِذَا شَبَّهَتْهُ بَلِيْثٍ فِي شَجَاعَتِهِ ، فإذا قال: زيدٌ كاللَّيْثِ الْعَضْبَانِ فقد زاد المعنى حُسناً وكسا الكلامَ رونقاً"^(٣)، ولكنَّ المتأمل في البيت يلحظ أنَّ العباس قصد تشبيه مشية الضحاك ، وحاله بحال الليث القوي الشجاع الذي لا يرجع إلا منتصراً ، حتى أنه قال في غاباته بمعنى أنه في مكان عزه وملكه، وفي التشبيه هنا يظهر كذلك دلالة أخرى ، وهي بالإضافة إلى القوة و الشجاعة ، القيادة والحنكة والزعامة مع القدرة عليها، وهذه المعاني للدلالة لم تأتِ صراحة أو في معجم بعينه وإنما اتضحت من خلال المعنى اللغوي ، وكذا من المعنى الإيحائي الذي يقول عنه الدكتور أحمد عمر مختار^(٤): " هو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمة ذات مقدرة

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ٧٤.

(٢) . انظر الأزدي ، كراع النمل ، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي ، المُنَجَّد في اللغة ، تحقيق: د.أحمد مختار عمر و د. ضاحي عبد الباقي ، ط ٢ ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٨ م) ، ص ٧٣.
 انظر الزبيدي ، مرجع سابق ، ج ٥ / ٣٥٢.

اليسوعي ، زُفَائِيل نخله ، المنجد في المترادفات والمتجانسات ، ط ٣ ؛ (لبنان: بيروت : دار المشرق د. ت .) ، ص ٦.

(٣) . الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٠.

(٤) . أحمد مختار عمر ، ولد بالقاهرة عام ١٩٣٣ ، التحق بالأزهر، ثم دار العلوم، ومنها حصل على البكالوريوس والماجستير ، ثم حصل على الدكتوراه في علم اللغة من جامعة كمبريدج .من أبرز إنجازاته كتابه : (في علم الدلالة) ، (اللغة واللون) ، وكتابه (اللغة والنوع) ، صناعة المعجم العربي نظراً وتطبيقاً: فكان كتابه (صناعة المعجم العربي) ، حصل الدكتور على عدد من الجوائز منها جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تحقيق النصوص ، عام ١٩٧٩ . توفي عام

خاصة على الإيحاء" (١)، فالصورة هنا التي رسمها العباس للفرق بين الأسد والليث جاءت عن طريق السياق والنظم، ففي الأولى ذكر أنه عند اللقاء به ليث في عرينته في مكان سلطانه، وقوته ، وأن قومه في حال المعارك هم أسدٌ خَفَانٌ تخويفاً من بأسهم ، وعندما امتدح الضحاك قال : يمشون تحت لوائه كمشية الليث القائد المحنك الذي يخطط ، وعنده المقدرة والقوة ، ومع هذا أيضاً يحمل المعنى نوعاً من التخويف ، بمعنى أن كلا المعنيين متقارب ؛ لأن العباس استعمل في هذا التشبيه ما اعتاد عليه الشعراء في افتخارهم وفي تخويفهم للعدو وكأنّ هذا من العرف الاجتماعي أو ما يُسمى بالدلالة الاجتماعية التي يرى الدكتور إبراهيم أنيس (٢) أنّها اختلطت بالدلالة المعجمية ، وأوضح الفرق بينهما بأنّ الدلالة المعجمية : " هي الدلالات المتعددة التي يمكن أن تُستفاد من النص المنطوق " بينما الاجتماعية "هي تلك الدلالات الأخرى التي تستمد من الظروف والملابسات أو ما يسمى بسياق الكلام" (٣) ، إذاً فروسية العباس وإقدامه وحبه للفخر جعلته يستخدم هذين اللفظين اللذين يدلان على الشجاعة والإقدام ، لكن لكل سياق دلالة فتارة يأتي للتخويف وإثارة الرعب ، وتارة للدلالة على القوة والزعامة ، وكلها من دلالة كلمة (الأسد) ، وكما قيل عنها أنّها مرادفة لليث قيل كذلك أنّ لفظة الليث هي من المشترك اللفظي " فكلمة الليث هي (الأسد) وهي أيضاً (العنكبوت) " (٤) ، وهذا دليل على شمول اللغة العربية واتساع مدلولاتها ، ونلاحظ مما سبق صعوبة التفرقة الدقيقة بين دلالة كلمتي الأسد والليث ، ، لذا يُرجع د. صبحي الصالح (٥)

(١) . مختار ، أحمد عمر ، علم الدلالة ، ط٥ ، (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٩٨ م) ، ص ٣٩ .

(٢) . إبراهيم أنيس لغوي من أهل القاهرة ، ولد بالقاهرة عام ١٩٠٦ م - ١٣٢٤ هـ ، وتعلم بها ، والتحق بدار العلوم العليا ، وعمل مدرساً في المدارس الثانوية، ومن جامعة لندن حصل على البكالوريوس ، ثم الدكتوراه ، اختير خبيراً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٥٨ م ، ثم نال عضوية المجمع و الإشراف على مجلته . من أشهر مؤلفاته : الأصوات اللغوية ، من أسرار اللغة العربية ، موسيقى الشعر ، في اللهجات العربية ، دلالة الألفاظ، توفي عام ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ . / الجبوري . كامل سلمان . معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢ م . ١ / ٢٤ .

(٣) . أنيس ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ط٥ ؛ (مصر : مكتبة الأنجلو . ١٩٨٥ م) ، ص ٥١ .

(٤) . المرجع السابق . ص ١٣٦ .

(٥) . صبحي إبراهيم الصالح ، رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى وأحد علماء الدين السنة البنانيين البارزين، ولد في طرابلس في لبنان سنة ١٩٢٦ م، مفكر إسلامي، عضو في مجامع علمية عدّة ، حصل على العالمية في الآداب من

الفروق المشتركة بين هذه الألفاظ : إلى فروق إيجابيه وأخرى سلبية وأنّ كلمة الليث يشترك فيها عدد من الألفاظ ولكل لفظة دلالتها منها ما يُطبّق على الأسد ومنها ما تُسمى به العنكبوت ومنها ما أريد به معنى القوة البيانية يقول: " فإذا كان في الليث معنى القوة الحسية ، ففي اللسن البليغ معنى القوة البيانية، وفي العنكبوت معنى الضد المقابل، فكان الرابط فيها سلبياً عكسياً" ^(١) ، ويرى أنّه ليس من العدل اتّهام القدماء بالقصور عن فهم الفروق الدقيقة " فقد صرّح القدماء بصعوبة الكشف عن العلاقة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها، ولا يتصدون لتعليل أسماء المسميات أو توضيح جميع موارد الاشتقاق، فليس من اللائق أن يرميهم المحدثون بالاضطراب في الرواية مؤكدين مثلاً أن ليس من علاقة بين الليث بمعنى الأسد، وضرب من العنكبوت، واللسن البليغ أو بين معنى كل قطعة من الأرض عامرة، ومكة، والتراب، والقبر، والدار، والأثر" ^(٢) ، معنى هذا أنّ القدماء كان لهم فضل ينبغي الاعتراف به وعدم اتّهامهم بالقصور والعجز ، وأنّ السياق هو الذي يحدد معنى الدلالة ، أو الفرق بين الألفاظ المشتركة أو المترادفة .

وبما أنّ العباس فارسٌ لا يبارى في فروسيته وفخره ، احتلت الخيل مكاناً مرموقاً عنده ، فهو يصونها ويكرمها ويبيت طاوياً ليشبع فرسه ، ويتغنى بامتلاكه للفرس ولصونه لها ، بل ويحرص على معرفة نسبها كما يحرص على معرفة نسبه ، ولم يقتصر هذا الأمر على العباس وحده بل كان هذا من طباع فرسان العرب كلهم ، فقد اهتموا " بالوقوف على جذورها

جامعة القاهرة ، والدكتوراه في الآداب من جامعة السوربون بباريس ؛ اشتغل بالتدريس في جامعة بيروت العربية، والجامعة اللبنانية ؛ وفي عدد من الجامعات العربية ، ألف (علوم القرآن) و(النظم الإسلامية وتطورها) (معالم الشريعة الإسلامية) وغيرها. استشهد في لبنان عام (١٤٠٧ / ١٩٨٦ م) . / <http://ar.wikipedia.org> والمكتبة الشاملة <http://shamela.ws/index.php/author>

(١) . الصالح ، صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، ط ١ ، (بيروت: دار العلم للملايين ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ م) ،

ص ٣٠٧ .

(٢) . المرجع السابق .

للاهتمام إلى ثمارها التي تقدّمها ، ليأمنوا آداءها ، ويتوثقوا من اقتدارها ويعرفوا مضاءها وعزمها " (١) ؛ ولهذا كان من الدلالات عنده فخره بالخيل وبسرعتها وقدرتها في المعارك :

 أَعَدَدْتُ صَوْبَةَ وَالصَّمُوتَ (٢) وَمَارِنًا (٣) وَمُقَاضَةَ (٤) لِلرَّوْعِ كَالسَّحْلِ (٥)
 فُرْطُ الْعِنَانِ كَأَنَّ مُلْجَمَهَا فِي رَأْسِ نَابِيَةٍ مِنَ النَّحْلِ
 بَيْنَ الْحِمَالَةِ (٦) وَالْفُرَيْظِ (٧) فَقَدْ أَنْجَبْتُ مِنْ أُمَّ وَمِنْ فَحْلِ
 لَا يَطْمَعُ التَّالِي (١) اللَّحَاقَ بِهَا يَوْمًا وَلَيْسَ يَفِوْثُهَا الْمُؤَلِّي (٢)
 (٣)

(١) . ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب ، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام ، تحقيق : نوري القيسي وحاتم صالح الضامن . د. ط ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي . ١٩٨٥ م . ١٤٠٦ هـ) ، المقدمة .

(٢) . أسماء خيل للعباس بن مرداس / انظر . الأسود الغندجاني ، أبو محمد الأعرابي ، أسماء خيل العرب وأنسائها وذكر فرسانها ، تحقيق: أ.د. حمد علي سلطاني . ط ١ ، (سوريا : دمشق . دار العصماء . ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ١٤٤ ، ١٤٦ .

وصوبة من صوبتُ الفرسِ إذا أرسلته في الجري / الزبيدي ، مرجع سابق ، ج ٣ / ٢١٧ .
 والصموت : الذرع اللينة التي إذا صبها الرجل على نفسه لم يُسمع لها صوت / القزويني ، ابن فارس ، مصدر سابق ، ج ٣ / ٣٠٨ .

ومن المجاز: الصَّمُوتُ: (الشَّهْدَةُ الممتلئة التي ليست فيها ثقبه فارغة) ، (و) الصَّمُوتُ: اسمُ (فرسِ العباس بن مرداس السُّلَمِيِّ - ﷺ) . / الزبيدي ، مرجع سابق ، ج ٤ / ٥٩٢ .

(٣) . مَرَنَ الحَبْلَ والثوبَ ونحوهما يمُرُنُ مُرُونًا ، إذا لَانَ . ورمح مارن: لَدُنْ قَدِ املاَسَ . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٨٠٢ .

(٤) . درع مُقَاضَةٌ وفَيَوضٌ ، إذا كَانَتْ سَابِغَةً . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق (سبغ) ، ج ٢ / ٩٠٩ .

ومن العلماء من ذكر أنّ مارن ومقاضة هي من أسماء خيل العباس بن مرداس . / عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٨٦

(٥) . السَّحْلُ والسَّحِيلُ : الحَبْلُ الَّذِي عَلَى قُوَّةِ وَاحِدَةٍ . / المرسي ، بن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (س ح ل) . ٣ / ١٩١ .

(٦) . هي خيل لبني سليم وتنسب للعباس بن مرداس / الغندجاني ، الأسود ، مصدر سابق ، ص ٧٣ .

(٧) . خيل لبني سليم . المصدر السابق . ص ١٩٥ .

انظر لجمال المساواة وبراعة التشبيه في قوله : (لِلرَّوْعِ كَالسَّحْلِ) فالعباس يتباهى بشجاعته ومن ذلك تأهبه الدائم واستعداده لخوض المعارك وحتى يدل على ذلك أكد أنه على استعداد تام فلذا أعد لها خيرة فرسه ، وهما: صوبة والصموت ، وقد اختار لهما هذين الاسمين لدلالتهما على السرعة ، والخفة مع القوة ، وكونه سماًهما دون غيرهما من خيله ، دل هذا على صفات خاصة عندهما ليست عند سواهما ، وحتى يُعطي صورة أقوى لهذا الاستعداد والتأهب قال : (مارناً ومُفَاضَةً) ، سلاحه لين ومدرب على خوض المعارك وقطف الرقاب ، أما درعه (مفاضة) فهي قويّة سابغة تغطي كل جسمه ، وفي هذا (كناية) عن طوله وضحامته فلو لم يكن ضخماً طويلاً لَمَا كانت درعه مفاضة واسعة، وبعد هذا الوصف للاستعداد جاء التشبيه بالكاف وأنها (كالسَّحْلِ) ، وفي هذا معنيان أولهما : تشبيه قوة الخيل وسرعتها ، والسلاح ومرونته ، والدرع وسبغتها بالسَّحْلِ؛ بمعنى أنّها كلها على قوة واحدة وذلك فيه ما فيه من الشجاعة والحماسة والاستعداد والتأهب، فهي إذاً من التشبيه (المرسل المجمل) بالنظر إلى تعدد الطرفين ، وعليه فوجه الشبه : القوة ، أو المتانة ، وقد أجمل الصفات ليوحي للسامع بقوة خيله ، وحدّة بصرها وسرعتها، وكذا درعه ، وسلاحه فهو على تأهب دائم لخوض المعارك ، وليست الرعب في نفوس أعدائه من جهة ، والثقة فيه وفي خيله عند قومه من جهة أخرى ، أما المعنى الثاني: في حال كان مارناً ومفاضةً هي من خيل العباس كما يذكر د. عسيلان^(٤)، فالتشبيه هنا ينعقد على أنّ قوة هذه الخيول الأربع كالسَّحْلِ ، بمعنى

(١). التّالي: وَهُوَ الرَّابِعُ مِنَ الْخَيْلِ ، فَأُولَئِكَ الْمَجْلِي: وَهُوَ السَّابِقُ وَالْمَبْرُزُ ، ثُمَّ الْمُصَلِّي: وَهُوَ الثَّانِي ، ثُمَّ الْمُسْلِي: وَهُوَ الثَّلَاثُ /

الأجدابي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية تحقيق: السائح علي حسين ، د. ط ؛ (الجمهورية الليبية : طرابلس : دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة) ص ١١٢ .

(٢) . اسم من: وِلِي يَلِي . / الأزهرى ، مصدر سابق ، (ولي) ، ج ١٥ / ٣١١ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) . أ.د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ، وتلقى جزءاً من دراسته الابتدائية في الرياض ، ثم أتمها في المدينة المنورة ، ثم التحق بكلية اللغة في الرياض، وتخرج فيها عام ١٣٨٩هـ، وعمل مدرساً بالمعهد العلمي في المدينة، ومنه انتقل إلى كلية اللغة بالرياض للعمل معيداً بها، نال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر في

أنَّها على درجة وقوة واحدة في حال انطلاقتها لا تفتّر أبداً وجميعها لديها القدرة ذاتها في خوض المعارك ، أي أنّ التشبيه هنا فُصد منه تشبيه الخيل فقط دون بقية أدوات الحرب ، ويعود هذا إلى حبّ الشاعر لفرسه وفخره بها ، وعليه يظل نوع التشبيه ذاته (المرسل المجمل) ، وقد اختار إخفاء وجه الشبّه لعله لم يجد ما يوافق قدرة خيله فلا مجال عنده لتصوير سرعتها وخفتها فهو يملك خيلاً لا مثيل لها ويثق بها ، وحتى يكمل وصفه لخيله يعتمد على التشخيص فيقول :

﴿ فُرْطَ الْعِنَانِ ^(١) كَأَنَّ مُلْجِمَهَا ^(٢) فِي رَأْسِ نَابِيَةٍ ^(٣) مِنْ النَّخْلِ ^(٤) ﴾

برع العباس هنا في وصف خيله بأنه فرط العنان متقدم شديد السرعة وتشبيه ذلك بملجم الفرس في قوله: (كَأَنَّ مُلْجِمَهَا فِي رَأْسِ نَابِيَةٍ مِنْ النَّخْلِ) ، من شدة عدوه وفرط سبقه يلجأ مُلجمها إلى أعالي النخل كي يعقد فيها اللجام حتى يُمكنه اللحاق بها ، وفي استخدامه ل(كأنّ) قَرَّبَ سرعة الفرس في عدوها بالنخل الطويل في ارتفاعها ، وكأنّها صورة مثالية عنده للفرس حال عدوها مسرعة لا يمكن الوصول لها إلا لمن هو فوق النخل الطويل والتشبيه هنا انتزع من متعدد وهو مُلجم في رأس نابية من النخل فهو إذاً (تشبيه تمثيلي) ، أي أن الخيل من شدة عدوها فإن فارسها يجد نفسه على رأس نخلةٍ طويله ، وكأنّه يطير ويرتفع على ظهرها ؛ لشدة عدوها ، ووجه الشبه يكمن في الارتفاع ، وشدة السرعة ، القوة ، الخفة ،

الأدب والنقد ، عمل أستاذاً مساعداً بكلية اللغة العربية ، أشرف على عدد من طلبة الماجستير والدكتوراه ، من أهم مؤلفاته وتحقيقاته: تحقيق حماسة أبي تمام ، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز للأجري ، معجم شعراء الحماسة ،

النقد الأدبي عند ابن خلدون ، موقع الاثنية : <http://alithnainya.com/default.asp>

(١) فرس فُرط ، أي تتقدم الخيل وتُسرع . / ابن السكيت . أبو يوسف يعقوب بن إسحاق . إصلاح المنطق . تحقيق : محمد مرعب . دار إحياء التراث العربي . ط ١٤٢٣ هـ ،

٢٠٠٢ م . ص ٥٧ .

العِنَانُ: لِلْفَرَسِ وَجْمَعُهُ أَعِنَّةٌ ، وَ (العِنَانُ) بِالْفَتْحِ السَّحَابُ الْوَاحِدَةُ (عِنَانَةٌ) ، وَ (أَعْنَانُ) السَّمَاءُ صِفَاتُهَا ، وَمَا اعْتَرَضَ مِنْ أَقْطَارِهَا كَأَنَّهُ جَمَعَ عَنَنٌ . / الرازي ، مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) لَجْمٌ يُلْجِمُ ، الْجَامَأُ ، فَهُوَ مُلْجِمٌ ، أَلْجَمَ الدَّابَّةَ وَنَحْوَهَا : لَجَمَهَا ؛ أَلْبَسَهَا اللَّجَامَ ، وَضَعَ فِي فَمِهَا حَدِيدَةً لِقِيَادَتِهَا "أَلْجَمَ حِصَانَهُ" / عمر . أحمد مختار عبد الحميد . معجم اللغة العربية

المعاصرة ، مرجع سابق ، ج ٣ / ١٩٩٥ .

(٣) نخلة باننة: طويلة/ الرمحشري . أساس البلاغة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٨٨ .

(٤) السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٣٢

وانظر الرمحشري ، أساس البلاغة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٨٨

تحكم الفارس فيها ، وطواعيتها له ، كما حوت الصورة كنايةً الأولى : عن شدة العدو في قوله : (فُرْطُ)، والثانية في (مُلْجَمَهَا) ، كناية عن الفارس الذي يركبها ، ووصفه للخيل في هذا البيت في فرط العنان ، والسرعة اقترب به من بيت لبيد الذي عُرف بشجاعته وفروسيته حين قال :

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمَلُ شِكَّتِي فُرْطُ ، وَشَاحِي إِذْ عَدَوْتُ لِحَامَهَا^(١)

ولا غرابة حين يبالغ العباس في وصفه للخيل وسرعتها فهو فارسها متأكد من أصالتها وجودتها متتبع لنسبها ، فقد جاءت من الحمالة و القريظ من أم قال، ومن فحل (كناية) عن أمها من الخيل الأصيل ولا سبيل لأن تجد مثلها في العدو والسرعة، ولشدة فخره بها وبما لها من قوة تُعينه في المعارك يصل بهذا الوصف إلى القمة :

لَا يَطْمَعُ التَّالِي اللِّحَاقَ بِهَا يَوْمًا وَلَيْسَ يَفْوُئُهَا الْمُؤَلِّي^(٢).

وفارس العبيد ما ينفك يتغنى بخيله وجمالها ، فهو يرى فيها من الصفات ما عجز عنه غيرها من الخيل من ذلك رسمه لصورة حركتها وعدوها بطريقة غنائية سريعة :

جَاءَ كَلْمَعِ الْبَرْقِ جَاشَ^(٣) نَاطِرُهُ^(٤)

يَسْبُحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُؤُ آخِرُهُ

فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ^(٥)

ظهر في هذه الأرجوزة براعة العباس وسعة خياله ، حتى أنه يُشَبِّه الخيل في سرعتها حال مجيئها بلمع البرق الخاطف في قوله : (جَاءَ كَلْمَعِ الْبَرْقِ جَاشَ نَاطِرُهُ)، فالناظر له أصيب نظره بالحيرة إلى أيّ جهة ينظر أو ما الذي رآه أهو فرس؟ أم برق لمع في ظلمة الليل؟! ، وحرار فيه نظر

(١) . العامري ، لبيد بن ربيعة ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، د. ط ، (بيروت . دار صادر ، د. ت) ، ص ١٧٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) . جاش معناه ارتفع ومنه سمي الجيش / اليحصبي ، أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار . د. ط ، (المكتبة العتيقة ودار التراث . د. ت .) ، ج ١ / ١٦٧ .

-جاش الفرس: إذا تدافع في جريه. / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، ج ٢ / ١٢٣٤ .

(٤) . الناظر: موضع النظر من العين. / الأزدي ، ابن دريد ، مصدق سابق ، ج ٢ / ٧٦٣ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

الفرس نفسه فهو لسرعة بصره لا يستقر على جهة بعينها بل يمتدُّ بصره خوفاً من أن يسبق جسده بصره ، وفي هذا مبالغة أدت جمالها البديعي المتقن ، فقد أثارت هذه المبالغة الحماس في نفس القارئ ، واشتاق ليعرف المزيد عن هذا الفرس الذي سرعته شبيهة بسرعة البرق ، والصورة هنا من التشبيه (التمثيلي) ، صوّر المشبه وهو (عدو الفرس) بصورة وحالة البرق (جاش ناظره) ، ويمكن تأويل وجه الشبه في شدة السرعة ، الخفة ، المهارة في الحركة ، فلسرعتها لم يُرَ لتلك السرعة إلا الأثر وهو ضوء سطع لينبه الرائي له ؛ لذا استمر العباس في الوصف ليعطي البعد الحركي مع البصري فقال :

يَسْبُحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ

تداخلت الصور في هذه الصورة بديعية الاستعارية الجميلة ، فقد استعار السباحة والطفو للفرس على سبيل الاستعارة التصريحية ليصف بها حركة الفرس ، وهي في نفس الوقت صورة للمشبه به ، فأوله يعدو بسرعة من يسبح فلا يكاد يشعر به الفارس حتى يصل ، وآخره أدقُّ فهو يتبع الأول لكن في حركة أخفَّ وأسرع وأجمل ، إذ هو يطفو فوق الماء لخفته ، وفي هذا إعطاء صورة حقيقية لجسم الفرس ورشاقته ، وكأنها ريشة فنان ترسم صورة الجواد حال عدوه بسرعة في ارتفاع وانخفاض كموج البحر ، وبها كذلك كناية عن خفة الفرس ومهارته ، وأتمَّ هذا الوصف بقوله :

فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ

لسرعته لا يقع حافره على الأرض ، وحتى يُبين الصورة التي رسمها للفرس عنده نفى أنه يمس الأرض ولفظنته بدلالة الكلمة قال : (ما يمسُّ الأرض منه حافره) ، وبين المس واللمس فرق فاللمس : "يكون باليد خاصة ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، والمس يكون باليد وبالجر وغير ذلك ، ولا يقتضي أن يكون باليد ، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَسَّهِمُ الْبِأْسَاءِ ﴾ (٢١٤) ، فالمسُّ أخف من أي أثر يتركه الفرس لعدوه وهنا استخدم الحافر ليعرف به أداة المس ومكانه الصخري أو الحجري ، ولو كان عنده كلمة أسرع وأدق من كلمة (بمس) لاختارها ليصف بها سرعة عدو خيله ، وحتى يعطيها الاستمرارية اختار الفعل

(١) . سورة البقرة : آية ، (٢١٤)

(٢) . العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، مصدر سابق ، ص ٤٦٨ .

المضارع ليعطي بُعداً زمنياً لسرعة هذه الخيل ، فهي لا تكلم من العدو والجري وخوض المعارك كصاحبها ، وفي هذا البيت يظهر ما أسماه الشيخ عبد القاهر بالنظم يتحد في الوضع، ويدق فيه الصنع وذلك بأن : " تَتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويدخلُ بعضها في بعضٍ، ويشتدُّ ارتباطُ ثانٍ منها بأولٍ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكونَ حالُك فيها حالَ الباني يضعُ يمينه ههنا في حالٍ ما يضعُ يساره هناك ، نعم، وفي حالٍ ما يُبصر مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يضعُهما بعدَ الأولين ، وليس لِمَا شأنُه أن يجيءَ على هذا الوصفِ حدُّ يَحصرُه، وقانونٌ يُحيطُ به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتى، وأنحاءٍ مختلفةٍ. " (١)

والصورة في هذه الأبيات وفي الأبيات السابقة التي افتخر فيها العباس بخيله ، وخصَّها بأسمائها كي يزيد من افتخاره بامتلاكها وبأصالتها، تكاد تتقرب من أبيات ذكرها امرؤ القيس في وصف الخيل :

وَأَعْدَدْتُ، لِلْحَرْبِ، وَثَابَةً جَوَادَ الْمَحْتَةِ (٢) وَالْمُرُودِ (٣)
سَبُوحاً (٤)، جَمُوحاً، وَإِحْضَارَهَا كَمَعْمَعَةٍ (٥) السَّعْفِ الْمُوقَدِ
وَمَشْدُودَةَ السَّلَكِ (٦) مَوْضُونَةً تَضَاءَلُ (٧) فِي الطَّيِّ، كَالْمِبْرِدِ (٨)

(١) . الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، شاکر ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٢) . حته على الشيء واستحثه بمعنى، أي حَضَّه عليه ، ووَلَّى حثيثاً، أي مسرعاً حريصاً. وفرس جواد المحتة ، أي إذا حُتَّ جاءه جري بعد جري. / الجوهرى ، مصدر سابق ، (حثث) ، ج ١ / ٢٧٨ .

(٣) . (المُرُودُ) بِالْكَسْرِ الْمِيلُ. وَفُلَانٌ يَمْشِي عَلَى (رُودٍ) بِوَزْنِ غُودٍ أَيْ عَلَى مَهَلٍ . / الرازي ، مختار الصحاح ، (مرجع سابق) ، (ر و د) ص ١٣١ .

(٤) . سَبُوحاً أَيْ تُسْرَعُ بِرَاكِبِهَا. / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (ج م ح) ، ج ٤ / ١٠١ .

(٥) . المعامع: شدة الحرب والجد في القتل. والأصل فيه: من مَعْمَعَةِ النار، وهو سرعة التهابها / الأنباري . أبو بكر .
الزاهر في معاني كلمات الناس ، مصدر سابق ، (معمع) ، ج ١ / ٤٢٦ .

(٦) . السَّلَكُ: الدرغ الضيقة الخلق. / الجوهرى ، مصدر سابق ، (سلك) ، ج ٤ / ١٥٩٠ .

(٧) . تَضَاءَلُ الشَّيْءُ: إِذَا تَقَبَّضَ، وَأَنْضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ . / الزبيدي ، مرجع سابق ، ج ٢٩ / ٣٤٠ .

(٨) . الكندي ، امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي . ط ٢ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ، ص

تظهر هذه الأبيات التشابه بين الفارسين العباس وامرئ القيس ، غير أنّ العباس ذكر خيله بأسمائها ، وفي ذلك تأكيد لقوتها وأصالتها وطواعيتها للفارس ، ومعرفته هو بها وبقدرتها على خوض المعارك ، وفي أبيات العباس الأخيرة التي اعتمدت على السرعة والإيقاع الموسيقي البديع ، وهي من رجزه أعطت صورة فنية لحركة الفرس عند جريها ، وشبه امرؤ القيس خيله في سرعتها بأنها سبوح جموح عند العدو ، كأنها النار في اشتعالها وسرعة انتشارها ، لكن العباس وإن كان تالياً له ، فقد أبدع بتشبيه خيله عند قدومها كلمع البرق ، ومن المعروف أن لمع البرق فيه من السرعة وشدّ الانتباه مع السرور أكثر من النار التي تنبئ عن الحرب والخوف ، وليدل على سرعتها قال : (جاش ناظره) حار في الصعود إلى أين؟ وكأنّ الفرس يسأل نفسه إلى أين سيصل به بصره وهل سرعتها ستصل لسرعة بصره ؟ .

وفي افتخار امرئ القيس بفرسه وضمورها ورشاقتها ، يقابله رسم العباس لحركة فرسه بأنه : (يسبح أولاهه ويطفو آخره) ، والملاحظ أن امرأ القيس وصف رشاقة خيله ، وأنها مشدودة السكّ تشبيهاً لها " بالدرع المسرودة المتداخل بعضها مع بعض " (١) ، وأنها كالمبرد حال عدوها لشدة خفة حركتها ، في حين اكتفى العباس بوصف الحركة ، ليجمع له هيكل الفرس وحركتها ورسم الصورة معاً ، وفي هذا دلالة على قدرته على التصوير والإبداع . ولم تقتصر تشبيهات العباس ودلالاتها على الخيل ليصوّر بها مدى شجاعته وفروسيته ، بل استعان بكل ما له صلة بالفروسية ، ومن ذلك السلاح في قوله :

﴿ نُدَيْفُكُمْ - وَالْمَوْتُ يَبْنِي سُرَادِقاً ﴾ (٢) عَلَيْنُكُمْ - شَبَا (٣) حَدِّ السُّيُوفِ الْبَوَاتِكِ (٤)
تَلُوحُ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقٌ تَلَالُأً فِي دَاجٍ (١) مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ (٢)

(١) . الكندي ، امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ت : المصطاوي ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٢) . السردق : كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب ، أو الحائط المُشتمل على الشيء / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (سردق) ، ج ٩ / ٢٩٣ .

(٣) . الشبا : جمع شباة ، وشباة كل شيء : حدّه / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (بشواي) ج ٢ / ١٠٢٣ .

(٤) . البتك : القطع . وقيل : هو قطع الشيء من أصله ، وسيف باتك ، وبتوك : قاطع . / المرسي ، ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (بتك) ، ج ٦ / ٧٧٩ .

ويظهر للقارئ أن الصورة التشبيهية تتضح في قوله: (كَمَا لَاحَ بَارِقٌ) ، حيث شبه صورة السيوف الحادة اللامعة وهي تلوح بسرعة في أيدي الفارس وقومه ، بصورة البرق اللامع وومضه الخاطف السريع في وسط الليل المُظلم ، وتبع ذلك وجه الشبه للمعان والتحرك بسرعة خاطفة في وسط ظلمة حالكة ، والصورة التشبيهية كما يظهر للباحثة من التشبيه (المركب التمثيلي) فقد قرن بين المشبه والمشبه به بالكاف ، وقصد الشاعر من هذه الصورة التشبيهية أن " يصف السيوف القاطعة إذ تلمع في الأيدي كما يلمع برقٌ في الليل الحالك " (٤)

وجاء التشبيه بالبرق في هذه الصورة ليحوي الحركة والشكل واللون ، فالحركة في سرعة البرق الخاطفة كسرعة السيف في القطع ، وهذا دلالة على أنه حاد وماض ، أما الشكل فبعض هيئات السيوف كالبرق في اللون والحجم الذي يظهر للناظر من بعيد ، وكذا في اللامعان ويظهر هنا اهتمامه بالأمور البصرية والحسية ، من خلال وصفه لحركة السيف (تلوح) واللمعان (تالألأ) فتألف أحرف هذه الكلمة يُوحى بوميض البرق ولمعانه ، وبه مرونة وسلاسة على اللسان لتباعد مخارج أحرفها الذي هو أحد مطالب الفصاحة عند البلاغيين ، وهناك أمر آخر في اختيار العباس للبرق ؛ وهو أنّ لمع البرق يلفت الانتباه ، وفي سرعته دليل على سرعة رد الشاعر على ما فعله ابن جذل ، والبرق عادةً يقتزن بالرعد ، وهذا بدوره يُعطي صورة دلالية أبعده ؛ وهي صورة سرعة البرق مقابل سرعة الرد ومضي السيف ، وقوة صوت الرعد مقابل غضب بني سليم وشدة بأسهم و أصوات الحرب وهلع بني فراس وخوفهم ، وهنا أمر نفسي أو صورة نفسية أضيفت إلى سابقتها التي حوت التهديد والوعيد في بدء أبياته ، واكتملت الصور البيانية في بدء الأبيات عن طريق الصورة التشبيهية بأبعادها الثلاث

(١) . الدجو: الظلمة. وليلة داجية مدجية / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (د ج ج) ، ج ٦ / ١٦٨ .

(٢) . حَلَّكَ : أسود مثل حلك الغراب وهو سواده، وأسود حالك وحلكوك ، وقد احلوك الشيء: اشتد سواده. /

الزمخشري ، أساس البلاغة . ، مصدر سابق ، (حلك) ، ج ١ / ٢١٠ .

(٣) . السلمى . العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) . بسج ، العباس بن مرداس (شاعر الفخر والحماسة) ، مرجع سابق ، ص ٥٨

: المكانية في إحاطة العدو بهم ، و الزمانية في وقت المعركة وهو الليل ، والنفسية في غضب بني سليم مما حلّ بقائدهم وإثارة الخوف والهلع في نفوس بني فراس .

ويذكر ابن عبد ربه^(١) أنّ هذه الأبيات جاءت رداً على أبياتِ قالها عبد الله بن جدل حين قتل زعيم بني سليم (عمرو بن الشريد) ، انتقاماً من قتل بني سليم لقادتهم وسببهم عدداً من بني فراس الذين ينتمي إليهم ابن جدل هذا وسُمِّيَ ذلك اليوم بيوم (برزة)^(٢) ، وهو من أيام العرب المشهورة ، فافتخر ابن جدل بمقتله لابن الشريد وقال :

بَجَنْبَتْ هِنْدًا رَغْبَةً عَن قِتَالِهِ إِلَى مَالِكٍ أَعَشُو إِلَى ضَوْءِ مَالِكِ
قَتَلْنَا سَلِيمًا عَثَّهَا وَسَمِينَهَا فَصَبْرًا سَلِيمًا قَدْ صَبْرْنَا لِذَلِكَ
فَإِنَّ تَكُ نِسْوَانِي بَكَيْتُ فَقَدْ بَكَتْ كَمَا قَدْ بَكَتْ أُمُّ لِكْرَزٍ وَمَالِكِ^(٣) .

وجاء الرد في اليوم التالي وهو ما سُمِّيَ بيوم الفيفاء ، وهو كذلك من أيام بني سليم المشهورة " ^(٤) ولم يكتفِ العباس بذلك الردّ بل اتخذ من الشعر وسيلة للوعيد والتهديد ، ويظهر ذلك من خلال الألفاظ القوية التي تحمل في طياتها معنى البأس والقوة والشدة ، فقول العباس :

(١) . ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكيم الأموي، وكانت ولادته في عاشر رمضان سنة (٢٤٦ هـ) كان من العلماء المكثرين من المحفوظات و الاطلاع على أخبار الناس ، وصنف كتابه " العقد " الذي حوى جيد التراث ، وله ديوان شعر جيد ، وتوفي سنة (٣٢٨ هـ) سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة ، وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام، رحمه الله . / البرمكي ، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان الإربلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٠٠ م .) ج ١ / ١١٢ .

(٢) . انظر قصة يوم برزة ويوم الفيفاء في كتاب / الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، ط ٢ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٥ م) . ج ١ / ٣٨٣ .

- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٤٦٠)

الهمداني ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي زين الدين ، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ، د . ط ، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٤١٥ هـ) ص ١١٧ .

(١) . الأندلسي ، ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج ٦ / ٣٨ .

(٢) . الهمداني ، أبو بكر ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

- الأندلسي ، ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج ٦ / ٣٨ .

(نُذِيْقُكُمْ) استعان بالفعل المضارع ليدلّ على الاستمرار، وأنّ الحرب بينهم لم تنته بعد ، وكأنّه يقول : ما دمتم تقاتلوننا فسنقاتلكم ونرد عليكم بأضعاف ذلك ، وأنه سيجعل الموت كالمذاق لهم وفي هذا (استعارة تصريحية) ، فقد استعار المذاق للطعن والقتل ؛ ليكون الوعد والتهديد أقوى وأقسى، وفي قوله : (والمَوْتُ يَبْنِي سُرَادِقًا عَلَيْنُكُمْ) ، يصف حالهم بأنّ الموت يحيط بهم حال قدوم العباس وقومه إليهم إحاطةً شديدة ، كأنّه يبني عليهم سوراً شديداً التحصين حاداً ، وحتى يُشعر بالإحاطة من جميع الجهات قال : (عليكم) وأنه يأتيهم من الأعلى فيشملمهم جميعاً ، وفي البيت (استعارة مكنية تشخيصية) ، حيث جعل الموت كالإنسان الذي يبني ، وحذف المشبه وأتى بصفة من صفاته وهي البناء على سبيل (الاستعارة المكنية) ، وذلك حتى يدخل الذعر في نفوس أعدائه في ذلك المكان ، فقد كان في مكان لا ماء فيه معروف بشدّة الحرارة ؛ ولذا أطلق على ذلك اليوم يوم الفيء^(١)، وهذا السور شديد التحصين حاد؛ لذا قال عنه : (شَبَا حَدَّ السُّيُوفِ البَوَاتِكِ) فهو لحدته وشدّته أحد من السيف القاطع ، بمعنى أنّه سور من الموت يحيط بهم في مكان لا ماء فيه وفي منطقة عرفت بشدّة الحرارة ، وهو لشدته يقطع الأنفاس كما يقطع السيف الرقاب ، ولعله تصوير لما سيحل بهم، ومنه انتقل إلى السيوف وشكلها ، وحدثها ، ولمعانها فقال: (تَلُوْحُ بَأْيْدِينَا كَمَا لِأَحْ بَارِقُ) ، يصف الحركة والخفة والمرونة ، واعتياد بني سليم على حمل السيوف فهي (تلوح) لخفتها وسرعتها ، وفروسية صاحبها وشجاعته ، وإقدامه ، واختار لتصوير حركة السيف ، وبريقه وظلمة الليل (البرق) الذي يتلأأ في غسق الليل وجونه حتى يتضح ضوءه للعين أكثر من أي وقت آخر، ولم يختار النجوم أو الشهب كما هي عادة أغلب الشعراء ، ومنهم العتابي في قوله :

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَفْفًا كَوَاكِبُهُ البَيْضُ المَبَاتِيرُ^(٢) .

فخيل العتابي في هذه الأبيات هي من تبني فوق الرؤوس أسففاً من السيوف الباترة القاطعة ، في حين أنّ الموتَ يجلُّ بأعداء العباس ويحيطُ بهم من جميع الجهات ، على أنّ منهم من اختار

(١) . انظر القلقشندي ، مرجع سابق ، ص ٤٦٠ .

(٢) . لم أجد له ديوان والبيت في / العسكري ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل ، المصون في

الأدب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ؛ (مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤ م) . ص ٦٦

البرق في تشبيهه لمع السيف وشدة بريقه ، لكنّ العباس ينتقي عادة الألفاظ الدالة على المعاني للدلالة على أمر بذاته كسرعة الرد ، أو لفت الانتباه وغيرها .

ولئن كان الشاعر ذا خبرة واسعة في مجال المعارك والحروب ، والدِّفاع فقد أجاد تصوير تلك المعارك ووصفها ، فمرة يأتي بالوصف الخارجي فقط ، ومرة بالأمر الخارجي والداخلي ؛ وأقصد هنا بالخارجي كما مرَّ سابقاً في وصفه لأعدائه وإحاطة الموت بهم ، والسيوف وبريقها في ظلمة الليل ، ويتضمن ذلك وصف داخلي لمشاعر العدو وخوفهم وتخويفهم، ومشاعر الغضب في نفوس بني سليم ، وقد ساعده في ذلك اعتماده في صورته على حاستي البصر والسمع بالخصوص ؛ لكونهما أقوى حواس الإنسان ولارتباطهما " بعالم الشهادة فقط، فأنت تسمع وتبصر ما هو موجود متعين في عالم الشهادة، ، وحاستا السمع والبصر يقتصر دورهما على تحصيل المعارف الجزئية الحسية الآنية اللحظية فقط " (١) ، واعتماده على الألوان والأصوات مرتبط بالبيئة في ذلك الوقت ، وقد تعددت فنونه في استخدامهما ما بين وصف ، ومدح وهجاء ، ونلاحظ في الشاهد السابق أنه أتى بالتشبيه بين لونين متباعدين هما الأسود والأبيض (ظلمة الليل ولون البرق) ، كما لجأ إلى الألوان لرسم لوحة فنية في الهجاء في قوله :

سَوَاهِمٌ (٢) كَالْقِدَاحِ (٣) مُسَوِّمَاتٍ (٤) وَكُمْتًا (٥) لَوْنُهَا كَالْوَرْسِ (٦) صَافٍ (٧)

انظر لتعدد الألوان وتنوع الأشكال في قوله : (كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ) ثم وسع في رسم الصورة التشبيهية بقوله : (وَكُمْتًا لَوْنُهَا كَالْوَرْسِ صَافٍ) ، في هذا الشاهد أكثر من صورة تشبيهية

(١) . الجليليد ، محمد السيد ، الوحي والإنسان - قراءة معرفية ، د.ط. ، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع) ، ص١٤٣ ، بتصرف.

(٢) . خيل سواهم: إذا اعترق التعب لحم وجهه ، وإبل سواهم : إذا غيّرنا السفر . الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (سمه) ، ج ٢ / ٨٦٢ .

(٣) . القِدْحُ ، بِالْكَسْرِ: السهم قَبْلُ أَنْ يُنْصَلَ وَيُرَاشَ، وَهُوَ الْقِدْحُ قَدْ دَخَّ السَّهْمَ ، وَجَمْعُهُ قِدَاحٌ / ابن منظور ، مرجع سابق ، (قدح) ، ج ٢ / ٥٥٦ .

(٤) . الوُوسَمُ: أَرْتَكِبُهُ ، تَقُولُ: بَعِيرٌ مَوْسُومٌ: أَي قَدْ وُوسِمَ بِسَمَةِ يُعْرَفُ بِهَا / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (سام) ، ج ١٣ / ٧٧ .

(٥) . الكمته: لون أسود يخالطه حمرة / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (كمته) ، ج ٢ / ٧٩٧ .

(٦) . الوُورْسُ: صَبِغٌ ، وفعله: التَّوْرِسُ . والوارسُ: نَبْتُ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ لَطَّخَ يَخْرُجُ عَلَى الرِّمْتِ بَيْنَ آخِرِ النَّبْتِ ، إِذْ أَصَابَ التَّوْرِبَ لَوْنُهُ / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (ورس) ، ج ٧ /

(٧) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

صورة القداح في الحدة واللون والقوة ، و صورة الورس في اللون والدرجة والندرة والقوة والجمال ، فهي خيل حصينة قوية يهتم بها صاحبها ويصونها ، تُثير النقع حال انطلاقها ، فهي كالسهام، وهي من أجود أنواع الخيول ، ولعنايته بما تراها في تمام نظافتها ولمعاتها ولذا كان لوئها كالورس صاف ، ما دلّ بدوره على استعدادها للقتال في كل وقت ، والصورتان هما من التشبيه (المرسل المجمل) ، فقد جاء بالأداة في التشبيهين ، وترك للخيل تصور وجه الشبه شكل الخيل ولونها وحركتها وأصالتها، وقد رُشح التشبيه بالكناية عن أنها جاهزة لخوض المعارك ، وأنّ لها سميتها التي تُعرف بها من بين الخيول جميعاً ، ومن تلك السمات لوئها الأسود وبه حمرة بسيطة ، وهي من علامات جمال الخيول عند العرب بل هي من " أحبّ الألوان إلى العرب مع الحوّة ، وهي أصلبها ظهوراً وجلوداً وحوافر " (١) ، فهذا الوصف أوجز جميع ما لدى الخيل من قوة وأصالة ، فهي خيل كالرماح في السرعة والمضي ، ولونها من أجمل الألوان وأحبها إلى العرب ، وله درجات فالكميث "معرب" ، وأصله بالفارسية كميتة أي مخلط كأنه اجتمع فيه لوان سواد وحمرة وقال قوم هو مصغر على طريق الترخيم من أكرمت كزهير من أزهر ، ولا يُستعمل إلاّ مُصغراً وإيما لزمه التصغير على هذا القول ؛ لأنّ فيه بعض السواد وبعض الحمرة ولم يكمل سواده ولا كملت حمرة فلذلك استعمل مُصغراً " (٢) ، فهذه إحدى علامات قوته وسمات أصالته ، ولما شبهه في الأولى بالقدح في الحدة واللون والسرعة ، أضاف له صفةً أخرى وهي اللون (كمتاً) لونه مميز يجمع لونين ، أضاف إليها صفةً ثالثة تزيد من سمات خيل الشاعر و قيل بني سليم فحين وصفه بالكميت ، وصف درجة تلك الحمرة بقوله: (وَكُمْتاً لَوُّهَا كَالْوَرَسِ صَافٍ) ، فالورس درجة من الصّفرة وزادها بأنّ تلك الصّفرة صافية ، علّها من السمات الخاصة بالعباس ، أو لعله صبغها باللون الأصفر الصاف لتكون سمّة لها دون غيرها ، وقد يكون القصد من التشبيه بالورس : الجودة والنضارة والصفاء لأنّ من معاني الورسيّ : " الأقداح النُّضار ، ومن أجودها " (٣) ، أو أنّه

(١) . المرسي ، ابن سيده ، المخصص ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٨٩ .

(٢) . الجواليقي ، ، أبو منصور ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن ، شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ،

تحقيق : مصطفى صادق الرافعي ، د.ط ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) ، ص ١٦٠

(٣) . الفراهيدي ، مصدر سابق ، (ورس) ، ج ٧ / ٢٩١ .

أراد من هذا التشبيه الندرة ؛ لأن نبات الورس يُؤتى به من اليمن ^(١) ، فلا مثل لها في جزيرة العرب كلُّ هذه الصفات ظهرت للباحثة من خلال الصورة التشبيهية فقد بينت صفات الخيل ، من سرعة انطلاق وقوته ، وصفاء لون ، وحُسن رعاية ، واتضح أنّ الكُمْت ما هو إلا من السّمات الخاصة بخيل الشاعر ، ولذا زاد في السّمات بالوصف الثاني حتى يفسّر ماهي السمات التي امتارت بها خيله ، وأنّ خيلاً بهذه القوة ، والجودة ، والمتانة مخدومة ومصانة إذاً هي على استعداد تام لخوض المعارك ، وما اعتنى بها صاحبها إلا لخوض المعارك بها ، ودليل آخر هو اللون الذي يغطي وجوه الخيل (سواهم) ، لون نتج من كثرة السفر والعراك ، فكيف يُهدّد صاحب هذه الخيل بالقوافي ؟ .

والشاعر في هذا اتخذ من شعره سلاحاً لا يقل عن سيفه ورمحه، ومن ذلك هذه الأبيات التي مزجت بين الوصف ، والفخر ، والهجاء ، فقد ردّ بها على ابن عمه خفاف ومطلع القصيدة :

ألا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خُفَافاً فَايِّيَ لَا أَحَاشِي مِنْ خُفَافِ
أَهْدِي لِي الْوَعِيدَ عَلَى التَّنَائِي وَمَا مِثْلِي يُخَوِّفُ بِالْقَوَائِي ^(٢)

وقد كان خفاف قد أرسل إليه بأبياتٍ شعرية يتوعده فيها :

أَعْبَاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَلَمَّا تُخَيِّرُكَ الْمَجَامِعُ عَنْ خُفَافِ
سَتَأْتِيكَ الْقَوَائِي مِنْ قَرِيضِي مُلْمَلَمَةً كَجُلْمُودِ الْقِدَافِ
وَتَشْرَبُ مِنْ لَظِي حَرِي كُؤُوسًا أَمْرٌ بِفَيْكَ مِنْ سُمَّ ذَعَافِ ^(٣)

هذه النبذة الحادة والتهديد جعل العباس يرد عليه بأنه لا تخوفه القوافي ولا يهدد على بُعد ، بل سيخبر عدوه بما لديه من خيل وعتاد وقوة، وعليه معرفة التوابع لذلك ، من استعداد وشجاعة وخوض معارك ، والبيت الذي جاء فيه التشبيه كان لوصف خيله ، وخيل بني سليم :

فَلَسْتُ لِحَاصِنِ ^(١) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ ظَهْرِ التَّعَافِ ^(٢)

(١) الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، ج ١١ / ٧١٢٣ .

(٢) . المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

سَوَاهِمُ كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ وَكُمْتًا لَوْهَا كَالْوَرَسِ صَافٍ
فَسَائِلٌ فِي قَبَائِلِ جَدَمِ قَيْسٍ بِنَا عِنْدَ الْعِظَائِمِ وَالْجُحَافِ
تُحْبَرُ أَنَّنَا أَوْلَى بِمَجْدٍ تَوَارَثَهُ طِرَافٌ عَنِ طِرَافِ
وَأَنْدَى عِنْدَ جَدْبِ النَّاسِ رَاحًا وَأَنْفَعُ لِلْأَرَامِلِ وَالضِّعَافِ
هَزَمْنَا إِذْ لَقِينَا جَيْشَ رَعْلٍ وَذَكَوْنَا وَجَمَعَ بَنِي حُفَافٍ
وَمَا أَنْ طِبُّهُمْ جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي (٣)

وبعد أن انتهى من صفات خيله ، شرع في مدح بني سليم بصفات عربية أصيلة منها : المروءة ، والنجدة ، والشجاعة ، والكرم وغيرها من مكارم الأخلاق ، ثم ختم أبياته بتذكير خفاف بما حلَّ بأعدائه من بني رعلٍ ، وذكوان ، وآخِهم جيشه هو ، فقد قضوا عليه برمية قاتلة قاضية دلت على اتحاد بني سليم وقوتهم وإقدامهم وكفى عنها بقوله :

﴿ وَمَا أَنْ طِبُّهُمْ (٤) جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي (٥) ﴾ . (٦)

يظهر في قوله : (وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي) تشبيه أكسب الكناية قبله جمالاً بلاغياً ، وهو من (التشبيه البليغ) ، حيث شبه ضربة أو رمي بني سليم لأعدائهم من بني رعل ، وذكوان ، وبني خفاف ، بثالثة الأثافي ، وهي المهلكة القاضية ولم يأت بأداة التشبيه هنا ، حتى يجعل المشبه كأنه المشبه به ، وحتى يصف بدقة ماحلَّ بأعدائه وما عليه بنو سليم من قوة وفروسية وإقدام ، وفي البيت لون بلاغي زاد من جمال الصورة وتوضيحها وهو (تأكيد المدح بما يشبه

(١) . حَصَنَ: الحِفْظُ و الحِيَاظَةُ و الحِرْزُ. / القزويني ، ابن فارس ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٦٩ .

(٢) . نَعْفٌ مِنَ الْأَرْضِ: المَكَانُ الْمُرْتَفِعُ فِي اعْتِرَاضٍ ، وَقِيلَ: هُوَ مَا انْحَدَرَ عَنِ السَّفْحِ وَغَلِظَ وَكَانَ فِيهِ صُعُودٌ وَهَبُوطٌ. /

المرسی ، ابن سيدة ، الحِمْكُ وَالْحَيْطُ الْأَعْظَمُ ، مصدر سابق ، (نَعْف) ، ج ٢ / ١٨٦ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرادس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) . طَيْبٌ: بَيْنَ الطَّبِّ ، وَطَبٌّ وَمَتَطَبٌّ ، وَقَدْ طَبَّ يَطْبُ ، وَطَابَهُ مَطَابَةٌ ، مِثْلُ: دَاوَاهُ مَدَاوَاهُ ، وَمَا ذَاكَ بَطِيٌّ: بَدَائِيٌّ ،

وَفَلَانٌ طَبَهُ الْمَجُونُ ، وَمِنَ الْمَجَازِ: أَنَا طَبُّ بِهَذَا الْأَمْرِ: عَالِمٌ بِهِ. / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مصدر سابق ، (طَب) ، ج ١ / ٥٩٢ .

(٥) . ثَالِثَةُ الْأَثَافِي: الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَبَلِ ، يُجْعَلُ إِلَى جَنْبِهَا اثْنَتَانِ ، فَتَكُونُ الْقِطْعَةُ مُتَّصِلَةً بِالْجَبَلِ ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ:

رَمَاهُ اللَّهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي: أَيُّ بِالْجَبَلِ: أَيُّ: بَدَاهِيَّةٌ مِثْلُ الْجَبَلِ / الزبيدي ، مرجع سابق ، ج ٢٣ / ٦ .

(٦) . السلمي ، العباس بن مرادس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

الذم) ، وذلك حين نفى عن أعدائه الجبن ، ثم أكد بأن ما أصابهم هو داهية عظيمة لا مثيل لها وليس ضعفاً منهم .

فهو يُثبت القوة والإقدام لعدوه حتى تكون أقوى لديه ، فينفي عنهم داء الجبن ، ولكن بني سليم أحاطوا بهم وقضوا عليهم بل وأهلكوهم ، بثلاثة الأثافي وهي الصخرة العظيمة المهلكة ، كناية عن القضاء التام عليهم، وأعطت الكناية نوعاً من التشخيص للموقف ، كما رسمت منظر نهاية المعركة رسماً بديعاً ، فهذا جزاء من يحارب بني سليم .

وللشاعر ثابت بن قنطة ^(١) بيت شبّه فيه الخيل بالقداح شبيه بيت العباس ، وذلك في قوله :

وَخَيْلٌ كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ لَدَى أَرْضٍ مَعَانِيهَا الْحَمِيمُ ^(٢)

لعل بن قنطة اقتبس من شعر العباس خاصة أنه أتى بعده ، فقد شبّه الخيل بالقداح كما عند العباس ، غير أنه لم يصفها، ويظهر اختلاف خيله عن غيرها، والسّمات التي تميزت بها عن غيرها ، من لون أو شكل أو غيره ، بل اكتفى بوصف المكان من أنها أرضٌ بها المشاكل والمعارك لذا كنى عنها بالحميم .

ومعارك الشاعر التي خاضها وسلّمه مع أعدائه أكسبته الخبرة ، والحنكة في القيادة وفي معرفة الناس وتجربتهم ، حتى صار حكيماً خبيراً بأمور الحياة ، يُنبّه على ما فيها من عثرات حتى يتقيها غيره ، ويُعطي خلاصة تجاربه في الحياة ومن حكمه قوله:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ الْمَرءُ الَّذِي بَاتَ طَامِعًا وَبَاتَ عَلَى ظَهْرِ الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ ^(٣)

(١) . هو من شعراء خراسان وفرسانهم، ذهب عينه، وكان يحشرها بقنطة فسّمى (ثابت قنطة) ، وكان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان ، واسمه ثابت بن كعب بن جابر من بني العتيكات ، وقيل هو مولى لهم ، ويكنى أبا العلاء ، ويقال له قنطة ، عاش في العصر الأموي ، وله القليل من الأخبار كانت في مجلس يزيد بن المهلب ، له ديوان شعر مطبوع حققه ماجد السامرائي ./ الدينوري ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٦١٥ .

(٢) . العتكي ، ثابت ، شعر ثابت بن قنطة ، تحقيق : ماجد أحمد السامرائي ، ط (وزارة الثقافة والإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، د.م ، د. ت) ، ص ٦٢ .

(٣) . الممهّد: المهياً ، المُسوى ، وماء ممهد لا خار و لا بارد ./ مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (مهّد) ، ج ٢ /

جَنَائَةً مِثْلَ السَّيِّدِ (١) يُصْبِحُ طَاوِيًّا (٢) وَيَأْوِي إِلَى جُرْثُومَةٍ (٣) لَمْ تَوَسَّدِ (٤)

ينبّه العباس على أمور قد تُغيّر مجرى حياة الإنسان ، وتجعله ينتقم من غيره وذلك من خلال التشبيه في قوله : (جَنَائَةً مِثْلَ السَّيِّدِ يُصْبِحُ طَاوِيًّا) ، فقد أشار إلى الجوع ، وإلى الشبع ، وإلى الفقر وإلى الغنى (٥) ، وذلك من خلال تشبيه الإنسان المغرور بالثعلب ولقبه بالسيّد ؛ ليحذر المرء من الخداع بالحياة ، وما فيها من مغريات ، أو تغرّه سيادته أو غناه ، وجاء بالأداة (مثل) ليذني طرفي التشبيه من بعضهما ، فانتقام الجائع من الغني ، كاقتناص الذئب لفريسته وأنّه يترقبها ، ووجه الشبه (جنائَةً) ، ليوضح أنّها من قبيل الانتقام ، وليس رداً على هجوم أو نحوه بل هي اعتداء ، وقدم وجه الشبه هنا دلالة على بشاعة العمل والتحذير منه فهو اعتداء ، وانتقام ، وليبن سوء المنقلب فيما بعد ، وعليه يتضح للباحث أنّ الصورة التشبيهية هنا هي من (المرسل المفصل) ، فالجوع في قوله (طاوياً) ، قد يكون سبباً للانتقام من الأغنياء عبر عن ذلك بقوله : (جنائَةً) ، وقد استعاذ منه الرسول - ﷺ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - يقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ ، فَإِنَّهُ يَبْسُ الضَّجِيعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا يَبْسُ الْبِطَانَةَ) (٦) ، والفقر في قوله (طامعاً) فكثيراً ما يطمع الإنسان في الزيادة من كل شيء ، ونقيض الفقر الغنى ، ومن علاماته الفراش

(١) السَّيِّدُ: الذئب، وربما سمي به الأسد / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (سيد) ، ج ٧ / ٢٨٤ .

(٢) . رجلٌ طاوِيٌّ البطن شديداً الطوى إذا ضمّر بطنه من الجوع / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (طاوي) ، ج ١ / ٢٤٢ .

(٣) . الجُرْثُومَةُ: الأصل . / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (جرثم) ، ج ٢ / ١٠٦١ .

(٤) . السُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٥) . انظر بسج ، العباس بن مرداس (شاعر الفخر والحماسة) ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٦) . القزويني ، ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط ١ ، (د . م ، دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ، ج ٢ / ١١١٣ .
- حديث حسن عند الألباني / المصدر السابق ، الهامش .

الممهد ، كل هذه الأمور ينبغي على الإنسان الحذر منها ، فهي مثل الذئب الماكِر الذي يظل طاوياً ينتظر الفريسة ؛ لينقض عليها ، وينتقم منها فيكون بذلك جانياً ، لكن ما يلبث أن يعود لفراشه الأصلي غير الممهد، وحالته التي كان عليها من جوع وحاجة ، وفي الصورة عدّة مقارنات فهناك الطامع ، وهناك صاحب الفراش الممهد ، وبها الجائع ، وكذا المحبط الذي أصيب بحببية أمل ، فقد كان يظنّ أنّه سيظلّ أبد الدهر غنياً ، فإذا به يصيبه الفقر، ويلجأ إلى فراشه القديم ، وهذا التشبيه يعود بنا إلى الحالة الأصلية التي كان عليها الإنسان ، وأنّه حُلِق من طين في قوله (جرثومة)، وفيه تنبيه للإنسان بالألّا تعرّهُ الحياة ، فمهما كان عليه من قوة وسلطة وشبع وغنى ، نهایته الزوال وفراشه التراب التي لم تُوسد ، وهي الأصل في نشأته وإليها يعود ، والصورة فيها دعوة لتجنب الظلم والعطف على الفقير ومساعدته وعلى التكافل الاجتماعي وحب الخير للآخرين ، والحذر من الاعتداء على الغير .

اتضح مما سبق تعدد دلالات الصورة التشبيهية عند العباس ، وتنوعها ، وتنوع أغراضها وبالعودة إلى المعاني الدقيقة لها ظهرت معانٍ متعددةٌ منها : ما كان الفخر الغرض الأساسي لها، ومنها ما كان هدفه وصف الجمال بأنواعه من جمال الطبيعية، وجمال الخيول، وجمال النفوس في العفو والتحلي بمكارم الأخلاق ، وأخرى تحذيرية من الدنيا وما فيها من غدر ومكر، وثالثة تربوية في الإحساس بالفقير ، والعطف عليه ، والإحسان إليه ، أما الدلالات النفسية التي توحى بها الأبيات، وارتباطها بقائلها وحالته ، فهو ما سيتضح من خلال المستوى النفسي للصورة التشبيهية عند العباس في المبحث التالي .

المبحث الثالث: المستوى النفسي

يعدُّ التشبيه أحد أدوات التصوير المبدعة ، وأبرز طرق التعبير غير المباشر^(١) التي يُصوّر بها الموقف أو المكان ، أو الموقف والمكان معاً ، وقد يُصور بها الحال ويُوصف ، فقد يلجأ الشاعر إليها ليصوّر بها حالته النفسية ويكشف بها عن خلجاته من فرحٍ أو حزنٍ أو معاناةٍ، ولها دورها الخلاق في إظهار إبداع الشاعر وقوة قريحته ودقّة معانيه وسلامتها .

والتركيب اللغوي أو الصور اللفظية ما هي إلا أثر يطبعه الشاعر في فنّه ويظهر من خلال النصّ ، وهذه الأمور النفسيّة التي يعمل الشاعر على إيصالها للمتلقّي عن طريق الصورة التشبيهية ، هي نتاج تركيب نفسيّ حاول العلماء اكتشاف آثاره الموجودة في النص ودلالاتها على قائلها وتصويرها لحالته النفسيّة، ودلالاتها الظاهرة الخفيّة من خلال المنهج النفسي الذي يقوم على " كيفية حدوث العمل وطبيعته من الناحية النفسية ، العلاقة النفسيّة بين التجربة الشعورية والصورة اللفظية ، وكيف تُستنفد الطاقة الشعوريّة في التعبير عنها ، والحوافز الداخلية والخارجية لحدوث العمل الأدبي ، ودلالة العمل على نفسيّة صاحبه ، وكيف تراقب هذه الدلالة ، وكيف تُستنتق من دراسة العمل النفسيّة ، وكيف يتأثر الآخرون بالعمل " ^(٢) ، و المنهج النفسي مع أنّه وليد الحضارة اليوم ، فقد وُجد في النقد العربي القديم بعض الملاحظات النفسيّة عند النقاد العرب منها قول القاضي الجرجاني : " إن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودمائة الكلام بقدر دمائة الحلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الجاني الجلف منهم كزّ الألفاظ ، معقّد الكلام ، وعرّ الخطاب ، حتى إنك رُبّما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته ، وفي جزسه ولهجته " ^(٣) ، كما أشار العلماء إلى حالاتٍ خاصة يُبدع فيها بعض الشعراء ويصل فيها التصوير إلى قمة الإبداع منها قولهم : "

(١) . انظر ناجي ، د. مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربية ، ط١ ، (لبنان : بيروت ،

المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، ص ١٩١ .

(٢) . قطب ، سيّد قطب ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

وانظر ، السلمي والغوث ، عبد الله ومختار ، مناهج البحث في اللغة والأدب ، د.ط (خوارزم العلمية للطباعة والنشر ، ١٤٣٠ هـ) ، ص ١٦٢ .

(٣) . الجرجاني ، القاضي ، مصدر سابق ، ص ١٨ .

كان امرؤ القيس أشعر الناس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب" (١)، وهذه الحالات الخاصة يظهر فيها الشعور، وإطلاقهم الحكم لكل واحد دليل على ارتباط شخصيتهم بهذه الحالات، فامرؤ القيس فارس إذا ركب خيله أبدع وأجاد وانطلق خياله، أما النابعة فالرهبة هي المحفزة على الإبداع وقول الشعير، وكذا الرغبة عند زهير إذ هي المحفزة والمؤثرة في إبداعه، أما الأعشى الذي هو صناجة العرب (٢) فإبداعه مرتبط بالطرب، وفي هذا يظهر كيفية حدوث العمل وطبيعته من الناحية النفسية وهو أحد أهداف المنهج النفسي الحديث، ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن رشيق عن ذي الرمة فقد "سئل ذو الرمة: كيف تعمل إذا انقفل دونك الشعير؟ فقال: كيف ينقفل دوني وعندي مفتاحه؟ قيل له: وعنه سألتناك، ما هو؟ قال: الخلوة بذكر الأحابيب" (٣)، علق ابن رشيق على هذا الكلام بقوله: "فهذا لأته عاشق، ولعمري إنه إذا انفتح للشعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب، ووضع رجله في الركاب، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء، وإنما كان واصف أطلال، ونادب أظعان، وهو الذي أخرجته من طبقة الفحول" (٤)، وفي كيفية استفاد الطاقة الشعورية في التعبير عنها، والحوافز الداخلية والخارجية لحدوث العمل الأدبي، يرى حازم القرطاجني أن بواعث الإبداع "تنقسم إلى أطراب وإلى آمال، وكان كثير من الإطراب إنما يعتري أهل الرّحل بالحنين إلى ما عهدوه، ومن فارقوه، والآمال إنما تعلق بخدام الدول النافعة، ووجب ألا تكمل تلك المهيات للشاعر إلا بطيب البقعة، وفصاحة الأمة، وكرم الدول، ومعاودة التنقل والرحلة، فقلماً برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمة فصيحة، ولا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في أعمال الروية الثقة بما يرجوه من تلقاء الدولة، ولا في رقة أسلوب النسيب من لم تشطّ به عن أحبابه رحلة، ولا شاهد موقف فُرقة" (٥)، أمّا الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد اهتم

(١) . العسكري، أبو هلال، الصناعتين، مصدر سابق، ص ٢٣ .

(٢) . الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ج ٢ / ٢٥٠ .

(٣) . القيرواني، ابن رشيق، مصدر سابق، ج ١ / ٢٠٦ .

(٤) . المصدر السابق .

(٥) . القرطاجني، حازم، مصدر سابق، ص ٣٧ .

بالأثر النفسي والمعنى الدلالي للكلمة؛ ليبرهن بها على صحة قوله ونظريته ، وخاصةً التأثير في نفس المتلقي والتعبير عما يجول في نفس المُنشئ من ذلك قوله : "ومنّ المعلوم أن لا معنى لهذه العباراتِ وسائرِ ما يجرى مجراها، مما يُفرد فيه اللفظُ بالنعْتِ والصفةِ ، وينسبُ فيه الفضلُ والمزيةُ إليه دونَ المعنى ، غيرُ وصفِ الكلامِ بِحُسْنِ الدلالةِ وتَمَامِها فيما له كانت دَلالةُ ، ثم تَبَرُّجها في صورةٍ هي أبهى وأزِينُ وآتقُ وأعَجَبُ وأحَقُّ بأن تستوليَ على هوى النفس ، وتنالَ الحظَّ الأوفرَ من مِثْلِ القلوبِ، وأولى بأن تُطَلِّقَ لسانَ الحامدِ، وتُطِيلَ رَغَمَ الحاسدِ " (١) ، ولهذا فسَّرَ الشيخ أسباب تفضيل بعض الأدباء والنقاد لشعر امرئ القيس " فقد عَلِمْنَا أن امرأ القيس كان أشعرهم عندهم ، وأن تفضيلهم غيره عليه إنما كان على سبيل المبالغة، وعلى جهة الاستحسان للشيء يتمثل به في الوقت ويقع في النفس " (٢) ، ولأجل هذا جعل الدعامة الثانية من نظريته ، دعامة نفسية ، وذكر أن الألفاظ تتوالى في النطق بحسب تواليها في النفس (٣) ، وتعدُّ كل هذه التفاسير والآراء " محاولات أولية لتفسير الأدب منها معرفتهم لبواعث الشعر وأنها : إما الرغبة أو الطمع أو حب الشهرة ... فنشر هذه الأعمال يُدغدغ فيهم شعور الزهو عندما يرون نتائج عقولهم يشغل عقول الآخرين .. ومن تلك التفسيرات كذلك أن الأديب لا يكتب لكي يستمتع بثمار عقله على نحوٍ أو آخر ، وإنما هو يكتب لأنه يستمتع بعملية الإبداع ذاتها ، فهذه المتعة حافزة على الكتابة ؛ لأنه يتخلص بها من وطأة الظروف على نفسه " (٤) .

إنَّ النقد النفسي أو الدراسة البلاغية النفسية تهتمُّ بأمور؛ لتكتشف من خلالها جمال النصّ لا تعقيده فـ" القصيدة ترتبط باللاشعور بألف خيط وهذه الخيوط هي التي تُغذيها وتُثمِّنها ، والنقدُ النفسي يجب أن يغوصَ في اللاشعور ، لكن ليس كطبيب بل كعالم جمال ، يكشفُ

(١) . الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، شاکر ، ص ٤٣ .

(٢) . المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .

(٣) . انظر الظهار ، أ. د . نجاح أحمد عبد الكريم ، نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني " دراسة ، وتحليل ، ونقد " ، ط ١ ؛ (دار الرشد ، د.ت .) ، ص ٤٥ .

(٤) . اسماعيل ، عز الدين ، التفسير النفسي للأدب ، ط ٤ ، (الفجالة : مكتبة غريب) ، ص ٣٤ .

عن سرّ الجمال في القصيدة ، وليس عن المرض النفسي " (١) ، فاللاشعور هنا ما هو إلا دواخل النفس وما يجيش بها من أحاسيس ، أو ما يُسمى بالشعور الداخلي (٢) ، والكشف عن المعاني النفسية التي تخدم النصّ ، هو الهدف من هذا المبحث ، والذي اخترت له وحدة فنيّة متكاملة وهي قصيدة " المنصفة السيينية " للعباس بن مرداس ، وقد اختارتها الباحثة لأسباب عدّة أهمّها:

١- لقيت هذه القصيدة عناية خاصة من عدد من العُلماء والأدباء ، ومنهم الأصمعي فقد أوردتها كاملة تحت مسمى المنصفات (٣) ، كذلك المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام (٤) ، أوردتها أيضاً الأخفش الصغير وشرحها (٥) ، في حين اختار البغدادي بعضاً من أبياتها للاستدلال بها على معنى الانصاف (٦) ، كما اهتمّ بها بعض من العلماء المحدثين ، وعنو بشرحها ، وبيان معانيها (٧) .

٢- لأنّ دراسة وحدة فنيّة كاملة يُسهّم في كشف الجوانب النفسيّة بشكل أكبر .

(١) . اسماعيل ، عز الدين ، التفسير النفسي للأدب ، ص ١١٤ .

(٢) . الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القرآن ، ط ٤ ، ٢٤ ؛ (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠ م) ، ص ٢٦ .

(٣) . الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الأصمعيات ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

والمنصفات هي القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حرّ اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم من إخماض الإخاء .. / البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط ٤ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ، ج ٨ / ٣٢٧ .

(٤) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣١٧ وما بعدها .

(٥) . الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان بن الفضل ، الاختيارين ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، ط ١ (لبنان : بيروت ، سوريا : دمشق ، دار الفكر المعاصر ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ص ٧٣٣ ، وما بعدها .

(٦) . البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، مرجع سابق ، ج ٨ / ٣١٢ .

(٧) . الملوحي ، عبد المعين ، المنصفات ، مرجع سابق . ص ٦١ .

- عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

- بسح ، العباس بن مرداس (شاعر الفخر والحماسة) ، مرجع سابق ، ٦٤ ، ٦٥ .

- مقبل ، ثابت محمد صغير (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، المنصفات في العصر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ، فرع الأدب ، مكة المكرمة ، ص ١٩٨ ، ٢٤٤ .

٣- الموضوع الرئيس لهذه القصيدة الإنصاف ، وهذا حُلق نُدرَ في زمن الجاهلية حيث القتال على الكلاً والماء ، والثأر من القاتل وغيرها ، وله علاقة بالشعور الجمعي الداخلي ، فالإنصاف من الأمور التي أدركها الشاعر العربي " بفطرته السليمة وذكائه الأصيل ، فأنصف في البغضاء الخالصة كما أنصف في الإخاء المحض " (١).

٤- حوث القصيدة الكثير من الصّور التشبيهية البديعة ، ودراستها في إطارها العام يُبيّن جمالها اللغوي والبلاغي والأسلوبي أكثر من لو كانت الدراسة لكل صورة على حدة . أكثر من اهتم بهذه القصيدة كان لأجل بيان موضوع الانصاف ؛لكون المنصفات من الأشعار العربية النادرة التي يشترط للراوي أن يذكرها بين أشعاره حتى تصحّ روايته .

وهو ما أشار إليه الجاحظ بقوله: " وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين ، ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب، ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، وأشعار اليهود، والأشعار المنصفة ، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة " (٢) ، والغالب في شعر الانصاف أنّه نتاج " الحروب الطويلة العنيفة التي خاضها العرب في صحرائهم على أعدائهم حيناً ، وعلى أصدقائهم حيناً ، وعلى بني عمومته حيناً ، بل على إخوانهم أحياناً إذا قست عليهم الطبيعة وأجحفت بهم السنون .. " (٣) ، ذلك أنّ العرب اعتادت الغزو ، ومنه قولهم : " الغزو أدُرُّ للقاح وأحدُّ للسلاح " (٤) وقد كانت شريعة الغزو المقدسة في الحياة الجاهلية " استجابةً لدافعين اثنين : لمطالب الأمن من ناحية ، ولمطالب الحياة من ناحية أخرى " (٥) ، معنى هذا أنّها نتيجة لمجموعة تجارب نفسية أورتها ما يُسمى (بالإحساس الجمعي) ، وقصيدة العباس هذه هي إحدى تلك النتائج، فقد ذكر المؤرّخون أنّها قيلت في غزو بني سليم لبني عمرو بن معد يكرب الزبيدي " فجمع هُم عمرو بن معديكرب ، فالتقوا بتثليث

(١) . الملوحى ، مرجع سابق ، المقدمة (و) .

(٢) . الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ / ٢٥٩ .

(٣) . الملوحى ، مرجع سابق ، المقدمة (ط) .

(٤) . الدينوري ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢٤٤ .

(٥) . خليف ، مي يوسف ، القصيدة الجاهلية في المفضليات " دراسة موضوعية وفنية " ، د. ط. (الفجالة : مكتبة

غريب ، د.ت) ، ص ٢١ .

من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة فأقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من كبار مرادٍ ستة و قتل من بني سليم رجلان وصبر الفريقان حتى كره كل واحدٍ منهما صاحبه ، فقال عبّاس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى المنصفات " (١) .

والقصيدة هي تصوير حيّ مباشرٌ من أرض المعركة في يوم (تثليث) ، وهو من أيام العرب المشهورة ، والتي بدت حرباً ضروساً بدأت بمسير العباس وقومه " يكنسون أمامهم الظباء فنفرتُ مجفلةً مذعورة يريدون صُحار وآل زُبيد ، وقد ساروا إليهم تسعاً وعشرين ليلةً يقطعون الصّحراء ، ولم يجدوا منهم في الحرب تهاوناً ، فكلُّ حملة بحملة ، وكلُّ جولة وراءها صريع ، وقد شهد صدق العباس في الحرب معبداً وخارقاً وبشيرٌ ، وكان معه ابنا صُريمٍ وعروة وزيد ، واستمرّ القتال وحمّت الدروع فرسان زيد ، وانتهت المعركة بعد قتل ستة من مراد ، وعادت سليم وقد تكسرت رماحها وفرسانها كأنهم الأسد فوق متون الخيل " (٢) ، وكعادة الشعراء الأوائل بدأ العباس قصيدته بالتشبيب والوقوف على الأطلال ووصفها ، وتصوير حالة شوقه لتلك الديار ومحبوته أسماء :

لأَسْمَاءِ رَسَمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ مِنْهَا رَحْرَحَانَ فَرَائِسَا (٣) (٤)

يصف حزنه على ديار أسماء تلك الديار التي عاشا فيها رداً من الزمن ، كيف لها أن تكون خاوية بعد كل تلك الفترة ، يتعجب مما بها من وحشة وما أصابها من إقفار بعد عمار ، أصبحت كالرسم لا قيمة لها ، بعد أن كانت لا مثيل لها في الحسن والعمار ، وخصص موضعين لعلهما من أكثر المواضع قرباً إلى نفسه وهما : (رحرحان والفرايس) ، وكأنّه يوجه لهما السؤال ، ما بكما وما الذي أصابكما بعدي ، أهو بسبب هجر محبوتي أسماء لكما

(١) . الأصبغي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ ، الهامش .

القيرواني ، ابن رشيق ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٢١٧ .

البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، مرجع سابق ، ج ٨ / ٣٢٢ .

(٢) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) . رَحْرَحَانُ وَرَائِسَا : مَوْضِعَانِ / ابن منظور ، مرجع سابق ، (وحش) ، ج ٦ / ٣٦٨ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

؟!، ويظهر هنا نوع من التناغم والتناسق الموسيقي من خلال التصريح في البيت ، المنبعث من تكرار الحرف (السين) الذي له نغمته الخاصة به ،وكأنه يهمس لمحبوته ، ويوحي بشوقه في تكراره لحرف (الراء) كذلك ، وأدت هذه الأحرف دورها في الشعور الداخلي ، وعبرت عن الشوق والحنين حتى كاد الفؤاد أن يكون خاوياً كتلك الديار ، فهو لا يمكنه العيش بدون محبوبته ولا مكان لغيرها ، بل لا حياة له من دونها ،فحياته خالية من الفرح ،ومن كل معالم الحياة كخلو المكان ممن حوله حتى أنه عبّر عن هذا في البيت التالي :

﴿ فَجَنَّبِي عَسِيبٌ ^(١) لَا أَرَى غَيْرَ مَائِلٍ خَلَاءَ مَنْ الْأَثَارِ إِلَّا الرُّومِيسَا ^(٢) ^(٣) ﴾

يصوّر محبوبته المكان من حوله حتى يظهر لها ما به من وحشةٍ وفُجعةٍ ويأسٍ ، فهذا جبل عسيب المعروف عند بني سليم ،وهو من أكثر المعالم شهرةً عندهم، فقد وقف عنده امرؤ القيس ^(٤) ، ودُفن به صخر بن عمرو أخو الخنساء ^(٥) ، وأصبح لا أثر له وطمسته الرياح فعاد كأنّ لم يكن ، وهذا وصف مباشر لما حوله ؛ فالجبل طمسته الرياح ،وأصبح المكان قفراً لا حياة فيه ، وهذا يُظهر شدّة ارتباطه بهذا المكان " وهو شكل من اللاشعور الجمعي أو الطقس الجماعي الذي اعتاده الشعراء الجاهليون في أشعارهم " ^(٦) ، ولعلّ في هذا الارتباط ارتباطاً أقوى وأشدّ بالمحبة ، هو بكاءً على المحبوبة ، وعلى ديارها فإذا كان هذا البكاء على الطلل والديار ، فكيف بمن يسكنها ويعمرها، فما هو إلاّ تعبير عما "يحمّله من محبةٍ وتقدير

(١) . عَسِيب: جَبَلٌ بَعَالِيَّةٌ تُجَدُّ مَعْرُوف. / الزبيدي ، مرجع سابق ، (عسب) ، ج ٣ / ٣٦٩.

(٢) . الرياح الروامس: التي تثير التراب وتغطي الآثار. / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (رمس) ، ج ٤ / ٢٦٣١ .

(٣) . السلمى ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

(٤) . ذُكِرَت أبياتٌ لامرئ القيس قالها حين رأى قبر امرأة في سفح الجبل منها

أَجَارَتْنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ / الكندي ، امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ت : المصطاوي ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٥) . البغدادي ، أبو المعالي ، محمد بن الحسن بن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ط ١ ، (بيروت: دار صادر، ١٤١٧ هـ) ، ج ٧ / ٣٨٧ .

(٦) . حسن ، محمد ناجح (٢٠٠٤ م) ، الإبداع والتلقي في الشعر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ص ١٣٢ ، بتصرف .

وهيبة في نفس الشاعر ، وله اقترانه الشديد بحبه للمرأة" (١) ، وتصويره لحركة الرمال و الرياح القوية حتى أنّها طمست معالم الجبل الشاهق ، وتأكيد له وجوده باستخدامه للنفي في كلتا الحالتين والذي يدلُّ بدوره على إنكاره وتعجبه من اختفاء جبل مشهور كجبل عسيب (لَا أَرَى غَيْرَ مَائِلٍ) ، وكأنّه يقول أنتم تقولون إنّ هنا جبلاً كيف ذلك ؟ ، أنا لا أرى سوى الروامس آثار عوامل التعرية ، وهناك حركة رياح قوية ، وحركة رمال هائجة ، والمكان يخلو تماماً من أي علامة لوجود جبل في هذا المكان ، ربّما يكون هذا الوصف لحركة الرياح وخلو المكان تصويراً لما في الشعور الداخلي من عواطف جياشة تجاه محبوبته أسماء يحاول التغلب على تلك العواطف حتى يتمكن من خوض المعركة ، وهي تأخذه وتتجول به في المكان ، لتذكره بمحبوته ، ويصارعها كما تصارع الرمال والجبال الرياح .

وينتقل من هذه المقدمة الطللية والغزلية ليتغنى بمحبوته ، وهي نمطية اعتاد عليها الشعراء في مقدمات أشعارهم تعود إلى ترسبات فكرية في الشعور الجمعي العربي ، فهو يذكر محبوبته لتغلب العواطف الجياشة على غيرها ، وتظهر محاسن المحبوبة ، وصفاتها غير أنّه عمد إلى تغيير اسم المحبوبة ، فهو في بدء القصيدة قال أسماء ، والآن يُسميها سلمى :

﴿ لِيَايَ سَلْمَى لَا أَرَى مِثْلَ دَهْمَا دَلَالاً وَأَنْسَا يُهْبِطُ الْعَصَمُ ﴾ (٢) أَنْسَا (٣)

ينفي الشاعر عن محبوبته الشبه في دلالها (لَا أَرَى مِثْلَ دَهْمَا دَلَالاً وَأَنْسَا) كناية عن الحسن والجمال والمكانة الاجتماعية ، ويشير د. الملوحي (٤) إلى ما طرأ من تغيير اسم المحبوبة في القصيدة بقوله : " وقد غيّر الشاعر اسم حبيبته فجعلها أسماء أولاً ، ثم جعلها سلمى ،

(١) . حسن ، محمد ناجح (٢٠٠٤ م) ، مرجع سابق ، بتصرف .

(٢) . الأَعَصَمُ: الوَعْلُ / الفراهيدي ، مصدر سابق ، ، (عصم) ، ج ١ / ٣١٤ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

(٤) . عبد المعين الملوحي ، ولد في حمص عام ١٩١٧ م ، وبها درس إلى أن تخرج من دار المعلمين ثم درس إجازة الآداب في القاهرة ونال شهادتها العليا ، شغل منصب مدير المركز الثقافي في دمشق ، سافر إلى الصين ونال لقب أستاذ شرف في جامعة بكين ، ترجم عدداً من المؤلفات الصينية منها : " المتشردون و حادث فوق العادة " ، حقق عدد من الدواوين : " ديوان عروة بن الورد واللاميات " ، وله عدد من المؤلفات منها : " نظير زيتون الإنسان والمنصفات والشعر الصيني " . توفي عام ٢٠٠٦ م . / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ج ٤ / ١٣٧ ، ١٣٨ و

والعرب يغيرون أسماء حبيباتهم في أشعارهم" (١) ، وترى الباحثة أنّ لجوء الشاعر إلى تغيير اسم المحبوبة كان له أسبابه أبرز تلك الأسباب وأهمها : مخافة أن تُعرف محبوبته فخشي عليها ، لكونها ذاتُ حسب ، ونسب ، وجاه ، واتضح ذلك من صفاتها التي وصفها بها العباس أولى تلك الصفات الدلال الذي لا مثيل له وهي كناية عن الغنى والرفاهية ، حتى أثر دلالها وحسنها في صاحب القوة والعزم والشجاعة الذي اعتاد العراك ، وصعود الجبال ، وتحمل المشاق وكفى عن تلك الصفات بـ(الوعل) ، والكناية هنا ماهي إلا كناية عن العباس نفسه فخراً واعتداداً ، وأنه إذا رآها أو لقيها أصبح مستأنساً أليفاً بعد أن كان شرساً عنيفاً ، وجمع الوعل (العصم) في هذا البيت ؛ ليزيد من التشبه به ، وللدلالة على ما كان عليه من شدّة العنف والشراسة والعزلة ، أما المعنى النفسي فهو تصوير للحالة الشعوريّة التي مرّ بها العباس حين تذكّر محبوبته ، فقد جاء من دياره عازماً على الحرب والعراك ، يتمكله الغضب وحب الانتقام ، والرغبة في النصر إلى أن مرّ على ديارها فإذا به يتحول شعوره من غضب وحدة إلى شوقٍ ، وحنينٍ ، واستئناسٍ بالمكان ، حتى انكسرت قواه وأخذ يتغزل ، ويتغنى بمحبوبته ، ودلالها بل حسن أخلاقها ، وعهدها ، وطيب مسكنها وعطرها :

❖ وَأَحْسَنَ عَهْدًا لِلْمَلْمِ (٢) بَيْتِهَا وَلَا مَجْلِسًا فِيهِ لِمَنْ كَانَ جَالِسًا (٣)

على الرغم من كثرة تجارب العباس ، وخبراته في الناس إلا أنه لم يجد أحسن منها عهداً ووفاءً ، خاصةً لمن ينزل بدارها أو حيّها ، حتى إذا ما قادته لمجلسها نسي جميع المجالس السابقة لحسن مجلسها وكرمها وجمالها وهذه العلامة الثانية من علامات الجاه والحسب ، فحسن العهد والكرم الذي هو نتاج لطيب المجلس وكلاهما لا يجتمعان إلاّ فيمن له الجاه وحسن النسب ، وفي وصفه للمجلس ولمن نزل به ، تعبير عن المتغلغل في داخله ، وما فيه من اشتياق للمحبوبة ، وتلّوع للقيها والجلوس في مجلسها لينعم بقرّبها ، وإذا كان العهد و المجلس مما يُمدح ، ويثنى عليه ويوصف بالحسن ، فقد أتى بصيغة التفضيل ليدلّ على اكتمال الأمر فيه والصفة عنده ، معنى ذلك أنّ هذه الصفات ماهي إلا للمحبوبة ونسبتها إلى المكان كناية

(١) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٢) . الملم : مفعول من ألم به : نزل . / الجياني ، مرجع سابق ، (لمم) ، ج ٢ / ٦٨٠ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

عن ارتكازها وتمثُّلها في المحبوبة ؛ لما اشتملت عليه من خلال حسنة وصفاتٍ لا يمكن وجودها عند غيرها في نظره، وهذا التخيل والرسم لما في المكان ، ليتسع خيال القارئ ، ويشاركه في مشاعر الشوق والحنين إلى ديار المحبوبة، وليرسم به لوحةً عن المكان وحسنه ، وهذا من جماليات الكناية عن النسبة فقد أراد الشاعر " التصريح بامتلاكها لتلك الصفات وتخصيصها بها" ^(١)، ومن أجل ذلك " وترك إثبات هذه الصفات لموصوفها ، وأثبتها لشيء آخر شديد الصلة ووثيق الارتباط بها ، فيكون ثبوتها لما يتصل به دليلاً على ثبوتها له ... ؛ لأنه إذا أثبت الشيء في المكان فقد أثبتته للممدوح ؛ وذلك لاستحالة قيام الوصف بنفسه ووجوب قيامه بموصوف صالح للاتصاف به .. " ^(٢).

والمعنى الإجمالي للأبيات الثلاثة السابقة : " وأقفرْتُ من دار أسماء دارها في جنبي عسيب فلست ترى فيها إلا الآثار المطموسة ، أين مضت ليالي سلمى ؟ وكنْتُ لا أرى دلالاً مثل دلالها ، ولا أنساً مثل أنسها يجعل الوعول المتوحشة في رؤوس الجبال مستأنسة أليفة ، وكنْتُ لا أجد أحلى من بيتها ولا أطيّب منه مجلساً .. " ^(٣) .

والشاعر حين وصف محبوبته بتلك الصفات الحسان، ليميزها عن غيرها فقد اشتهرت بما وعُرفت ، والتي شملت حسن الخلق والطبع والكرم ، أردفها بصفات حسية ، وجمالية أخرى كدليل ثالث على أصالتها ورفعته نسبتها وجاهها، واستند إلى الصورة التشبيهية ليوصل الشعور والوصف وحتى الرائحة :

تَضَوَّعٌ ^(٤) مِنْهَا الْمِسْكُ حَتَّى كَأَمَّا تُرَجِّلُ ^(٥) بِالرَّيْحَانِ رَطْباً وَيَابِساً ^(٦)

(١) . انظر السكاكي ، مرجع سابق ، ص ٤٠٧ ، وما بعدها .

(٢) . بسيوني ، فيود ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط ٢ (المملكة العربية السعودية : الأحساء : دار المعلم الثقافية و مؤسسة المختار ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ م) ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ بتصرف .

(٣) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٤) . الضَّوَّعُ: مصدر ضَاعَ يَضُوعُ ضَوْعاً وتَضَوَّعَ الطَّيْبُ، إذا فَاحَ / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (ضعو) ، ٩٠٤ / ٢ .

(٥) . الترجل والترجيل من رَجَلْتُ الشعرَ: سرحته / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (رجل) ، ج ٤ / ٢٤٣٩ .

(٦) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

انظر لجمال التشبيه في قوله : (حَتَّى كَأَنَّمَا تُرَجَّلُ بِالرَّيْحَانِ رَطْبًا وَيَابَسًا) فقد عقد الشاعر التشبيه بين حسن الطيب وبين الريحان الرطب واليابس في انتشار المسك ورائحته وتنوع الرائحة تبعه تنوع وجه الشبه من مثل: قوة انتشار الرائحة مع جمالها ، ثبات تلك الرائحة، طيب تلك الرائحة، الهدوء والقوة ، وعلى هذا تكون الصورة من قبيل التشبيه (المركب التمثيلي) ومعنى البيت : " تشمُّ منها رائحة المسكِ دائماً كأنما تُسرح شعرها بالريحان من رطبٍ ومن يابس " (١) ، وهذه الصورة التشبيهية شخصت صورة انتشار الرائحة في المكان نتيجة لتسريح الشعر به ، بمعنى أنّ المسك عمّ جسدها من رأسها ، حتى القدم فأضفت على الصورة الوصف والحركة لدرجة أنّ من يشمُّ الرائحة يظن أنّ الريحان فُطف لتوه ، واجتمع في المكان رائحة الريحان الرطب واليابس ، وفي هذا مقارنة بين الرائحتين فهناك اختلاف بين الريحان اليابس وهدوء رائحته، والرطب وشدة رائحته ، وهذا أيضاً يُعطي صورة حركية ، وشمية ، فهي إن اقتربت شممت الرائحة كأنه مقطوف في الحال تفوح رائحته وتنتشر ، وإن ابتعدت هدأت الرائحة وخفت ، وما ذاك إلاّ تصوير لما في نفس الشاعر ، وهو تمني الجلوس معها والمكث بجانبها للاستمتاع بتلك الرائحة الزكية ، وتغلغت تلك الرائحة ، وعلقت في ذهنه وروحه حتى وصف طريقة انتشارها في المكان ، والمسك الذي يفوح في المكان نتيجة لتسريح شعرها به دليل ثالث على رفاهيتها وجاهاها ، ولذا عزم على تغيير الاسم حتى لا تُعرف أو تُذكر بما لا يليق بها ، أو مخافة أن يلحقها أذى ، فقد جاء في بعض أبياته من غير هذه القصيدة ما يدل على خوفه على محبوبته وعلى سمعتها ، أو أن يمسخها أذى من الواشين وغيرهم، بل يظهر أنّ ما قاده إلى تغيير اسم المحبوبة هو الخوف على سمعته ، وجاهاه فهو سيّد في قومه ولا يليق به أن يكثر التغزل والتغني بالنساء ، وكثرة اللهو تُلهي عن معالي الأمور التي يطمح إليها ، حتى اضطره ذلك إلى هجرها خوفاً عليها وعليه يقول :

إِنَّ الْحَبِيبَ الَّذِي أَمْسَيْتُ أَهْجُرُهُ مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَّةٍ مَنِّي وَلَا غَضَبِ
أَصْدُ عَنْهُ ارْتِقَاباً أَنْ أَلُمَّ بِهِ وَمَنْ يَخْفُ قَالَةَ الْوَاشِينَ يَرْتَقِبِ
أَبِي حَوِيْتُ عَلَى الْأَقْوَامِ مَكْرَمَةً قَدَمًا وَحَدَرْنِي مَا يَنْقُونُ أَبِي

(١) . الملوحى ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

إلى أن قال:

وَقَالَ لِي قَوْلَ ذِي عِلْمٍ وَتَجْرِبَةٍ بِسَالِفَاتِ أُمُورِ الدَّهْرِ وَالْحَقْبِ
أَمْرُكَ الرُّشْدَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشْبِ
وَنِلْتَ مَجْدًا فَحَازِرْ أَنْ تُدْبِسَهُ أَبُّ كَرِيمٍ وَجَدُّ غَيْرِ مُؤْتَشَبِ (١) (٢)

فهو لا يتغني الهجر وتغيير اسمها ، وإنما لجأ لذلك خوفاً عليها من الواشين ، وترقب الأعداء وإنصاتهم لما يُسيء إلى العباس فهو له أعداء يتمنون منه الرّلة في أي أمر ، وهو سيّد قومه وابن سيّدهم وله خبرة نتجت من مجالسته للحكماء والعقلاء والقادة من قومه ، فقد حذروه مما يضرُّ بسمعته ويسيء لجاهه ، ويخشى أن تدنس مجده أي شائبة سواء أكان بكثرة الغزل أم اللّهو فيقلل ذلك من قيمته بين النّاس ، وأولهم قومه ، ونلاحظ مما سبق أنه لم يذكر صفاتاً جسديةً ، أو صفاتاً محلّة بالأداب بل اكتفى بإظهار الصفات الخلقية لها ، ويؤنّ هذه الصّورة بمشاعرٍ صادقةٍ ومعبرةٍ ، فالدلالة الشعورية وما توحى به من شوق ولهفة ، إذ أنّ محبوبه الشاعر تركته في وحشة ، فأخذ يبوح بصفاتها ، ويتمنى لقاءها ، وعودة الذّكريات معها ، ويصف كل شيء من دلالٍ ، ومجلسٍ إلى أدق تلك الصّفات ، وهي الرّائحة ، ويشبها بالرّيحان في الحُسن والانتشار وكلّ ذلك دون تكلف للتأويل أو التّفسير دليل على قدرته على الإبداع الخيالي ، واعتماده على المخزون الشعوري لديه ، ولا ريب في أنّ هذه الأبيات تدلُّ " على ذوق الشّاعر الرّفيع ومعرفته بالجمال ومقاييسه ، ولكننا لا نعرف من هي هذه الحبيبة؛ لأنه يُسميها أسماء حيناً ويدعوها سلمى حيناً آخر ، ولا يُسميها في بعض الأحوال ، وليس ذلك مفاجأة بالنسبة إلينا ؛ لأنّ تعدد الحبيبات كان أمراً شائعاً في الجاهلية ، وسار الإسلاميون على ذلك النهج بذكر نساءٍ مُختلفاتٍ ، وقد لا يكون لهن وجودٌ على الحقيقة ، لكنّه العرفُ والمنهج ، مما جعل العباس يتغزّل وباقتضاب دون إفحاش ، أو تمادٍ في الحديث عن المفاتن ، وهو بذلك يخرج عن سننهم ، بل يُخالفهم ؛ لأنّ الإسلام يمنعه من ذلك " (٣) ، وهذه الصّورة الخارجة من الوعي الجماعي ، ما هي إلا تعبير عن رغبته في اللّقاء بالمحبوبة ،

(١) . مؤتَشَبٌ: يعني في نسبه خلطٌ ومُعَمَّرٌ . / الجوهري ، مصدر سابق ، (عبث) ، ج / ٢٨٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٤٦ .

(٣) . بسج ، العباس بن مرداس (شاعر الفخر والحماسة) ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

ولمّا بدأ العباس بالغزل بأسماء، ونعت ديارها ثم انتهى بوصف سلمى ، وكلا الاسمين ما هو إلاّ المحبوبة واحدة ، وذكرْتُ السبب في ذلك وهو الخوف عليها من الواشين والحرص على مكانته الاجتماعية في قومه هذا من باب التفسير الظاهري ، لسبب التغيير، أما السبب النفسي فيظهر للباحثة أنّ العباس قصد من الغزل أساساً الرغبة في التخلص من الشحنات النفسية الغائرة في نفسه ؛ ليستعدّ للحرب والمعركة، وهنا يتضح أن الشاعر " تأمل مشاعره ، وارتقت نفسيته إلى حُطّةٍ فكريّةٍ جديدة ، وأصبح سيّد أهوائه وليس عبدها ، أي أنّه لم ينته عاطفياً ، وإيما حوّل محتوى العاطفة إلى رموز وانتصر فكراً ، وتحرّث مشاعره من حملتها الماديّة ، وأصبحت صوراً جماليّة ، وما هو ذاتي أصبح موضوعياً طبقاً لتخطيط فني " (١)؛ فقصّد الشاعر هنا من هذا الغزل التخلُّص من الشحنات النفسيّة عن طريق وصف المحبوبة والتغزّل فيها ، وفي محامدها ؛ ليترك كلّ ذلك خلفه، ويبدأ فيما قدّم من أجله ؛ لذا قال في البيت التالي :

﴿ فَدَعَهَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مَقَادُنَا لِأَعْدَائِنَا نُزْجِي (٢) الثِّقَالَ الْكَوَادِسَا (٣) (٤) ﴾

يأمر المُستمع بالانتهاء من الغزل والالتفات لما هو أهمّ ، وهنا أحسن التّخلص من المقدمة الغزلية ؛ للولوج في الموضوع الأساسي ، وهو وصف المعركة وصفاً صادقاً مُنصفاً ، يقول : " دُع عنك الغزل بأسماء ، وسلها هل سمعت بأخبارنا يوم سرنا إلى أعدائنا والظباء تغادر كناسها وتفترّ مذعورة؟! " (٥) ، يُصوّر مشية الفرس ، وهي مثقلّة لما تحمّله من فُرسانٍ قويّة

(١) . إمبرت ، إنريك أندرسون ، د. الطاهر ، أحمد مكي ، (ترجمة) ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ، مناهج النقد الأدبي ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ بتصرّف .

(٢) . نزجي معناه خرجنا بجماعتنا / الأنباري ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، مصدر سابق ، (نزج) ، ج ١ / ٧٧ .

وفي الأصمعيّات معنى نزجي : نسوق / الأصمعي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ الهامش .

(٣) . جاءت الخيل كراديس: كردوساً بعد كردوس وهو الجمع العظيم والكوداس : الطير من العطاس والسعال ونحوه لأنها تكس عندهم أي تصرع بشرمها / الزمخشري ، مصدر سابق ، (كدن) ، ج ٢ / ١٢٦ .

(٤) . السلمى ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٢ .

ذكر الاصمعي (الكواليس) بدلاً من (الكواديسا) / الأصمعي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

(٥) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

،وعتادِ وُعْدَهُ ، يقودها العباس لأعدائه ويهددهم بها ، وقامت لام التعليل هنا بدوره في إظهار سبب سوق هذه الجياد العتاق ، وقدم السبب على المسبب ؛ ليزيد من التشويق ، والتخويف والتهديد، وزاد بأن قال: (الكَوَادِسا)، وهي من أسماء الظباء" التي تتشاءم منها العرب كتشأؤمهم من الغراب" (١)، والتشأؤم فيه جانب نفسي في الشعور الجمعي ، والذي بدروه يوّلد الخوف والوجل ، واتفقهم على أنّ سوق الظباء يعدُّ من قبيل الشُّؤم ، معناه أتهم رأوا في ذلك ما يخوفهم ، أو يسيء إليهم لذا أتى بها الشاعر ليخوف بها أعداءه ، وسؤاله للمحبوبة بعد أن رأى ترك الغزل إنّما هو لتشويق السامع لسماع ما حدث في المعركة ومَنْ انتصر؟ ، وسؤال المحبوبة كثير عند فرسان العرب؛ ليتخلصوا فيه من الضغوط النفسية الناتجة عن الخوف من الهزيمة والقلق والتوتر؛ وليلفت انتباه المتلقي ، ويثير فُضُوله، ومن ذلك قول المُرْقَش الأكبر:

هَلَا سَأَلْتِ بِنَا فَوَارِسَ وَائِلٍ فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا (٢)

وكذا كان من الحارث بن حلزة اليشكري:

وَلَيْنُ سَأَلْتِ إِذَا الْكَتِيْبَةُ أَجْحَمَتْ وَتَبَيَّنَتْ رِعَةَ الْجَبَانِ الْأَهْوَجِ (٣)

أما عنتره فهو يأمر المحبوبة أن تسأل الخيل حتى تُشفي غليلها ، فهي التي شاركته العراك ، وعليها آثار الحرب والصراع مع العدو :

هَلَا سَأَلْتِ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيْعَةَ أَنِّي أَغْشَى الْوَعْيَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَعْنَمِ (٤)

(١) الخالديان ، أبو بكر محمد بن هاشم و أبو عثمان سعيد بن هاشم ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين (حماسة الخالديين) ، تحقيق.د. محمد علي دقة ، د.ط (الجمهورية العربية السورية : وزارة الثقافة، ١٩٩٥). ص ٤٩ ، بتصرف

و انظر الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٢) . المرقشين ، ديوان المرقش الأكبر ، تحقيق : كارمن صادر ، ط ١؛ (بيروت : دار صادر ١٩٩٨) ، ص ٨٤ .

(٣) . اليشكري ، الحارث بن حلزة ، ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، صنعة : مروان عطية ، ط ١؛ (دمشق : دار الامام النووي و دار الهجرة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤) ، ص ١٠٧ .

(٤) . العبسي ، ديوان عنتره ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

حضور المحبوبة في المعركة ، أو بالأصح تمني الشاعر حضور المحبوبة للمعركة ، ومشاهدتها لها هو من الشعور الجمعي العربي ، وذلك حتى يزداد إعجابها به ، وتعلم بمدى شجاعته فتتعلق به أكثر أو يجذبها أكثر ، وبه تشويق للسامع كما أشرت ، فهي نتاج عادات شعرية في الشعور الجمعي ، و بدء القصيدة بالغزل على نهج القصيدة القديمة ، علّق عليه الشيخ شاعر ، بقوله : " إنما دأب الشعراء العرب في الجاهلية على التغزل بالمرأة في أوائل قصائدهم ، لا للتقليد وإنما ذلك لدافع طبيعي ؛ هو بعدهم في أسفارهم ، وتنقلاتهم عن المرأة " (١) .

إذاً الشاعر لم يعتمد إلى التقليد ، وإنما قاده الشوق والحنين إلى الغزل ، حتى يتخلص من الضغوط النفسية ، وينتقل من الخيال إلى الواقع ، فبعد أن شوق المتلقي لمعرفة كيف درت المعركة ، بدأ في سرد أحداث المعركة ، والتي ساق لها العباس الطباء الكوادر الكثيرة ، حاملة معنى الشؤم للأعداء ، أخذ في الوصف الحقيقي لأرض المعركة ، وما جرى عليها :

نَشُدُّ بِتَعْطَافِ الْمَلَاءِ (٢) رُؤُوسَنَا عَلَى قُلُوصِ (٣) نَعْلُو بِهِنَّ الْأَمَالِيسَا (٤)

بِجَمْعِ يُرِيدُ ابْنِي صُحَارٍ كَلِيهِمَا وَآلِ زَيْنِدٍ مُخْطِئاً وَمُلَامِيسَا

عَلَى قُلُوصِ نَعْلُو بِهَا كُلِّ سَبَسَبٍ (٥) تَخَالُ بِهِ الْحَرَبَاءُ أَشْمَطَ (٦) جَالِيسَا (٧)

تأمل شموخ وعزة بني سليم حال قدومهم على أعدائهم ومدى تحملهم للصعاب ، وذلك في الصورة التشبيهية في قوله : (تَخَالُ بِهِ الْحَرَبَاءُ أَشْمَطَ جَالِيسَا) ؛ يقرب الصورة للمتلقي فيصور

(١) . العنيم . د . يوسف يعقوب ، قراءة في دفتر قديم - من آمالي العلامة أبي فهر محمود محمد شاعر من كتاب الأصمعيات للأصمعي ، ط ٣ ، (الكويت : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، مجلة الوعي الإسلامي ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م) ، ص ٦٥ .

(٢) . الملاء : بِالضَّمِّ وَ الْمَدِّ : جَمْعُ مَلَاءَةٍ ، وَهِيَ الْإِزَارُ وَالرِّبْطَةُ / ابن منظور ، مرجع سابق ، (ملأ) ، ج ١ / ١٦٠ .

(٣) . قُلُوصَ الشَّيْءِ يُقْلِصُ قُلُوصاً أَي انضَمَّ إِلَى أَصْلِهِ ، وَقُلُوصَتِ الْإِبِلِ تَقْلِيصاً : اسْتَمَرَّتْ فِي مَضِيئِهَا / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (قلص) ، ج ٥ / ٦٢ .

(٤) . الْأَمَالِيسُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا شَجَرٌ وَلَا يَبِيْسٌ وَلَا كَلَأٌ وَلَا نَبَاتٌ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (ملس) ، ج ١٦ / ٥١٨ .

(٥) . السَّبَسَبُ : الْقِفَارُ ، وَاحِدُهَا سَبَسَبٌ / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (سبسب) ، ج ١٢ / ٢٢٠ .

(٦) . الشَّمَطُ : بِيَاضِ شَعْرِ الرَّأْسِ يَخَالِطُ سَوَادَهُ / الجوهري ، مصدر سابق ، (شمت) ، ج ٣ / ١١٣٨ .

(٧) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٢ .

صعوبة الفيافي التي يقطعونها من أجل لقاء العدو ، وما بها من مصاعب عظيمة ، حتى أنّ الحرباء التي اعتادت على الصحاري لشدة هذه القفار ، يخالها الرائي قد هرمت ، وأصبحت عجوزاً شمطاء ، والصورة التشبيهية من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فالمشبه (الحرباء) أما المشبه به فهي (العجوز الشمطاء) ، واستعان بالفعل (تحال) للربط بين طرفي الصورة ، ويمكن تأويل وجه الشبه بالهرم ، والكبر ، وعدم القدرة ، والضعف لما قطعتة من طول المسافة وبعدها، وزاد في أبعاد الصورة بأن جعلها عجوزاً شمطاء ، في وضح الجلوس ، وفي هذا التشبيه كناية عن صعوبة تلك القفاري ، ومنه إلى شدة احتمالهم للمصاعب العظام ، وفي هذا دلالة على شجاعتهم ، وشدة بأسهم .

أما الغرض من الصورة : فهو إلقاء الخوف والرعب في قلوب أعدائهم ، إذا علموا ما بهم من قوة ، وشدة ، وتحمل ، وصبر ، وأما البعد النفسي الذي يريده العباس بعد تخوفه لأعدائه ، إعطاء نفسه نوعاً من الحماس والرغبة في القتال مع توفر العدد والعدة ، وكذا الاطمئنان بأن كل من معه هم من خيرة الرجال من قبيلته ولذ قال : (بتعطافِ الملاءِ رؤوسنا) هم أهل العمائم كناية عن النصرة والمشیخة ، فهذا يزيد من اطمئنانه واطمئنانهم ، و يضيفي نوعاً من الفخر والاعتزاز وفي المقابل يحذر الأعداء ويلقي الذعر في قلوبهم .

وقد استهل أبياته بوصف تكاتف جيشه ، وقوته حال قدومهم على أعدائهم، فهو يروي تفاصيل، ما جرى وسبب مسيرهم : " سرنا نريد قتال ابني صحار ، وآل زبيد بجمع كثيف ، ونحن نشدُّ على رؤوسنا ثنايا عمائمنا ، ونركب نوقاً تقطع بنا كلّ فلاةٍ موحشةٍ مُقفرة ، لو رأيت فيها الحرباء لظننته لكبره ولونه شيخاً أشمط " (١) ، ووصفه في هذه الأبيات لطريق سيرهم، وإعطاء فكرة عن مدى كثرتهم بتكراره للكلمة (قُلص)، فكثرة النوق ماهي إلا دليل على كثرة مَنْ يركبها وسيرها سيراً حثيثاً برهان على إقدامهم وإمضائهم فيما أتوا من أجله ، وتعيينه لأسماء من يريد غزوهم ليُعرف عدوه ، وليسمع به فيقدم لشجاعته، أو يحجم لخوفه من بأس العباس ،وما عُرف عنه ، وفيه جانب نفسي خفي وهو تحديد الأعداء ؛ ليتسنى له قتلهم وعدم الخوف منهم ،أو هو بوح بما في الشعور فيخرجه ؛ ليرتاح أو ليستعد أيّما استعداد ، وأنّ البأس سيشمل الحليف المسالم والمُخطأ المذنب ، فلا فرق بينهما في هذه

(١) . الملوي ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

الحرب ، وفي سرعة عدو النوق واجتيازها للصحاري المقفرة قال: (نعلو بها كل سبب)
، كل مرتفع وكل هضبة وسهل وفي هذا تصوير لاتساع المكان ويُعده ، وما في ذلك من صبر
وتحمّل عناء .

وقد استغرقت منهم هذه المعركة الكثير من الجهد ، وقطع القفار فقد تطلب الوصول إليهم
قراءة الشهر :

﴿ سَمَوْنَا هُمْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نَجُوبٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَفْرًا بَسَابِسَا

فَبِتْنَا قُعُودًا فِي الْحَدِيدِ وَأَصْبَحُوا عَلَى الرِّكَبَاتِ يَجْرُدُونَ ^(١) الْأَيَّاسَا ^(٢) ^(٣)

يكمل أبعاد صورته التشبيهية بذكر الأيام وطولها ليصل السابق باللاحق ، وليعيش معه
القارئ صعوبة الموقف وتحملهم له ، ومعنى الأبيات : " سِرْنَا فِي طَلِبِهِمْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً
نَقَطَعَ الْبَرَارِي وَالْقَفَارَ ، وَبِتْنَا نَلْبَسُ دُرُوعَ الْحَدِيدِ ، وَأَصْبَحُوا جَائِثِينَ عَلَى رِكَبِهِمْ يَقْطَعُونَ لَحُومَ
الْإِبِلِ " ^(٤) ، ويصف الشاعر ما عناه جيشه من أجل الوصول إلى بني مراد ، فبعد أن أعدَّ
العدَّة ، وتخيَّر لجيشه الأخيار من بني سليم ، بدأت المسيرة التي انطلقت من ديار بني سليم
حتى ديار بني مراد ، وقد استغرق ذلك (تسعاً وعشرين ليلة) ، ويصف القسوة التي عانوا
منها في أُنَّهم جابوا الصحاري القفار مع شدَّة الهجير وقلة الكلال حتى انتهى بهم المسير في
الصباح عند بني مُراد ، وهناك كانت المفاجأة فبنو سليم على أهبة الاستعداد يحتمون بالدرع
، وبنو مراد تجلدوا ، ولم يجزعوا وأخذوا في تجريد إبلهم عن لحمها ، وهذا خلاف ما توقعه
العباس ، وقومه فهو توقع أن تصيبهم حالة من الجزع والهلع ؛ لقدوم جيش عرمرم كجيش
العباس ، واستعان بفن (الطباقي) من البديع ليظهر حالة التناقض بين طرفي المعركة ، فهم باتوا
قعوداً على الحديد مستعدين بكل أدواتهم من خيل وسيوف ، في حين أصبح أعداؤهم
يجردون الأيَّاس يحاولون السيطرة على قوتهم؛ ليواجهوا العباس وجنده ، والطباقي جاء في

(١) . جرد : كل شيء قشرته عن شيء فقد جردته عنه / الحنفي ، أبو البقاء ، مرجع سابق ، (جرد) ، ص ٣٣٠ .

(٢) . الأيَّاس : ما فوق الكعبين والزندان يُقال ضرب الأيَّاس وما تجرب عليه السيوف وهي صلبة / مصطفى وآخرون

، مرجع سابق ، (ييس) ، ج ٢ / ١٠٦٢ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٢ .

(٤) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

قوله: (بتنا)، و(أصبحوا)، وهو (طباق إيجاب)، يصف الحال بكل تفاصيله ويوجز المقال، ومن الناحية النفسية تُصوّر الأبيات حالة الدهشة التي أصيب بها الشاعر لدرجة أصابته بالحيرة، والتردد، والاستغراب، فاستمر في وصف المشهد مباشرةً وكما هو:

﴿ فَلَـمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحًا وَلَا مِثْلَنَا لَمَّا التَّقِينَا فَوَارِسًا ﴾^(١)

خاض العباس الكثير من المعارك وتمرس بها إلا أنه هنا يُقرُّ بأنه لم ير مثل بني مراد في شجاعتهم وكذا لم يتخلَّ فرسانه شجاعة بني مُراد ومن باب الانصاف قال: (فوارسًا)؛ لقاءهم كان لقاء فرسان والطرفان متكافئان، وقد أشار "بالحي إلى قوم معهودين يقول: لم أر مُغاراً عليه كالذين صبَّحناهم، ولا مُغيراً مثلنا يوم لُقياهم، فقسَّم الشهادة قسَم السَّوَاء بين أصحابه، وتنازل بالمدح كل فرقة منهم، ... وكذلك قوله (فوارس) جمعة حتى يكون فيه إيذانٌ بالكثير" ^(٢)، والصورة هنا في نفي الشبه عنهم حملت عدّة مفارقات منها: المديح لهم مع أتهم أعداء، فهو لم ير مثلهم في القوة والشجاعة وهذا يحمل التعجب، يتحدث عنهم وكأنهم ليسوا بأعدائه نفى عنهم المثل كناية لَمَّا هم عليه من شجاعة وإقدام، فقد كان من عادة الشعراء مدح أعدائهم حتى تظهر قوتهم، بأنهم لا يُجاربون الأقسام الضعفاء فمحاربة الضعيف جبن، وكلما أبرزوا شجاعة العدو كلما برزت شجاعة قومه أكثر، لكنه تفاجأ من هدوئهم وتماسكهم، وترى الباحثة أن أقرب تفسير نفسي لهذا، هو نوع من المصادقية مع النفس لما اتصف به العباس من صفات حميدة جعلته يواجه الواقع ويعترف بقوة عدوه، وهذا فيه صراع بين الأنا وعدم قبولها للحقيقة وبين العقل، والانصاف، والاعتراف، وبها كذلك نوع من التمني فهو يتمنى ما لديهم من تآلف واستعداد للحرب مع الهدوء والحزم، لا يتصور أن ترى جيشاً بعتاده وعدته قادماً إلى قبيلة، وتتماسك تلك القبيلة إلى أن يكتمل الجيش، وتظهر قوته، وتشتد وبعد اكتماله تبدأ المباراة بينهما؛ ليظهر كل شجاعته:

﴿ أَكْرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ ﴾^(٣) مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا^(١)

(١). السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، ص ٩٢.

(٢). المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، مصدر سابق، ج ١/٣١٧.

(٣). حقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه و منعه، والعرب تقول: فلان يسوق الوسيقة، وينسبل الوديقة، ويحمي الحقيقة.

والحقيقة ما يحق عليه أن يحميه. / الأزهرى، أبو منصور، مصدر سابق، (حق)، ج ٣/ ٢٤٢.

وَأَحْصَنَّا مِنْهُمْ فَمَا يَبْلُغُونَنَا فَوَارِسَ مِنَّا يَحْسِبُونَ الْمَحَابِسَا (٢)
 إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً نَصَبُوا لَهَا صُدُورَ الْمَذَاكِي (٣) وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِيسَا (٤)
 (٥)

حين تقرأ هذه الأبيات تشعر بمدى قوة الفريقين ، ومحاوله إثبات كلٍ منهما لقوته وبراعته ، وتعطي كذلك انطباعا عن مصداقية الشاعر في وصفه ، أو تسجيله للأحداث دون تحيّر أو تمييز أو ميل لجيشه .

يصور في البيت الأول ، والذي " ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصرع الثاني إلى عترته وأصحابه ، والمراد : لم أر أحسن كرا ، وأبلغ حمائية للحقائق منهم ، ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، وانتصب القوانس من فعل دل عليه قوله " وأضرب منا "...." (٦) ، فهم يحمون أعراضهم ، وممتلكاتهم بسيوفهم ورماحهم دون خوف من العدو وعدته وعتاده ، والذي يريد العباس إيصاله للمتلقي عن موقفهم من أعدائهم في البيت الثاني : " ما أكثر ما نحن أنفسنا منهم فلا يرون منا فرصة ، وما أكثر ما يحسبون أنفسهم في المراقب فلا نصل إليهم " (٧) ، فهم مع عدّتهم وعددهم لم يستطيعوا النيل من عدوهم الذي قدموا عليه دون سابق إنذار حتى في مرابط الخيل ومكان المراقبة لم ينالوا منهم رغم شدة بأسهم ، وفي هذا إيذان ببداية الخوف منهم والحزم في عراكتهم ، فهو لا يرضى الهزيمة لذا بدأ بالشدة والعنف ، فكانوا كَلَّمَا

(١) . الْقَوْنَسُ: مُقَدَّمُ الْبَيْضَةِ، وَقَوْنَسُ الْفَرَسِ: مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ، وَقِيلَ: عَظْمٌ نَاقِيٌّ مَا بَيْنَ أُذُنَيْ الْفَرَسِ، وَقِيلَ: مُقَدَّمُ رَأْسِهِ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (قنس) ، ج ١٦ / ٤٠٥ .

(٢) . مَحْسِبٌ: اسْمُ مَكَانٍ مِنْ حَبَسٍ : وَهُوَ مَعْلَفُ الدَّابَّةِ "زاره في محسبه" وجمعها: محابس / عمر ، مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (حبس) ، ج ١ / ٤٣٦ .

(٣) . الْمَذَاكِي مِنْ الْحَيْلِ : الْعِتَائِيُّ الْمَسَانُّ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا بَعْدَ فُرُوحِهَا سَنَةً أَوْ سَنَتَانِ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ: "جَزِي الْمُدَكِيَاتِ غِلَابٌ" / الزبيدي ، مرجع سابق ، (ذكو) ، ج ٣٨ / ٩٦ .

(٤) . الْمِدْعَسُ مِنَ الرِّمَاحِ الْغَلِيظِ الشَّدِيدِ الَّذِي لَا يَنْتَنِي ، وَرُمُحٌ مِدْعَسٌ . وَالْمَدَاعِيسُ: الصُّمُّ مِنَ الرِّمَاحِ ، وَالْمَدْعَسُ: الطَّعْنُ . وَالْمَدَاعِيسَةُ: الْمُطَاعَنَةُ . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (دعس) ، ج ٦ / ٨٣ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٣ .

(٦) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣١٨ .

(٧) . الملوحى ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

هجم العباس وقومه أظهروا هم بسالتهم وقوتهم ، فقدّموا صدور عتاق الخيل ، والرّماح الثّقيلة التي تطأ كلّ ما يعترضها دون تفريق ، أو وجل ؛ وذلك ما أشار إليه في البيت الثالث ، فهو يقول : " إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ، ونصبوا صدور الخيل الفُرح ، والرماح المعدّة لذلك " (١) ، وهذه العدّة والقوة جعلت الشاعر يصف الأحداث كما هي مع ما فيها من أمور قد تخيف جيشه ، أو تزعجه لكنّهم صمدوا ، وأظهروا براعتهم في المعركة ؛ وما زالت الصور مرتبطة بصورة الحرباء وأسباب مشيها وعجزها ، وحتى يُكمل وصف اشتداد العراك بينهما أتى بوصف مشهد الخيل حين تدور بعد مقتل شخص منهم :

﴿ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نُكِرُهَا ﴾ (٢) عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا
نُطَاعِينَ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا وَنَضْرِيئُهُمْ ضَرْبَ الْمُذْيِدِ (٣) الْخَوَامِسَا (٤)
(٥)

يشخص الموقف ليضيف عليه نوعاً من الرّهبة من خلال (الاستعارة المكنية التشخيصية) في قوله: (فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا) ، فهو يشبه الخيل بالإنسان حال غضبه وعبوسه وشدّة تعبها ، ولعل في عبوس الخيل إشارة إلى ما يُعانيه العباس من تعب ، ليحقق النصر فجعل الخيل هي العبوس ، ليرز بذلك الموقف العسير الذي يعيشه ويعاني منه ، فكأنه ألقى بثقل المعركة والصراع النفسي على الخيل بدلاً منه ؛ ليكمل هو المعركة في حماس وعزم على الانتصار ، لذا كشف عن طريقة الدفاع وأنهم يُدافعون عن أحسابهم وشرفهم بالرّماح القوية ، ويعتمد على الصورة التشبيهية في تصوير قوة الضرب وشدّته بقوله: (ونضريئُهُم ضَرْبَ الْمُذْيِدِ الْخَوَامِسَا) ، والصورة هي من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد أراد تشبيه حالهم وقوتهم في الضرب ،

(١) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣١٨ .

(٢) . الكَرّ: الكَفّ و الرّاء أصل صَحِيح يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتُرْدِيدٍ ، مِنْ ذَلِكَ كَرَّرْتُ ، وَذَلِكَ رَجُوعَكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَهُوَ التَّرْدِيدُ . / الرازي ، ابن فارس ، مصدر سابق ، (كَرّ) ، ج ٥ / ١٢٦ .

(٣) . المُذْيِد: هو المُعِين لَكَ عَلَى مَا تُدُوْ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (ذود) ، ج ٨ / ٧٨ .

(٤) . الخوامس : الإبل التي ترد خمساً ، إذا شربت يوماً ورعت ثلاثة أيام ووردت يوم الخامس قيل جاءت الإبل خوامس / ابن السكيت ، الكنز اللغوي في اللسن العربي ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٢ .

بصورة الإبل الخوامس في شدة ضربها ، وتدافعها على الماء ؛ لأنها ترده وهي في شدة العطش ، تشرب يوماً وتراعى ثلاثاً ، ثم في الخامس تذهب للشرب ، وقد بلغ بها العطش مبلغه ، فتضارب أشد المضاربة على مورد الماء ، بقصد تصوير ما يتجشّمه من قوة أعدائه ، كما وصف معاناة الخيل ومشاركتهم في الدفاع ، وفي كيفية ضربهم للأعداء ، اكتفى بالمصدر التشبيهي للربط بين طرفي التشبيه .

ويتضح من خلال هذه الأبيات أن العباس ينظر إلى الخيل من زاوية تُسفر عن فروسيته ، وتُحقق مطالبه ، فهي أصيلة لا مثل لها ولا تكبوا أو تصاب بالحزن ، وهنا في هذه المعركة ذكر الخيل بمسماها الحقيقي ، ولم يُكتر عنها كما كنى عن الرّماح والسيوف ، وذلك لثقتة المتناهية في خيله؛ فهي تجول في ساحة المعركة وتصول لكن "إذا جالت عن صريع من أعداء بني سليم وكترت مرة أخرى رجعت كالحة عابسة لشدة ما واجهت من عنفٍ ومقاومة" (١) ، وقد أبرزت الصورة التشبيهية الصراع الذي يعاينه العباس ، فهو يرى قوة أعدائه وبسالتهن ، ويعترف بها ، فهو كضرب من يعين على الإبل القوية التي تتحمل العطش الخمسة أيام فهي صبورة جلودة ، وهذا معناه أنها تحتاج إلى مُعين صبور قوي شديد الصرعة حتى يمنعها من إيراد الماء والماء أمامها ، ففي هذا صراع وتحدٍ قويان يحتاجان إلى معينٍ في مثل قوة هذه الإبل أو أشدّ ، والشاعر هنا لا يقتنع بمقتل شخص واحد من أعدائه بل يستمر في القتل حتى وإن أثر ذلك على الخيل ، يقول : "إذا الخيل دارات عن مصروعٍ منا كررنا عليهم لنصرع منهم مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أنه يريد: إذا جالت الخيل عن صريعٍ منهم لا يقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرها عليهم لمثله ، وإن كرهت الكرّ لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالح" (٢) ، فهو لم يقتنع ؛ لأنه يرى الموقف صعباً ، وكلا الفريقين متساويان في القوة والعدة ، فينتهز الفرصة ويعيد الكرة تلو الأخرى ؛ لعله يجد أي علامة للنصر والانتقام ، ولكنه يُصارع من أجل الانتصار ، فتارة يعمل على ردّ الخيل التي جالت عن الصريع ، وتارة يستعين بصاحب لديه قدرة هائلة على التحمل والعراك ، وتصويره لمشهد الإبل التي تُردُّ عن إيراد الماء مع حاجتها إليه ، هو تصوير لما بداخله من صراع بين الخوف من أن يلحق به أذى

(١) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ١٠٣ .

(٢) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣١٩ .

، أو بجشه وبين الخوف من الهزيمة ، فهو يعلم في حقيقة أمره أنه هو المعتدي ، ومع ذلك يُصِرُّ على الانتصار ، و يأبى الهزيمة ؛ لذا أخذ يفتخر بنفسه ؛ ليعيد لها الحماس والعزم على الانتصار :

﴿ وَكُنْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ أَوَّلَ ضَارِبٍ وَطَاعَنْتُ إِذْ كَانَ الطَّعَانُ تَخَالُسًا ﴾^(١)

فَكَانَ شُهُودِي مَعْبُدٌ وَمُخَارِقٌ وَبَشَرٌ وَمَا اسْتَشْهَدْتُ إِلَّا الْأَكَايِسَا^(٢) (٣)

وحتى يوسع في الصورة السابقة وأنه سيد الإبل الخوامس وبجاجة لمن يعينه عليهم ، يتحدث فارس العبيد عن نفسه ، ومهارته في قيادة جيشه فلا ييخلها حقها من المديح والمباهاة، بما يقوم به من دفاع وحماية جيشه ، ورباطة الجأش رغم الخداع المتبادل من كلا الطرفين، فكل منهما يرغب النيل من الآخر ، وينتظر الفرصة السانحة لذلك ،وقد تقدّم العباس جيشه كماهي عاداته في معاركه "وكان أول ضاربٍ ، وكان أول طاعنٍ جهاراً ، ويشهد بذلك شجعان قومه " ^(٤) ، وحين كان الطعان خلسة "اختار العباس الطعان جهاراً ، وله شهود عدول ذوو عقل وروية ونباهة " ^(٥) ، واختياره هذا يوافق طبيعته النفسية ، فهو لا يحب الخداع ولا المكر، لتعارضهما مع القيم الأخلاقية العربية ، وتناسبهما كذلك مع الفخر والاعتداد بالنفس ، فقد بُلي في هذه المعركة أيما بلاء ، وتقدّم الجيش لذا يبتكر صورة خاصة به يقول : " كنتُ أول ضاربٍ في مقدّمة القوم ، و طاعنتُ جهاراً حين كان الناس يتطاعنون اختلاساً .. ولقد شهد طعاني وضرابي معبد ومخارق وبشر، وهؤلاء شهود عدول " ^(٦) ، أما تحديده للشهود بأسمائهم دليل على صدق ما قاله، وثقته بنفسه واعتداده بما قام به ، وفي هذا تحفيز لمن حوله من جنده، وليكون القدوة لهم في صدقه مع نفسه وخوفه على

(١) . تخالس القوم الشيء: تسالبوه ، ويُقال هما يتخالسان أنفسهما : يُحاول كل الظفر بالآخر . / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (حَلَسَ) ، ج ١ / ٢٤٩ .

(٢) . الكيس: العاقل / الأزهري ، أبو منصور ، (كيس) ، ج ١٠ / ١٧٢ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٤) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٥) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ ، بتصرف .

(٦) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

قومه وعشيرته ، وشدة بأسه على عدوه وهو في هذا يستعين بالشعور الجمعي ، فقد اتضح الفخر في اعتداد الشاعر بنفسه وبقومه ، حتى أنه وصف الشهود بالأكايس العقلاء العدول ، واستند على النفي والاستثناء في (القصر)؛ ليقصر استشهاده على الأكايس، تأكيداً على مكانته وصدق حديثه ، ويؤكد امتلاكهم لصفات جعلتهم من الأكايس ، منها : الفطنة ، والحذق ، والوقار ، ذلك أن أسلوب القصر " فنُّ دقيق المجرى لطيف المغزى جليل المقدار .. يستعمله الأديب ليأتي أسلوبه مصوراً قوياً يوحي القارئ بمعانٍ شتى " (١) ، ثم وصف ضربه لأعدائه بأنه جهازٌ ودون خوف ، أو خداع ؛ ليسطر بذلك موقفاً من مواقف بطولته ، وهذا التصوير يصدر " عن ضرورة نفسية تحاول أن توصل لنفسها من واقع الماضي البعيد أصولاً كبرى، ومثلاً غلياً يعتزُّ بها ، ويدور حولها الفخر العريض الذي يمتزج فيه الفخر الفردي بالفخر القبلي ، وحافزاً من الحوافز الكبرى التي تدفع الخلف إلى الاقتداء بالسلف " (٢)؛ فإذا قصدُ العباس من وصف أحداث المعركة، وبلائته فيها ، وذكره للشهود هو تحفيز الجيش على المضي في القتال ولضرب المثل في القدوة الحسنة لمن يأتي من بعده؛ وليسجل تاريخاً ناصعاً يفتخر به أبناؤه من بعده، وبنو سليمٍ كلهم فيكون بذلك خلّد ذكره على مدى العصور. ومن سجيّة العباس العدل ، وإظهار الحقيقة كما هي فلم يكن وحده في ساحة المعركة بل كان معه فرسان شجعان يعينهم بأسمائهم ، كما سمي الشهود ؛ ليكونوا قدوةً ، ولييث الحماس في جنده :

مَعِيَ ابْنَا صُرَيْمٍ دَارِعَانِ كِلَاهُمَا وَعُرْوَةٌ ، لَوْلَاهُمْ لَقَيْتُ الدَّهَارِسَا (٣)
 وَمَارَسَ زَيْدٌ ثُمَّ أَقْصَرَ مُهْرُهُ وَحُقَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا أَنْ يُمَارِسَا
 وَفُرَّةٌ يَحْمِيهِمْ إِذَا مَا تَبَدَّدُوا وَيَطْعَنُهُمْ شَرَّارًا (٤) فَأَبْرَحْتَ (١) فَارِسَا (٢)

(١) . عرفة ، عبد العزيز عبد المعطي ، من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - ، ط ٢ ؛ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ م) ، ج ٢ / ٨ .

(٢) . خليف ، مي يوسف ، القصيدة الجاهلية في المفضليات " دراسة موضوعية وفتية " ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، بتصرف .

(٣) . الدَّرَاهِسُ: الشَّدَائِدُ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (دهرس) ، ج ١٦ / ٧٣ .

(٤) . طعنه شَرَّارًا، إِذَا طَعَنَهُ مِنْ عَنِّ يَمِينٍ وَشِمَالٍ. الشَّرَّرَ والمَشَارَرَةُ: المضايقة. / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (شزر) ، ج ٢ / ٧٠٤ .

معنى الأبيات: " وكان معي ابنا صُريم ، وكلاهما كان دارعاً ، وكان معي عروة يحمونني ولولاهم لكنتُ من الهالكين ،... وكان زيد شجاعاً مارس الحرب فأحسن مراسها ، فلَمَّا قُتِلَ مُهره أقصر ، وحوُقُّ لأمثاله من الشجعان ممارسة المعارك ، وكما كان مِنّا زيد حامياً ومُدافعاً ، كان منهم قرّة يحميهم ويُدافع عنهم ويطعننا طعنًا درأگًا ، فياله من فارس معجب " (٣) ، هذه الأبيات هي تفصيل وزيادة لصورة ضرب المذيد ، والمعاونة من الأقوياء التي كانت في الصورة التشبيهية السابقة ، فهو يُشيدُ العباس في الأبيات بمهارة فرسان بني سليم ، ويخصُّ ابني صُريم وعروة ، ويفصح عن بلائهم في المعركة ، وأنه لولاهم للقي المهالك ، ويستعين بلفظة (الدّهارسا) ، وما فيها من قوة ، وجزالة وخرابة ؛ لتلقي بظلالها النفسية والمعنوية على ما يتجشمه لأجل الانتصار على جيش عرمرم واجههم ببسالة على الرغم من مفاجأتهم له ، وأنها ليست بمهلكة واحدة بل عدّة مهالك ، وكأنّه يريد أن يُخرج ما في الشعور والخوف من الهزيمة عن طريق هذه الكلمة ، ويصف حال ابني صريم في استعانتهم بالدروع ؛ لحماية أنفسهم والعباس والجيش كله ، ومدى قدرة تلك الدروع على صدّ الضربات وحمائتهم ليكونوا هم أيضاً ، حماةً للعباس قائد المعركة وللجيش بأسره ، وهنا تتصل الصور ببعضها ، في الإعانة على الصعوبة كإعانة صاحب الإبل الخوامس القوية وردها عما تسعى إليه كرد جنود العباس لهجمات أعدائهم ، فكانوا جمعياً من الأقوياء الذين أعانوه على العدو ، إلا أن زيدا قُتِلَ فرسه فاقصر في القتال لا لضعف فيه أو قلة شجاعة بل لأنه لم يعد يملك ما يحمله حتى يبارز العدو ويُظهر براعة القتال ، وفي هذا يلتبس له الشاعر العذر ويقول : (وحوُقُّ لهُ في مثلها أن يُمارِسًا) ، وهو بهذا يضرب المثل في البطولة والحرص على النّصر ، وهذه القدرة على ردّ هجمات العدو والذود عن أنفسهم وجيشهم وما تلقوه من ضرباتٍ ، وصدِّ ، وهجومٍ ، ودفاعٍ لتأمين الجيش ، جعلت الشاعر يعترف ببطولتهم ويحمد ما قاموا به ويخصّهم بالمديح والثناء ، ويحاول العباس من خلال هذا الوصف أن يُوصل للمتلقي معاونة جيش العباس ، وجيش عمر بن معد يكره ، وكأنّ كِفتي المعركة متعادلتان ، وكلُّ منهما اعترف للآخر

(١) . أُبرِحَتْ رَبّاً ، وأُبرِحَتْ جارا أي: أَعْظَمْتَ وأَحْتَدَتْه عَظِيماً. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (بَرَحَ) ، ج ٣ / ٢١٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٤ .

(٣) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

ببراعته ، وهو بهذا يحاول نقل صورة واقعية من ساحة المعركة ؛ ولذا أثنى أيضاً على أعدائه في ثباتهم ، وصعوبة استسلامهم ، ويرى في (قرّة) المثال على الشجاعة والدِّفاع ، فقد كان الحامي المدافع عن قومه دون هوادة ، أو تراجع ، أو وجل كما كان من ابني صُريم وزيد ، وقد شملت حماية (قرّة) ودفاعه عن قومه ، وقت الاجتماع أو الهجوم الجماعي ، ووقت الافتراق ، وحماية كل فردٍ على حدة ، وتبدهم مخافة القتل ، وكان طعنه شديداً يأتي عن اليمين وعن الشمال ، وكأنّ الساحة خلت من الفرسان عداه ، ويعجب الشاعر بفروسية (قرّة) ويقول: (فَأَبْرَحَتْ فَارِسًا) : أي أنه جاء بنوع من المدافعة لم يسبقه إليه أحد ، ولم يعرف لها العباس مثيلاً على الرغم من كثرة معاركه ، وبهذا الوصف وسّع الصورة التشبيهية السابقة ، وأعطاه أبعاداً مكانية ، ونفسية ، وحركية أكثر من ضرب المزيّد الخوامس .

ويظهر مما سبق أنّ الشاعر هنا قصد من بيانه لهذه المشاركة في حماية الجيش ، ومن خلال تصوير شدة الموقف : الفخر بموقفه هو ، وثبات جيشه ، وإصرارهم على الانتصار ؛ فجيشه يمتلك فرساناً لا يأبسون بالتهديد ، ولا يتراجعون عن النَّصر والحماية ، مهما اشتدَّ الموقف وصعب ، وفي هذا مساندة نفسية له في شعور جنده بما يشعر به ، وخوفهم على الجيش ومشاركتهم الوجدانية في الحرص على الانتصار ، وفيه كذلك إخراج ما في مكان النفس من التحفيز للقتال بشجاعة ، وجرأة ، وبأس ، وثقة بالنفس في غمرات القتال ، حيث يظهر عنصر الثقة كأحد أهمّ العناصر الأساسية في الدفاع ، والرغبة في الانتصار ، وبذل الغالي والنفيس من أجل ذلك ؛ وليستحثّ بذلك بقية الجيش ، فتعلوا همّتهم للنيل من عدوهم ، وتزداد حماستهم في الخروج من المعركة منتصرين ، حتى لو كلفهم ذلك حياتهم ؛ لذا أتى على ذكر القتلى والإشادة بهم ؛ ليبرز من خلال ذلك نماذج القتالية في أوضح ملاحظتها ، وأقوى أوضاعها :

﴿ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضبأغ بأكناف^(١) الأراك عرائسا
ولكنهم في الفارسي^(٢) فلا يرى من القوم إلا في المضاعف^(١) لايسا

(٢)

(١) . أكناف وأكناف كل شيء: نواحيه / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (فكن) ، ج ٢ / ٩٦٩ .

(٢) . يعني الدرود وتسمى قُردماني . / المرسي ، ابن سيده ، المخصص ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٤٦ .

وفي هذا صورة تشبيهية زادت في المعنى ووسعت رسم الصورة وذلك في قوله : (لأصبحت ضِبَاعُ بِأَكْنَافِ الْأَرَكَ عَرَائِيسًا) وهي من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد شبه حالة فرح بني سليم بكثرة القتل وجثث الضحايا في أعدائهم ، بفرح الضباع بصيدها وما نالته من ذلك الصيد ، وأنها لشدة فرحها بها تُقيم أعراساً وليس عرساً واحداً ، فكلُّ يحتفل بما قتل حتى يقلب الأمر إلى عرس وأنس ، ويزيدهم ذلك في الإصرار على الزيادة في القتل ، والنيل حتى من الجريح ، أما وجه الشبه : فهو الشراسة في القتل، والاعتیاد عليه ، والفرح به، وحب الدموية ، وعدم الرحمة .

ومعنى الأبيات : " لو مات جرحاهم لكان قتلاهم كثيرين تفرح بهم الضباع ، ولكنَّ الدروع حمتهم من القتل، فلست ترى واحداً منهم إلا لابسا درعاً مُضاعفاً " (٣) ، وهذه الأبيات تشير إلى ما عند أعداء الشاعر من عناد وعدة فهم يَحْتَمُونَ بالدروع ، ولولا ذاك لقتل منهم الكثير بل إنهم يلبسون المُضاعف من الدروع ؛ ليحتموا بها من ضربات العباس وجنده ، بمعنى أضعاف ما يرتديه الفارس عادة من الدروع ، ووصفه لكثرة الجرحى تصوير لدموية القتال ، وكثرة الدماء وأنَّ عليهم الحذر فهم بين فكي رحي : إمّا أن يقاتلوا العباس وجيشه ، وإمّا أن يكونوا فريسة للضباع في أعلى الجبال فهي تنتظرهم لتحتفل وتفرح ، وفي هذا من الوعيد وإلقاء الرعب ما فيه ، وفي الصورة التشبيهية كناية في قوله (الضباع) وهي أشدَّ السباع حرصاً على لحوم الناس، وأشدَّ الخلق مغارز أسنان ، ويقال إنَّها ممطولة في فكِّها " (٤) ؛ عن شجاعة بني سليم وقوتهم ، وحرصهم على النيل من العدو والخروج منتصرين ، والانتفاع من الغنائم خاصة الدروع التي أُعجب بها العباس ، ومن الانتفاع نيل الشهرة والمكانة بين القبائل وأنهم لا يهزمون ، وكأنَّه يقول : لا تظنوا أنَّ الدروع ستحميكم إلى الأبد ، حتى وإن لبستم المضاعف منها، والشاعر هنا يواجه الواقع ، وأن أعداءه يَحْتَمُونَ بالدروع ،

(١) . المضاعفة : الدرغ التي نسجت حلقتين حلقتين. / الجوهري ، مصدر سابق ، (ضعف) ، ج ٤ / ١٣٩١ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٤ .

(٣) . الملوحي ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٤) . الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ط ١ ؛ (بيروت : دار

الجيل ، ١٤١٠ هـ) ، ص ٢١٣ .

وليست أي دروع بل هي من أنفس الدروع ، وأجودها و ، كنى عنها بالفارسي ؛ ليبين مدى صلابتها وقوتها ثم حدد نوعها فهي من المضاعف من الدروع ، وهذا يعني أن أعداءه لن يُغلبوا فيما أن يشد عليهم ، وإما أن يستسلم ، و المعركة باتت في نهايتها ، ولا بد لأحدهم أن يحقق النصر ، والغالب على الأبيات تصوير أحداث المعركة ، وبلاء كلٍ منهما على النصر يكون لهم ، ومن طبع العباس قوة العزم ، وتجشم الصعاب مهما كلفه الأمر ، فهو القائد ، وبعد أن وصف جيش العدو خشي على جيشه من التراجع ، خاصة بعد أن وصف طريقة حمايتهم لأنفسهم ، وأنهم في المضاعف من الدروع الفارسيّة القويّة ، فأخذ يُدكرهم بما يسر نفوسهم ، ويكثر أنسهم ، ويثير فيهم الفرح حتى يقيموا الأعراس ، فرحاً بما غنموه من قتلى العدو ، وفي الوقت نفسه يدكر جند عمرو بن معد يكرب بعدد قتلاهم ، مقابل ما قتلواهم من بني سليم ؛ ليبدأ في التخلي عن الانصاف في قوله :

﴿ فَإِنْ يَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّا أَبَانًا ﴾^(١) بِهِ قَتَلَى يُدِّلُّ الْمَعَاطِسَا^(٢)

قَتَلْنَا بِهِ فِي مُلْتَقَى الْحَيْلِ خَمْسَةً وَقَاتِلُهُ زِدْنَا مَعَ اللَّيْلِ سَادِسَا^(٣)

يتابع رسم صورة الفرع المترقب والنصرة المنشودة ، حتى تحتفل الضباع ، وللتعبير عن رغبته في النيل من عدوه وقع الاختيار على (يُدِّلُّ الْمَعَاطِسَا) ، لتشبه هذا القتل بالإذلال وإلحاق العار، فكأنه (يُدِّلُّ الْمَعَاطِسَا) ، فقد ادعى قضيّة الإهانة ، والذل ، وإلحاق العار ولزومه لهم على مدى الدهر بهذه الصورة التشبيهية ، والتي هي من التشبيه (المركب الضمني)، شبه أخذ الثأر والقتل بالذل ، ووجه الشبه يؤول بالإهانة ، والضعف ، ولزوم الهزيمة لهم ، وشيوع خبرهم بن القبائل ، ثم اختار لفظة (أبانا به) ؛ ليبين السبب أو لما قام به ، وأنه رغبة في الانتقام فالغرض منه : توضيح الهدف من القتل فهو انتقام من مقتلهم لعزير منهم ، كذلك النيل منهم وإرغام أنوفهم ، ومنه معنى البيتين : " إن يقتلوا منّا رجلاً كريماً فقد قتلنا به رجلاً كراماً ، كانوا

(١) . (أَبَانٌ) : فلاناً بفلان إِبَاءً، إذا قتلته به / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من

الكلم ، مرجع سابق ، (بوأته) ، ج ١ / ٦٦٧ .

(٢) . الْمُعْطَسُ: الأنف من يَعْطُسُ. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (عطس) ، ج ١ / ٣١٩ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٤ .

خمساً ثم زدناهم قاتله فأصبحوا ستة^(١)، ثم يخرج العباس عما كان عليه ، ويُعير أعداءه بفقدهم لستة من فرسانهم وذلك رداً على قتلهم لكريم من بني سليم ، وكريم هنا يقصد به ذا جاه وحسب ومكانة ، ومن الملاحظ أن الشاعر " تجاهل وترك الانصاف في البيتين السابقين حين ذكر أنه قتل بواحد من أهله ستة من أعدائه ، .. وبذلك لا نستطيع أن نُعدّ هذه القصيدة منصفة كُلها " ^(٢) ، وتجاهله هذا للغرض الأساسي من القصيدة له أسباب في نظر الباحثة منها : طول مدة المعركة والسير لأجلها ، كذلك صمود الأعداء وعدم تراجعهم ، ومنها أيضاً شدة تحصنهم ، وحمايتهم لأنفسهم ، وكذا السبب الرئيس ، وهو قتل فارس من فرسان بني سليم ، كلُّ هذا جعل العباس يضيق ذرعاً ، ويتجاهل الانصاف ويخرج ما في أعماق الشعور الداخلي ويذكر لهم قتلهم بسبب ما ارتكبه ، وفي الوقت نفسه يُدخل السرور على جنده ، ليحتفلوا بذلك ، ويدفعهم ذلك إلى القتال بعنف حتى يكتثروا القتل في أعدائهم ، فينتصروا عليهم ، وهذا امتداد للصورة السابقة في إقامة الأعراس احتفالاً بالنيل من عدوهم ، ولا يخفى الغضب الذي سيطر على الشاعر ؛ حتى جعله يترك كل ما مضى من الانصاف ، ويقرّ بقتل ستة منهم مقابل واحد ، ومن المعروف أن للغضب آثاره النفسية ، التي ظهرت جليّة من خلال ألفاظ الشاعر ، (يذلل المعاطسا) ، (قتلنا ، وقاتله) ، فهو يخشى أن يخسر جندياً من جيشه فيشتمت به أعداؤه ، وهو سيّد في قومه ، ويأبى شتماته الأعداء ؛ ولذا أتى بكلمة القتل أكثر من مرة ؛ ليظهر قسوة ما رآه من القتل في جيشه حتى وإن كان لفارس واحد ، فهو فارس شهيم كريم ، فأعاد عليهم الكرة أضعاف ذلك بأن قتل منهم خمسة ثم زادها بمن قتل ، فأكمل العدد ستة مقابل فقدته لواحد ، هذا في تكراره لكلمة قتل : (إن يقتلوا ، قتلى ، وقتلنا وقاتله) ، على ما فيها من (جناس غير تام) تعطي تصويراً لصعوبة الموقف على نفسه ، ومحاولته التخلص منه ، ومما دعا العباس إلى العزم على إذلالهم فمقتلهم لأحد عناصر جنده أثار ذلك غضب العباس أكثر من أي شيء ، وقاده ذلك لزيادة القتل فيهم ليلاً فقال : (وقَاتِلُهُ زِدْنَا مَعَ اللَّيْلِ سَادِسَا) ، وبيانه للعدد هنا ؛ ليزيد من تحقير أعدائه ، وفي المقابل تحفيز جيشه ، وحين خصّ وقت الليل للانتقام من العدو ؛

(١) . الملوحى ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٢) . المرجع السابق .

لأنّ الليل عادة وقت راحة لكن لما يعانيه الشاعر من ضغوط نفسيّة ، ولكونه قائد الجيش و هو من يتحمّل الخطأ فما كان منه إلا أن يأخذ بالثأر في أي وقت وحين ويشفي غليله بأن قتل القاتل ليستريح ويعلن نصره وفخره بذلك ، ويعود بعدها للفخر القبلي ، ويأتي بالاستعارة ليوصل للمتلقّي صورة الحرب وصرامتها ، ويوسع في الصورة التشبيهية السابقة ، ويُمهد بها لصورة تشبيهية أخرى ، وحرصهم على النيل من عدوهم، حتى يغنموا منه و يقيموا أعراسهم :

وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّتْ نَشْبُهَا وَنَضْرِبُ فِيهَا الْأَبْلَحَ ^(١) الْمُتَقَاعِسَا ^(٢) ^(٣)

هذه من الصور الحركية عند الشاعر ، والتي تلونت بلون النار ، ولهيبتها ، وكأنّ الحرب بينهما نارٌ يزداد لهيبها ، ويشتعل كلّما ازداد هجوم أعدائه ، ووقود هذه الحرب كل متكبر متردد في القتال خوفاً من العباس وجنده ، والصورة الاستعارية هنا تعيد ما كان في بدء المعركة من هجوم غير متوقع على الأعداء ، والقصد من ذلك الهجوم إذلالهم كما في الصورة التشبيهية السابقة رغبةً في الانتقام منهم وأتّه ضرب يُذل المعاطس، والاستعارة تتضح في استعارته لهيب النار للحرب ، وكأنّها موقد نار يرمي فيه بكل متكبر متعالٍ متقاعس عن الحرب وخوضها، وقد حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازم المشبه شَبَّتْ ونشبها على سبيل (الاستعارة المكنية) ، واختياره لكلمة نشب وتكريرها ، هو صورة للانفعال التأثري الذي قُصد منه إذلال العدو نتيجة لعدم استسلامهم وإبائهم ، وفيه إظهار لشكل الهجوم والرد ، أو حركة الهجوم من كلا الطرفين، وكأنّها لهيب نار ترتفع حيناً ، وتنخفض حيناً آخر، وهذه الصورة الحركية فيها تصوير لمشاعر الشاعر المكبوتة بين خوف، وطمع ؛ لذا استخدم الشاعر ألفاظاً تدلّ على صعوبة الموقف ، وترقب نهاية الحرب ، وامتزج في هذا الموقف الأمل واليأس ، الأمل في قوله : (كُنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّتْ نَشْبُهَا) ، وأما اليأس من استسلامهم فقد اتضح من خلال (الْأَبْلَحَ الْمُتَقَاعِسَا) ، فأعداؤه لديهم من القوة ما يجعلهم يرفضون الاستسلام ،

(١). البُلْحُ، والبُلْحُ: المتكبر في نفسه . / المرسي ، ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (بَلَحَ) ، ج

٢١٢ / ٥ .

(٢) . تَقَاعَسَ: تأخر و رجع إلى خلفٍ . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (قَعَسَ) ، ج ١٧٧ / ٦ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٤ .

ويعضون في المعركة ، وهذا ما جعله في السابق يختار ذل المعاطس ؛ لكونهم من عليّة القوم ، ويصعب استسلامهم ، وأما قوله (نضرب) تعطي معنى اتحاد جند العباس ، وهذا هو المهم لديه للمضي قُدماً؛ وليتوصل من خلاله إلى الفخر القبلي ، فيعيد لجيشه القوة والتماسك ، حتى يُمكنه ذلك من الخروج من المعركة منتصرين، أو على الأقل بدون خسائر ، ومن هذا اتضح معنى البيت : " إذا أوقدت نار الحرب زدناها وقوداً وكان وقودها كل فتىً أبلخ الوجه ، أشمّ الأنف " ^(١)، وهنا أوشكت المعركة على نهايتها ، فأخذ يصور نهاية الحرب ، وخاصة الأدوات لاعتمادهم عليها ؛ وليُظهر من خلال ذلك شراسة الحرب، وقوة الهجوم والدفاع :

فَأَبْنَا وَأَبْقَى طَعْنُنَا مِنْ رِمَاحِنَا مَطَارِدَ ^(٢) خَطِيٍّ ^(٣) وَحُمْراً مَدَاعِسَا ^(٤)
وَجُرْدًا ^(٥) كَأَنَّ الْأُسْدَ فَوْقَ مُتُونِهَا مِنْ الْقَوْمِ مَرُؤُوسًا وَأَخَرَ رَأْسًا ^(٦)

إن كانت الصورة السابقة أعطت الشكل الحركي عن طريق الاستعارة ، فهو هنا يعتمد على الصورة التشبيهية ؛ ليختم بها قصيدته ؛ وليصور نهاية المعركة ، وذلك في قوله : (كَأَنَّ الْأُسْدَ فَوْقَ مُتُونِهَا) فقد اتخذ من كاف التشبيه طريقاً ؛ ليوصل بها اتحاد القوم والتفافهم حول قائدهم وليربط بين طرفي التشبيه وهما (قوم الشاعر) المشبه و(الأسد) المشبه به ، وزاد من جمال هذه الصورة بأن أخفى وجه الشبه لدلالة تنوع الأسلحة وتنوع الأشخاص عليه ، وهو القوة مع القدرة ، وكذا في جمعه لكلمة (أسد) ؛ ليظهر تساويهم في الشجاعة ، والصورة من التشبيه (المرسل المجل) ، ورسم بهذه الصورة نهاية الحرب الضروس عن طريق الصورة الحسية

(١). الملوحى ، مرجع سابق ، ص ٧١.

(٢). الْمُطْرَدُ: رُمح ليس بالطويل وجمعه مَطَارِدُ. / الأزدي، أبو الحسن ، كراع النمل ، علي بن الحسن الهنائي ،

المنتخب من غريب كلام العرب ، تحقيق. د محمد بن أحمد العمري ، ط ١؛ (جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، (طرد) ، ج ١ / ٤٩٣.

(٣). الحَطُّ: سيف البُخْرَيْنِ وَعَمَّنْ ، وَقِيلَ: الحَطُّ: مرفأ السفن بِالْبُخْرَيْنِ، تَنَسَّبَ إِلَيْهَا الرِمَاحُ، يُقَالُ: رَمَحَ حَطِيًّا، وَرِمَاحَ حَطِيَّةً وَحَطِيَّةً / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم . (حطاً) ، ج ٤ / ٥٠٣ .

(٤). سبق توضيح معناه ، ص ١٠٢ ، من هذا البحث .

(٥). فَرَسٌ أَجْرَدٌ وَالْأُنْتَى جَرْدَاءُ، إِذَا رَقَّتْ شَعْرَتُهُ وَقَصُرَتْ وَهُوَ مَدْحٌ / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (جرد) ،

ج ١ / ٤٤٦.

(٦). السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٥.

البصرية، وكان قبلها قد صوّر شكل الرمح بعد انتهاء المعركة ، وقد كُسر من شدة الطعن والضرب به ، فأصبح قصيرا مع أصلاتها ، فهي من رماح حَظية أصلها من البحرين ، ولعل سبب كسرها استقامتها ، فشكلها كالخَطِّ ؛ ولذا حدّد النوع ؛ ليظهر سبب كسره مع متانته لكن لقوة الضرب به جعلته قصيرا ، وربما احتفظ بعض تلك الرماح بشكلها الأصلي لقوتها ومتانتها وهي (المداعس) التي تطعن طعناً قوياً ، وهي حمراء ليعطي للبصر مداه في تصور ذلك أهي حمرة من لون الرمح ، أم أنها حمرة من القتل وسيل الدماء ، وفي نهاية وصفه جاء بذكر الجياد الأصيلة الحسنة ، والتي طالما صبرت في وجه العدو، و رُبّما عبست من شدّة الكرِّ كما مر سابقا ، حين شبهها بالإنسان العابس ؛ لكثرة ما بذلت من جهد و ما لاقته من عنف ، وهي هنا لحسنها جراد ناعمة الملمس ، وهي لا تحمل سوى سادة القوم وعليتهم ، فكل من يركب تلك الجياد أسد في شجاعته وإقدامه ، وهم ما بين مرؤوس و رئيس ، وفي هذا المديح بيان أنّ النصر ، أو نهاية المعركة التي كانت لصالحهم أكثر من عدوهم ، وقد نتجت عن تكاتف الجيش ، وعمل الرئيس بجانب المرؤوس ، وهذا من بديع جماليات فن الجناس بين (مرؤوس و رئيس) ، وهو (جناس غير تام) ، وقد دلّ على معنى الوحدة والتكاتف ، ودفاع كلٍ منها عن الآخر دفاع الأسد في شراسة، ودون وجل ، ومن هذا يتضح أن الشاعر عمد إلى إخفاء وجه الشبه ؛ ليتسنى للمتلقي التفرقة بين الرئيس والمرؤوس ، فقد مرّ معنا كيف كان انتقامهم لقتل فارس منهم حتى منعهم ذلك من النوم ليلاً ليأخذوا بثأرهم ممن قتله ، وفي الناحية النفسية يظهر في الصورة مدى الراحة التي يشعر بها العباس بعد انتهاء المعركة، وفخره بقومه ، وذلك لانتهاء الصراع الذي كان يشعر به ، ويظهر للباحثة أنّ وصفه لأدوات الحرب وما أصابها من كسر فيه بُعد نفسي ، أو صورة خفية لما أصاب بعض جنده من إحباط وفتور ، مقابل تماسك بعضهم كتماسك الرماح الدواعس ، معنى ذلك أن هناك مشاعر متعددة أظهرتها الصورة التشبيهية منها : الإحباط والندم ، ومنها الفرح بانتهاء الأزمة فقد واجهوا جيشاً قويا تحميهم الدروع الفارسية ، والرماح القوية ، وفقدوا فارسا ، ولا يريدون المزيد من الخسائر فهي بالنسبة لبعضهم انتصار، وعند البعض خيبة أمل فقد ظنوا أنهم سيغنمون من تلك المعركة ، وفي الصورة كذلك معنى الأخوة ، والتعاون بين الرئيس والمرؤوس ، وفيها رضاء بما كان ؛ لكونهم جميعا من خيرة القوم وأنبل فرسانه ؛ ولذا شبههم بالأسد ، وظهر دقة

اختياره للألفاظ بأن اختار جمع (الأسد) بدل أسود ، للمبالغة في بيان جراتهم ، وعلو أخلاقهم ، وإقدامهم ، وسيادتهم على من جاورهم من القبائل ، ومن هنا يظهر معنى البيت : " عُدنا من الحرب وقد أبقت المعركة من رماحنا بقايا متكسرة فيها قصير وفيها ما هو غليظ ، كما أبقت خيولاً كأنّ فُرساتها فوق ظُهورها أسود ، سيان من كان منهم رئيساً ومرؤوساً " (١).

وبعد انتهاء هذه المنصفة ظهر مدى تماسك أبياتها ، وانتظامها في إيصال الهدف ، والتصوير الدقيق للحدث وأظهرت كذلك براعة العباس في انتقائه لألفاظه ، ومعانيه لإيصال مشاعره وأحاسيسه للمتلقي ، فضلاً عن أهميتها الأدبية والبلاغية وذلك لكونها " تمثّل رصيذاً كبيراً في الشعر العربي ، بل لا يُعرف منها إلا قصائد معدودةً مثل المفضل النكري ، وعبد الله بن عبد العزى ، والمفضل بن العباس اللهي ، وأبي عروبة المدني ، والعديل بن الفرخ العجلي ، والعباس بن مرداس ، وإلى جانبهم بعض الشعراء الذين لهم مقطوعات قليلة فيها شيء من الانصاف..، ولا يعنينا منها إلا منصفة العباس بن مرداس التي يُوحى بأهميتها أنّ الاصمعي اختارها كلها في أصمعياته ، وتناثرت أبيات منها في كثير من مصادر الأدب والحماسة...، والحق أنّ هذه المنصفة تعدّ من روائع الشعر العربي في قوة أسلوبها ، ومتانة تركيبها وألفاظها ، وإحكام نسجها وروائع صوّرها ، وسموّ مضمونها ، وعدوبة جرسها " (٢)، والمتأمل في القصيدة يظهر له سعة خيال العباس وخصوبته ، وقدرته على التصوير ، واتضح ذلك في اختياره لتشبيهاته : فمرة حسيّة وهو الغالب ، ومرة وجدانية عاطفية ، ومرة حركية وكذا كان في استعاراته ، مع دقة اختياره للألفاظ الدال على الشجاعة ، والإقدام ، والإصرار على الانتصار دون أن يتجاهل بطولة عدوه وإقدامه وصبره ، محاولاً إظهار التكافؤ بين الطرفين ، دون تحيز إلا في نهاية المعركة، فقد ظهر في بيتين تحيزه لجنده ؛ ولعل السبب نفاذ صبره وفقده لأحد فرسانه ، ومع ذلك تظلّ هذه القصيدة من روائع الشعر العربي ؛ لنفاستها، وقدرتها على التصوير ، وندرة موضوعها في ذلك العصر ، وهي تعدّ تحفةً حريّةً حشد فيها الشاعر " الألفاظ القتالية ، ومعاني الشجاعة، والخيال الرائع والعاطفة المتأججة ، ويسوق ذلك كله في

(١). الملوحى ، مرجع سابق ، ص ٧٢.

(٢). عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١.

أسلوب متين ، وعبارة رفيعة للقارئ ، حتى يعرف منزلة العباس وقومه بين قبائل العرب " (١) ، وهذا الأسلوب الرّصين الذي امتاز به العباس في قصيدته المنصفة ، شمل مستويات الصورة التشبيهية كلها مع اختلاف القصائد ، وقد حاولت الباحثة من خلال ذلك توضيح الأبعاد الموضوعية للصورة التشبيهية ؛ ليتبين أسلوبه ويمتاز عن غيره ، وقد اتخذت الباحثة من الشرح ، وإبداء الرّأي و الموازنة بينه وبين معاصريه ، أو من سبقوه سبيلاً إلى إظهار أسلوبه ، وتحليله ومدى تأثره بهم أو تأثرهم به ، وكان في كل مرة يبرز أسلوبه ، وتظهر شخصيته معتمداً على التصوير البلاغي بمختلف أنواعه من بيان ، وبديع ، ومعاني .

(١) .أبو ناجي ، محمود حسن ، شعراء العرب الفرسان في الجاهليّة والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ ، بتصرّف .

الفصل الثاني :

سِمَاتُ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ عِنْدَ الشَّاعِرِ

الفصل الثاني : سمات الصورة التشبيهية عند الشاعر :

اتضح في الفصل السابق أسلوب الشاعر ، وتميّزه عن غيره باستخدامه لألفاظ وتراكيب خاصة به ، لدرجة أنّ المتأمل في شعره يلحظ قوة دلالة الألفاظ على صاحبها وشخصيته ، والصورة التشبيهية هي إحدى المقومات الأساسية للخطاب الشعري الذي يسلكه الشاعر وذلك عن طريق لغته الخاصة به " هذه اللغة المخترعة تقوم على الصّور التي تُجسّم المعاني ، وتنقلها إلى درجة أرقى لتزداد قوةً وجمالاً ، هذه الصورة يأتي بها الأديب في كلامه من استعماله للتشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو المبالغة... وترى الأديب يتأنق في ترتيب أفكاره ليكون كلاماً مفهوماً ، ويختار ألفاظه الفصيحة التي تُعبّر عن قوة عاطفته وانفعاله ، والتي تثير الشّعور بالمتعة ، وتدخل على نفس القارئ السرور والإعجاب " (١) ، وبما أنّ أولى وسائل الشاعر لتوصيل تجربته ، وضوح الفكرة ، ثم اختيار الألفاظ المعبرة عن تلك الفكرة ، ومن هذا يتكون الخطاب الشعري الذي يتضح من خلال نظام تركيبى خاص بالشاعر يضم عدداً من الألفاظ ، والجمل نسقها الشاعر بطريقته الفنيّة الخاصة به ، مُستنداً على عناصر الخيال ، والمخزون اللفظي محاولاً توصيل تجاربه الذاتية ، أو الجماعية ، وفي كل مرة تُبتكر ألفاظ ، ومعانٍ خاصة بالحدث ، والموقف والغرض ، ولها سماتها الخاصة التي ترتبط بالموقف ، والتصوير من جهة ، وبطبيعة الشاعر ، ونفسيته من جهة أخرى ، فتصطبغ بتجربة الشاعر الخاصة في أبعادها الدينية، والفخرية، والغنائية ، والوصفية عن طريق الصورة التشبيهية ، ومن هذا تظهر السمات الخاصة به في خطابه الشعري فهو " يتصرّف في بناء العبارة أو الجملة على غير ما عهدنا في اللّغة العاديّة فتراه يُقدّم ويؤخّر ، ويحذف ويذكر ، ويوجز ويُطنب " (٢) ، والشاعر يلجأ إلى هذه الوسائل ؛ ليُكوّن سماتٍ خاصةً بصوره ، وعباراته ، فيُعرف بها شعره ويمتاز ؛ لذا اختارت الباحثة هذا الفصل لدراسة السمات الخاصة بالصورة التشبيهية من الناحية البلاغية ، ويبدأ بخصائص الألفاظ ، وتنوعها عند الشاعر ، وبعد اتساق الألفاظ تتضح خصائص التراكيب والنظم ، ومن اتحاد النظم تنكشف مصادر الصورة ، ومنازعتها ؛

(١) . عرفة ، عبد العزيز عبد المُعطي ، من بلاغة النظم العربي " دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني " ، مرجع سابق ،

ج ١ / ٣٢٢ ، ٣١٠ .

(٢) . المرجع السابق ، ص ٣٢ .

ليظهر من خلال ذلك كله جماليات الصورة التشبيهية عند العباس من تشخيصٍ ، وبعُدٍ وغبابةٍ ، وغيرها ، وجمعيتها تُمثل مظهراً من مظاهر الجمال ، والقوة في الصورة التشبيهية ، وقد تنجلي عن بعض مظاهر الضعف في الصورة التشبيهية .

المبحث الأول : خصائصُ الألفاظِ :

أكد أهل البلاغة على أهمية انتقاء الألفاظ ، وأنَّ أولى درجات الفصاحة اختيار اللفظ المناسب ، وبعده عن التعقيد ، وسلامة مخارجه ، وسلاسة حروفه ، من ذلك ما أشار إليه بشر بن المعتمر في تقنينه لأصول البلاغة " ... ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ، ويهجنهما ، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترتهن نفسك بملايستهما وقضاء حقهما ، فكن في ثلاثِ منازل ، فإن أولى الثلاث: أن يكون لفظك رشيقياً عذباً ، وفخماً سهلاً ، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، أمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وأمّا عند العامة إن كنت للعامة أردت . " (١) ، واللفظ الجيد الدال على المعنى ، هو أحد مقاييس جودة الشعر ، فقد سئل الأصمعي: " أي بيت تقوله العرب أشعر؟ . قال: الذي يسابق لفظه معناه " (٢) ، كما جعل النقاد حُسن اختيار الألفاظ ، وقُرب المأخذ أحد جماليات النصّ الأدبي ، ودليلاً على وعي صاحبه ، وبلاغته ؛ فالشعر عند الكثير من البلغاء والنقاد صناعة ، وينبغي إتقانها حتى تؤدي الصُورة دورها في التعبير ، والتأثير في المتلقي ، وقد ذكر الأمدى حدوداً للصورة يجب مراعاتها من تلك الحدود : " حُسن التآني ، وقرب المأخذ في اللفظ والمعنى ، انتقاء الألفاظ ، واختيار الكلام الجيد الحسن ، وضع الألفاظ في مكانها ، وهذا ما يسمى حديثاً ، بالوحدة في الصورة والملاءمة بين أجزائها

(١) . الجاحظ ، البيان والتبيين ، مصدر سابق ، ج ١ / ١٢٩ .

(٢) . الأندلسي ، ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ، العقد الفريد ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ) ، ج ٦ / ١٧٤ .

- و انظر العريني ، عبد الله صالح ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، مقاييس جودة الشعر في النقد العربي القديم ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية و الإدارية) ، المجلد الرابع - العدد الثاني - ، (مقبول للنشر) ، ص ٧٧ .

،وَأَلَّا يُجْمَلُ اللَّفْظُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَاهُ بِالتَّكْلُفِ وَالتَّصْنَعِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى حَدِيثًا بِالْخُرُوجِ عَنِ التَّصْوِيرِ الدَّقِيقِ الْوَاقِعِيِّ... " (١)، وقد امتازت الألفاظ في العصرين الجاهلي، وصدر الإسلام بسلاستها، وعذوبتها، وبُعدها عن التعقيد، ودلالاتها على المعنى، فقد عمَد الشعراء إلى الاهتمام " بألفاظهم وعباراتهم، فينتقون ويدققون في اختيار الألفاظ، ويتحرّون أن تكون ألفاظاً شعرية تؤدي الغرض المقصود بما تحمل من معاني القوة والتأثير " (٢)، وبما أنّ العباس شاعر مُخضرم فقد حمل شعره سمات الشعر الجاهلي، والشعر الإسلامي معاً من قوة، وورصانة، و شرف معنى، وقد " جاءت ألفاظه قويّة جزلةً موحيةً، بعيدة كل البعد عن السُّوقية وتنافر الحروف، وعلى الرّغم من أنّ العباس من شعراء البادية الذين يزخر شعرهم بالغريب إلا أنّ شعره امتاز بالسهولة، والوضوح في معظم ألفاظه " (٣)، ومن الصور التشبيهية التي حملت ألفاظها العديد من المعاني الوجدانية في الحنين إلى الأصحاب وإلى المكان، وبها معاني الوفاء، والاعتراف بالجميل قوله:

﴿عَلَيْهِنَّ عَيْنٌ﴾ (٤) مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ (٥) أَوَانِسُ (٦) يُضْبِنُ الْحَلِيمَ الْمُجْرَبَا (٧)(٨)

- (١) . صبح، علي علي، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د.ط (دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ص ٣٥، ٣٦ .
- (٢) . الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ط دار التراث الأول؛ (مكتبة دار التراث، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ص ٤٥٣ .
- (٣) . عسيلان، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر)، مرجع سابق، ص ١٠٨ .
- (٤) . العَيْنُ: البقر الوحشية، جمع: عَيْنَاء، وهي واسعة العين تشبه بها أعين النساء، قال الله تعالى: ﴿ وَرَوَّجْنَهُمْ مِجُورٍ عَيْنٍ ﴾ (٥٤) الدخان آية (٥٤) . / الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، مرجع سابق، (عين)، ج ٧ / ٤٨٥٢ .
- (٥) . تَبَالَةٌ: بالفتح قيل تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج: موضع ببلاد اليمن، وهي مما يضرب المثل بخصبها / الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٢ / ٩ .
- (٦) . أوانس (الأنس): حدييث النِّسَاء ومغازلتهن. / مصطفى وآخرون، مرجع سابق، (أنس)، ج ١ / ٢٩ .
- (٧) . الْمُجْرَبُ: بفتح الرَّاء الذي قد جرّته الأمور وأحكمتها فإن كسرت الرَّاء جعلته فاعلاً . / الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مرجع سابق، (جرب)، ص ٥٥ .
- (٨) . السُّلْمِي، العباس بن مرداس، الديوان، ص ٣٨ .

شبه عين المحبوبة في هذا البيت بعيون البقر الوحشية ، أو الطَّباء في وسعها وجمالها ، وذلك في قوله : (عَيْنٌ مِنْ طِبَّاءٍ تَبَالَةٌ) ، وقد حذف الأداة ووجه الشبه ؛ ليلبغ الغاية من ذلك الوصف؛ فالصورة التشبيهية هنا مما يظهر للباحثة أنَّها من التشبيه (البليغ) ، وكأنَّهن فعلاً من طبَّاء تبالة جمالاً وحسناً وهو وجه الشبه ، والغرض منه : التأثير في نفس القارئ أو السامع ، وقد أوجز في وصفه هذا أنواع الجمال والرقة المحيطة بالشاعر ، ونقل مشاعره الجياشة تجاه المناظر التي رآها، ثمَّ يؤكد ذلك التشبيه بأنَّها عيون كأنَّها لطباء تبالة أرض الحسن ، والجمال ، والخصب ، والنضارة، وهي من أجود الطباء، وأحسنها، والصورة التشبيهية هنا رسمت شكل العين، وجمالها وأن بها جمال كعيون المها الفاتنة ، حتى أنَّها تفتن صاحب العقل الفطن المجرب ؛ لذا قال : (يُصِيبِن) ، فالقصد من ذكره للعقل الحكيم المجرب بيان مدى جمال عيون مَنْ نظر إليهن ، حتى أنَّهن ذهبن بعلقه وحكمته ، وتجربته ، وكأنَّه ما عاد السَّيد العليم بأمور المعارك والحياة ، وما ذاك إلا لشدة جمالها فافتتن بهن.

وقد عمد الشاعر في هذه الصورة إلى اختيار ألفاظ بعينها ؛ لتوصل فكرته إلى المتلقي ممزوجة بوجدانه ، وعواطفه من ذلك لفظة (عَيْن) ولم يقل عَيْن كما هي العادة في التشبيه بالغزال ، أو الطباء ونحوها في وسع العين ، وجمالها ، وقد امتد تشبيه عين المحبوبة بعين الطباء ، حتى العصر الحديث ومنه قول الشاعر محمد بن علي السنوسي ^(١) في الغزل :

لا مَا رَأَتْ عَيْنِي عَلَى مَا رَأَتْ مِنْ الْحِسَانِ الرَّائِعَاتِ الصَّبَاحِ
مِثْلًا لَهَا فِي حُسْنِهَا عَادَةٌ بَاحَ لَهَا الْحُسْنَ بِمَا لَا يُبَاحُ

(١) . شاعر و أديب سعودي ، ولد في مدينة جازان عام ١٣٤٢هـ ، تعلَّم على يد الشيخ علي بن حمد عيسى رئيس كتاب محكمة جازان ، ثم قرأ علوم العربية على والده، تأثر الشاعر بالفحول من الشعراء القدامى والمحدثين مثل أبي تمام والبحرّي والمتنبي، وشوقي وحافظ وعزيز أباظة، فسار على منوالهم ونهج نهجهم ، حاز على عدد من الجوائز منها : ميدالية تكريم من جامعة الملك عبد العزيز بجدة وميدالية المتنبي من وزارة الثقافة العراقية عام ١٣٩٦هـ ، ترجمت بعض قصائده إلى اللغة الإيطالية، ونشرت الترجمة في مجلة "المشرق" الإيطالية، من مؤلفاته : مع الشعراء ، وشعره نشرته عدد من المجلات منها : المنهل والهلال والأديب ، من دواوينه " نفحات الجنوب و البنايع و الأزاهير " توفي عام ١٤٠٧ - ١٩٨٧م . / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ج٦ / ١٥ ، ١٦ .

- صبح ، علي علي مصطفى ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ط ١ ؛ (المملكة العربية السعودية : جدة ، دار تهامة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، ص ٧٧ وما بعدها باختصار .

عَيْنَانِ مَا عَيْنُ الْمَهَا وَالظَّبَا وَقَامَةٌ مَا الْبَانُ؟ مَاذَا الرَّمَاحُ؟^(١)

فالشاعر هنا يتعجب من جمال المحبوبة ، ويذكر لها صفات منها : تشبيه عينيها بالمها والظباء وقال : (عَيْن) في مجاراته للقدماء ، في حين أنّ العباس قال : (عَيْن) ؛ ليؤكد امتلاك المحبوبة لجمال عيون كعيون الظباء ، وليليس الوصف للموصوف ، ولعل العباس قصد بذلك التخصيص وأنها لظباء تباله كما ذكر ، والتي لها ميزات خاصة بها ، فهن لديهن أعين لا يمكن أن تملكها أنتي ؛ لكونها تحمل مواصفات ليست لدى غيرهن ، من وسع العيون ، وجمالها فهي نادرة الوجود لذا جاءت في وصف الحور العين ، وجزاء عباد الله الصالحين في قوله تعالى : ﴿ مُتَكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾^(٢) ، وفي الحديث الشريف : " قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ يُرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعْ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا) " ^(٣) ، هذا دليل على حُسْنِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ ، ومن أسبابه اختياره لهذه اللفظة ؛ علمه باللغة ، ودلالاتها فاختر لفظه (عَيْن) ؛ لعلمه بدلالاتها على عين الظباء الواسعة أكثر من كلمة (عَيْن) ، التي لا بد من تخصيصها بعد ذلك أهى عين البشر ؟ أم عين الظباء ؟ أم العين الدالة على مجرى الماء ؟ ، ثم خصص الوصف بأن تلك الظباء من أرض خصبة طيبة ، وهي أرض (تباله) ، والتي طالما تغنى بها الشعراء وكانت مضرب المثل في جمال الطبيعة ، وطيب المسكن ، والمنزل منها : "قَوْلُهُمْ مَا حَلَلْتَ بِبَطْنِ تِبَالَةَ لِتَحْرَمَ الْأَضْيَافَ " ^(٤) ، وهذا المثل يُضْرَبُ " للرجل لَا عِلَّةَ تَمْنَعُهُ عَنِ الْبَدَلِ وَلَا يَبْدُلُ ، وتباله لَا تَحْلُو من خصبٍ مُقِيمٍ وَالنَّازِلِ بِهَا لَا يُمَكِّنُهُ الْاِعْتِلَالُ بِالْجَدْبِ " ^(٥) ، فهي إذن أرض خصبة كثيرة الخير ، والعتاء بها الظباء الحسنة ، ولا زالت هذه المنطقة تتمتع بجمال الطبيعة حتى اليوم ويقصدها الناس للاستمتاع

(١) . صبح ، علي علي ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، مرجع سابق ، ص

٩٩ .

(٢) . سورة الطور ، آية : (٢٠) .

(٣) . الترمذي ، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد

شاكر وآخرون ط ٢ ؛ (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ، ج ٤ / ٦٩٦ .

(٤) . العسكري ، أبو هلال ، جمهرة الأمثال ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٢٥١ .

(٥) . المصدر السابق .

بجمال الطبيعي والجو العليل^(١) ، هذا ما جعله يخصص تبالة دون غيرها لما فيها من جمال ، وحسن يليق بجمال المحبوبة ، وحسنها ، وقد يكون السبب في اختيار طبائها ؛ لكون جزيرة العرب صحراء قاحلة يقل فيها الزرع ، ويشتد الحر فما إن يجد المسافر أرضاً خصبةً ، وهواءً عليلًا ، إلا وذكره ، وعلق بذهنه ، ووجدانه ، وقد تغنى الشعراء بتبالة كقول لبيد العامري في معلقته :

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ^(٢) كما تَمَّا هَبَطًا تَبَالَةً مُخَصِّبًا أَهْضَامُهَا^(٣)
تَأْوِي إِلَى الْأَطْنَابِ^(٤) كُلُّ رَذِيَّةٍ^(٥) مِثْلُ الْبَلْبَلَةِ^(٦) قَالَصُ^(٧) أَهْدَامُهَا^(٨) (٩)

والأبيات وصف لحال من ينزل بتبالة ، فهي مأوى كل من أنهكه التعب ، وظهرت عليه علامات ، حتى كاد أن يفنى فيجد فيها الراحة والمتعة والسكينة ، ويأنس الإنسان بتلك الطبيعة الخلابة كما يأنس بحديثه مع الحسنات لذا أتى بصفة " أوانس " بالجمع كما جمع (عليهن) ؛ ليظهر أن الحديث والأنس كان مع جماعة ولم يكن منفرداً أو خاصاً بشخص معين ، وفي انتقائه للفظ (أوانس) التي على وزن (فواعل) الذي هو جمع لفاعلة ، ليبيّن

(١) . عبد الحمين القرني ، (الجمعة ٠٣ / ٠١ / ٢٠١٤ م) ، " تبالة متكأ التاريخ على ضفاف بيشة " ، جريدة المدينة ، المدينة ، العدد : ١٨٨٢٣ ، الأربعاء ١٤٣٦ / ١ / ١٢ هـ .

(٢) . الجنيب: العريب / الرازي ، مختار الصحاح ، مرجع سابق ، (جنب) ، ص ٦٢ .

(٣) . أَهْضَامُ تَبَالَةٍ: مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ جِبَالَةٍ / الزبيدي ، مرجع سابق ، (هضم) ، ج ٣٤ / ١٠٨ .

(٤) . الْأَطْنَابُ: مَا شَدُّوا بِهِ الْبَيْتَ مِنَ الْحَبَالِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرَاقِ / الأزهرى ، أبو منصور ، مرجع سابق ، (طنّب) ، ج ١٣ / ٢٤٨ .

(٥) . الرَّذِيَّةُ: الْمَهْزُولُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ بَرَّاحًا، وَالْأَنْثَى رَذِيَّةٌ / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (رذي) ، ج ٨ / ١٩٦ .

(٦) . وَالْبَلْبَلَةُ: التَّاقَةُ تُعْقَلُ عِنْدَ قَبْرِ صَاحِبِهَا فَلَا تُعْلَفُ وَلَا تُسْقَى حَتَّى تَمُوتَ. / الفارابي ، أبو إبراهيم ، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ، معجم ديوان الأدب ، تحقيق: د. أحمد مختار عمر و د. إبراهيم أنيس ، د. ط (القاهرة : مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ج ٤ / ٥٧ .

(٧) . قَلَصَ الشَّيْءُ وَقَلَّصَ وَتَقَلَّصَ: ارْتَفَعَ. / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مصدر سابق ، (قلص) ، ج ٢ / ٩٧ .

(٨) . الْهَدَمُ: الثَّوْبُ الْبَالِي، وَالْجَمْعُ أَهْدَامٌ. / الرازي ، ابن فارس ، مجمل اللغة ، مصدر سابق ، (هدم) ، ص ٩٠١ .

(٩) . العامري ، لبيد بن ربيعة بن مالك ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

امتلاكها للصفة، وصدورها منها مرات عدّة ، بشكل يسر الخاطر ، ويجذب الناظر ، وفي الكلمة رقة تتناسب مع رقة المكان وجماله ، وموقف الجمال المحيط بالشاعر ، وكأَنَّها مؤانسة في المكان والزمان ومع الأشخاص، وشعور بالإعجاب يتنازع جمال المكان و جمال السكان ، وإن كانت تبالة لحسنها تُذهب التعب ، وتُنسي ما تعرض له الإنسان من صعوبات ، حين يصلها فيعود له نشاطه ، وإن النظر في عيون المحبوبة تُذهب عقل من ينظر إليها ولذا اختار لفظة " يُصْبِين "؛ لِيُعْلَم أثر النظر إلى حسنهن ، وإِنَّهُن يُذهبن بالعقل ، فيطيش ، ويتصابي ، ويتناسى ما كان عليه من رجاحةٍ، وسؤددٍ، وحكمةٍ، وانتقى لذلك لفظي " الحليم " و "المجربا " ، فبالرغم من حكمته وتجاربه الكثيرة في الحياة ، التي تردعه عن أمور تُقلل من مكانته ، وسيادته ، إلاَّ أنَّه هنا وقف عاجزاً عن رد نفسه عن النظر إليهن والتأثر بجمالهن ، بل إنَّه يرى أنَّ مثل هذه العيون هي ما ينبغي النَّظر إليها ، والتعلق بها ؛ فهي لجمالها تأسر القلوب ، وبها من الجمال ما يستحق أن ينظر إليه العاقل المجرب "كلفاً بها وحيناً إليها" (١) ، ومن ذلك قول امرئ القيس:

إلى مثلها يَرِنو الحليمُ، صَبَابَةً إذا ما اسبَكَرتَ (٢) بين درعٍ، ومَجُولٍ (٣) (٤)

غير أنَّ امرأ القيس في بيته هذا أراد العاقل فقط ، أما العباس فقد أراد العقل مع الحكمة والتجربة ، فالحلم نقيض الطيش (٥) والسَّفه ، فكيف إذا اجتمع الحلم، والخبرة بالأمر ، والتَّمرس في الحياة ، فمن المؤكد أنَّ العاقل المُجَرَّب إنَّ كان منه ذلك فهذا أشدُّ وأقوى ، ولم يتوقف حينه على الوصف بعين الغزال فقط ، بل جاء بأداة التشبيه ؛ ليصف البشاشة ، والترحاب مع جمال الوجوه ، ونضارتها فقال :

(١) . الكندي ، امرؤ القيس ، الديوان ، المصطاوي ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٢) . اسبَكَرتَ الجاريةُ: استقامت واعتدلت . / الجوهري ، مصدر سابق ، (سبكر) ، ج ٢ / ٦٧٦ .

(٣) . المَجُول: ثوب يثنى ويخاط من أحد شقيه ويجعل له جيب تحول فيه المرأة ، وقيل: المَجُول للصبية ، والدَّرع للمرأة ،

(بين درع ومجول) : أي وهي بين الصبية والمرأة . / المرسي ، ابن سيِّدة ، مصدر سابق ، (جول) ، ج ٧ / ٥٥٠ .

(٤) . الكندي ، امرؤ القيس ، الديوان ، ت: عبد الرحمن المصطاوي ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٥) . الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (حلم) ، ج ١ / ٥٦٥ .

﴿إِذَا جَاءَ بَاغِي الْحَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّنَانِيرِ مَرْحَبًا﴾

وَأَهْلًا فَلَا مَمْنُوعَ حَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تُؤَنَّبَا (١)

تأمل معي قوله : (بِوَجْهِهِ كَالدَّنَانِيرِ مَرْحَبًا) وكيف تظهر فيه قدرة العباس على الوصف ، واختيار الألفاظ المناسبة لذلك ، فقد جاءت هذه الألفاظ سهلة جزلة موحية بالمعنى والوصف، فقد شبه الوجوه بالدنانير، وتم له ما أراد من بيان معنى الكرم ، والجمال في آن واحد ، والمدح، والغزل ، والوصف معاً من جهة أخرى ، وهذا من بديع صنعته وحسنها ، وقدرته على انتقاء تشبيهاته وصوره، والصورة التشبيهية في هذا الشاهد من (المرسل المجمل) ، فقد عول على كاف التشبيه في المقاربة بين المشبه (وجوه النسوة) ، والمشبه به (الدنانير) ، وأخفى وجه الشبه لدلالة المشبه به عليه ، وليترك للخيال مجاله في تصوّر جمال تلك الوجوه واستدارتها .

ثم إنّه بدأ أبياته بـ(إذا) الشرطية ، بمعنى أنّه حال نزوله أو قدومه عليهم يبدأ الترحيب بطلاقة وبشر ، خاصّة إنّ كان يبغى السلم لا الحرب ، واستعان في الصورة بأداة الشرط(إذا) وفعلها (جاء) ، وكان جواب ذلك القدوم وجواب الشرط جملة فعلية (قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ) ، وبعدها فُجَاءَةً، غير في حركات الكلمة ، ليجذب انتباه السامع ، فينتبه لما يقوله ويصفه ، ويقدم من خلالها أنه أتى بغتة على غير ميعاد، وتفاجأ بهذا الترحيب والاستبشار بمقدمه ، ومن بعدها الجار والمجرور ، وأصل الجملة (قُلْنَ لَهُ فُجَاءَةً) ، لكنه أخرج الجار والمجرور ، ليعمل على الاستحواذ على عقل القارئ وشعوره ، فيعلم أنّ هناك تقدماً وتأخيراً ، وينتبه إلى الهدف وهو العلم بالطريقة التي عليها بنو النضير في استقبالهم للأضياف ، مع أن القدوم كان مُفاجأً ، ومع ذلك استقبال بالترحيب ، فهم أهل جود و "الضيف يحلُّ عندهم في الأمن والسعة لا يخشى شيئاً" (٢) ، وليس فقط الترحاب بل الوجوه بها من الجمال ما يخطف الأنظار ، ومن حسن البشاشة ما جعل الشاعر ينتقي لفظة (الدنانير) ؛ ليعبر بها عن هذا الجمال مع

(١) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٣٨ .

البيت في التوحيد ، أبو حيان ، علي بن محمد بن العباس ، الإمتاع والمؤانسة ، ط ١ ؛ (بيروت : المكتبة العنصرية ، ١٤٢٤ هـ) ، ص ٣٠٧ .

(٢) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلَمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

الاستدارة والإشراق كما هي الدنانير ، وهو في هذا يجاري شعراء عصره ، ويوافق عيار اللفظ ، والذي حدده المرزوقي بقوله : " وعيار اللفظ الطبع ، والرواية والاستعمال ، فما سلم مما يُهجنه عند العرض عليها ، فهو المختار المستقيم " ^(١) ، يتبين الطبع في وصف الحسن والجمال ، وفي طريقة الاستقبال ، والترحيب ، وأنه حين أتى من بعيد بُغية الخير ، وكان المجيء مُفاجئاً ، كان الترحيب والبشاشة أيضاً كذلك كما هي حال القدوم ، فاتسع مجال الطبع ليشمل المدح والثناء ، وأما الرواية والاستعمال فقد كثر عند شعراء العرب استعمالهم للدنانير في التشبيه ؛ بُغية وصف الجمال ، والأصالة ، والنضارة ، من ذلك قول أعرابي في وصف نسوة خرجن للنزهة قال : " وجوه كالدنانير ، وأعناق كأعناق اليعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهنّ وكم مطلق " ^(٢) ، وكذا جاء في تشبيه حسن الوجوه بالدنانير قول ابن المعتز :

وظَلَّتْ تُدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِي جَاذِرٍ ^(٣) عِتَاقَ دَنَائِرِ الْوُجُوهِ مِلاَحٍ ^(٤)

إذا فتشبيه الوجوه بالدنانير في بيت العباس قُصد منه بيان جمالهن ، وحُسنهن ، ونضارة وجوههن كما لمعان الدنانير ، واستدارتها وجمالها ، ونفاستها ، وكأنّ هؤلاء النسوة هن من علية القوم ، وكبارهم لذا كان الاستقبال بقولهن : (مرحبا) ، وهناك هدف آخر عمل عليه العباس في بيته حين قدّم (فُجاءةً) على (له) ؛ رغبةً في التنبيه إلى جمال الوجوه المُستقبلة ، وشد انتباه السامع لما سيأتي من وصف ، فيشاركه جمال المنظر وجمال الترحيب و جمال الطبيعة.

وأبيات العباس هذه أو بالأصح تشبيهاته ، والتي شبّه فيها عين المحبوبة بعين الطباء في الأولى ، ثم جاء على تشبيه الوجوه بالدنانير في الثانية ، هي من مقطوعته الشعريّة في رثاء يهود بني

(١) . المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ج ١ / ١١ .

(٢) . الأندلسي ، ابن عبد ربه ، مصدر سابق ، ج ٤ / ٤٨ .

(٣) . جاذر ، الجؤذر : ولد البقرة الوحشيّة ، والجمع جاذر . / الجوهري ، مصدر سابق ، (جذر) ، ج ٢ / ٦١٠ .

(٤) . ابن المعتز ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

النضير ، فقد صرّح في هذه القصيدة عن " تعاطفه معهم وبكاهم وتمنى لو لم يرحلوا
لأنهم كانوا أهل كرمٍ ولهم صُحبة طيبة " (١) ومطلع القصيدة :

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَّصِدْعُوا (٢) رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهَى وَمَلْعَبَا
فِيئَاكَ عَمْرِي هَلْ أُرِيكَ ظَعَانِنًا (٣) سَلَكْنَ عَلَى زُكْنِ الشُّطَاةِ (٤) فَتَيَّابًا (٥) (٦)

فقد أظهر حزنه على ما أصابهم ، وصرّح بجزئه هذا عن طريق الاستعارة التصريحية ، في قوله :
(لم يتصدّعوا) تصويراً لما أصابهم من تشتت ، وتفريق كما ينتج عن تصدّع الإناء ، ولكنّه
مع ذلك أكد أنّ علاقته مع بني النضير " لا ترقى إلى التحالف و الولاء ، لكنهم أصدقاء
فحسب وهو وفي لمن صدقه العشرة " (٧) وذلك في نهايته أبياته :

فَلَا تُحْسِبْنِي كُنْتُ مُؤَلَى ابْنِ مِشْكِمٍ سَلَامٍ وَلَا مَوْلَى حَيْبِي بْنِ أَخْطَبَا (٨) (١)

(١) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٢) . تصدّع القوم: تفرّقوا وتشتّتوا / عمر ، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، (صدع) ،
ج ٢ / ١٢٨٠ .

(٣) . الطَّعِينَةُ: الْمَرْأَةُ فِي الْهُوْدَجِ ، وَالْجَمْعُ ظَعَانِنٌ . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (ظعن) ، ج ٢ / ٩٣١ .

(٤) . الشُّطَاةُ: موضع وهو بالمدينة ، صدر وادي قناة ، إذا تجاوز سدّ العاقول، سُمِّيَ الشُّطَاةَ إِلَى أَنْ يَقْبَلَ عَلَى أَحَدٍ، ثُمَّ
يُسَمَّى قَنَاةً حَتَّى يَجْتَمِعَ بِالْعَقِيقِ وَبَطْحَانَ/ البلادي ، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح ،
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط ١؛ (مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ، ص
١٦٨ .

(٥) . تَيَّابٌ: تَيَّابٌ: اسْمُ مَوْضِعٍ / ابن منظور ، مرجع سابق ، (تأب) ، ج ١ / ٢٢٥ .

تَيَّابٌ وَقِيلَ: تَيَّابٌ، وَوَرَدَ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنَ السِّيَرَةِ (تَيْبٌ)، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَجِبِلٍ يَقَعُ شَرْقَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّمَالِ /
البلادي ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٦) . السُّلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٣٨ .

(٧) . بسج ، أحمد حسن ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٨) . سَلَامٌ ابْنُ مِشْكِمٍ حَدَّرَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ مَعَ الرَّسُولِ - ﷺ - ، وَحَيْبِي بْنُ أَخْطَبٍ مِنَ الْمَشْهُورِينَ
بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ . / المالكي ، حسن بن محمد المشاط ، إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم
، ط ٢؛ (جدة : دار المنهاج ، ١٤٢٦ هـ) ص ٣٣٠ ، ٢٢٢ .

إذاً هذا المديح و الوصف ما هو إلا ردٌ للجميل و عرفان به وليس من قبيل المولاة أو غيرها ؛ حتى لا يظنّ أنه على دينهم أو له مصالح معهم وقد قال هذه الأبيات قبل إسلامه " وإنما يرجع إلى وجود علاقة و صداقة قديمة بينه وبينهم " (٢) ، ومع ذلك لم يسلم من الهجاء على رثائه لبني النضير .

و اعترافه هذا بالجميل لبني النضير ، يحمل في طياته الأخلاق العربية الرفيعة ، من حب الوفاء والصدق ، والاعتراف بالجميل ، وقد كثر ذلك في شعره خاصة بعد إسلامه ، فقد تأثر شعره بالألفاظ الإسلامية كما تأثر غيره في صدر الإسلام بها ، ومن صورته التي ظهر فيها أثر الإسلام واضحاً قوله :

﴿ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرَنَا لِصَدِيقِهِ وَرَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أَبِي سَعْدٍ ﴾ (٣)

وَرَوَّدَهُ صِدْقًا وَبِرًّا وَتَائِلًا (٤) وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْوِفَادَةِ مِنْ حَمْدٍ (٥)

يُثْنِي فِي هَذِهِ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ عَلَى حُسْنِ الصَّحْبَةِ ، وَالْوَفَاءِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : (وَرَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أَبِي سَعْدٍ) ، وَالْقَصْدُ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ تَشْبِيهُ جَزَاءِ الصَّدِيقِ عَنْ صَدِيقِهِ بَزَادِ أَبِي سَعْدٍ فِي الصَّدَقِ ، وَالْوَفَاءِ ، وَالْبِرِّ ، وَالْعَطَاءِ ، فَهُوَ تَشْبِيهُ حَالَةٍ بِحَالَةٍ ، حَالَةِ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ ، بِحَالِ أَبِي سَعْدٍ وَجَزَائِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ صَدَقٍ وَأَمَانَةٍ ، وَقَدْ أَتَى بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ الْكَافِ فَرَبَطَ بِهَا طَرْفِي التَّشْبِيهِ ، وَبَيَّنَّ وَجْهَ التَّشْبِيهِ فِي أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ أُمُورٍ عِدَّةٍ مِنْهَا : نَجْدَتَهُ وَقَتَ فِزَعِهِ كَمَا كَانَ لِأَبِي سَعْدٍ ، وَتَلْبِيَّةَ حَاجَتِهِ ، وَالتَّحْلِيَّ بِالصَّدَقِ الْأَمَانَةِ مَعَهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا ، وَإِكْرَامَ وَفَادَتِهِ ، ثُمَّ وَسَّعَ فِي الصُّورَةِ بِأَنَّ تَكُونَ لَهُ أُمُورٌ فَوْقَ مَا يَرْجُوهُ مِنْ ذَلِكَ : كَثْرَةَ الْمَهَبَاتِ وَالْعَطَاءِ لَهُ ، وَالْبِرِّ

(١) . السُّلَمِيُّ ، الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ ، الدِّيَوَانُ ، ص ٣٨ .

(٢) . عَسِيلَانُ ، عَبْدِ اللَّهِ ، الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسِ السُّلَمِيِّ (الصَّحَابِيُّ الشَّاعِرُ) ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ ، ص ٧٩ .

(٣) . أَبُو سَعْدٍ : الْمَرْمُ ، وَيُقَالُ أَخَذَ رُمِيْحَ أَبِي سَعْدٍ ، وَقِيلَ أَبُو سَعْدٍ : لِقِمَانَ الْحَكِيمِ ، وَقِيلَ هُوَ وَفَدَ عَادَ . / الْمَرْسِيُّ ، ابْنُ سَيِّدَةَ ، الْمَخْصَصُ ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ ، ج ٤ / ١١٣ .

(٤) . النَّوَلُ وَالتَّيْلُ وَالنَّالُ وَالتَّائِلُ : الْعَطَاءُ . / الْمَرْسِيُّ ، ابْنُ سَيِّدَةَ ، الْمَخْصَصُ ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ ، ج ٣ / ٤١٩ .

(٥) . السُّلَمِيُّ ، الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ ، الدِّيَوَانُ ، ص ٦٠ .

، وحسن الوفادة ، وجعله مثلاً يقتدى به في الحمد على حسن صحبته ووفائه وصدقه ، وعليه
فالتشبيه من التشبيه (المركب التمثيلي).

وزاد أبي سعد هذا مثلاً^(١) يضرب في حب الصدق والأمانة ، وحسن الصحبة ، يتضح من
هذا البيت علم الشاعر بأمثال العرب ، وقصصهم ، فقد اختار التشبيه بزاد أبي سعد في أنه
أعطى الوفاء ، والصدق ، وهما من أعلى الخصال ، وأحمدها ، وعلامة لصدق الإيمان
، ونقيضهما الغدر والكذب ، وهما من علامات النفاق قال رسول الله - ﷺ -: " ثلاثٌ من
كُنَّ فيه فهو مُنافق ، وإنَّ صَلَّى وصام وزعم أنه مؤمن: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف،
وإذا ائتمن خان " (٢) ، وهذه الأبيات "من شعره المستحسن" (٣) ففيه دعوة إلى التحلي
بمحاسن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام ، وأظهر اهتماماً في هذه بكلمة (زاد) ، فقد أتى
بها على صور عدّة ، من مثل : (زوده ، زاداً ، كزاد ، وزودّه) ، فكلها كلمات تدلُّ على
انتقال الخير وزيادته ، بل التأسيس له^(٤) ، فهو لحبّه له ولما اتصف به من مكارم أخلاق ،
وإعجاب الشاعر بها ، جعلته ينسب إليه تأسيس ذلك ، فقد صدر منه وله الفضل فيها ،
وأنّه في زيادة لا تنقطع ، ويستمر عطاؤها أبداً ، وكل من اتصف بها يُرجع الفضل إليه ،
فهي لا تنقطع لحاجة المجتمع لها ولن اتصف بها ، وانتقى لفظة (صديق) ، ولم يقل

(١) . جاء في قصته أنّ أبا سعد أحد وفد عاد الذين قدموا إلى مكة يستسقون ، ... ، ثم مضوا إلى الكعبة فقال لهم أبو
سعد : إنكم لن تسقوا حتى تؤمنوا بحد - ﷺ - ، وكان أبو سعد يكتم دينه وإيمانه ، فقالوا للمعاوية بن بكر : احبس عنا
أبا سعد فإنه قد صبأ إلى هود، فتبعهم فلما استقوا نودوا : أن اختاروا، ونشأت ثلاث سحائب بيضاء ، وحمراء وسوداء
، فقالوا أما الحمراء فإنه لا شيء فيها ، وأما البيضاء فرمما أخلفت، ولكن السوداء ، فنودوا اخترتم رماداً رمدداً ، لا
تبقي من عاد أحداً ، لا والداً ولا ولداً ، فتمنوا لأنفسكم، فقال قيل أتمنى أن يصيبني ما يصيب قومي ، وقال لقمان بن
عاد أتمنى عمر سبعة أنسر فأعطي ذلك ، وأما قيل فصب عليه حجر فقتله ، وأما أبو سعد ، فتمنى الصدق ، والوفاء
فأعطيها فمات مؤمناً . / اليزيدي ، أبو عبد الله ، محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك ، كتاب
الأمالي ، ط ١؛ (الهند : حيدر آباد الدكن : مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٣٩٧ هـ - ١٩٣٨ م .) ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) . القرشي ، أبو محمد ، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري ، الجامع في الحديث لابن وهب ، تحقيق : مصطفى
حسن حسين محمد أبو الخير ، ط ١ ، (الرياض : دار ابن الجوزي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) ، ص ٦٠٦ .

(٣) . القرطي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب
، تحقيق : علي محمد الجاوي ، ط ١؛ (بيروت : دار الخليل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٢ / ٨١٩ .

(٤) . الرازي ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (زاد) ، ج ٣ / ٣٦ .

(صاحب) ؛ لكون الصداقة " قُوَّةَ الْمَوَدَّةِ مأخوذة من الشَّيْءِ الصَّدَقِ وهو الصلب القوي وقال أبو عليّ -رحمه الله- الصَّدَاقَةُ اتِّفَاقُ الْقُلُوبِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَهَذَا لَا يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ صَدِيقُ الْمُؤْمِنِ كَمَا يُقَالُ إِنَّهُ حَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ " (١) ، في حين " أَنَّ الصُّحْبَةَ تَفِيدُ انْتِفَاعَ أَحَدِ الصَّاحِبِينَ بِالْآخَرِ " (٢) ، فالصداقة إذاً أقوى من الصحبة، وأشدُّ قُرْبَةً، وأماناً، وهذا دليل على بُعد نظرة الشاعر ، وواقعيته ، فهو يفضل المودة ، والصدق ، والوفاء على المنافع السريعة أو المادية ، واختار لجزاء تلك الصداقة ، والمودة ، التشبيه بزيادة أبي سعد جملةً ، ثم فصل القول ، من أنه يريد الجزاء أوفى وأجزل بأن يُضاعف له الصدق ، والبرّ ، والعطيّة ، والنعيم ، وكل ما يمكن أن يكون جزءاً لتلك الوفاة من شكر وحمد، وفي هذا نوع بلاغيّ جميل وهو (ذكر الخاص بعد العام) " للتنبية على فضله " (٣) ، فمزيتة الصّدق والوفاء والبر والخير والحمد ، لها من الأفضلية ما جعله يؤخر ذكرها ليشوّق بها السامع، وفي زاد أبي سعد ما يُشوق لسامع ما هو الجزاء ؟ ، وقد أجمل القول في البدء بأن قال : (كزاد أبي سعد) فشبهه جزاء الصّديق الوفي بزاد أبي سعد ، ثم أخذ في تفصيل ذلك الجزاء ، وأنهى تلك الصفات بأن يجمع الله له كل ذلك مع الحمد، وجاءت كلمة الحمد هنا موافقة للمقام ؛ ذلك أن الحمد يختلف عن الشُّكر في أنّ " الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل، سواء تعلق بالفضائل كالعلم، أم حمدٌ بالفواضل كالبرّ ، والشكر: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النعمة، سواء أكان نعتاً باللسان، أو اعتقاداً، أو محبة بالجنان، أو عملاً وخدمة بالأركان." (٤) ، فقد اختارها ليتناسبها مع الفضائل التي ذكرها من صدق ، وبرّ ، وكثرة هبات مع تواصل ذلك دون انقطاع .

أما أثر الإسلام في هذه الأبيات ، فقد تجلّى في لفظ (الله)، وقوله : (جزى الله خيراً) ، وفي قوله : (صدقاً وبراً وحمداً) ، وكلها ألفاظ مستمدة من الدين الإسلامي ، وقد أحسن في

(١) . العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، مصدر سابق ، ص ١٢١ .

(٢) . المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٣) . القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ج ٣ / ٢٠٠ .

(٤) . العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ .

نظمها فجاءت معبرة جزلة بها جمال اللفظ ، وشرف المعنى ، وعلو الغاية في الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الحسنة.

وفي تحيّرهِ لألفاظه في الفخر بنفسه أتى بصورة أراد فيها التعبير عن فخره بنفسه وسيادته على قومه خاصة في وقت الشدّة والحرب ليعلم من خلال ذلك براعته وذلك في قوله :

﴿وَقَدْ يَعْلَمُ الْحَيُّ عِنْدَ الرَّهْمَا نِ أَنِّي أَنَا الشَّامِخُ (١) الْمُحْطَرُّ (٢)(٣)﴾

هذه الألفاظ تبين مدى ثقة العباس في نفسه بل إن بها نوعاً من الكبرياء- إن صح التعبير - خاصة واتخذ من الصورة التشبيهية في قوله : (أَنِّي أَنَا الشَّامِخُ الْمُحْطَرُّ) ، دليلاً على علو مكانته في قومه ، فشبه نفسه بالجبل الشاهق الذي لا يتغير ، ولا يتبدّل على مرّ العصور ، وبه معنى الصمود ، وعلو المكانة كما ارتفاع الجبل عما جاوره ، وقد جاء بالصورة التشبيهية على سبيل الفخر الذاتي ؛ ليخلد بذلك ذكره وصفاته ، وحذف الأداة ووجه الشبه وهو الحماية ، أو قوة الدفاع كحماية الجبل للمكان ، وآثر (التشبيه البليغ) على غيره لإيصال فكرته ومعانيه، وتهديده ، ووعيده لكونه أكثر إيجازاً ، ومبالغة ، وأدلّ على المعنى .

وقد جاءت هذه الأبيات رداً على ابن عمه خُفاف بن ندبة، الذي طالما تبادلوا الهجاء بينهما، وطال بهما الأمر ، وضاق ذرعاً مما قام به خفاف ، فرغب الشاعر في أن يُدكّر خفافاً بمكانته في قومه وبما لدى بني سليم من قوة ، وعتاد ، وعدّة للحرب ، وأنّ هذا الفخر ، هو

(١) . الشامخ: الجبل المرتفع. / الحميري ، نشوان بن سعيد ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (شمخ) ، ج٦ / ٣٥٣٨ .

(٢) . الْمُحْطَرُّ: الذي يجعل نفسه خطراً لقرّنه، فيبارزه ويقاتله. / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (خطر) ، ج٧ / ١٠٢ .

(٣) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٦ .

و البيت في / شيخو ، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب ، مجاني الأدب في حدائق العرب ، مرجع سابق ، ج٥ / ١٨٣ .

نتاج لاستعمار الهجاء بينهما^(١) ، وبعد أن فخر بقومه عاد للفخر بنفسه وتعداد مناقبها ، وهي مناقب يُتَرَّها الجميع ، ويعترف بها ؛ لكونها من مكارم الخصال ؛ لذا قال : (قد يعلم) ، (قد) هنا دليل على التحقيق ، أما الفعل المضارع (يعلم) فهو فعل متعدٍ في العمل ، والوقت وهذا معناه أن ذكر العباس ، وفروسيته مستمر على مدى العصور ، وخصّ قومه بالشهادة دون غيرهم فقال : (الحَيُّ) ؛ وذلك لقربهم في المكان فالشهادة لا بد لها من المشاهدة عياناً ، أمّا (عند الرّهان) فقد تحيرها الشاعر ؛ ليُبرهن بها على صعوبة الموقف مع كفاءته هو ؛ لذلك أتى بالضمير (أنا) ؛ ليثبت أنه هو المتخيّر من بين بني سليم كلها ، وهو قائدها ، وله من الخبرة ما يجعله على ثقة بالنصر ، وهذه الثقة مستمدة من ثقة قومه به ، ومجيئه بالضمير المنفصل هنا ليكون هو المشبّه وحذف أداة التشبيه ؛ ليجعل المشبّه عين المشبه به (الشّامخ) ، وقد ارتكز فيها على اسم فاعل (الشامخ) الذي هو من شمخ وارتفع ؛ لكون اسم الفاعل له " رتبة زائدة على الفاعل " ^(٢) ، فهو إذاً زيادة في الشموخ والارتفاع ، وأنّ هذه الصفة ثابتة له ككثبات الجبل ، فهو كالجبل صعب صعوده وقد يمتنع على البعض ، أما الشاعر فصعب هزيمته ، وإن واجه الأعداء فلا يمكنهم النيل منه لشجاعته وقوة مبارزته فهو (مُخَطَر) يمتنع هزيمته قوي في ضربه ، وهنا يستعين باسم المفعول في (مُخَطَر) ، فيه زيادة مبالغة لكونها صفة لمفعول و " صفة المفعول تدل على وصف المفعول بالحدث كذلك على سبيل الانقطاع والتجدد . " ^(٣) ، فعطاؤه لقومه متجدد ، ودفاعه عنهم مستمر ، وهو وقيّ بعهده ملتزم به ، ومن هنا وثق به قومه ، وجعلوه سيّداً عليهم ، وهو الحامي لهم كما تحمي الجبال الشاهقة من الرياح القوية ، ومن عوامل الطبيعة ، وحذف وجه الشبه تشويقاً للسامع في معرفة المزيد عن الشاعر ؛ وليترك له حرية تحيّل وجه الشبه " فكلما كان وجه

(١) . انظر القصيدة في الديوان / السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٦ .

(٢) . الرازي ، ابن فاس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، مصدر سابق ، ص ٢١٠ .

(٣) . عمر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط ٥ (عالم الكتب ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، ص ٩٩ .

الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومُعانة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلاً وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجواهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشقُّ عينه.. وسبب هذه التسمية: أن ذكر الطرفين فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلتهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه^(١)، وقد صورت الألفاظ صدق العباس مع قومه، وثقتهم به، ووفائه بالعهد والميثاق، وعلو مكانته بينهم مع استمرار تلك المكانة حتى ظل علماً يُشار إليه بالبطولة والنجدة فهو (الشامخ)، وخطورته على أعدائه وخوفهم منه، وهذه الخطورة تنقطع عن أصدقائه وتسمر على أعدائه (مُخطر).

وألفاظ العباس في تشبيهاته منتقاة بعناية، وعلى أسسٍ رصينة ليسهل على المتلقي فهمها؛ فهي تتوافق " مع درجة فطريّة بدائية من درجات الفهم والإدراك الاجتماعي والشعري، حيث تستعمل أية ظاهرة من ظواهر الطبيعة كمادة للتشبيه " (٢)، وكما اختار التشبيه بالجبل لنفسه في الفخر، اختاره كذلك في تشبيه قوة جيشه وتماسكه وعظمته كنوع من الفخر القبلي فقال:

لَنَا عَارِضٌ  كَزُهَاءِ ^(٣) الصَّرِيْبِ ^(٤) مِمَّا فِيهَا الْأَسِنَّةُ ^(٢) وَالْعَنْبَرَا ^(٣)

(١). الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٢). طنوس، وهيب، نظام التصوير الفني في الأدب العربي (من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ومن القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي)، د. ط. (منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ص ٦٢.

(٣). العَرَضُ: سفح الجبل وناحيته. ويُقال للجيّش إذا كان كثيراً / الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق، معجم ديوان الأدب، مصدر سابق، (عرض)، ج ١ / ١١٥.

(٤). الزهاء: زهاء الشيء شخصه ومقداره وما يقرب منه يُقال هم زهاء ألف وكم زهاؤهم، وهم قوم ذو زهاء ذو عدد كثير / مصطفى وآخرون، مرجع سابق، (زها)، ج ١ / ٤٠٥.

أراد العباس أن يُلقِي الرعب في نفوس أعدائه ، فوجد سبيله لذلك الفخر بقبيلته ، وبجيشه فوجد في التشبيه أبلغ تصوير وأصدقة وذلك في قوله : (لَنَا عَارِضٌ كَزُهَاءِ الصَّرِيمِ) وقد بدأ بلام الملكية مع (ناء الفاعلين) (لنا) ليثبت ملكية بني سليم لهذا الجيش الجرار ، وفي ذلك من الفخر والزهو أكثر من لو اكتفى بالوصف وقد استعان بـ(الاستعارة التصريحية) في قوله : (عارض) فقد استعار لفظه عارض بغية تشبيه الجيش ، أو الكتيبة بسفح الجبل في الارتفاع ، وعلو القدر ، والقوة، والثبات ، ومعرفة الناس به كما الجبل في مكانه من الأرض ، وبه كثرة في العدد ، ولم يكفه أن شبهه بالجبل على سبيل الاستعارة بل جعلها سبيلاً إلى التشبيه ، فأتى بأداة التشبيه (الكاف) مع لفظ (زهاء) ؛ ليتسع الخيال ، وتتوسع الصورة أمام الناظر، والسامع فهم (كزهاء الصريم) كثيرو العدد حتى ليظن السامع أنهم كلهم فرسان ، وعلى استعداد تام لخوض المعارك ، وأن الجيش ممتد لا نهاية له يتعاقب عليه فرسان على مدى الأجيال كتعاقب الليل والنهار ، فالصورة هنا هي من التشبيه (المرسل الجميل) ، ولم يُفصح عن وجه الشبه ؛ ليحقق ما يصبو إليه من المبالغة في كثرة جيشه وقوته ويمكن تقديره بـ(كثرةً)، وأظن الشاعر هنا قصد الكتيبة ، ولذا استعان بحرف الجر (فيها) ؛ لبيّن احتواءها على الأسنة ، وهي رماح قوية ، وهم يحتمون بنوع خاص من التروس (العنبر) ، وهي نوعية فريدة من التروس مصنوعة " من جلد سمكة بحرية يقال لها عنبر فنسبت إليها" (٤) ، وهذا أكسبها خاصية عن غيرها ؛ لحمايتهم في الحرب من الضربات ، وقد خصّ الأسنة والتروس من بين أدوات الحرب ذكراً لِمَا فيها من الدلالة على قوة الجيش ، وعدّته ، وزيادةً في إرهاب عدوه ، واكتمالاً لفخره ، وزهوه ، مع تنوع اللفظ وموافقة اللغة فتّم له ما أراد من وصف وفخر وتخويف .

(١) . الصَّرِيمُ أَوَّلُ اللَّيْلِ، وَقَالُوا أَيْضاً: آخِرُهُ. فَجَعَلُوهُ ضِدّاً. / قطرب ، أبو علي ، محمد بن المستنير بن أحمد ، الأزمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، ط٢؛ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، (صرم) ، ص ٥٠ .

(٢) . السنان : سنان الرمح ، وجمعه أسنة. / الجوهري ، مصدر سابق ، (سن) ، ج ٥ / ٢١٤٠ .

(٣) . العنبر الثرس ، وإِنَّمَا قِيلَ لِلتَّرْسِ: عَنبَرٌ لِأَنَّهُ يَتَّخَذُ مِنْ جِلْدِ سَمَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا: الْعَنبَرُ. / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (عنبر) ، ج ٣ / ٢٣٣ .

(٤) . ابن منظور ، مرجع سابق ، (عنبر) ، ج ٤ / ٦١٠ ، بتصرف .

ولم يُعْرَب في الألفاظ ، وإنما جاء بألفاظ واضحة ، وصاغها صياغة أنيقة أكسبتها ، بلاغة فريدة من نوعها مع أنّ هذا الشاهد لم يكن في قصيدة بل جاء منفرداً ، ومن هنا كانت البراعة والإبداع ، فالفخر بجيش جرار يملأ الأرض ، وله مدّ البصر من العدد والعدّة في بيت شعري واحد دليل على مقدرته البلاغية ، واللغوية ، وبراعته في استعمال اللغة إيجازاً وإطناباً .

وانظر لجمال إضافة (زهاء) إلى لفظة (الصريم) للجمع بين الضدين ، فهو يدلُّ على الليل وعلى الصّبح معاً ، أما دلالتها على الليل ، فهي كقوله جل وعلا : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿ ٢٠ ﴾ (١) ، أي أمّا " احترقت فصارت سوداءً مثل الليل. " (٢) ، وقيل " أصابها عُتُق من نار فاحترقت ...والصَّرِيمُ قيل: هو الليل، والصَّرِيم من أسماء الليل ومن أسماء النَّهار ؛ لأنّ كلّ واحد منهما ينصرم عن الآخر كما سُمِّي كلّ من الليل والنَّهار مَلُوءاً فيقال: المَلُوءانِ، وعلى هذا ففي الجمع بين (أصبحت) و (الصَّرِيم) مُحسِّن الطَّباق ، وإيثار كلمة الصَّرِيم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية .. " (٣) .

وتأتي الصريم للصبح كذلك كما في قول بشر بن أبي خازم :

فَبَاتَ يَقُولُ أَصْبِحُ لَيْلٌ حَتَّى تَجَلَّى عَنْ صَرِيمَتِهِ الظَّلَامُ (٤)

فبشر أراد أن يصف حال الثور ، وأنه " لشدة ما هو فيه كأنه يتمنى الصّبح كما يتمناه الإنسان ، ..وقوله (تجلّى عن صريمته) تكشف الظلام و(الصريمّة) تقع على الليل والنهار ؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما ينصرم عن صاحبه " (٥) ، في حين أنّ العباس قصد من إضافة لفظة (

(١) . سورة القلم ، آية : (٢٠) .

(٢) . الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، ج ١٢ / ١٣٠ .

(٣) . التونسي ، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، د. ط ؛ (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ هـ) ، ج ٢٩ / ٨٢ .

(٤) . الأسدي ، بشر بن أبي خازم ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٥) . المرجع السابق .

زهاء) الدالة على الكثرة للفظ (الصريم)؛ ليصوّر تأهب الجيش أو الكتيبة للقتال ليلاً أو نهاراً، أو أن امتداد الجيش، كما امتداد الظلام أو الضوء، فهو يسدُّ الأفق لكثرتِه ولذا استعان بالكاف ليقرب الشَّبه بين العارض، وهو الجبل، وبين زُهَاء الصريم في الكثرة؛ وليضيف صفاتٍ أخرى لجيش بني سليم في أنهم يمتلكون جيشاً جراراً يسدُّ الأفق، يتعاقب على استعداد تام لحوض المعارك ليلاً أو نهاراً.

وكما اتفق العباس وبشر في اختيار اللفظة مع اختلاف المعنى، كذلك دُرِيد بن الصِّمَّة (١) اختار كلمة (عرض)، في وصف الجيش كما وصفه العباس، على اختلاف القصد والمعنى، فقال:

بَقِيَّةٌ مِّنْسِرٍ (٢) أَوْ عَرَضٌ (٣) جَيْشٍ تَضِيْقُ بِهِ حُرُوقٌ (٤) الْأَرْضِ مَجْرٍ (٥) (٦)

وللقارئ ملاحظة التمايز بين الأسلوبين، فدُرِيد في وصفه عمد إلى تكرار ألفاظ تدلُّ جميعها على معنى واحد، وهو الجيش العظيم أو الضخم، بينما العباس قصد الملكية والفخر مع الامتداد.

(١) ابن الصِّمَّة الهوازني، دُرِيد بن الصِّمَّة أَبُو قُرَّة الهوازني الجُشَمِي، ويعد من شعراء العَرَب وشجعانها، و دُوِي أسنانها عاشَ نَحْوًا من مائتي سنة حَتَّى سقط حاجباه على عَيْنَيْهِ، وَخَرَجَتْ بِهِ هَوَازن يَوْمَ حنين تتيمن بِرَأْيِهِ فَقَتَلَ كَافِرًا عام (٨هـ) / الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ج ١٤ / ٩.

(٢) المَنْسِر: ما بين التَّلاثين إلى الأربعين من الحَيْل. / الأزهري، أبو منصور، مصدر سابق، (نسر)، ج ١٢ / ٢٧٦.

(٣) العَرَضُ: الجيش العظيم، وهذا على معنى التَّشْبِيهِ بالعَرَضِ من السَّحاب، وهو ما سدَّ بعرضه الأفق / الرازي، ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، (عرض) ج ٤ / ٢٧٤.

(٤) الحُرُوقُ: الأرضُ الواسعة تَتَحَرَّقُ فيها الرياحُ وجمعها حُرُوقٌ. / الجوهري، مصدر سابق، (خرق)، ج ٤ / ١٤٦٦.

(٥) المَجْرُ: الجَيْشُ الكَثِيرُ / الفارابي، أبو إبراهيم، معجم ديوان الأدب، مصدر سابق، (مجر)، ج ١ / ١١١.

(٦) ابن الصِّمَّة، دريد، ديوان دريد بن الصِّمَّة، تحقيق: عمر عبد الرسول، د.ط؛ (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص ١١٣.

وقد برع العباس في استخدام الألفاظ خاصّة في الفخر ، ووصف المعارك ، والاستعداد لها ، و من ذلك استعانته بلفظ (السَّحْل) ؛ للدلالة على تساوي خيله في القوة ، والسرعة ، والأصالة والقدرة على خوض المعارك في قوله :

﴿ أَعْدَدْتُ صَوْبَةً وَالصَّمُوتَ وَمَارِنًا وَمُفَاضَةً لِلرَّوْعِ كَالسَّحْلِ ﴾^(١)

وينعقد التشبيه في قوله : (لِلرَّوْعِ كَالسَّحْلِ) ، فخيله في حال الروع والفرع هي المنجدة ، وينعقد أمله عليها لسرعتها في النجدة و خوض المعارك ، أما اللفظ المشبه به وهو (السَّحْل) على غرابته لكونه يطلق على " الحبل القوي المفتول وهو على قوة واحدة" ^(٢) ، فقد أجاد الشاعر في استخدامه لوصف خيله حين عدّد الأسماء ، فبدلاً من أن يصف كلاً منها على حدة عددها ثم جمع صفاتها في التشبيه بالحبل القوي وبهذا أكّد لها صفة الأصالة ، والقوة والسرعة ، وتساويها جميعاً في ذلك ، دون ذكر لوجه الشبه مع توقع السامع له وهو القوة ، مع أنّ هذه اللفظة كثر استعمالها في وصف الثياب ، ولونها ، ونوعها ، ومنه قول المتنخل الهذلي ^(٣) :

كَالسَّحْلِ الْبَيْضِ جَلًّا لَوْنُهَا سَحٌّ نِجَاءِ^(٤) الْحَمَلِ^(٥) الْأَسْوَلِ^(٦) ^(١)

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

- سبق شرح الشاهد في هذا البحث ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٢) . الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي ، ط ٨؛ (لبنان : بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، (سحل) ، ص ١٠١٣ . بتصرف .

(٣) . الْمُتَنَخِّلُ : مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي ، من مضر ، أبو أثيلة: شاعر من نوابغ هذيل ، أثبت له صاحب الأغاني " صوتا " من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة ، وقال الأمدى: شاعر محسن ، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب وأورد بيتين منها . / الزركلي ، مرجع سابق ، ج ٥ / ٢٦٤ .

(٤) . سَحٌّ الْمَاءُ يُسَحُّ سَحًّا إِذَا سَالَ مِنْ فَوْقِ . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (سحح) ، ج ٣ / ٢٦٤ .

(٥) . الْحَمَلُ : بُرْخٌ مِنْ بُرُوجِ السَّمَاءِ . / الأزدي ، كراع النمل ، مصدر سابق ، (حمل) ، ص ٧٣ .

(٦) . الْأَسْوَلُ: المسترخي . / الرازي ، ابن فارس ، مجل اللغة ، مصدر سابق ، (سُحٌّ) ، ص ٢٥٢ .

وهنا يظهر الاختلاف باختلاف البعد الموضوعي لببيت العباس والمنتخل ، فقد وصف المنتخل جمال الطبيعية ، والسحاب المليء بالمطر ، وأنّ لونه كالسحل وهو الثوب الأبيض ، بينما كان محور حديث العباس عن الخيل فهي عشقه ، وهواه ، وانتقى لفظة (السحل) ؛ ليدل بها على القوة ، وليس اللون أو نحوه، فهنا اختلفت الدلالات باختلاف الغرض ، وقد أجاد كلا الشاعرين في الوصف مع الاستعانة بالصورة التشبيهية ، وكلاهما اختار كلمة (السحل) في تصوير ما أرادته على غرابتها ، أو عدم استعمالها لدى الشعراء ؛ وذلك " حتى تجري على جميع الألسنة، ويكتسب شهرة ما تنشر أشعاره، وإنما تبدو هذه الألفاظ بالنسبة لنا غريبة لعدم استعمالنا لها ولطول العهد بيننا وبين الوقت الذي كانت شائعة ومستعملة فيه .." (٢) ، وتنوع ألفاظ العباس وتدرجها ما بين سهولة وقوة ، دليل على الثروة اللغوية التي يمتلكها الشاعر وقدرته على استعمالها بطرق عدّة في رسم صوره ، ومعانيه ، وأخيلته وهي من خصائص الشعر الجاهلي فكلُّ شاعر " لديه ذخيرة لا تنفد من الألفاظ ، والعبارات اللغوية ، والشعرية المختارة، وكان في إمكان الواحد منهم أن يأتي بمئات من الألفاظ تتفق كلها في الحرف الأخير منها، وفي النغم الإيقاعي، والجرس الموسيقي، ولعل ذلك هو الذي دفعهم إلى التزام وحدة القافية في جميع القصيدة من أولها إلى آخرها مهما بلغت من الطول " (٣) ، ومن هنا تبيّن أنّ ألفاظ العباس امتازت بالسهولة إذا تطلبها المقام ، وبالشدّة إذا تطلبها أيضاً ، فألفاظه " تشاكل المعاني ؛ ففي الفخر يستعمل ألفاظاً لا تخلو من الضجيج والصخب ، خصوصاً ما يتعلق بالكلام عن البطولات ، وفي الهجاء والمدح ألفاظه أقل صخباً ، ولكنها جزلة ، على شيءٍ من البداوة أحياناً، أمّا الغزل فريقة سهلة " (٤) ، وكما كانت ألفاظه إحدى السمات الخاصة بالصورة التشبيهية عنده فقد كانت تراكيبه كذلك إحدى السمات كما سيأتي .

(١) . الهذليين ، ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، د.ط ؛ (القاهرة : الدار القومية للطباعة

والنشر ، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م) ، ج ٢ / ١٠ .

(٢) . الجندي ، علي ، في تاريخ الأدب الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٤٥٤ .

(٣) . المرجع السابق .

(٤) . بسج ، العباس بن مرداس السلمي (شاعر الفخر والحماسة) ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

المبحث الثاني : خصائص التراكيب عند العباس بن مرداس :

إنّ من عناصر الجمال البلاغي توخي الحُسن في تركيب الجمل ، وانسجام بعضها مع بعض ، فكلما حرص الشاعر على انتقاء ألفاظه ، واختيار المعنى الجيد ، وسمو الهدف ، كلما ظهرت شاعريته ، وسلامة تعبيره ، وتآلف نظمه ، وروعة تصويره ، وبه يتضح الإبداع، وانسجام الخيال، والأفكار، والمعاني، والعواطف ، وهو ما أشار إليه أبو هلال العسكري بقوله : " وليس الشأن في إيراد المعاني، لأنّ المعاني يعرفها العربيّ والعجميّ والقروي البدوي، وإنما هو في جودة اللفظ ، وصفائه، وحسنه ، وبهائه، ونزاهته ، ونقائه، وكثرة طلاوته ، ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلوّ من أود النّظم والتأليف .. " (١) ، إذأ بلاغة النصّ ، وتأثيره في المتلقي لا تنحصر في الألفاظ وحدها ، أو المعاني بمفردها فالألفاظ " التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد " (٢) ، ولا جمال للفظه بدون النظم ، وتألفها مع ما يجاورها فـ"هل نجد أحداً يقول: (هذه اللفظةٌ فصيحَةٌ) ، إلّا وهو يعتبرُ مكانها من النظم، وحسن مُلاءمة معناها لمعاني جارئاتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ ، وهل قالوا: (لفظَةٌ متمكّنةٌ، ومقبولةٌ)، وفي خلافه: (قلقة، ونابية، ومستكرهة)، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاقِ بينَ هذه ،وتلك من جهةٍ معنَاهما، وبالقلق ، والتنبُّو عن سوء التلاؤم، وأنّ الأولى لم تَلقُ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكونَ لِفَقاً للتالية في مؤادها؟ " (٣) ، وجاء في تعريف السكاكي للبلاغة : " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها " (٤) ، وفي وصفهم للكاتب بالبلاغة " يُقالُ: فلانٌ كاتبٌ مُجيد، بارع، لبق، مُتأَتق، مُتَفَنّ، رَشيق اللُفْظ، مُنَمَّق العبارة، ... ، حَسَن التَّرْسُل، ... حَسَن الصِّيَاغَةِ، مَصْفُوق العبارة، حُرّ اللُفْظ، مُنْتَقَى اللُفْظ،

(١) . العسكري ، أبوهلال ، الصناعتين ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) . الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، شاکر ، مصدر سابق ، ص ٥٣٩ .

(٣) . المصدر السابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) . السكاكي ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

سَهْلُ الْأَسْلُوبِ، مُنْسَجِمُ التَّرَاكِيِبِ.. " (١)، ومن هذا المنطلق فإن تراكيب العباس امتازت بأثما "مُحْكَمَةُ النَسْجِ، تَامَةُ التَّرَابِطِ، سَلِيمَةٌ مِنَ التَّعْقِيدِ" (٢)، ومن أولى سمات تراكيب الصورة التشبيهية، ذكره للأمثلة، أو ما جرى مجراه ضمن بيته الشعري، كنوعٍ من الترابط في صورته خاصة قبل إسلامه، فمن صورته التي أتى فيها بأمثلة العرب، كنوع من إغناء الوصف وزيادة في المعنى قوله :

﴿ هَزَمْنَا إِذْ لَقِينَا جَيْشَ رَعْلٍ وَدَكُونًا وَجَمَعَ بَنِي حُفَافٍ ﴾

وَمَا أَنْ طَبُّهُمْ جُبْنٌ وَلَكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَانِي (٣)

فقد أراد أن يصف وينصف لعدوه فوصف ما لحق أعداءه من ضرر بالتشبيه بالضربة الهالكة في قوله : (رميناهم بثالثة الأثاني) فالمشبهه قوله (رميناهم) والمشبه به (ثالثة الأثاني)، شبهه قوة الضربة أو الرمية وهيئتها، بقوة ثالثة الأثاني المهلكة في التدمير والقضاء، حتى ضرب بما المثل، والقصد منه إنصاف عدوه، وأن ما أصابهم لا لضعف، وعدم إقدام بل لشدة ما لحقهم من بني سليم، فالمثل هنا كما العبارة السابقة أعطيا الصورة النهائية للمعركة، وانتصار بني سليم على أعدائهم مع الإنصاف لهم، والاعتراف بشجاعتهم وإقدامهم، في قوله : (وَمَا أَنْ طَبُّهُمْ جُبْنٌ) وهو من التشبيه (المركب التمثيلي) وهو كذلك من التناسخ مع الأدب العرب في أمثله وحكمه، ووجه الشبه يكون في الدمار، والقضاء، والإهلاك للعدو .

(١) . الحُمَيْصِيُّ ، إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد اليَازِجِيِّ ، نَجْمَةُ الرَّائِدِ وَشَرَعَةُ الْوَارِدِ فِي الْمُرَادِفِ وَالْمُتَوَارِدِ ، د.ط ؛ (مصر : مطبعة المعارف ، ١٩٠٥ م) ، ج ٢ / ٣٠ .

(٢) . عَسِيلَانُ ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

سبق شرح البيت في ص ٨٢ ، ٨٣ من هذا البحث .

وفي " شعره قبل إسلامه نجده يُورد بعض التراكيب التي استفاضت على ألسنة العرب وجرت مجرى الأمثال من مثل (رُحْتُ قَطْرًا بِمَطْرَدِي) في قوله مخاطباً عمرو بن معد يكرب " (١) ، وهي من الصور التشبيهية :

﴿ وَمَا زِلْتُ أَحْمِي صُحْبَتِي وَأَذُودُكُمْ بِرُحْمِي حَتَّى رُحْتُ قَطْرًا ﴾ (٢) بِمَطْرَدِي (٣)

تأمل قوة الدِّفاع عن القوم ، والتضحية وبذل أقصى جهده من أجل مصلحة قومه في قوله : (وَأَذُودُكُمْ بِرُحْمِي حَتَّى رُحْتُ قَطْرًا بِمَطْرَدِي) ، والتشبيه هنا من تشبيه (المركب الضمني) لكونه آثار قضية الدفاع ، وكيف تكون ، وادعى بأنه هو الوحيد من بين جيش قومه الذي يدافع بتفانٍ وإخلاص ، وما ترك جهة من الأرض إلا وجابها دفاعاً عن قومه وتأميناً لحدود قبيلته ، حتى هلك سلاحه ، وظهر ذلك حين بدأ بقوله: (رحمي) وانتهى بقوله: (مطردى) ، فالرُّمَح لا يكون مطرداً إلا بعد كسره ، فهو هنا ابتكر صورة جديدة للتفاني ، وحُسن الصحبة ، وعلو الهمة ، وكذا الشجاعة ، والإقدام مقابل تقهقر الأعداء ، والفروسيّة والفخر مقابل الهجاء ، وعبارة (رُحْتُ قَطْرًا بِمَطْرَدِي) ، التي جرت مجرى المثل أوردها الشاعر ؛ لتتميّز صورته عن غيره فالوصف بها أكثر بلاغة ممّا لو ذكر الوصف بلفظة أو نحوها ، وفيه كذلك تفرد وابتكار للصور ، والمعاني فهو أراد أن يكتفي عن شدة البذل ، والدفاع ، واحتراق نفسه في الدِّفاع عن قومه لكونه سيدهم ، وقد استعان بالصورة في رسم المعاناة التي خاضها الشاعر من أجل الانتصار ، وكأنّه لا مثيل له في أرض المعركة ، وأتى بما ساعده في رسم الصورة وهو الرمح بأشكاله ، وقد يكون (القطر) الذي ذكره في المثل يقصد به ما كان من انحناء للرمح ، فهو من معاني الانثناء (٤) ، وذلك لكثرة العراك به ، وليس الصول ، والجول في ساحة المعركة بمفرده .

ومحور الأبيات الهجاء مع الفخر ، فهو يُدكّر عمراً بن معد يكرب بفروسيته فذكر من صفاته:

أَتَهْدِي الهِجَاءَ لَأَمْرِيٍّ غَيْرِ مُفْجِمٍ وَتَهْدِي الوَعِيدَ لَأَمْرِيٍّ غَيْرِ مُوعِدٍ

(١) . عسبلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

(٢) . قَطْرٌ فِي الأَرْضِ ، أَي : ذَهَبَ . / الفارابي ، أبو إبراهيم ، معجم ديوان الأدب ، مصدر سابق ، (قطر) ، ج ، ١١١/٢ .

(٣) . المطرد بالكسر: رمح قصير يطعن به الوحش. / الجوهري ، مصدر سابق ، (مطرد) ، ج ٥٠٢ / ٢ .

(٤) . أَقْطَارٌ النَّبْتِ اقْطِيراً واقْطَرٌ اقْطِيراً أَي أَخَذَ فِي الانْتِثَاءِ . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (قطر) ، ج ٩٦/٥ .

فَإِنْ تَلَقَّيْ تَلَقَّ امْرَأً قَدْ بَلَوَتْهُ حَدِيثاً وَإِنْ تَفْجُرْ عَلَيَّ تُفْنِدِ^(١)
 أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَا عَمْرُو أَيَّ لَقَيْتُكُمْ لَدَى مَا قَطِ^(٢) وَالْحَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ
 وَعَرَدَ^(٣) عَنِّي فَارِسَاكُمْ كِلَاهُمَا وَقَدْ عَلِمَا بِالْجَزَعِ أَنْ لَمْ أُعْرِدِ
 وَمَا زِلْتُ أَحْمِي صُحْبَتِي وَأُدُودَكُمْ بِرُحْمِي حَتَّى رُحْتُ قَطْرًا بِمَطْرِدِي^(٤)

فقد كان عدد من الوقائع بينهما عرف فيها الشاعر أيما معرفة ، فقد جرّبه ، وخبره في خوضه للمعارك ، وفي وفائه بما وعد ، ولا يمكنه إنكار ذلك مهما قدّم من أدلة وحجج ، ويبدأ في وصف المعركة التي كانت على أشدها وهي مأزق لمن لم يكن في شجاعة العباس ، ومع ذلك بقيت خيله صامدة أمام قوة العدو ، ومع شدّة الموقف عرّض بما كان من فرسان عمرو بن معد يكرب ، فقد فرّوا حين رأوا العباس ، وظلّ هو يحمي أصحابه بكل ما أُوتِيَ من شجاعة ، وعدّة ، وتحمّش للصعاب من أجل حمايتهم حتى جاب أرض المعركة ذاهباً وإياباً ، وكأنّ المعركة خلت من الفرسان عداه ، وانكسر رمحه لشدّة الضرب به فأصبح مُطرداً ، وهو ما يظهر من خلال العبارة التي اختارها ، والتي جرت مجرى المثل ، فمن معانيها التي تظهر للباحثة : التفاني في الدّفاع والحماية ، ومنها أيضاً الذهاب في الأرض برمح قصير ، أو الصول في أرض المعركة ذاهباً وإياباً برمح قد كُسر لكثرة الضرب به في حماية قومه ، وقد ضمّنه بيته الشعري بقصد تشبيهه ادعاء تفانيه في القتال لدرجة أنّه جاب الأرض وكاد يهلك ويهلك سلاحه .

ومن بديع تراكيبه ما جاء في هجاء ابن عمه خُفاف في قوله :

فَأُورِدُ يَا خُفَّافُ فَقَدْ بُلِيتُمْ بَنِي عَوْفٍ بِحِيَّةِ بَطْنِ وَاِدِ^(٥)

(١) . فند رأي فلان أضعفه وأبطله ، وافتند في من الهُرم / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (فند) ، ج ٢ / ٧٠٣ .

(٢) . المَأْقَطُ: موضع الحرب . / الحميري ، مرجع سابق ، (أقط) ج ١ / ٢٩١ .

(٣) . عَرِدَ الرجل إذا هرب . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (عرد) ، ج ٢ / ١١٩ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

فقد استعان في وصفه بأنه داهية لا مقارن لها ، وأنه بليّة قد ابتلى بها بنو عوف ، بتشبيه نفسه بأنه (حية بطن واد) ، فأطراف التشبيه هنا هي العباس ، وهو المشبّه في قوله (أني) حين بدأ بالفخر بنفسه ، والمشبّه به (حية بطن واد) وحذف الأداة ووجه الشبّه لكون التشبيه يقوم على وصف حالة الدّهاء ، والحنكة ، والحذر ، والترقب ، والدّكاء ، والخطورة على العدو ، التي يتمتع بها الشاعر ، بحال حية بطن الوادي في ترقبها ، وحنكتها ، وحذرنا وخطورها لمن تصيبه وغير ذلك ، على سبيل التشبيه (المركب التمثيلي) ، فالصفات المترتبة على التشبيه كثيرة ، وقائمة على التأويل والتمعن .

فبطن الواد لا يُعلم ما بداخله ، أو ما يجويه للناظر ، كذا هو العباس لدريته في الشّعْر، وحنكته في الحرب ، اختار حية بطن واد ؛ لتعبّر عن مدى خبثه ودهائه، فالجرب خدعة ، وهو أعدّها عدتها ، وحية بطن الواد هذه حدّر منها الشعراء ، كقول الحطيئة :

فإياكم وحية بطن وادٍ هُمُوزٌ ^(١) النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ ^(٢)

وإياكم هنا تحذير من خطر حية بطن الواد ، فلها سُمٌّ يمرق للفريسة دون إذن ، فيصيبها مباشرة كما يمرق السهم من الرمية ، وهناك دليل آخر تبين من خلال بيت الحطيئة ، وهو أن حية بطن الواد تترقب ، وتخطط ، ولها مهارة المكر والخداع ؛ لذا انتقاها العباس ضمن تراكيبه؛ ليشبّه نفسه بها ، وهذا ما أوضحته الأبيات التي تسبق الشاهد :

إِذَا مَا عَاتَبْتِكَ بُنُو سُلَيْمٍ ثَنَيْتَ هُمْ بِدَاهِيَةٍ نَادٍ ^(٣)
 وَقَدْ عَلِمَ الْمَعَاشِرُ مِنْ سُلَيْمٍ بَأْيِي فِيهِمْ حَسَنُ الْأَيْدِي
 فَأُورِدُ يَا حُقَافُ فَقَدْ بُلَيْتُمْ بَنِي عَوْفٍ بِحِيَّةِ بَطْنِ وَادٍ ^(٤)

(١) . قوس هُمُوزٌ وهَمْزَى: شَدِيدَةُ الدَّفْعِ وَالْحَفْزِ لِلْسَهْمِ. / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (هـ) ، ج ٤ / ٢٤٢ .

(٢) . الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، تحقيق : حمدو طماس ، ط ٢ ؛ (لبنان : بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) ، ص ١٥٥ .

(٣) . النَّادُ: الداهية / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (ناد) ، ج ٨ / ٧٨ .

(٤) . السلمي ، العباس بن مرادس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

ودلنا على أنّ التشبيه يخصه هو ، بأن بدأ بالكناية في قوله : (بِأَيِّ فِيهِمْ حَسَنُ الْأَيَادِي) ، ثم أخذ في تهديد خُفاف ، وأنه قد نزل عليه البلاء ، وخصّ هذا البلاء بأنه (حية بطن واد) ، وقد رشحت الكناية التشبيه وزادت من بلاغته ، إذ أكّدت مكانة الشاعر في قومه ، وحملت " تهديداً ووعيداً لخُفاف وأنصاره ، ويتهمهم بالتمادي في الجهل والمراوغة ، والعباس تعرفه بنو سليم بحسن سيرته ، ونظافة كفه ، ولكنه شديد إذا استُفّرّ " (١) ، فهو إذاً الجواد الكريم المعروف عند بني سليم بصفات جعلتهم يختارونه رئيساً لهم ، وقائداً في معاركهم والقائد عادة يحتاج إلى حنكةٍ ، وخبرةٍ ، وتخطيطٍ ، وترقبٍ لقدوم الأعداء في أي لحظة ؛ لذا هو على استعداد تام ، وهو حَظِرَ على أعدائه ، وسهمه يصيب مباشرة ، كأنه سم حية الوادي ؛ لذا يحذر أعداءه منه ؛ فإنهم إن وصلوا إليه أو قدم إليهم نزلت بهم البليّة ، وقد عمد إلى الإيجاز في هذه الصورة ، فهو مطلوب حال "الوعد والوعيد والتحذير" (٢) والحرب ، وهنا ظهرت دقّة نظمه ، وارتباط تراكيبه ، وموافقته لمقتضى الحال فلم يرد الإطالة في التشبيه ، ولم يذكر الأداة ، والوجه بل ارتكز على المشبه به ليصور به ويبرهن ويحذر .

هذه تراكيبه حال فخره ، وتخويفه ، فخمة قوية ، وجزلة ، أما إذا كانت للتشبيب ، فهي ترقق وتكون أكثر سلاسة ، وأقرب معنى ومأخذاً ؛ لتماسكها ، وخفتها ، وجمالها كقوله :

يا دارَ أَسْمَاءَ بَيْنَ السَّفْحِ (٣) فَالرُّحْبِ أَقْوَتُ (٤) وَعَقَى عَلَيْهَا ذَاهِبُ الْحِقَبِ
وَعَرَصَةُ الدَّارِ (٥) تَسْتَنُّ (٦) الرِّيَّاحُ بِهَا تَحْنُ فِيهَا حَنِينَ الْوَلِّهِ (١) السَّلْبِ (٢)

(١) . بسج ، العباس بن مرداس " شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(٢) . عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني) ، ط ٤ ؛ (الأردن : إربد : دار الفرقان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ، ص ٥٠٦ .

(٣) . السفح: موضع. / الزمخشري ، أبو القاسم ، جار الله ، محمود بن عمرو بن أحمد ، الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض ، د.ط (القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م) ، ص ١٧٧ .

(٤) . أقوت الأرض ، وأقوت الدار ، أي: خلت من أهلها / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (قوي) ، ج ٥ / ٢٣٧ .

(٥) . عرصة الدار: أرضها التي يُبنى فيها ، ويقال: عرصة الدار: وسطها. / الحميري ، مرجع سابق ، (عرص) ، ج ٧ / ٤٤٤٩ .

(٦) . رياح تستن أي تمر . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (سناسن) ، ج ١ / ٢٠٤ .

دارٌ لأسماءٍ إذ قَلِي بِهَا كَلِفٌ^(٣) وإذ أقرَّبُ مِنْهَا غَيْرَ مُقْتَرِبٍ^(٤)

انظر لجمال التشبيه ورقته في قوله : (تَحْنُ فِيهَا حَنِينَ الْوَلِّهِ السَّلْبِ) ، والصورة هنا تشبه حال شوقه ، وهيئة ذلك الشوق والحنين ، بحال الرياح وجولها ، وتنقلها في المكان واستئناسها به ، وعليه فالصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) ؛ لكونه جمع بين صورتين، ونتج عنها تأويل صفات عدّة منها : العمق ، والحزن ، والشوق ، وعلو الصوت ، والوله وغيرها .

وهو " يتوجه بالخطاب إلى دار الحبيبة أسماء ، وقد درست ومضى على ذلك زمن غير قليل ، ولم يبقَ غير الحجارة ، أما الدار فتصفر الرياح بها وتحنُّ كالمراة الولهة الحزينة " ^(٥) ، هو إذاً الكلف والحنين اللذان قاداه إلى ذكر دار أسماء ، ومكان تلك الدار هي بين السفح والجبل ، ووصف الدار التي خلت من ساكنيها بعد أن تركتها أسماء ، وحنَّ لها كلُّ شيء حتى الرياح تمرُّ بها ولها حنين كحنين المحروم ، أو المسلوب الذي سلب كلُّ ما لديه ، فهو لا يفتأ يذكره ويبحث عنه كما بحث الشاعر عن محبوبته ، والجميل أنَّه حملَّ الرياح الحنين ، ونسبه إليها مع أنَّه هو المشتاق وهو من به الحنين (تَحْنُ فِيهَا حَنِينَ الْوَلِّهِ السَّلْبِ) ، وحتى يؤكد ذلك الحنين ويبالغ فيه ويبتكر صورة جديدة للحنين فقد شبه صورة مرور الرياح بوسط الدار ، إذ يصدر منها صوت له صفير عالٍ ، واختار وسط الدار ، وجاء بحرف الجر (في) ؛ ليدلَّ على عمق ذلك الوسط ، فيكون صوت الرياح فيها أعلى ، ولها صوت مميّز ، ثم جاء بالفعل (تحنُّ) ، فتخيّل تلك الرياح كأنها إنسان يحس ، ويشعر ، فحذفه وجاء بشيء من لوازمه وهو (الحنين) على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثمَّ شبه تلك الرياح في حنينها وأنينها بالإنسان (الولِّه) الحزين ، وشدده ليصور شدّة ذلك الوله والشوق ، فقد بلغ منه مبلغاً بعيداً ، وقد سلب منه شيءٌ عزيز عليه ، أو أن الذي سلب منه عقله ، فتسمع له حيناً يُذيب القلوب ، وتأمل تركيب (تحنُّ) —

(١) . الولِّه: الحزن ، وقيل: ذهاب العقل والحيرة من الحزن أو الخوف. / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (وله) ، ج ٤ / ٤٢٥ .

(٢) . سلب : أخذ الشيء بحقّة و اختطاف . / الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (سلب) ، ج ٣ / ٩٢ .

(٣) . الكلف معناه في كلامهم: شدّة الحب . / الأنباري ، أبو بكر ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، مصدر سابق ، (كلف) ، ج ١ / ٤٧٥ .

(٤) . السلمى ، العباس بن مرادس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥) . بسج ، العباس بن مرادس " شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

حنين) ، الذي زاد من كثافة الحنين ، وجعل كل من يقرأ يُشارك الشاعر في حنينه ، وانظر إلى اختياره لكلمة (تستن) ، بدل تمر ؛ لأنّ صوتيات حروفها من تكرار التاء ، والسين وما فيها من صفات الصفير ، تُلائم صوت الرياح وترددها، وقد ظهر من خلال ذلك انسجام الألفاظ، وبراعة التراكيب ، وحسن النظم لهذه الأبيات الذي اتضح من خلال " رقة النسيب ، وجودة الغزل، والتشبيه، وجمال اللفظ، ولين الأسلوب " (١) .

وكما كانت تراكيبه سهلة سلسلة في الغزل ، فهي كذلك في الحكمة ، والوعظ ، والنصح ، متماسكة قوية سهلة معبرة ؛ ليتسنى للعامة فهمها كما للخاصة " فقد تناثرت بعض الأبيات في الحكمة والمثل خلال شعر العباس ، ويبدو على بعض ما نُسب إليه من الشعر في الحكمة طابع الحثّ على التزام الفضائل والتحذير من أمور لا تحمدُ مغبتها " (٢) ، وما إن يجد فرصة ليرز خبرته وحنكته في الحياة إلا واغتنمها ليرجم " عن مذهبه في الحياة القائم على مكارم الأخلاق ، والأخذ بأسباب العلم بمعاشرة أهله والبعد عن أهل الشر والفساد ففي ذلك صلاح للمرء ولجتمعه " (٣) ، ومن ذلك ما جاء في معرض وعظه لرجلٍ من قومه كان ظالماً لعشيرته :

أَرَاكَ امْرَأً فِي ظُلْمٍ قَوْمِكَ جَاهِداً وَمَالِكَ فِي ظُلْمِ الْعَشِيرَةِ مِنْ رُشْدٍ

إلى أن قال :

﴿ وَقَالَ اضْرِبُوا رَأْسِي وَلَا تَتَهَيَّبُوا نَجوراً ﴾ (٤) مِنْ الْأَطْوَارِ ذِي أُجْدٍ (٥) صَلْدٍ (٦)

(١) . الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، تحقيق : لجنة من الجامعيين

، د . ط ؛ (بيروت : مؤسسة المعارف) ، ج ٢ / ١٥١ .

(٢) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٣) . بسج ، العباس بن مرداس " شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٤) . النجر : السير الشديد ، نجر ينجر وهو رجل منجر . / الدينوري ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، الجرائم ،

تحقيق : محمد جاسم الحميدي و مسعود بوبو ، د . ط ؛ (دمشق : وزارة الثقافة ، د . ت .) ، ج ٢ / ٢١٢ .

(٥) . أُجْدٌ : قوي ، وناقَةٌ أُجْدٌ بضمّتين : قَوِيَّةٌ ، وناقَةٌ أُجْدٌ : مُوثِقَةٌ الخَلْقِ . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، (أجد)

، ج ٧ / ٣٧٥ .

(٦) . صلد : حجر صلدٌ ، وجبُرٌ صلدٌ أي أمْلَسُ يابسٌ ، ورجلٌ صلدٌ أي بَحِيلٌ جداً . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (صلد)

، ج ٧ / ٩٩ .

فَعَا جَلَهُ وَقَعُ الصَّوَاعِقِ كَالَّذِي أَرَادَ سِفَاهاً وَالسَّفَاهَةَ قَدْ تُرْدِي (١) (٢)

وجّه النظر مباشرة إلى الهدف من النصح وإلى نتيجة السفاهة ، واستعان بالصورة التشبيهية للفت الانتباه وإيصال الفكرة كما أرادها، وذلك في قوله : (كَالَّذِي أَرَادَ سِفَاهاً وَالسَّفَاهَةَ قَدْ تُرْدِي) ، وجاء تركيبه للتشبيه فيه إثارةً ، وتشويق ، إذ بدأ البيت بالفاء العاطفة ، التي تدلُّ على المفاجأة ، والسرعة ، والمباغطة ، بحصول ما لا يتوقعه ذلك الظالم المختال ، مما أثار السخرية منه في النفوس ، وكأننا أمام مشهدٍ تمثيلي كوميدي ، فشبّه الضرب الذي وقع عليه بوقع الصواعق ، وفي مقام السرعة الخاطفة لم يذكر الأداة التي كان بها الضرب بل قال : (فعاجله) ، كذلك أتى بصيغة الجمع (الصواعق) ، ولم يقل صاعقة ؛ تكثيراً لما يلقاه من الضرب والإهانة نتيجة ظلمه وتجبره ، وأعقب ذلك بصورة تشبيهية أخرى أنهت ذلك المشهد بحكمة ، تتضمن العبرة لكل من تسوّل له نفسه أن يسلك مسلك هذا الظالم ، فشبه حاله تلك بحال مَنْ قصد السفاهة ، وأرادها ، وسعى إليها ، فإذا به يهلك ، ومن حداقة الشاعر، ومهارته أنّه أظهر نهاية السفاهة بشكل عام ، بأسلوب الحقيقة عن طريق الجملة الأسمية (وَالسَّفَاهَةُ قَدْ تُرْدِي) ليقررها في النفوس ، وجعل خبرها مؤكّداً ب(قد) ، وبالجملة الفعلية، فكلّما زادت السفاهة ، وتجددت ، كلّما تردى السفيه ، فذهب قوله هذا حكمةً، ووجه الشبّه منتزع من أمور عدّة منها : الهلاك ، والضياع، وخيبة الأمل ، والإهانة بين قومه، والتشرّد ، والصورة هنا من التشبيه (المركب التمثيلي) .

وقد بدأ بتحديد الغرض ، وهو النصح فهو يراه ظالماً لقومه ،وعواقب الظلم وخيمة ،لا يرضاها المرء الشريف رفيع القدر ،والهمة، ومن يطمح إلى الرئاسة والسؤدد ؛ لذا قال: (وَمَا لَكَ فِي ظُلْمِ الْعَشِيرَةِ مِنْ رُشْدٍ) ؛ ذلك أن الرشد لا يتفق مع الظلم ، والسيادة تتطلب الرّشد، وكذا الحلم والأناة ، ثم ساق لنا وصف ظلمه ،وطغيانه ،وتكبره فقد تحداهم بعد ما كان منه من ظلم وتعدي بأن يضربوا رأسه دون هوادة أو خوف أو هيبة (ولا تنهيبوا) سرعة الرد مني أو سرعة جريي في المكان ، فأنا رجل قوي صلد صعب المبتغى بعيد عن سيوفكم ورماحكم وبي ما بي من الصفات التي تعرفونها ، فكان الرد بأنّ وقع عليه الضرب كالصاعقة فأهلكته وسبب ذلك

(١) . الردى: الهلاك / الرازي ، ابن فارس ، مجمل اللغة ، مصدر سابق ، (ردى) ، ج ١ / ٤٢٨ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرادس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

السفاهة التي هي نقيض الحلم ؛ لذا شبهه بمن أراد السفاهة وأن السفاهة في حقيقة أمرها مُهلكة قد تردي صاحبها وتودي به في أمور لا يحمد عُقبها فكيف به إذ جمع الظلم والسفاهة معاً؟! ، وهو يحذر من ذلك فالظلم يُهلك بكثرة أعدائه ، وترصدهم للنيل منه ، والسفاهة تقوده لأموراً يندم عليها أبد الدهر ، فإن " الأصل في السفه: الخفة ، ويقال: زمام سفیه، لاضطرابه، كما يقال زمام عيار، فيقول: تطلب هذا الرجل ما تطلبه سفهاً، وفعل السفاهة قبيح ، كما أن اسمها قبيح ، وإنما قال هذا ؛ لأن السفه كما تنكر العقول ، والقلوب ذاته ، وفعله ، كذلك تمج الآذان والصدور اسمه ..."^(١) والسفاهة أمر يوقع صاحبه في المهالك ، وما ذُمت إلا لقبحها ، وسوء مُنقلبها ، وهي ضد الحلم الذي هو زينة للمرء ، وستر له ، وقد جاء في الحديث الشريف: " قال رسول الله - ﷺ -: الحلم زين للعالم ستر للجاهل " ^(٢) ، وحين امتدح -صلوات الله عليه - الصحابي أشجّ بن قيس خص خصصتني الحلم و الأناة قال رسول الله - ﷺ - للأشجّ أشجّ عبد القيس: (إنّ فيك خصلتين يُحبّهما الله : الحلم ، والأناة) " ^(٣) ، والحديث الشريف هنا أشار بطريقة غير مباشرة إلى أن القائد، والقاضي ينبغي لهما العدل والأناة قبل إصدار الحكم ، وحتى يكون على ثقة بما يقوم به، أو يقوله ، وبالتالي يثق به غيره ، ويكون بذلك حمايةً له ، ولجنده، أو رعيته على خلاف السفاهة ، والتي قد تردي القائد والجنّد معاً ، ولربما أهلكت أُمَّم بتلك السفاهة ، ومن هنا اختار الشاعر هذا لوصف عاقبة الظلم والسفاهة ، بأنّها وخيمة ومُهلكة، وقد تمّ له ذلك ، وهذا من سمات نظمه كونه يعتمد على صورتين ويربط بينهما بالتشبيه ؛ ليتضح من خلال ذلك المعنى ، ويسهل إيصاله للقارئ بطريقة مشوقة وسهلة ، وهذه الأبيات أظهرت صدق نصحه ، ووعظه ، وحرصه على الإصلاح الاجتماعي ، وهذا يتناسب مع شخصيته القيادية .

(١) . المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، مصدر سابق ، ص ١٧٦ .

(٢) . البغدادي ، ابن الجعد ، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، مسند ابن الجعد ، تحقيق: عامر أحمد حيدر ، ط ١ ؛ بيروت : مؤسسة نادر ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) ، ص ٤٨٨ .

(٣) . النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري ، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ط ؛ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د. ت) ، ج ١ / ٤٨ .

وله في شعر الجهاد تراكيب ظهر فيها صدق إسلامه ، ودفاعه عن الدين ، وعن النبي الكريم -ﷺ- وبه تجلى حبه للإسلام ، ولنبينا -صلوات الله عليه وسلامه - ، فقد واكب الشعر في صدر الإسلام غزوات الرسول -ﷺ- وحين كان العباس ممن أعطاه النبي -ﷺ- راية بني سليم هو والضحاك ، وابن عمه خُفاف كما أشرت سابقاً ؛ افتخر بتلك الثقة ، وحمله للراية ، وشبه الزاية بالسحابة اللامعة ؛ لعلوها ، وارتفاعها ، وكثرة من يسير خلفها ، وذلك في قوله :

﴿ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا لِيَأْءِ كَحُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَأْمِعٌ ﴾^(١)

تأمل جمال التصوير مع هيبة الموقف في قوله : (لِيَأْءِ كَحُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَأْمِعٌ) ، فالصورة هنا من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد شبه صورة اللواء في ارتفاعه وشموخه وأهميته ، بصورة خذروف السحاب ، وما يُلقيه من فرح في نفوس المسلمين ، وخاصة أنه أمام رسول الله -ﷺ- وهو واضح للعيان ، (لاعم) لشموخه ، ولهيبه المكان والزمان ، والموقف ، وهي أوجه ترتبت على نظم الشاعر للصورة ، والتي تتمثل في الشموخ والهيبه والوضوح والارتفاع .

والشاعر قال هذه الأبيات في غزوة (أوطاس) التي سبقت حنين ، وقد صبر فيها وبدأت بأن " وبعث رسول -ﷺ- عبد الله بن قيس الأشعري إلى من أخذ منهم ناحية أوطاس ، فقاتلوه ، فهزمهم ، وولوا مدبرين ، وذكر النووي أن الذين ثبتوا مع رسول الله -ﷺ- اثنا عشر رجلاً ... " ^(٢) ، واختار الشاعر أبرز ما في تلك الغزوة وهو الراية ، " فالراية لسرعة حركتها وخفقاتها في الفضاء تُشبهه سحابة لامعة " ^(٣) ، يريد الشاعر هنا أن يصف لواءهم بالتميّز ، والتميّز عن بقية الأولوية ، ويفخر بذلك ، فقدّم شبه الجملة الظرفية (أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ) ، فذلك قمة الفخر ، الذي ليس بعده فخر ، أن يكون اللواء خفّاقاً ، وأمام من؟ ، أمام نبي الأمة ورسولها ، وهو لواء يرتفع فوق الرؤوس ، كناية عن الرّفعة ، والشموخ ، وقال: (يَخْفِقُ فَوْقَنَا) وجاء بالفعل)

(١) . الحُذْرُوفُ: السريع في جريه . والحُذْرُوفُ: عويد أو قصبه مشقوقة، يفرض في وسطه، ثم يشد بخيط فإذا أمر دار وسمعت له حفيفاً، يلعب به الصبيان. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، ج ٤ / ٣٣٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٣) . الخركوشي ، أبو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، شرف المصطفى ، ط ١ ؛ (مكة : دار البشائر

الإسلامية ، ١٤٢٤ هـ) ، ج ٣ / ٨٤ .

(٤) . بسج ، العباس بن مرداس " شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

يخفق) بالمضارع ؛ ليدلّ على استمراره في الخفقان ، ونكّر لفظ (لواء)؛ ليرسم في الأذهان أنّه لواء فريد ليس كالألوية الأخرى ، ثمّ جاء بصورة الخدروف التي أضافها للسحابة ، فاكسب دلالةً جديدةً على السرعة ، وأضاف صفة(اللمعان) ؛ ليزيد من ظهوره، وبروز ذلك اللواء ، فبإضافة الخدروف إلى السحابة ، ومجيء صفة (لامع)، جعلت صورة جديدة ، ولو أنه اقتصر على الخدروف لكانت صورةً مُبتدلة ، وربّما اختار هذه الصورة ؛ ليعكس مدى الفرحة العامة التي تفيض في نفسه ، فهي كفرحة الأطفال ، حين يمتلكون أمراً يُفرحهم ، ولكنه لم يشأ أن يأتي بصورة الأطفال في هذا المشهد المهيب ، فجاء بصورة الخدروف التي تبعث في أنفسهم الفرح العميق ، وبهذا يتّضح من هذه الصور المترتب بعضها على بعضٍ ، وتظهر فيها المشاعر من فرح ، وحماس ، وعزم ، كذلك اعتمد فيها على الألوان، لون السحاب واللمعان ، وبيّن فيها المكانة والفخر بذلك المكان ، ومن هذا تبين دقة نظمه وبيان معانيه ، وحُسن وصفه وجودة نظمه .

والحقيقة أن أجمل وصفه ، ما كان في وصف الخيل ، فهي من أهمّ ما لديه وله بها خبرة ودراية ، وهو في كل مرة يحرص كل الحرص على وحدة الفكرة ، وبيان المعنى وتماسك النظم ، وذلك حتى في رجزه :

مِلْءُ الحِزَامِينِ وَمِلْءُ العَيْنِ

يَنْفُشُ^(١) عِنْدَ الرَّبِّو^(٢) مَنْخَرَيْنِ^(٣)

كَنْفُشِ كِيرَيْنِ بِكَفِّي قَيْنِ^(٤) (١)

(١) . النَّفْسُ: مُدُّكَ الصَّوْفَ حَتَّى يَنْتَفِشَ بَعْضُهُ عَنِ بَعْضٍ، وَكَلَّ شَيْءٌ تَرَاهُ مُنْتَبِراً رِخْوَ الجَوْفِ، فَهُوَ مُنْتَفِشٌ وَمُنْتَفِشٌ / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (نفس) ، ج ١١ / ٢٥٨ .

(٢) . الرَّبُّو : هُوَ البُّهْرُ وَهُوَ مَا يَعْتَرِي الإنسانَ عِنْدَ السَّعْيِ الشَّدِيدِ والعَدْوِ، مِنَ التَّهْيِيجِ وَتَتَابَعِ النَّفْسِ . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، (بھر) ، ج ١٠ / ٢٦٠ .

(٣) . نَحْرُ الإنسانِ والحِمارِ والفَرَسِ، يَنْخَرُ، وَيَنْخُرُ، نَحْيراً : مَدَّ الصَّوْتُ والنَّفْسُ فِي خِيَاشِمِهِ والمَنْخَرُ: الأنْفُ. / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (نخر) ، ج ٥ / ١٦٨ .

(٤) . القَيْنُ: الحَدَّادُ، وَجَمْعُهُ قَيُونَ. / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (قان) ، ج ٩ / ٢٤٢ .

على أنه تشبيه غريب من نوعه إلا أنه توخى بيان الصورة للجواد عند ارتفاعه، وسرعة ركضه وذلك في قوله : (كَنَفْسٍ كَيْرَيْنِ بِكَفَّيْ قَيْنِ) ، والصورة التشبيهية ، من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد شبه صورة الخيل حال عدوها وحرارة نفسها وعلوه ، بصورة الكير حال نفخه للنار ، وربط بين الطرفين بالكاف ؛ لتناسبه مع سرعة الرجز وخفته ، وأشار إلى صفات يُستدل بها على وجه الشبه منها الحرارة ، والقوة ، والارتفاع ، والانتشار، والطواعية ، وقد ذُكر هذا الرجز ضمن صفات الجيّد من الخيل ، وأوجز هذا الوصف ، والتشبيه البُعد المكاني في اتساع المكان مع سرعة الجواد .

وقد بدأ أولاً باستعارة النفس للزفير ، و التصريح بالمشبه به ، وهو النفس ، وأخفى المشبه وهو الزفير ؛ ليصور بذلك تمدد نفس الخيل ، كتمدد الصوف ، ونحوه عند نفشه ، ثمّ رشّح هذه الاستعارة بالتشبيه ؛ ليعطي صورةً أبعد وأعمق (كَنَفْسٍ كَيْرَيْنِ بِكَفَّيْ قَيْنِ) ، فبعد أن وصف طريقة صعوده ، وأنه يشتدُّ زفيره ، وتتابع أنفاسه ، ويعلو نحيجه ، فتخرج هذه الأنفاس من منخريه كأنها من منفاخ الحدّاد لحرارتها ، وهي تتمدد في المكان كما الصوف ، وهي لحرّها كأنما هي نار كير الحداد ، وهي نتاجٌ لسرعة عدو الجواد ، وحوى هذا الوصف صوراً أعمق وهي دليل على أصالة خيل الشاعر ، فالقين كل صانع أتقن في صنعه وأبدع^(٢) ، وفي هذا التأكيد على فروسية العباس ، ومهارته في قيادة المعارك ، فيه كذلك إشارة إلى أصالة الخيل وأنها لا تعود إلا منتصرةً ، ويُعتمد عليها في خوض المعارك ، وعليها يتكئ الشاعر في تحقيق النصر ، واعتماده كاعتماد الحدّاد على كيره في صناعة الحديد ، وتحسينه .

والصفات التي ذكرها العباس لخيله من الحرارة ، والانتشار وسعة المنخرين هي ممّا يُمتدح به الفرس كما بيّن ذلك أبو هلال العسكري ، " ويستحب في الخيل سعة المنخرين فمن أبلغ ما قيل في ذلك ... وقال العباس بن مرداس:

مِلْءُ الحِزَامِينِ وَمِلْءُ العَيْنِ ... " (٣)

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٢) . انظر الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (فان) ، ج ٢ / ٩٨٠ .

(٣) . العسكري ، أبو هلال ، ديوان المعاني ، مصدر سابق ، ج ٢ / ١١٠ .

وأكدّه النويري (١) في كتابه (٢) ، ورجز العباس في وصفه لأصالة فرسه شبيه بيت لعُقبة بن مُكَّدَمِ التَّغْلِبِيِّ :

كَأَنَّ مَنْخَرَهَا كَبِيرٌ يُشَبُّ بِهِ جَمْرٌ تَنَحَّى عَنْهُ الْقَيْنُ مَكْرُوبٌ (٣)

فكلا الشاعرين وصف زفير الفرس بالكبير لحرارته ، وبالموازنة بينهما نجد أن بيت عُقبة، أوجز من بيت العباس ، لكن لكل منهم بلاغته فعقبة ، ذكر الجمر ، وأنها تشبُّ من منخر الفرس وتوقد ، وأنّ القين تنحى عنه لشدة حرارته ، وأصابه الكرب ؛ لما يجد من الحرارة واللهيب ، بينما تجد أريحية وخفة أكثر في رجز العباس ، فهو جمع بين التصوير ، والتشخيص في استعارته النفس للزفير ، ووصفه بأنه يملأ العين ؛ لرشاقة قوامه وحسنه ، كما أوضح متى تبلغ هذه الحرارة أوجها ، وأنها عند تتابع النفس ، وأنها منخران وليس واحداً ، وزفيره يملأ المكان وينتشر كتفرق القطن والصوف ، ومع ذلك يستطيع القين السيطرة عليه بل ، ويستسعين بهما في صناعته ، وفي ذلك أبعاد أخرى ذكرتها آنفاً ، وهذا في ترابط وانسجام تام .

ونخلص من هذا إلى أنّ تراكيب العباس هي إحدى سمات الصورة التشبيهية عنده ، ومرجع السمة فيها إلى تنوعها بتنوع البعد الموضوعي لها ، فتجدها فخمة قوية جزلة حال الفخر ووصف الخيل والمعارك ، بينما تكون سهلة موحيةً بالمعنى ، قريبة المنال ، سلسلةً ، تُعبر عن العاطفة بصدق مع البعد عن الفحش ، وذلك في الغزل و البكاء على الأطلال ، والرتاء ، وتتخذ نوعاً من الوسطية بين السهولة ، والقوة ، والمتانة في الإنصاف والحكمة ؛ لكونهما أقرب إلى الحق والجديّة ، وتلاحظ فيها ارتباط أول بثان ، وكأنّ المباني تتبع المعاني ، وتبدو كل كلمة مُتمكّنة في مكانها ، وبها قوة نسج كما الرّسام في لوحته ، وارتباط بشخصية الشاعر وفروسيته ،

(١) . أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، مؤرخ ، أديب ، مشارك في علوم كثيرة ، ولد عام ٦٧٧هـ ، من تصانيفه : نهاية الأرب في فنون الأدب ، له شعر ونثر جيّد ، توفي في القاهرة سنة ٧٣٣ هـ / كحالة ، عُمر رضا ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، د.ط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) ، ج ١ / ١٩٠ .

(٢) . انظر ذكر ما وصفت به العرب الخيل / النويري ، أحمد شهاب الدين ، مرجع سابق ، ج ١٠ / ٤ .

(٣) . التيمي ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، الخيل ، ط ١ ؛ (الهند : حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨ هـ) ، ص ١٥٤ .

وتجنّب الشاعر فيها الوعر من الألفاظ، محاولاً تقريب المعنى للعامّة من خلال الأمثلة، والحكم التي ضمّنها لصوره، وإرضاء ذوق الخاصة بانتقائه لألفاظٍ خاصّة، والربط بينها؛ ليبيّن بذلك ثقافته، وخبرته في النظم، فكان وسطاً بين الصعوبة، والسهولة مُعتمداً على الربط بين أجزاء نظمه؛ لإيصال فكرته، ومشاعره للمتلقّي، وهذا الترابط لنظمه لم يقتصر على القصيدة بل شمل البيت الشعري الواحد، والقصيدة الكاملة، والرجز.

المبحث الثالث: مصادر التشبيه ومنازعه .

صور العباس تحكي مظاهر الجمال، والفخر، والاعتزاز بالنفس، وهي مُستمدة من البيئتين الجاهلية، والإسلامية على أنهما تتشابهان إلى حد كبير، ولكن بعد إسلامه أدخل الكثير من المعاني الشريفة إلى صورته؛ مُتأثراً بإسلامه وبالبيئة الإسلامية من حوله، وهي مع كل ذلك كانت " بعيدة كل البعد عن الغموض والالتواء، وكانت مستوحاة في مجملها من البيئة التي عاش بين أحضانها، و مما اختمر في مخيلته من المشاهد، والمرئيات التي وقع عليها بصره " (١)، وبما أن العباس أحد فرسان العرب، وأكثرهم جرأةً وحزماً، فقد جاءت مصادر شعره متنوعة منها: الطبيعة، والبيئة من حوله، ومنها الدّين، والمرأة، وفي المصدر الأول، وهو الطبيعة والبيئة، شكّلت الخيل، وأدوات الحرب أولى مصادر صورته، وأبرزها، وأدقها وصفاً، ومن ذلك جمعه بين الخيل، والسيف؛ ليعين استعداده التام لخوض المعارك:

﴿ جَوَادٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ أَيْنَ لَقَيْتَهُ فَيَضْرِبُكَ أَوْ يَطْعَنُكَ طَعْنًا عَلَى عَمْدٍ ﴾ (٢)

تأمل جمال التصوير، والجمع بين صورتين لا يمكن حصولهما إلا في خيال الشاعر، وذلك بتشبيهه الجواد بنصل السيف، في قوله: (جَوَادٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ)، فالصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) فقد شبّه صورة حسم الخيل للنصر وسرعتها في ذلك، بصورة السيف في

(١). عسيلان، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر)، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢). السلمي، العباس بن مرداس، الديوان، مرجع سابق، ص ٦٥.

المُضي وحسم الأمور ، وعليه فوجه الشبه منتزع من أمور عديدة : كالقوة ، والحدة ، والسرعة ، والإجادة في الأمر ، والطواعية ، والحسم .

والشاعر في هذه الصورة يجمع بين متباعدين ، قد لا يكون بينهما وجه شبه ، لكنه لثقته المتناهية في الخيل جعل الخيل كنصل السيف في حسمه للأمور ، وشدته ، فقد جرت العادة في التشبيه بنصل السيف، إما المُضي في الأمور وحسمها ، وإما اللمعان ، غير أنّ العباس رغب في الخروج عن المألوف ، فشبه الخيل بنصل السيف ؛ ليؤكد ثقته بفرسه فالخيل " هو حصن العربي ، ودرعه في حياته يحتمي بها من ضربات السيوف ، وطعنات الرماح ؛ لذا نرى الأصيل العتيق يصنع له شجرة أنساب ، ولا عيب للعربي في أنّ يُؤثره على نفسه ، وأهله في أوقات العسرة ، وكانت العرب تُهنئ بعضها البعض بنتاجها ، وأخذ كل منهم يصف فرسه في حالة خاصة .." ^(١) ، والشاعر هنا يصف صورة خاصة ، وأتمّ تحسم الأمر ، ومن يمتطيها يعلم تماماً أن النصر سيكون حليفه؛ لأنّه على ثقة بها في حسم الأمر ، وعلى معرفة بأصالتها ، وليس هذا بمُستغرب ، فقد " كان الإنسان الجاهلي ينظر إلى حصانه عن طريق العامل الانفعالي الذي يدفعه إلى تصوير الظاهرة وتشخيصها ، خالغاً عليها إنسانيته التي تتطلب منه ربط الصورة بالمشاعر والأحاسيس التي تسيطر على حياته " ^(٢) ، فالشاعر هنا نظر فعلاً إلى خيله من منطلق الرغبة في الانتصار دوماً ، والانتقام من الأعداء ، وألقى على أدواته الحربية صفات الإنسان منها نسبة الضرب، والطعن للخيل بعد أن شبهها بالسيف على سبيل الاستعارة التصريحية ؛ لبيان ما لديه من قدرات قتاليه ، وخبرة ، وفروسية جعلت السيف ، والخيل يعتادان على الضرب والطعن ، بمعنى أنّ الإصرار على الانتصار ، والسير الحثيث وراء ذلك لا يتوقف على الفارس ، بل تشاركه أدواته الحربية في ذلك ، وكأنّ بينهما انسجام ، وتبادل شعور ، وألفة من نوع خاص لا يعرفها إلاّ من خاض غمار المعارك ، وابتلي فيها حق البلاء واحتمى بخيله ، وسيفه ، وانتصر بعد ذلك ، فهي إذاً مشاعر وأحاسيس متبادلة بين الشاعر ، وفرسه التي يثق

(١) ممتن ، مهدي (١٣٨٨ هـ) . الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية ، مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى العدد الثالث ، جامعة آذار الإسلامية بجيرفت . (مقبول للنشر) . ص ٢٠٩ .

(٢) . أبو يحيى ، د. أحمد إسماعيل ، الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين ، ط ١ ؛ (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٩٧ م) ، ص ١١٩ ، نقلاً عن السعيد ، ناصر بن دخيل الله بن فالخ (١٤٢٠ هـ - ١٤٢١ هـ) ، البناء البلاغي في شعر علقمة بن عبدة الفحل " دراسة تحليلية " ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية وآدابها ، قسم الدراسات العليا فرع الأدب والبلاغة والنقد ، مكة المكرمة ، ص ٨٩ .

فيها أكثر من السيف القاطع ، فلدى خيله من الخفة ، والقوة ، والتحمل ما يجعلها محل الثقة ، والجدارة بالنصر ، والوصف .

وقد يشبه الخيل بحيوانات تمثل عنصر السرعة ، والخفة كالعقاب ؛ ذلك أن الخيل مكانها ساحات القتال ، والدوران ، والطعان ، والانقضاض المفاجئ ، والسرعة الخارقة ، فتستحق بعد هذا المدح، والفخر ، والاعتزاز بها :

لَا يَغْرَسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُمْ وَلَا تَخَاوُرُ فِي مَشْتَاهُمُ الْبَقْرُ

إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعُقْبَانِ مُقْرَبَةً فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ (١)

فهو بعد أن بين مكانة القوم ، ومضيهم في المعارك ، وانشغالهم عن الزراعة ، والحرف التي تحتاج إلى ترف، واستغالهم بالحرب للدفاع عن أنفسهم، ومن يجاورهم ، وصف الخيل بأنها ساجدة ؛ لسرعة عدوها ، وزيادة في تأكيد تلك السرعة شبهها بالعقبان في سرعتها في قوله : (سَوَابِحُ كَالْعُقْبَانِ مُقْرَبَةً) ، في القوة وتحديد الهدف ، وسرعة الانقضاض على الفريسة ، ومن الصعب بعد هذا أن تعود دون نصر وغنيمة ، وقد اختارت الباحثة هذه الصورة التي تم شرحها من قبل لكونها وضّحت أثر البيئة جلياً ، فقد وصف ما يحيط به من أخطارٍ وعكر ، وعُقبان تختصُّ بها أرض بني سليم ، لكونهم أهل حرب وخبرة في القتال ، فأتى على العقبان في انقضاضها على الفريسة ، لبيان كيفية قضائهم على العدو ، ومباغتتهم له ؛ لذلك لم يولوا الزراعة أي اهتمام ولا الرعي ؛ لكونه مترتب على الزراعة .

وللسيف ، والرمح نصيب من تشبيهاته مع التأثير بالطبيعة، ومناظرها الخلابية ، فهي من أدوات الحرب التي لا غنى للفارس عنها :

كَأَنَّ السِّهَامَ الْمُرْسَلَاتِ كَوَاكِبٌ إِذَا أُذْبِرَتْ عَنْ عَجَّهَا (٢) وَهِيَ تَلْمَعُ (٣)

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

وانظر شرح البيت في هذا البحث ص ٤٢ - ٤٥ .

(٢) . (عَجَّ) العين و الجيم أصلٌ واحدٌ صحيح يدُلُّ على ارتفاعٍ في شيء، من صوتٍ أو غبارٍ . / الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (عَجَّ) ، ج ٤ / ٢٧ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

نلاحظ في هذا البيت دقة التصوير ، والوصف، والتفصيل ؛ حتى تكتمل جوانب الصورة التشبيهية ، في قوله : (كَأَنَّ السِّهَامَ الْمُرْسَلَاتِ كَوَاكِبٌ) ، فهو يصوّر لحظة انطلاق السهم من الرمية ، وأنها كالكواكب المضيئة ليلاً في عتمة ليل الصحراء مع ارتفاع الغبار يظهر وميضها ، أو لمعانها جلياً يلفت انتباه الناظر؛ ليحذر أو تكون أسرع من ذلك ، فتصيبه دون أن يعلم ، وهو هنا يعتمد إلى نوع من الوصف الدقيق لكونه اعتاد على ذلك المنظر فألفته عيناه وله به ولع ، فيقول : سهام مرسلات ، وكواكب في ظلمة الليل ، وأنّ تلك الكواكب تُدبر عن لمعان ، وتوهج وسط السواد الحالك ، فهو يُشبه السهام حال انطلاقها من الرمية بالكواكب التي تُضيء ظلمة الليل ، كذلك السهام التي تتبع أثر النقع ، الذي أثارته الخيل بحوافرها ، وهي وسط ذلك الضجيج ، وارتفاع صوت السيوف ، وحوافر الخيل ، وصهيلها ، واشتداد العراك ، وتصاعد الغبار ، تراها تلمع ، كلمعان النجوم وسط ظلمة السماء ، محتفظةً بمذوئها ولمعانها ، ومن يعين النظر يلحظ ، التقارب بين السهام ، والكواكب لمعاناً وهيئةً وشكلاً ، فبعض الكواكب تتضح للرائي أشبه ما يكون بالرمح ، وأجود الرماح ما احتفظ بلونه على مر الدهر ، وكذا هي النجوم والكواكب تراها كل ليلة ، وكأنها جديدة ؛ لشدة لمعانها ، ومن هذا اتضحت براعة العباس في وصفه واختياره لـ (كأنّ) التي تجمع بين التشبيه والتأكيد ، ليُرسل وصفه فيعيش معه القارئ في هذا الجو المليء بالصخب والأصوات ، والألوان الباهتة ، عدا سيوفهم ؛ لكون التشبيه من التشبيه (المرسل المفصل) ، والمفصل في ذكره لوجه الشبه وهو قوله : (وَهِيَ تَلْمَعُ) ، ويظهر التفصيل في براعته التصويرية للسهام المرسلات وكأنّها كواكب ، والكواكب عادة لا تظهر إلّا في غسق الليل واشتداد الظلمة ، فكيف إذا اختلطت ظلمة الليل بالغبار الناتج عن الكر والفر في المعركة ، ومن الاستقصاء قوله : (إِذَا أَدْبَرْتُ عَنْ عَجَّهَا) ، وأنّ هذه الرماح طيّعة في يد الفارس يضرب بها كيف شاء ، وأينما أراد ؛ ولذا هي تتبع النقع حيث احتدام العراك ، وهي قويّة لامعة لحدّها ، وقوتها وسرعتها نحو الهدف ، والصورة التشبيهية تمثل الفخر الذاتي والجماعي ، فهو يفخر بنفسه في طواعية سلاحه له لاعتياده عليه وأصالة ذلك السلاح ، وخبرته في العراك ، والرمي ، فهو مع ارتفاع صوت الحرب ، والغبار يرمي سهمه مُحددًا الهدف ، فلا يضلّه أبداً ، أو يتراجع عنه ، وارتفاع الأصوات دليل على كثرة من معه من بني سليم

و البيت في / البصري ، صدر الدين ، علي بن أبي الفرج بن الحسن ، الحماسة البصرية ، تحقيق: مختار الدين أحمد ، د.ط ؛ (بيروت : عالم الكتب ، د. ت) ، ج ١ / ٤ .

،وبسالتهم في القتال ، ثم إن جمعه للسهم دليل آخر على الفخر الجماعي ، والشاعر هنا يُقرن منظر جمال النجوم ليلاً ، وهو من طبيعة الصحراء الهادئة بمنظر الريح المرسله دفاعاً ، أو هُجوماً ، كنوع من التصوير البصري البارع؛ ليلقي بالظلال النفسية في هذا ، وأنه مولع بالفروسية ، كوله بمتعة النظر إلى جمال الطبيعة أو أنه اشتاق للراحة ، والتأمل في النجوم بعد المعارك التي خاضها .

ولمظاهر الطبيعة من حوله جانب من مصادره ، ففي صورة تشبيهية له شبه نفسه بالجبل الشامخ كما مرّ سابقاً^(١) ؛ وذلك لعلو مكانته ورفعة قدره ، وله كذلك تشبيه بالهضبة للغرض ذاته :

﴿ أَلَا أَيُّهَا الْمُهْدِي لِي الشِّتْمَ ظَالِمًا تَبَيَّنَ إِذْ رَامَيْتَ هَضْبَةً مِّنْ تَرْمِي ﴾^(٢).

شبهه نفسه بالهضبة تأثراً بالمظاهر الطبيعة من حوله في قوله : (تَبَيَّنَ إِذْ رَامَيْتَ هَضْبَةً مِّنْ تَرْمِي)، والصورة من التشبيه (المركب الضمني) ، فقد حذف وجه الشبه والأداة لتأكيد تقارب الشبه بين المشبه والمشبه به ، وادعى أنه كالهضبة ارتفاعاً ، وعلواً في أخلاقه وإقدامه، وثباته ، ومكانته الاجتماعية.

وهذه الصورة دليل على أنه جاب الجزيرة العربية حتى شاهد الجبال، والهضاب ؛للسلم ، والتجارة ، أو الحرب ، والدفاع ، وهو هنا ينادي من شتمه ، ويتهمه بأن هذا الشتم إنما هو من قبيل الظلم ولا أساس له ؛ لأنه لو تعرّف عليه لعلم مكانته التي وصل إليها ، بعلو أخلاقه ، وحبّ بني سليم له ، وهذه الأبيات كانت للرد على ابن عمه حُفّاف ، بعد أن بدأت بينهما النقائض ؛ وذلك لكون بني سليم اختاروا العباس زعيماً لهم بعد مقتل صخر بن عمرو بن الشريد ، فقد كانت الزعامة بُغية كل منهما وسبباً في تبادل الهجاء واللجاج بينهما^(٣) ، فهو ينبّهه بأن يتبين ، ويحذر مما قدّم عليه ، وما سوف يسببه له ذلك من حرب ضروس ، وقطيعةٍ ، وخسائر لا قبل له بها ، وتشبيه نفسه بالهضبة ، والذي استعان فيه بأمر حسي للوصول لأمر معنوي ، وهو علو المكانة ، والشرف والارتفاع عن الدنيا كما ارتفاع الهضبة عما يجاورها ،

(١) . انظر ،ص ١٣٣ - ١٣٥ من هذا البحث .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٣

(٣) . انظر السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

وهنا يكمن الفخر ، والثقة في النفس والاعتزاز بها والتي بدورها تمنح مناصره الثقة فيه ، وتجعل أعباده يخشون لقاءه ، وهو القصد من التشبيه بالهضبة ، فعليه أن يحذر من رمية بما لا يليق بهما ، وخوفاً من أن يقودهم هذا التهاجي لأمر لا يحمد عُقباها ؛ لذا يقول له معاتباً في قصيدة أخرى :

سَمِئْتُ عِتَابَهُمْ فَصَفَحْتُ عَنْهُمْ وَقُلْتُ لَعَلَّ حِلْمَهُمْ يَعُودُ
وَعَلَّ اللَّهُ يُمَكِّنُ مِنْ خُفَافٍ فَأَسْقِيهِ الَّتِي عَنْهَا يَحِيدُ
بِمَا اكْتَسَبَتْ يَدَاهُ وَجَرَّ فِينَا مِنْ الشَّخْنَا الَّتِي لَيْسَتْ تَبِيدُ^(١)

فخفاف هو سبب الشحناء بينهم ، وهو من أراد الفتنة والحرب ؛ لذا تمنى لقياه ؛ ليسقيه ما كان يخشاه ، وهو الموت ، وفي هذا استعارة عبرت عن الغرض ، وهو الانتقام ، والرد على الهجاء ، فهو يحاول تخفيف حدة الصراع على الزعامة بينهما ، وفي الوقت نفسه يحاول إقناع الجميع بأحقية في الزعامة ، فهي في نظره تحتاج " إلى إقناع وليس إلى سباب ، وهو مع هذا كله ما يزال يؤمل الخير ويرجو عودة المودة والبعد عن العداوة " ^(٢) :

وإِنِّي لَا أَزَالُ أُرِيدُ خَيْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْ نِعَمٍ مَزِيدُ^(٣)

فهو يأمل الخير ، ويريد الخير للجميع ، وثقته في الله وحده ونكر (نعيم) حتى يعطيها نوعاً ، من الشمول والتعدد ، فمن تلك النعم منحهم الأخوة والوفاق ، وهو ما كان لهم بالفعل بعد إسلامهم ، " فيترفع عن الردّ بالمثل ، ويعاملهم معاملة الإنسان الواعي والمترفق بقومه ويحاول إقناعهم بعدم جدوى هذا الأسلوب في الشتم وإطلاق التهديد " ^(٤) ، ويؤكد له بعد هذا أن الهجاء ، لا يُؤثر في الشاعر ؛ لكونه على ثقة عالية بنفسه :

فَمَا شَتْمِي بِنَافِعِ حَيِّ عَوْفٍ وَلَا مِثْلِي بِضَائِرِهِ الْوَعِيدُ^(٥)

(١) . انظر السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٢) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السلمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٤) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السلمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

فهو على ثقة بنفسه، وهجاء عوف وخفاف لن يضره ، بل إنّ مثله لا يهتم بالوعيد ، ولا يُلقي له بالاً ، لكنه ما لبث وضاق صدره عنهم ، وأخذ في عتابهم ، ويصل به هذا العتاب إلى أن يتخذ من الكلب مصدراً لصورته ؛ بغرض التقرير ، والتوبيخ لقومه في قوله :

﴿ أَتَجْعَلُنِي سُرَاةَ بَنِي سُلَيْمٍ كَكَلْبٍ لَا يَهْرُ^(١) وَلَا يَصِيدُ
كَأَنِّي لَمْ أَقْدُ حَيْلًا عِتَاقًا شَوَازِبِ^(٢) مِثْلَهَا فِي الْأَرْضِ عَوْدُ^(٣) ﴾

من المستغرب على فارس في شجاعة العباس أن يُشَبَّه نفسه بحال الكلب حين يُمنع من التّباح، ومن الصيد ، في حال منع عشيرته له من قيادتهم في المعارك أو في الرأي وذلك في قوله : (كَكَلْبٍ لَا يَهْرُ وَلَا يَصِيدُ) ، وعليه فالصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد شبّه حالة بحالة ، وعليه يكون وجه الشبه في أمور منها : المنع ، والاتصاف بالأمانة ، ومنها الحرص ، والشجاعة ، واليقظة والتفاني في الحماية والحراسة ؛ لكونها من صفات الكلب مع ما تحمله من غضب وعتاب .

وهو هنا يوبخ قومه ، ويتعجب منهم ، كيف لهم أنّ يجعلوا قائدهم ككلب ، لا يهرّ ولا يصيد ، وهو مَنْ، هو في الشجاعة وقيادة الخيل وترأس الجيش ، والعودة به منتصراً ، كيف لهم أن يمنعوه حتى من رفع الصوت أو الصيد ؟!، ثم أخذ في تذكيرهم بمناقبه ، ومزاياه ؛ ليزيد من توبيخهم وإقرارهم ، وهي فضائل شهد له بها الجميع ، والتي تخوّله لأن يكون سيّد بني سليم ، فخيّله من أنفس وأجود خيل بني سليم ، وبها رشاقة ، وحسن قوام أهلها هذا لأن تخوض غمار الحرب ، وهي صبورة ، جلودة ، وعلى استعداد تام لخوض المعارك ؛ وما ذاك إلا لكون صاحبها دربها أيّما تدريب ، وانتقاها بعناية ؛ لتعينه في ساحات المعارك ، وتشبيهه هذا بالكلب على أنّه بيّن غضب الشاعر ، وضيقة بما كان من قومه ، فقد اختاره لعلمه بما لدى الكلب ، من أمور ليست لدى غيره من الحيوانات ، فهو يُعرف بالوفاء ، والصدق ، والأمانة ، وهو ما جعل العرب تثق به في حراسة الغنم ؛ لمهاراته وأمانته ، حتى أنه لأمانته وذوده عن

(١) . هَرَّ الكَلْبُ: صَوَّتَ بدون نباح من شدّة البرد، كَشَّرَ عن أنيابه. / عمر ، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ،

(هَرَّ) ، ج ٣ / ٢٣٤٢ .

(٢) . الشَّوَازِبُ: المَصْمَرَاتُ، جَمْعُ شَاوِزٍ . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (شرب) ، ج ١ / ٤٩٤ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

صاحبه فضّله بعض العرب على الإنسان ، وألّفوا حوله الكتب ومنهم أبو بكر المحولي^(١) ، وقد جاء في فضل الكلاب : " قال الشعبي خير خصلة في الكلب أنّه لا ينافق في محبّته وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - كلبٌ أمين خيرٌ من إنسانٍ خوّونٍ " ^(٢) ، إذاً كون الوفاء ، والصدق ، والأمانة صفات لازمة للكلب ؛ هو ما جعل العباس يختاره للتشبيه على أنه حمل في طياته الكثير من العتاب، والغضب مع حبّ الحلم والترفع عن الدنيا ، وقد ظهر غضبه في ذكره لصفات الكلب وهي النباح للدفاع أو التنبيه والصيد ، وذلك في جلب الغنائم ، والانتصار، فكيف لهم أن يمنعوهم من تنبيههم للأخطار التي ستحيط بهم إن استمر هذا الهجاء ، ثمّ لم لم يختاروه قائداً لهم يحميهم ويدافع عنهم ؟ ، لما عُرف به الكلب من وفاء، وصدق ، وأمانة عند العرب ، و هي صفات معروفة عند العباس ، وهو ما قاده إلى التعجب ، وتذكيرهم ببطولاته، وقيادته للخيل ، وجلب الغنائم والدفاع عنهم ، وقد لجأ إلى هذا بغرض " إثبات أوليته بإظهار فضائله ومزاياه التي تخوله أن يكون قائداً ، ... وقد لعب العنصر الديني دوراً في التخفيف من حدّة اللهجة المستعملة ، إذ أنّه لم يخرج عن طور العقل والأخلاق ، وهذا ينسجم مع نفسيته الكريمة الطيبة التي لا تعرف الزيف ، ولا الغدر ، ولا يفر إذا دعاه الداعي بالحق " ^(٣) .

وفي مصدر (الدين) يأتي على ذكر الأنبياء - صلوات ربي عليهم - في قوله :

﴿ وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى فَكُلُّ فَتَى يُجَايِرُهُ مَخِيْرٌ ﴾ ^(٤) ^(٥)

(١) . محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر المحولي ، نسبته إلى (المحول) وهي قرية غربي بغداد كان يسكنها ، مؤرخ، مترجم، عالم بالأدب ، قال ياقوت: كان أحد التراجمة ، ينقل الكتب الفارسية إلى العربية، له أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس ، وله تصانيف، منها: الحاوي في علوم القرآن والحامسة و الشعراء وكتاب المتيمين ، وفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ، توفي سنة ٣١٠ / الزركلي ، مرجع سابق ، ج٦ / ١١٥ .

(٢) . المحولي ، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر ، فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ، تحقيق : ركس سميث/محمد عبد الحليم ، ط١ ، (د.م ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٣ م) ، ص ٣٦ .

(٣) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السلمي "شاعر الفخر والحامسة " ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٤) . تَجَايَرُوا: تَحَاكَمُوا فِي أَتْيِهِمْ أَخِيْرَ ، وَالْأَخَايِرُ: جمع الجمع، وكذا الخيزانُ وفلان ذو مَخِيْرَةٍ، يَفْتَحُ التَّحِيْتَةَ، أَي فَضَّلَ وَشَرَفَ. / الزبيدي ، مرجع سابق ، (خير) ، ج١١ / ٢٥٠ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

والبيت في / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مصدر سابق ، ج١ / ٢٧٣ .

وهذه الأبيات جاءت في مدح النبي محمد ﷺ ومطلعها :

أَلَا مِنْ مُبْلِغِ غَيْلَانَ عَنِّي وَسَوْفَ -إِخَالَ- يَأْتِيهِ الْخَيْرُ

وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدِي جَوَابًا وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكُمْمَا يَسِيرُ

بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ لَرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ

وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى فَكُلُّ فَتَى يُخَايِرُهُ مَحْيِرٌ (١)

انظر لجمال التصوير والتقريب والاعجاب بشخص النبي -ﷺ- في قوله : (مثل موسى) ، وجرى التشبيه عن طريق أداة التشبيه (مثل) وذلك حتى يُظهر معرفته بالأنبياء ، وأنهم خيرة خلق الله ، وأكثرهم شجاعة ، وإقداماً في الحق ، ووجه الشبهه تخير بفتح الميم أي : " أنه مغلوب في الخير " (٢) ، والفضل ، وهذا ما أوضحه التشبيه (المرسل المفصل) .

و أبو الهيثم في هذه الأبيات يُعلن صدق إيمانه ، وأنّ النبي -ﷺ- ، مرسل من عند الله ، وأنه سبحانه هو من بيده الهداية ، وقصة إسلامه دليل على هداية الله له ، وبثبتي بركن من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالرسول ، ويصف الأنبياء بأنهم كلهم فضلاء ، وأهل خير ، وأن أفضلهم هو رسولنا الكريم -ﷺ- ويشبهه بنبي الله موسى -ﷺ- فهو نبي كما نبينا -ﷺ- وتخصيصه لموسى -ﷺ- حتى يُبين علمه بالأنبياء ، وأنهم جميعاً على حق ، وأرسلوا من رب رحيم ، لا يظلم أحداً ، وأنهم خير خلقه وصفوته ، ويذكرنا ذلك برثائه لبني النضير (٣) ، وأنه علم بأن نبينهم موسى -ﷺ- ونستشعر فيها اقتباساً من القرآن الكريم ؛ حتى يُبين صدق إيمانه وتوحيده وذلك في قوله - سبحانه : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَإِنَّا لَمُهْتَابُونَ وَسِعَ رَبُّنَا كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ فَخُذُوا حُكْمَهُ فَتَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، و يبدو اختياره لموسى -ﷺ- نتيجة لصحبته الطويلة مع

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٦٨ ، الهامش .

(٣) . انظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ من هذا البحث .

(٤) . سورة البقرة : آية (١٣٦) .

اليهود بل وعلاقة قوية جداً ، " ويؤيد ذلك ما دار بين العباس وبين خوات عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقد قال خوات : يا عباس ، أنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما كان ؟ فقال عباس : إنهم كانوا أخلاقاً في الجاهلية ، وكانوا قوماً أنزل بهم فيكرموني ، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل " (١) ؛ فهذا ما جعل اختياره يقع على موسى -عليه السلام- من بين أنبياء الله -عليهم السلام- .

وفي آخر مصادره ، وقد كثر هذا النوع من المصادر عند شعراء صدر الإسلام ، وهو المرأة ، وقد امتاز الشعراء المخضرمون بأنهم "إذا وصفوا محاسن النساء لم يزيدوا على الأوصاف الطبيعية التي تقع عليها الأعين ؛ إذ كن غير مقصورات ولا محجوبات، وإنما تجيء طهارة الغزل من اعتبار الحسن اعتباراً طبيعياً، كالذي تعرفه النفس من جمال الشمس والقمر، وخضرة الرياض، وأريج الأزهار، ونحو ذلك..." (٢) ، وخاصةً عند العباس فقد كانت تشبیهاته التي جاءت في الغزل عفيفة بعيدة عن الفحش ، كقوله في غزله بمحبوته ، و وصف ديارها وحسن طبيها :

لِيَايِي سَلَمَى لَا أَرَى مِثْلَ دَهَّاءِ دَلَالاً وَأَنْسَا يُهْبِطُ الْعُصَمَ أَنْسَا

وَأَحْسَنَ عَهْداً لِلْمُؤْمِنِ بَيْتِهَا وَلَا مَجْلِساً فِيهِ لِمَنْ كَانَ جَالِسا

تَضَوَّعَ مِنْهَا الْمِسْكُ حَتَّى كَأَنَّما تُرَجِّلُ بِالرَّيْحَانِ رَطْباً وَيَابِسا (٣)

ابتكر الشاعر في بدء هذه الأبيات ، طريقة جديدة في التشبيه ، أو في الربط بين طرفي التشبيه ، وذلك في قوله (يُهْبِطُ الْعُصَمَ أَنْسَا) ، أي كأنها تجعل الوحوش الشرسة المستوحشة، التي اعتادت القتال ، وصعود الجبال ، كالأليفة رقة وأنساً ، وفي هذا صوّر حالة دلالها وأنسها ، بمن يعالج أو يرد الحيوان الشرس إلى أليف مستأنس ، وذلك لرفقتها ، وجمالها، فالصورة هنا من

(١) . الأصفهاني ، أبو الفرج ، مصدر سابق ، ج ١٤ / ٢٠٢ .

(٢) . الرافعي ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، تاريخ آداب العرب ، ط ١ ؛ (القاهرة : مكتبة الإيمان) ، ج ٢ / ١٠٢ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩١ .

سبق شرح الأبيات في هذا البحث ، ص ٩٣ - ٩٦ .

التشبيه (المركب التمثيلي) لكونه صورة قائمة على صورةٍ أخرى ، وترتبط بأوجه شبه منها :
الجمال ، والقدرة ، واللطف ، والحسن ، وسعة الصدر ، وقوة الاحتمال .
فهو إذاً أنسُّ بليال سلمى التي نفى عنها الشبه ، وأنه لا مثيل لها ، وأتَّها تعيد العصم التي في
أعالي الجبال أليفة مستأنسة بما حولها ، بعد أن كانت تعيش وحيدة في أعالي الجبال تنتظر
الفريسة ؛ لتقتنصها ، ثم يُثني على حُسن عهدها ، ومجلسها كنوع من الشوق لتلك المحبوبة
وديارها ، وفي هذا التصوير يخصُّ المسك بالتشبيه ؛ لعله أكثر شيء لفت انتباهه ، وأتَّها تُسرح
شعرها به كنوع من الدلالة على ثرائها ، وانظر إلى اختياره لـ (حتى) في العطف و الوصل بين
المسك وكأنما ؛ ليعطي امتداداً لتلك الرائحة وانتشارها ، وما في ذلك زيادة في الميل لتلك
الرائحة ، وأتَّها لا نهاية لها في نفسه ، فمن معاني حتى " أن ما بعدها مما قبلها ومتعلق به " (١) ،
فهذه الرائحة خاصة بها ، وشملتها حتى علقت في ذهنه ، ونفسه ، وسبب إعجابه بالمسك ؛
لكونه من الريحان فهو يفوح وينتشر في المكان أكثر من غيره، وله رائحة طيبة تُنبه وتلطف
المكان ، وهو لطيب رائحته وحُسنه جُعل من نعيم أهل الجنة قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ (٢) ؛ وليضيف الحركة والمتعة للتشبيه الحسي
وصف الريحان بأنه رطب ويابس ، وفي ذلك متعة لحاستي البصر والشمّ ، وقد كثر تشبيه طيب
الرائحة بالريحان وندر أن يذكر الريحان بنوعيه رطباً ، ويابساً كما عند الشاعر ، وقد جاء في
شعر العباس بن الأحنف (٣) وصفُ الريحان الأخضر في قوله :

(١) . الفارسي ، أبو علي ، المسائل البصريات ، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، ط ١ ؛ (د.م ، مطبعة

المدني ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ هـ) . ج ١ / ٦٨٩ .

(٢) . سورة الواقعة آية : (٨٨ ، ٨٩)

(٣) . العباس بن الأحنف ابن أسود بن طلحة الحنفيّ اليماميّ ، من فحول الشعراء، وله غزل فائق توفّي ببغداد سنة اثنتين
وتسعين ومائة / الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، سير أعلام النبلاء ؛ ط (القاهرة :
دار الحديث ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) ، ج ٧ / ٥٣٣ .

وَقَدْ مُلِّتْ لَيْنَ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ رِيَّانَ أَحْضَرُ^(١)
وكذا قول السري الرِّفَاء^(٢):

أَرَقْتُ مَاءَ شَبَابِي فِي مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَرَقَّرَقَ فِيهَا مَآؤُهَا الْجَارِي
كَأَنَّهَا نَفْسُ الرِّيحَانِ يَمَزُجُهُ صَبَا الْأَصَائِلِ مِنْ أَنْفَاسِ نَوَّارِ^(٣)

وقد اعتمد الشعراء الثلاثة على التشبيه الحسي ، لتقريب المعنى من ذهن القارئ ، فالتشبيه عند ابن الأحنف لبيان حال المحبوبة ، وأنها رشيقة القد ، وعند السري الرِّفَاء جيء به من أجل ؛ التقرير والتقريب ، وأن لها رائحة مثل النفس العذب الذي مُزجت فيه رائحة الريحان برائحة النوار الجميلة ، فاختلاط الرائحتين أعطى صورة جديدة لرائحة الريحان المعروفة ، بينما أراد العباس من ذكره للريحان بنوعيه الرطب واليابس وصف انتشار الرائحة في المكان وتنوع تلك الرائحة؛ ليربط بين تقريب الصورة للمتلقي ، وإمتاعه وبيتكر صورة لم يألّفها المتلقي من قبل، وأعطى أبعاداً أعمق ، وأشمل لرائحة الريحان، التي هي إحدى خصائص هذه المحبوبة مع التشخيص ، والذي هو إحدى السمات الجمالية للصورة التشبيهية عند الشاعر ، وهنا أعدت شرح هذه الصورة ، لبيان أنّ المرأة كانت أحد مصادره الشعرية ، وبها تغنى ، وبجمالها ، وكل ما يتعلق بها ، كأبي مصدر من مصادر البيئة من حوله .

(١) . ابن الأحنف ، العباس ، ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخزرجي ، د.ط ؛ (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) ص ١٢٣ .

(٢) . السريّ بن أحمد بن السريّ أبو الحسن الكندي ، المعروف بالسريّ الرِّفَاء الموصلي ، أسلمه أبوه صيباً للرفائين بالموصل فكان يرفو ويطرز، وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه، فلما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو إلى حرفة الأدب، واشتغل بالوراقة ،اتصل بسيف الدولة ، ومدحه ، وأقام بحضرته، فاشتهر وبعد صيته ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان، ورؤساء الشام والعراق، ولما مات سيف الدولة انتقل السريّ إلى بغداد ، وللسريّ تصانيف: كتاب الدّيرة ، وكتاب المحب والمحبوب ، وديوان شعر ، وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٦٢هـ . / الحموي ، مرجع سابق ، ج ٣ / ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ .

(٣) . السريّ الرِّفَاء ، ديوان السريّ الرِّفَاء ، شرح : كرم البستاني ، مراجعة : ناهد جعفر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٦ م) ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

المبحث الرابع : من القيم الجمالية للصورة التشبيهية عند الشاعر

إنّ الإبداع الشعري له وجوه عدّه يلجأ إليها الشاعر ، لا ليبر فقط بل يتعدى ذلك إلى رسم صورة انفعالية موحية بالغرض ، والمعنى ، ومؤثرة في الفكر ، والوجدان ، ومن أجل هذا التأثير ، وإيصال الفكرة ، والمعنى يلجأ المبدع إلى أدوات عدّة ؛ ليحسن بها فنه كما الألوان عند الرسام ، فهي متنوعة متعددة ؛ تبعاً للهدف المراد ، ولكل شاعر أدواته التعبيرية حتى تكون سمة خاصة بشعره ، وهي دليل على سعة خياله ، وبراعة ابتكاره ، ومقدرته على التصوير ، والعباس كغيره من الشعراء يلجأ إلى تلك الوسائل التعبيرية ، و" يُعتبر التصوير والتشخيص من الأسس التي قام عليها شعر العباس ، وجاءت صورته واضحة مشرقة ،... ولم يكن فيها أثر للتكلف ، و الصنعة بل جرت على لسانه طبيعياً فطرياً ، وقد برز ذلك كله واضحاً في العدد الكثير من التشبيهات " (١) ، إذاً فالعباس طبعياً بعيد عن التكلف والغموض ، وله أدواته التصويرية الخاصة به لرسم صورته وهي أدوات جعلها البلاغيون من سمات الصورة التشبيهية ، ومن المقاييس الجمالية لها ، " ولعلّ أهم تلك المقاييس الجمالية : تجسيم المعاني ، وكثرة تفاصيل وأبعاد الصورة ، والخفاء والغموض ، والخيال الإبداعي الصادق والتباعد في الجنس بين الطرفين ، وندرة التشبيه وغرابته ، و التوافق النفسي في الصورة التشبيهية " (٢) ، وهذه المقاييس وُضعت ؛ لتساعد المتذوق على الفهم " حتى يتمكن من الحكم الفني الصحيح على النصّ ، ومن ثمّ يشعر باللذة والمنفعة معاً " (٣) ، وقد اعتمدت الباحثة على هذه المقاييس في محاولة للكشف عن جماليات الصورة التشبيهية لدى الشاعر ، وعلى أساسها تمّ تقسيم هذا المبحث ، فهي تُمثل سمةً من سمات الصورة التشبيهية لديه .

(١) . عسيان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٢) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ،

مرجع سابق ، ٨١ .

(٣) . المرجع السابق .

١- التشخيص :

بما أنّ العباس جعل التشخيص أحد أهم أسسه في التعبير ، والتشخيص أو تجسيم المعاني بدوره يمثل أهم المقاييس البلاغية الجمالية للنص ؛ وذلك لكونه " أرقى أنواع الخيال، وصورته إنسانية من أقوى أنواع الصور، فهو يجسد المعنى ويبعث الحياة في الصلب الجامد، ويوجد الرموز للمحسوسات، ويجسم الأفكار، التي تتخيل من وراء الصور، وتقوم الحيوية فيه مقام البرهان العقلي، وهو الدليل الوجداني الناطق الذي لا يعرفه إلا الشعور " (١)، ويُعرّف التشخيص بأنه: " تعبير بلاغي يُسبغ فيه على التجريدات، والحيوانات، والمعاني، والأشياء غير الحية شكلاً، وشخصيةً، وسماتاً انفعاليةً إنسانيةً " (٢)، ومن التشبيهات ما يُريك " المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفّت الأوصاف الجسمانية، حتى تعود زوحانية لا تنالها إلا الظنون " (٣)، وهو المراد بالتشخيص، ومما اعتمد فيه الشاعر على التشخيص كسمة خاصة بصوره، قوله واصفاً استعداده للحرب مفتخراً بما يمتلك :

م لَا الْعُزْلُ فِيهَا وَلَا الْحُسْرُ (٤) (٥)

يرسم صورة لكتيبته أو لجيشه بلون النجوم في قوله : (وَرَجْرَاجَةٌ مِثْلُ لَوْنِ النُّجُومِ) ، فقد قارب بين صورة لون الكتيبة المثقلة بالعدد والعدة ، وصورة لون النجوم في هيئتها ولمعائها وتآلفها واستخدامها كدليل يهتدي به السائر في ظلمة الليل ، ومن هذا يظهر وجه الشبه المتعدد : فمنه ما كان دليلاً على الكثرة ، ومنه الارتفاع وعلو المكانة ، ومنه الأصاله واللمعان الدائم ، ومنه لفت الانتباه والتآلف بين أفراد الجيش كتآلف النجوم فيما بينها، واستعان بأداة التشبيه (مثل للربط بين طرفي التشبيه ، فالصورة التشبيهية هنا هي من التشبيه (المركب التمثيلي) .

(١) . صبح ، علي علي ، الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٢) . فتحي ، إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، ط ١ ؛ (الجمهورية التونسية : التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، ١٩٨٦) ، ص ٨٥ .

(٣) . الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، شاکر ، مصدر سابق ، ص ٤٣ .

(٤) . رجل حاسر: خلاف الدارع . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (حسر) ، ج ٣ / ١٣٤ .

(٥) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

فالشاعر يمتلك كتيبة عظيمة ، ولكثرة مَنْ بها ، وكثرة ما بها من دروع ، وسيوف ، ورماح فأصبحت رجراجة ، تهتز الأرض من تحتها لقوتها وكثرة فرسانها، ويتأثر بمناظر الطبيعة من حوله وخاصة النجوم ، ليضفي على الصورة نوعاً من تشخيص المعاني ، فتألقها ، ولونها البديع الذي يُلفت الناظر إليها من بعيد؛ ليحذر قومه من جيش العباس ، فالشاعر تأثر بهذا المنظر ، وهو " في مهاوي البيد مُستهدياً بها ، وقد أوحى له تلالؤها ، بصورة تشبيهية بديعة إذ شبه الكتيبة التي تبدو لكثرة رجالها ، وعتادها الحديدي ، وكأنها تترجرج ، ولا تسير بالنجوم المثالئة في عنان السماء ، ولا يستطيع لها الناظر حصراً ولا عدداً " (1) ، فلون النجوم ، ولمعانها في ظلمة ليل الصحراء ، أعطى نوعاً من الحركة ، والحياة لتلك الكتيبة المثقلة ، والبطيئة السير ؛ لكثرة ما تحمله من الجنود ، والعتاد ، فهي ليست مجرد شيء جامد ، بل أضاف إليها الحركة والحياة ، فاستعان بلون النجوم ؛ ليشخصها ويجسم المعنى ، وقد يكون اللمعان كناية عن استعدادهم الدائم للحرب ، فأدوات حربهم دائماً مصقولة لامعة في أي وقت ، و وميض النجوم كأنه إشارة إلى لون الدروع السابغة ، والرماح اللامعة وأطراف السيوف الحادة ؛ بغرض بثّ الرعب في نفوس أعدائه ، ويستخدم أداة التشبيه (مثل) ، ليرسل بها وعيده وتهديده ويصف ويشخص ويصور ، دون أن يُعيّن وجه الشبه أهو الكثرة في العدد والعدة؟ ، أم أنه لفت الانتباه؟! ، أم هو البطء في الحركة؟! ، والذي يظهر من وصفه أنه يُريد الجمع بين لفت الانتباه والكثرة ككثرة النجوم في السماء وتآلف بعضها مع بعض حتى تلفت الانتباه، فكتيبة متكاتفه متعاونة على أهبة الاستعداد ، وفي الصورة غرض آخر ، وهو علو المكانة كعلو النجوم في السماء ، فقومه علامة بيّنة واضحة ؛ لأنهم معروفون بالشجاعة ، والفروسيّة ، لمن أراد أن يسأل عنهم ، وأنّ كتيبته كلّ من بها يلبسون الدروع، ويحتمون بها ؛ لذا نفي أن يكون فيها من لا يحمل السلاح (الغزل) ، أو لا يرتدي الدرع وذلك لشجاعتهم ، وخبرتهم في الحرب، وهذه الكتيبة القوية المحكمة التي توفرت بها أدوات الحرب المتعددة ، مؤكّداً أن بها أولى تلك الأدوات ، وأهمها لدى الشاعر ، ألا وهي الخيل ، التي لحبه ، وتعلقه بها توحى له بصورٍ لم يسمع بها القارئ من قبل ، من ذلك وصفه لميدان المعركة و، كأنه مسرح موسيقى خاص بالفرسان ، وأدواته خاصة أيضاً في قوله :

(1) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

﴿عَلَى شُحْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسَبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا﴾^(١) عَزْفًا^(٢)

أول ما يلفت الانتباه في هذه الصورة ، ترتيب الجملة ، فالأصل في هذه الجملة (تحسب عزفاً بينها إذا هي جالت في مراودها) ، فقد فصل بالجملة الظرفية (بينها) والجملة الاعتراضية (إذا هي جالت في مراودها) بين الفعل (تحسب) ، ومفعوله الثاني (عزفاً) ، وذلك لتفسير ما كان بين هذه الخيل من أصوات ، ولئثير اهتمام المتلقي لسماع ما الذي بينها ؟ ، وزاد في الفصل ليشوق إلى سماع نتيجة ما دار بينها ، مع شخوص الأبصار في الميدان ، ثم ليوجه النظر إلى ما كان من الخيل من الكر في الميدان ومن الدفاع حتى حسبه الناظر عزفاً ، وهذا من بلاغة الجملة الاعتراضية فقد أضفت على الكلام " تقويةً ، وتسديداً ، وتحسيناً "^(٣) ، والصورة هنا تمت من خلال الجمع بين صورة صوت الخيول في ساحة المعركة مع ارتفاع وانخفاض ، بصورة العزف في ارتفاعه وانخفاضه ، في التشبيه (المركب التمثيلي) ، فتسمع صوت الصهيل أقوى كلما أشدت القتال ، وشدّ الفارس على الفرس وردّها عن التراجع ، في حين يهدأ ذلك الصخب ، وينخفض بانخفاض العراك ، وتتمثل الأداة في الفعل (تحسب) فقد جعلها سيلاً للتقريب بين الطرفين ، أما وجه الشبه فهو ، التنوع ، الانسجام والتوافق ، الاستمتاع ، والارتفاع وقت الهلع والخوف ، والانخفاض والهدوء حال الاطمئنان ، والسكينة ، وفي تصويره هذا شخّص الموقف ، وأضفى عليه صورة من الحياة ، مع صعوبته وقسوته .

وزيادة على ذلك التحسين والتقوية للمعنى من خلال الفصل ، والتقديم والتأخير ، ولفت انتباه القارئ في الاهتمام بما سيأتي ، أراد الشاعر أن يُلقي بالظلال النفسية على الموقف ، وأنه موقف تشخص الأبصار منه ؛ لهوله ، وصعوبته وذلك في يوم حنين ، فلقوة الجيش ، والتفافه حول رسول الله - ﷺ - ، ومُضِيهِمْ فِي الْقِتَالِ بِلَا هَوَادَةِ ، حُبًّا لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِدِينِهِ ، وهم لكثرتهم

(١) . المراد: الموضع الذي ترود فيه الرّاعية ، والرّياد: اختلاف الإبل في المرعى مُقبلةً ومُدبرةً . / الرازي ، ابن فارس ،

مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (رود) ، ج ٢ / ٤٥٨ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٣) . الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ ، مرجع سابق ، ج ١ / ٥٧٤ .

خشى الكفار منهم ، فشخصت الأبصار خوفاً ، وهلعاً ، وكذا اشتدّ الموقف على المسلمين ، في حين استمتع هو بصهيل الخيل، وصليل السيوف ، وكأنها موسيقى خاصّة به ألفها ؛ لكثرة قتاله وانتصاراته ، وكأنها تعزف له صوت النصر ، والقوة ، والاتحاد ، فالخيل في مرادها في أماكن ذهابها وإيابها ، وهو ساحة القتال بدلاً من أن تتراجع ، أو تتقهقر تستمتع بذلك العدو، وكذا السيوف لا تدخل للغمد بل إنها مشهورة مستمرة في العراك حتى تحقيق النصر ، واختياره للعزف وفعل التشبيه (تحسب) ؛ ليرسم صورة خاصة به فيها متعة ولذة ، تُدخل على الموقف العصيب نوعاً من الهدوء والثقة، وكذا الحركة والحياة ، فتجسيم المعاني في هذه الصورة تمّ له عن طريق التشبيه ، وتحويل الموقف بالنسبة للكفار ، ولم يخلُ موقف المسلمين من الهلع ، والخوف حتى أنزل الله سكينته عليهم، فحل الهدوء ، وازدادت الثقة في نصر الله لرسوله والمؤمنين، وحين حلت هذه السكينة والثقة أخذ الشاعر في وصف ساحة المعركة، وصفاً حسياً مُعتمداً فيه على السمع أكثر من المشاهدة ؛ لانشغال بصره في الدفاع وملاحظة هجوم العدو ، وقد كان يوم حنين من أكثر الأيام صعوبة ، وشدة على المؤمنين ؛ لكونهم أعجبوا بكثرة ما فامتنهم الله قبل تحقيق النصر قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١) ، لكنهم مع ذلك كانوا على ثقة بنصر الله لهم ، وهنا رسم صورة جميلة قارب فيها بين نقيضين خوف واطمئنان ، وهلع وثقة ، وصوّر كثر الخيل في ساحة المعركة وأنها تعاون بعضها ، وتتآزر مع السيوف لتحقيق النصر بل إنها ترغب في الجهاد لثقتها بأنه إما النصر وإما الاستشهاد ، وفيه كناية عن شجاعة بني سليم يوم حنين وتماسكهم رغم كل الظروف المحيطة بهم .

(١) . سورة التوبة : آية (٢٥ ، ٢٦)

ولمظاهر الطبيعة المتمثلة في السيول جانب من صور الشاعر ؛ ليضفي بها لوناً من الحركة والحياة كما تُضفي الأمطار الحياة على الأرض اليابسة ، فمنظر السيول لا يغيب " عن ناظره ، فبلاد العرب مسرح لها ، ومن اندفاعها الشديد استوحى العباس تشبيهه للخَيْالَة والرجالة ، والمغيرين بعنفٍ على أعدائهم ، فقال في ذكر فتح مكة وحين " (١) :

﴿ تَمَارُوا ^(٢) بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبِينُوا مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَعَابًا ^(٣) مُقَوْمًا عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعَنَا وَرَجَالًا ^(٤) كَدْفَاعِ الْأَيْتِي ^(٥) عَرْمَرَمًا ^(٦) ^(٧) ﴾

تأمل قوله : (وَرَجَالًا كَدْفَاعِ الْأَيْتِي عَرْمَرَمًا) ، فقد أتم أركان التشبيه ليصف ، ويشخص ويحقق بذلك الفخر والاعتداد ، فاختر الكاف ليربط بين طرفي التشبيه: المشبه (حالة استعدادهم وركوب الخيل أو السير على الأقدام متجهين لأرض المعركة) ، والمشبه به وهو (كَدْفَاعِ الْأَيْتِي عَرْمَرَمًا) حال السيل في القوة والاندفاع ، ووجه الشبه : الكثرة والقوة والشدة والخطر على العدو ، فالصورة التشبيهية على هذا الأساس من التشبيه (المركب التمثيلي) .

يقول: إن أعداءه كانوا يتجادلون في أمر قدومهم للمعركة ، وهم ما بين مصدق عارف بالشاعر ، وخوضه للمعارك و مكذِّب لذلك ، وكان ذلك ليلاً مخافة الإغارة عليهم ولكن ما إن بزغ ضوء الفجر حتى ظهر لهم فرسان لامثيل لهم، ورأوا معهم الأسلحة ، والرماح القوية المقومة ، خالية من العوج ؛ وذلك حتى تكون أسرع في إصابة العدو ، ثم أخذ في وصف استعداد قومه للمعركة ، والدفاع ، ومن ذلك الدروع التي يلبسها الجند ، وأنهم احكموها عليهم ؛ حتى لا تصيبهم السهام ، أو السيوف ، أو يُصابوا بأذى أثناء المعركة ، فلهم تجارب سابقة رأوا فيها كيف حمت الدروع أعداءهم خاصة (يوم تليث) ، فأخذوا من هذا درساً، وعبرة

(١) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٢) . تَمَارُوا: أي تجادلوا. / الحميري ، مرجع سابق ، ج ٩ / ٦٢٨٤ .

(٣) . الغاب : الأجمة ، شبه كثرة الرماح بها . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (غب) ، ج ٨ / ١٨٧ .

(٤) . راجل ، جمعها: رجال ورجال ورجالة: المشي على قدميه، خلافاً للفارس "جاءت الخيالة والرجالة ، أتى بخيله

ورجله: بفرسانه ومشاته. / عمر ، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، (رجل) ج ٢ / ٨٦٥ .

(٥) . الْأَيْتِي : السَّيْل الذي لا يدرى من أين أتى . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (أَيْتِي) ، ج ٨ / ١٤٦ .

(٦) . عَرْمَرَم : الجيش الكثير . / الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (عرمرم) ، ج ٤ / ٣٧٣ .

(٧) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

،وجعلتهم يهتمون بالدروع بل يشدونها عليهم حتى تحميهم ، وأن منهم الخيالة الذين اعتلوا الخيل ،ومنهم الرجالة الذين يمشون على أرض المعركة ، وهذا التنوع مقصود ؛ لبيان كثرة العدد والتنوع ، وأنهم على درجة واحدة من الشجاعة والبسالة ، وشبههم في حالتهم تلك بحالة السيل العرمم ، الكثير ، المنهمر بلا انقطاع ،وعادة ما يحدث السيل الكثير الضرر في المكان وبالبشر ، وفي هذا تشبيه بقوة السيل فيما يوقعه من ضرر وفساد سواء للبشر أو غيرهم ، والتشبيه ليس فقط بالسيل ، بل بمن يدفعه كذلك ، وفي هذا إثبات القوة للقائد، وأنهم منقادون له ، والتشخيص في وصفه للجيش بالسيل المنقطع أضاف الحركة ، والحياة على الصورة التشبيهية ،مع أنه استعان كذلك بصيغة المبالغة في قوله : (دُفَاعِ الأَيْتِ) ، وليس (دافع) ليؤكد كثرته وغزارته ، كذلك في تشديد (الأَيْتِ) ، ولم يقل (الأَيْ) ، ففيها مزيد تأكيد ومبالغة في الدفاع ، والحماية ، وزاد الصورة جمالاً ، وبلاغة بعد التشخيص استخدامه لكلمة (عرمم) زيادة في التفخيم والوصف ،وقد كان الشعراء إذا " أرادوا تفخيم أمر زادوا في حروفه " (١) ، وقد كثر وصف الجيش بالعرمم من ذلك قول أوس بن حجر :

تَرَى الأَرْضَ مِنَّا بِالفَضَاءِ مَرِيضَةً مُعْضِلَةً (٢) مِنَّا بِجَمْعِ عَرْمَرِمٍ (٣)

فهم لكثرتهم غُصت الأرض بهم ، ومثلت مع اتساع أفقها، وأنهم لكثرتهم جعلوها مريضة ، مؤكداً " بذلك كثرة الجيش، وأنَّ الأرض الفضاء قد ضاقت به، ومن هذا قولهم: قد أعضل الأمر، وأمر معضل، أي: عسير ضيق ، العرمم الكثير " (٤) ، على أن وصف أوس أبلغ من وصف العباس في وصفه لمرض الأرض وغصتها بهم ، إلا أن بيت العباس أعطته المبالغة، فخامة ،وبه تصوير عن طريق التشبيه كما أن به تشخيصاً جسّم المعاني ، وأدخل عليها الحركة ، وقد مكنتهما وصفهم للجيش بالعرمم من تخويف أعدائهم .

(١) . الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج٤ / ٢٩٣ .

(٢) . عضلت الأرض بأهلها: غصت . / الجوهري ، مصدر سابق ، (عضل) ، ج٥ / ١٧٦٧ .

(٣) . ابن حجر ، أوس ، ديوان أوس بن حجر ، تحقيق: محمد يوسف نجم ، ط١ ، (بيروت : دار بيروت للطباعة ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م) ص ١٢١ .

(٤) . الأمدى ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، والمجلد الثالث من تحقيق / د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه) ، ط٤ ؛ (مصر : دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب (٢٥)) ، والمجلد ٣ ، ط١ ؛ (مكتبة الخانجي ، ١٩٩٤ م) ج٣ / ، ٢٧٦ .

٢- كثرة تفاصيل وأبعاد الصورة :

في النظرة المعاصرة للصورة التشبيهية يرى البلاغيون أنه : "كُلَّمَا كَثُرَتِ التَّفَاصِيلُ فِي الصُّورَةِ ازدادت القيمة الجمالية للتشبيه ، ولن يتم ذلك إلا إذا تحققت البراعة في التركيب ، والربط بين هذه التفاصيل بطريقة فنيّة قائمة على دقة النّظم مع طول الأمل ، والتفكير " (١) ، والتشبيه أشبه ما يكون بالكاميرا " ذات لقطاتٍ سريعة من زوايا ضيقة " (٢) ، والبراعة في رسم تفاصيل لهذه الصورة ؛ ليظهر بذلك سعة خياله ، والصورة لا تقتصر على التصوير فقط بل أصبحت " غوصاً نفسياً يُعانقه الخيال " (٣) ، وعن طريقهما تتولد صورة جديدة ثمتع الفكر ، والوجدان ، وتنشّط الخيال " فالصورة التشبيهية الممتدة تكمن فيها طاقة إدراكيّة كبيرة ، ورؤية كُليّة تفودنا من الكل إلى النظر في الجزء ، والتدقيق في تلك الجزئيات ، يُنشّط الخيال ويبعث المتعة في النفس " (٤) ، فتعدد التفاصيل للصورة خاصيّة بلاغية تدلُّ على براعة الشاعر وقد يكون من التفصيل ، وذكر جزئيات الصورة توالي الصور التشبيهية لمشبه واحد كدليل على الإعجاب أو التعلق به ، فمن بديع تشبيهات العباس تشبيه الدمع بالدمع في وصف العين التي أتعبها السهر :

﴿ مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ ^(٥) سَهْرٌ مِثْلُ الحِمَاطَةِ ^(٦) أَعْضَى فَوْقَهَا الشَّفْرُ ^(٧)
 عَيْنٌ تَأْوَبَهَا مِنْ شَجْوِهَا ^(١) أَرْقُ فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع سابق ، ٨٧ .

(٢) . عيد ، د. رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، ط٢ ؛ (الاسكندرية : منشأة المعارف ، د.ت) ، ص ٢٧٤ .

(٣) . المرجع السابق ، ص ٣١١ .

(٤) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع سابق ، ٨٧ .

(٥) . العائر: بئرٌ يكون في جفن العين الأسفل ، وكلُّ ما أعلَّ العينَ وعقرها فهو عائرٌ، سُمِّي بذلك لأنَّ العينَ تُعْمَضُ له ولا يَتَمَكَّنُ صاحبُها من النَّظَرِ . / الأزدي ، الهنائي ، كراع النمل ، ، المُنَجَّد في اللغة ، مصدر سابق ، ص ٢٥٨ .

(٦) . الحماطة عند العرب هي الحلمة . / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (حط) ، ج٤ / ٢٣٢ .

(٧) . الشفر: منبت الهدب من العين ، والجمع أشفار . / الرازي ، ابن فارس ، مجمَل اللغة ، مصدر سابق ، (شفر) ، ص ٥٠٨ .

كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَازِمِهِ نَقَطَعَ السِّلْكَ مِنْهُ فَهُوَ مُنْتَثِرٌ^(٢)

حوت هذه الأبيات صورتين تشبيهيتين الأولى في قوله : (مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَعْضَى فَوْقَهَا الشَّفْرُ)
والثانية في قوله : (كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَازِمِهِ) ، وكلاهما لوصف العين .
فهو يتساءل في تعجب عن سبب عور عينه أو مرضها ، ويصف شكل العين بعد أن أتعبها
السهر ، في قوله : (مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَعْضَى فَوْقَهَا الشَّفْرُ) فهي كحلمة تورمت وأحمرّ لونها لما
أصابها من تعب ، وألم ، وهو ناتج عن كثرة السهر ، وطول البكاء ، والانتظار ، وقد اختلط
الدمع مع الرموش ؛ لكثرة ما غمرها من الدَّمع حتى أصبح كالماء في انهماه ، فتورمت واحمرت
، وحتى لا تنطمس معالم تلك العين لشدة ما أصابها يذكر الأهداب وكيف تغطي تلك الحمرة
والثورم ، وحتى يُكْمَل الوصف ، ويبين الغرض من هذه المقدمة ، وأنه مع ما يُصِيب تلك العين
إلا أنه معجب بها فهي عين من أجمل ما رآه ، لكنها لكثرة السهر ، أو لحزنها ، وأرقها تعبت ،
فأنهمر الدَّمع منها كالسيل أو الماء المندفع بقوة ، فتراه يغمر ساعة وينحدر أخرى ، وكأنه يُعبّر
عن الحالة النفسية فكلما كان الحزن شديداً اشتدّ نزول الدَّمع منها ، وحين تهدأ يقل ، ويكون
كالماء المنحدر بهدوء ورقة ، ويتقن رسم صورة الدَّمع المنهمر شكلاً ، وصورة ، وحجماً ، في
قوله : (كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَازِمِهِ) ، فهو أشبه ما يكون باللؤلؤ الجميل صافي اللون عند
ناظمه ، ولجماله ، أو جمال الخد الذي يتفرق عليه ، لفت انتباه الشاعر وأثار مشاعره ليصف
الدَّمع باللؤلؤ النفيس من أجمل ما رآه ، وأن هذا النظم بين يدي صاحبه ، ولم يفقده بل يحاول
المحافظة عليه أي أنّ التشبيه في قوله : (مثل الحماطة) ، وقوله : (كأنه نظم دُرٌّ) من التشبيه (
المركب التمثيلي) وقد اكتفى بذكر التفاصيل ليستنتج القارئ أوجه الشبه من ذلك ، ففي
الصورة الأولى يكون وجه الشبه اللون ، والانحناك ، والشكل ، وفي الثانية : اللمعان والصفاء
والاستدارة مع الجمال .

ويعطي نوعاً من التفصيل إضافة إلى ما سبق ، وأنّ هذا الدّر كان منظوماً في سلكه ، لكن
ذلك السلك انقطع ، وسقط من يده ، فأصبح منتثراً متفرقاً ، كتفرق الدَّمع على الخد ، وفي
هذا تشويق للقارئ ومنتعة له ، وانتثاره هذا يطلق العنان للخيال في تصور شكله وحجمه ،

(١) . شجوة: الشَّجْوُ: الهُمُّ / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (شجوة) ، ج ٦ / ١٥٦ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

ومنّ يمعن النظر في هذا الوصف يلحظ براعة الوصف، وجماله ، ودلالته على سعة الخيال ، وخصوبته، وقدرته على رسم أدق الصور فهو يصوّر انهمار الدمع من تلك العين التي أنهكها السهر ، والتعب، أو لعله المهجر والحرمات ومع كل ذلك هو جميل كالدّرّ الثمين، ونجد في هذه الأبيات نوعاً من التفصيل إذا ما وازناه بيت للأحوص الأنصاري ^(١) ، الذي شبّه الدمع باللؤلؤ كذلك لكن دون تفصيل، بل لقد حاماه صاحبه من التناثر وهو على نسق واحد :

ظَلَلْتُ كَأَنَّ دَمْعَكَ دُرٌّ سِلْكٍ هَوَى نَسَقًا^(٢) وَأَسْلَمَهُ النَّظَامُ^(٣)

فوصف انهمار الدمع هنا عكس وصف العباس في قوله: (كَأَنَّ دَمْعَكَ دُرٌّ سِلْكٍ)، فقد كان منتثرًا ثمّ جمعه النظام في سلك بعد أن هوى في تتابع ، ونظام ، بمعنى أنّ انهمار الدمع الشبيه بالدر كان في شكل مرتب ، وعلى هيئة واحدة بينما في صورة العباس كان منظماً في سلك، ثم انقطع هذا السلك ، فانتثر بشكل غير مرتب، ومعنى هذا أن بيت الأحوص به إيجاز وقلة تفاصيل ، مع أنّ اختياره لكلمة هوى ونسقاً به تصوير جميل للدمع وتناثره ، لكن وصف العباس عبّر بصدق عن شدة الحزن مع الألم الذي وصفه في بدء الصورة، وأن العين أصابها عائر ، أو مرض وظهر ذلك من خلال تشبيهه للعين التي أصابها التعب والمرض بالحلمة ، في شكلها ، وحالها ، ومن المتعارف عليه أنّ الحزن إذا كان مع الألم يكون أشد وأقسى ، و قوله:(مُنتثرًا) في الصورة الثانية ، أضاف به تفاصيل أكثر للصورة ، وبه نوع من التشخيص، والحركة على تلك التفاصيل التي رسمها للعين وهو في التشبيهين سواء تشبيه شكل العين أو تشبيه الدمع بالدر ذكر الأداة ؛ ليصف، ويصوّر ، ويعطي أبعاداً أكثر للصورة ، فالعين التعب

(١) . الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري أبو محمد، المعروف بالأحوص، لحوص كان في عينيه، عده ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام مع ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل، قال صاحب الأغاني: والأحوص لولا ما وضع به نفسه من دينه الأخلاق والأفعال أشد تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة ، قدم دمشق في خلافة يزيد بن عبد الملك ومات فيها سنة خمس ومائة. / صلاح الدين ، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون بن شاعر ، فوات الوفيات ، تحقيق: إحسان عباس ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ١٩٧٣ - ١٩٧٤هـ) ، ج ٢ / ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢١٨ .

(٢) . النَّسَقُ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ نِظَامٍ وَاحِدٍ . / الأزهرى ، أبو منصور ، مرجع سابق ، (نسق) ، ج ٨ / ٣١٣ .

(٣) . الأنصاري ، الأحوص ، شعر الأحوص الأنصاري ، تحقيق : عادل جمال و قدّم له : د. شوقي ضيف ، ط ٢ ؛ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠هـ) ص ٢٣٦ .

أقرب ما تكون من الحلمة شكلاً ولوناً ، وكذا الدَّمع في لمعانه ، واستدارته أقرب ما يكون شكله للؤلؤ .

٣- غرابة التشبيه وندرته وخفاؤه :

إن مما يُمتع القارئ، ويُشِّط ذهنه ، ويوسع خياله غرابة التشبيه ، لما يحويه من ابتكار ، وتحديد لم يألفه المتلقي ، فيشدّه ذلك وينبهه ويمتعه ، ويظهر في الوقت ذاته مقدرة الشاعر على الإبداع والابتكار والتصوير ، فغرابة التشبيه مدعاة إلى التعجب ، والمتعة ، وذلك في كون " الشَّبهُ المقصودُ من الشيء مما لا يتسرّع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهته النظر إلى نظيره الذي يُشَبّه به، بل بعد تثبُّتٍ وتذكرٍ وفلْيٍ للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريكٍ للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه ... " (١) ، ولهذا الغرابة ، والندرة ، والخفاء أسباب منها : " أن يكون وجه الشبه أموراً كثيرة كما في تشبيه سقط النار بعين الديك .. ، أو أن يكون المشبه به بعيد التشبيه عن المشبه كالتخفُّف عن الإنسان .. أو البنفسج عن النار والكبريت قبل تصور التشبيه بين الطرفين ، أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن ؛ لكونه شيئاً وهمياً ، أو مركباً تركيباً خيالياً .. وكل ما كان التركيب خيالياً أو عقلياً من أمور أكثر كان حاله في البعد والغرابة أقوى " (٢) ، وبما أنّ من أسباب الغرابة الخفاء والغموض آثرت الباحثة ضم معيار الخفاء والغموض للغرابة ؛ للإيجاز والاختصار ، وبيان جماليات الصورة بدلاً من التجزئة ، ومن شواهد الغرابة ، والخفاء في شعر العباس، ابتكار المعنى وتحديدده ، مع وجوده عند سابقه؛ ليسلك بذلك طريقاً خاصاً به في التشبيه ، ومن ذلك تحذيره من آثار الحرب وما تؤدي به من تشرد ، و إبادة جماعية نحو قوله :

وَهُمْ قَتَلُوا بَنِي الصَّبَاحِ حَتَّى كَأَنَّ عَجُوزَهُمْ كَانَتْ عَقِيمًا (٣)

(١) . الجرجاني ، شاعر ، أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٢) . الربيعي ، حامد صالح خلف (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، رسالة دكتوراه (منشورة) ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، مركز بحوث اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص ٦٤١ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

انظر لتصوير النتيجة من هذا القتل عن طريق التشبيه في قوله : (كَأَنَّ عَجُوزَهُمْ كَانَتْ عَقِيمًا) ، فمن المجاز عند العرب قولهم " حَرْبٌ عَقِيمٌ وَعُقَامٌ أَي: شَدِيدَةٌ " (١) ، فهي هالكة مدمرة ، لكن أن توصف عجوزهم بالعقم ففي هذا زيادة في إيضاح المعنى ، ومبالغة وإيجاز، فهو مبالغة في كثرة القتل ، حتى لكأن كل عجوز منهم لم تلد في شبابها ، والإيجاز في اختصار أحداث تلك المعركة ، وعدد قتلاها ، وهو من فوائد التشبيه وصفاته الخاصة (٢) ، وفيه غرابة وندرة ، وابتكار ، وخروج عن المألوف ، فهو أراد أن يصف بشاعة الحرب ، وكثرة القتل حتى كاد يفنى الجميع ، واختياره للعقم في التشبيه ؛ لتقارب الأمرين ، فكلاهما يُهدد الإنسان بالفناء، واختياره للعجوز العقيم كمشبه به ؛ ليُخرج التشبيه من درجة الابتدال إلى درجة الغرابة ، وصرح بالمشبه وهو القتل حتى يُبين نتائجه الوخيمة من الفناء ، والتشرد ، وقد يصل الأمر إلى الإبادة ، وعليه فالصورة التشبيهية هي من التشبيه (المركب التمثيلي) .

كما لجأ إلى التخيل ؛ ليضفي على الصورة نوعاً من التخويف والتهويل ، فهو يصف المعركة واستمرارها مع شدتها ، وأنها حوت مناظر مرعبة من القتل ، وكأن نساء الحي لم ينجبن في شبابهن ، والصورة التشبيهية غريبة لاعتمادها على الخيال في رسم الصورة ولا بد من التأويل ، وإعمال العقل كي نصل لوجه الشبه وهو (الفناء والهلاك) ، والذي حذفه الشاعر بدوره ؛ لكون السياق دالاً عليه ، وارتكز على الأداة لإلحاق نتيجة القتل بالعقم ؛ بغرض التحذير ، والإنكار ، والدعوة إلى تجنب الحرب ، وتأکید كلامه بما عُرف عند العرب من نتائج الحروب وقولهم : (حربٌ عقيم) .

ويلجأ إلى الغرابة ، والغموض في وصفه لسرعة الخيل ، وعدوها لمسافات بعيدة ، كنوع من الفخر والاعتداد بها ، وبصاحبها يقول مُعاتباً قومه :

(١) . لا يلوي فيها أحد على أحد يكثر فيها القتل، وتبقى النساء أيامي. / الزبيدي ، مرجع سابق ، (عقم) ، ج ٣٣ / ١١٧ .

(٢) . انظر ، ابن الأثير ، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، د.ط ؛ (القاهرة ، الفجالة : دار نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج ٢ / ٩٨ .

كَأَنِّي لَمْ أَفِدْ حَيْلًا عِتَاقًا شَوَازِبَ^(١) مِثْلُهَا فِي الْأَرْضِ عُوْدُ^(٢)
 أُجَشِّمُهَا^(٣) مَهَامِهِ^(٤) طَامِسَاتٍ^(٥) كَأَنَّ رِمَالَ صَحْصَحِهَا^(٦) فُعُوْدُ^(٧)
 عَلَيَّهَا مِنْ سُرَاةِ بَنِي سُلَيْمٍ فَوَارِسُ نَجْدَةٍ فِي الْحَرْبِ صَيْدُ^(٨)
 فَأَوْطَى مَنْ تُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ بِكُلِّكَلِّهَا وَمَنْ لَيْسَتْ تُرِيدُ^(٩)

يتضح في هذه الأبيات قدرة الشاعر على التصوير والإبداع حين صوّر المكان وجول الخيل فيه وذلك في قوله : (كَأَنَّ رِمَالَ صَحْصَحِهَا فُعُوْدُ) فهي خيل رشيقة لا مثيل لها في الأرض، ولن يجد أحد مثلها في الأصالة ، والرشاقة ، والقوة ؛ وليبالغ في وصفه شبه سرعة الخيل في الميدان ، أو في إتمامها للمهام الصعبة العسرة بالأرض المستوية الواسعة ، وهي بمثابة القاعدة لها ، فالخيل لسرعة عدوها ، وقوة تحملها اتخذت من الأرض القفار الواسعة قاعدةً لتدريبها على العدو ، وهي تمتلكها ؛ لذا نسب الصحصح إليها ، والصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) فقد بُنيت على صورتين حالة الأرض التي تعدو فيها خيله الضامرة القوية، وامتدادها ، بحالة

(١) . الشَوَازِبُ: المَضْمَرَاتُ. / الزبيدي ، مرجع سابق ، (شرب) ، ج ٣ / ١٢٥ .

(٢) . عود: العُوْدُ: تَنْبِيَةُ الأَمْرِ عوداً بعد بدء، بدأ ثم عاد. والعودة مرّة واحدة. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (عود) ج ٢ / ٢١٧ .

(٣) . جَشِّمْتُ الأَمْرَ بالكسر جَشْمًا وَجَشَّمْتُهُ، إِذَا تَكَلَّفْتَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ. وَجَشَّمْتُهُ الأَمْرَ تَجَشُّمًا وَأَجَشَّمْتُهُ، إِذَا كَلَّفْتَهُ إِيَّاهُ. / الجوهري ، مصدر سابق ، (جشم) ، ج ٥ / ١٨٨٨ .

(٤) . المهمة: الْمَفَازَةُ البَعِيدَةُ والبلد المقفر ، وجمعها: مهامه / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (مهم) ج ٢ / ٨٩٠ .

(٥) . طَرِيقُ طَامِسٍ وَطَامِسٌ، أَي دَارِسٌ قَدْ دَثَرَتْ أَعْلَامُهُ، وَالطَّمْسُ: بُعْدُ النَّظَرِ طَمَسَ بَعَيْنَهُ، إِذَا نَظَرَ نَظْرًا بَعِيدًا. / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (طمس) ، ج ٢ / ٨٣٧ .

(٦) . الصَّحْصَحُ وَالصَّحْصَحَةُ وَالصَّحْصَحَانُ: الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ الوَاسِعَةُ. / ابن منظور ، مرجع سابق ، (صحصح) ، ج ٢ / ٥٠٨ .

(٧) . جمع الْقَاعِدَةِ فُعُوْدٌ وَقَاعِدَاتٌ. / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (قعد) ، ج ٢ / ٦٦٢ .

(٨) . الصَّيْدُ : جَمْعُ الأَصْيَدِ ، وَهُوَ مَعْنِيَانِ. يُقَالُ: مَلَكَ أَصَيْدٌ: لَا يَلْتَفِتُ إِلَى النَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا. وَالأَصْيَدُ أَيضًا: مَنْ لَا

يَسْتَطِيعُ الِاتِّفَاتَ إِلَى النَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا مِنْ دَائِهِ وَنَحْوِهِ. / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (صيد) ، ج ١٢ / ١٥٥ .

(٩) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

الإنسان الخامل ، وما في ذلك من أوجه شبه يمكن تأويلها من هذا منها : القسوة ، والكثرة ، والامتداد ، والسكون ، البعد .

فضاء الصحراء الواسع هو مكان انطلاقها وعدوها ، أو أنها لقوة من يعتليها تمتلك كل أرض تعدو عليها ، وعلى هذا لانهاية لعدوها ، وتباعد الطرفين في هذه الصورة أدى إلى الغموض والثدرة ، فمن الصعب التوصل إلى وجه الشبه إلا بعد تأمل وتدقيق ، فقد أراد أن يُشبهه صورة المفازة البعيدة المُقفرة في وسعها ، وامتدادها ، بأن شبهه صورة رمال أرضها الواسعة بالإنسان القاعد الخامل ، الذي لا يتحرك ، بجامع السكون في كلِّ ، فقسوة تلك الصحاري الواسعة القفرة الخالية من الماء والكأ لم تمنعها من إتمام ما يوكل إليها ، وهي مع قسوة الصحاري وبعدها تتجاهل كل ذلك ، وتتحمّل الصعاب ، وتحقق النصر لمن يعتليها وهي على أهبة الاستعداد دائماً ، وتعتمد عليها القبيلة في إتمامها للمهام والظفر بالعدو ، ومن مهامها الموكلة إليها الحرب والصيد ، وهي طوع أمر صاحبها يطأ بها عدوه ، ويصيد غنيمته ، ويتبين من ذكره للأداة التشبيه أنه متأكد من وصفه ، فقد أظهر من خلاله ، عِظم الامتداد ، وطول المساحات التي تقطعها دون كلل ، فالأرض حين تكون رمالها ساكنة ، يظهر امتدادها جلياً للعيان ، وحوث الصورة كناية ، جمّلت الصورة التشبيهية ورشحتها وذلك في قوله (صيد) كناية عن علو مكانة بني سليم ، وشموخهم ، حتى منعهم ذلك من الالتفات لمن لا يهمهم .

٤ - التباعد في الجنس بين الطرفين :

يعدُّ تباعد الطرفين من المقاييس الفنية الجمالية الدالة على الذكاء الحُصب ، والذوق الفني الراقى ، وهو برهان على التمكن مما يقول ، ويصف ، وهو " قدرة الشاعر الخيالية على الجمع بين طرفي التشبيه مع ما بينهما من بُعدٍ في الجنس ينشأ عنه تباعد في الوجود المكاني والنفسي " (١) ، فهو فنٌّ لا بد له من مزيد تمعن ، ومراجعة ، وحسٍّ مُرهف ، ونفس تواقّة للجمال ذلك " أن أحد طرفي التشبيه لا يكون حاضراً في النفس ، وارداً في الذهن عند حضور الطرف الآخر ، ولا تظهر العلاقة التي تجمع بينهما إلا لمن كان له حسٌّ مرهف وبصيرة نافذة وخيال رحب "

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع

(١) ، فكُلِّمًا كان بُعِدَ الطرفين عن بعضيهما ، كُتِّمًا كان ذلك أبلغ أثراً ، وأعلى قدراً ، وأكثر بياناً ، وجمالاً ، فإنَّ " لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله ، والتقاط ذلك له من غير مَحَلَّتِهِ ، واجتلابه إليه من الشَّقِّ البعيد ، باباً آخر من الظَّرْفِ واللُّطْفِ ، ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل ، وأحضرُ شاهداً لك على هذا: أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فإن التشبيهات سواءً كانت عامية مشتركة ، أم خاصية مقصورةً على قائلٍ دون قائلٍ تراها لا يقع بها اعتدادٌ ، ولا يكون لها موقع من السامعين ، ولا تهزُّ ، ولا تُحرِّك حتى يكون الشبه مُقَرَّرًا بين شيئين مختلفين في الجنس " (٢) ، ومثال تباعد الطرفين عند الشاعر ، قوله في الغزل واصفاً مجلس محبوبته ، ودلالها ونعم عيشها :

فَلَيْلَةُ لَحْمِ النَّاطِرِينَ يُزِينُهَا شَبَابٌ وَمُخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ^(٣)
 أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ^(٤) الرِّوَاقِ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَائِدُ^(٥)
 تَنَاهَى إِلَى هُوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقِطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ^{(٦) (٧)}

جَمَلُ الصُّورَةِ وَلَطْفُ التَّشْبِيهِ بِأَنْ جَمَعَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مَتَبَاعِدَيْنِ بِالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ : (كَأَنَّهَا أَخُو سَقِطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ) ، فبتباعد الجنسين أتى من وجهين : أولها الحالة للمشبه والمشبه به فهو يُشَبِّهُ حالة صحيح بعليل ، والثاني: حالة الراحة مع الترف بالتعب مع المعاناة ، حالة

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع سابق ، ١١٧ .

(٢) . الجرجاني ، أسرار البلاغة ، شاکر ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .

وانظر الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع سابق ، ١١٧ .

(٣) . أَي طَابَ لَهَا عَيْشُهَا . / الزبيدي ، مرجع سابق ، (برد) ، ج ٧ / ٤١٥ .

(٤) . الانتياش: تناول. / الحميري ، مرجع سابق ، ج ١٠٦ / ٦٨٠٦ .

(٥) . الصبيئة والأمة ، والجمع الولائد. / الجوهري ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٥٥٤ .

(٦) . العائدة: اسم ما عاد به عليك المفضل من صلة أو فضل ، وجمعه العوائد . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (عاد) ، ج ٣ / ٣١٦ .

(٧) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

المحبوبة في ترفها وكثرة خدمها ، بحال المريض والعناية به مع حبّ ، ورأفة عليه ؛ ليشفى من مرضه .

فالشاعر جمع بين أمور متباينة متنافرة " والحدق ، والمهارة في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ريقة " ^(١) ، والأمر يحتاج إلى تأملٍ ، وفكرٍ خصبٍ ، وحدقٍ ومهارةٍ من قبَلِ الشاعر ، وإلى ذوقٍ ، وفهمٍ صحيحٍ من قبل المُتلقي ، فجمعه في هذا الشاهد بين أمرين متباعدين ، للربط بين عدّة أمور لا يمكن الربط بينهم إلا بالخيال ؛ بهدف بيان حال المشبه وما يحيط بها من نعم ورفاهية ، وذلك عن طريق (التشبيه التمثيلي) ، وكون وجه الشبه منتزعا من أمور عدّة : وهي حال النعمة والتفاني في الخدمة ؛ لينتهي بها الأمر إلى أن تلجأ إلى اللهو ، واللعب لتشغل بها الوقت .

فالشاعر في هذه الأبيات يصف محبوبته بأثما " صبح غير جاهمة الوجه أسيلة الخدين يُزينها شباب زاه ، ورفاهية في العيش ، وهي مخدومة ، وليس لها إلا أن تتعلل باللهو ، واللعب وكأثما بذلك عليل يجد الراحة ممن يقوم على رعايته.. " ^(٢) ، فهو إذأ يُقرب المسافة بين المرض والصحة مع طيب العيش وحسنه ، واستعان بالكناية في تجسيد الصورة التشبيهية ، فهي جميلة صبوحة الوجه تُحيط بها عدد من وسائل الترف فهناك من يخدمها ، حتى أنّها حين مدّت يدها إلى الستار ؛ لترفعه كُفيت ذلك من قبل خدمها ، وهم متنوعون ما بين إماء ، وصبية ، وكثرة الخدم ، دليل على كثرة المال ، والجاه ، والمكانة الاجتماعية ، ووصل بها الترف إلى أنّها لا تصاب بعلقة ، و لا تشعر بالتعب ، بل هي تتعلل باللهو ، واللعب كأثما مريض يحيط به أهله وممرضيه ؛ ليشفى ، ونعيمها هذا وحسن معاملة خدمها لها هي من عوائد المعروف الذي قامت به معهم ، أو لفضلها عليهم ، فأرادوا ردّ الجميل بأن كفوها عناء كل أمر ، فانصبّ اهتمامها على اللهو ، واللعب ؛ لتشغل به وقتها ، فالشاعر أراد " أنّها تنصب من كل أحوالها إلى اللهو ، وتنتهي إليه ، إذ كان ما عدا اللهو فقد كُفيت ، فهي منعمة لا تعلل إلا باللعب ، فكأثما عليل يتترف عليه ، ويُشفق عليه حتى يترك لا يهتمه شيء ، ولا يُشغله شأن ، يعني أنّها في توفرها على الحديث والملاهي على نعمتها وكسلها كذلك العليل في توفره على مقاساته ما

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ،

مرجع سابق ، ١١٧ .

(٢) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

به " (١) ، و وراء هذا الوصف ، والإعجاب بحالها أمور نفسية أخرى ، تتبين من خلال وصفه لحسنها ، وجمالها في البدء ، وذكر تفاصيل ما يحيط بها ، وكأنه يُلقي بتمني العيش معها في هذه النعمة ، أو المكث عندها للحظات علّه يجد الراحة بعد تعب كراحة المريض بعد شفائه مما به ، وتظهر هنا قدرة الشاعر الفنية في توليده لـ "معاني ذهنية من صورة حسية " (٢) .

٥- الخيال الإبداعي الصادق :

ويتضح الخيال الإبداعي عند الشاعر في وصفه للخيل في فخرٍ ، وحماسٍ للحرب حين قال :

❖ وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ حَيْفَانَةً^(٣) تَدِيمُ الْجِرَاءِ إِذَا تَحَطَّرُ^(٤)
صَنِيعاً^(٥) كَقَارُورَةِ الرَّعْفَرِ نِ مِمَّا تُصَانُ وَلَا تُؤَثَّرُ
إِذَا شَاءَ أَرْبَابُهَا لَمْ يَزَلْ خِضَابُ^(٦) بِلَبَّتِهَا^(٧) أَحْمَرُ^(٨)

يتميز الشاعر بتفننه في رسم صور للخيل وللعناية بها وذلك في قوله : (صَنِيعاً كَقَارُورَةِ الرَّعْفَرِ) ، فحبّه لامتلاك الخيل جعله ينتقي أجودها ، وعبر عن نفاسة خيله ، بتشبيهها بالزعفران ، وألحق المشبه وهو الخيل ، بالمشبه به وهو قارورة الزعفران عن طريق (الكاف) ، أو

(١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٢) . عيد ، د. رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، مرجع سابق ، ص ٢٦٦ ، بتصرف .

(٣) . الحَيْفَانُ: الجرادُ إذا صارت فيه خطوطٌ مختلفةٌ بياضٌ وصفرةٌ، الواحدة حَيْفَانَةٌ، ثم تُشَبَّهُ به الفرس في خفّتها وطُمورها . / الجوهري ، مصدر سابق ، (خيف) ، ج ٤ / ١٣٥٩ .

(٤) . الخطيرةُ: التي تَحَطَّرُ بذنبها نشاطاً . / الزبيدي ، مرجع سابق ، (شوف) ، ج ٢٣ / ٥٣٢ .

(٥) . صنعة الفرس : حُسْنُ القيام عليه . تقول منه: صنعت فرسي صنعا وصنعة ، فهو فرسٌ صَنِيعٌ . / الجوهري ، مصدر سابق ، (صنع) ، ج ٣ / ١٢٤٥ .

(٦) . خِضَابُ: ما يُلَوَّنُ به الشَّعر وغيره من حِنَّاءٍ . / د. عمر ، مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ج ١ / ٦٥٥ .

(٧) . اللَّبَّةُ: موضع القلادة من الصدر، وهي المنحَر من الدواب . / الحميري ، مرجع سابق ، (لب) ، ج ٩ / ٥٩٥٢ .

(٨) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

شبهه حُسن قيامه عليها ، ورعايته لها ، وشبه حاله في تلك العناية والاهتمام بحال وصورة من يمتلك قارورة الزعفران الغالية الثمن الفريدة من نوعها ، لها لون الزعفران ، ورائحته الزكية وترك للخيال تأويل وجه الشبه في طريقة صيانتها ، وتفضيلها على غيرها لجودتها ، ونفاستها وأن هذا الاهتمام وتلك العناية والنفاسة ليست متوقفة على فرس دون أخرى ، بل يشمل خيله كله، فهو يُعدّها للحرب والصيد ؛ لتنجده في وقت الشدّة ، ولها لونها الخاص بها وعلامتها التي تميزها عن بقية خيل بني سليم ، وعلى هذا تكون الصورة من التشبيه (المركب التمثيلي).

وفي هذا الشاهد تظهر براعة الشاعر في وصفه للحرب، والخيل فهما أولى اهتماماته ، وله بهما ولعٌ، فيصف استعدادها لها بافتخار ،باحثاً عن صفات يُبزر بها فروسيته واستعدادها للحرب في كل وقت فوجد من الخيل برهاناً على شجاعته وإقدامه وعلو شأنه، فأخذ " يصف فرسه في معرض افتخاره لذلك يركّز على ما يعينه من إظهار تفوقه ، وقوته؛ فليفت إلى سرعة الفرس ، وما يرافق عملية العدو من تغيّر اللون ، والتعرق " (١) ، فهي سريعة العدو مختلطة الألوان ، تعدو بسرعة ، ولا يعيق سيرها شيء ، وهي لسرعتها ترى ذيلها ، يلحمه الرائي من بعيد ، وحتى يظهر عنايته بخيله ، وأنها من أنفس ما يملكه ، ولها مكانة خاصة لديه ، وهي تُصان ، ويُعتنى بها ؛ لتعينه على خوض المعارك والانتصار " لأنها وسيلة المحارب ، فهي جديرة بأن تُصان ، وتحفظ ثم هي سريعة ، والسرعة من مُقتضيات الحرب أيضاً فلا يُنتفع بفرس غير سريعة " (٢) ، ويعرفها أصحابها بعلامتها المميزة وهي لون أحمر على صدرها، وكأنه الحناء لجماله ، وشدّة حمرة ، وفي قوله : (خيفانّة) تشبيه لصورة عدوها بالجراد في سرعتها ، وأنها تظل تعدو دون توقف (تُدِيمُ الجِرَاء) تستمر في عدوها ، ويُرى ذيلها تحركه الرياح دليلاً على نشاطها ، وشدّة تحملها ؛ ووصفه هذا بُغية تخويف العدا ، والفخر بخيله شبيه بوصف امرئ القيس لخيله :

(١) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢) . المرجع سابق ، ص ٦٢ .

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ حَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ^(١)

فامرؤ القيس هنا يصف خيله وأنها لكثرة خوضها المعارك ظهر ذلك على وجهها وأنه لشدة التعب جف وكساه السعف ، ولعله يقصد اللون والخشونة، أو هو أثر لفح الشمس لها لطول المسافات التي قطعتها ، أما العباس لسعة خياله ، فقد جعلها في زجاجة لشدة تعلقه بها ونفاستها وكثرة صيانتها ، وتعاهدها بالرعاية والاهتمام .

٦- التوافق النفسي في الصورة التشبيهية :

حين كان محور الصور التشبيهية المقاربة بين أمرين لا لغرض بلاغي أو جمالي ، فحسب بل هو " لغاية نفسية هي إظهار الحالة الشعورية المسيطرة على المُبدع "^(٢) ، وكذا للتأثير في نفس المتلقي ، بمعنى أن يُظهر في الصورة نوعاً من التأثير ، والتأثر النفسي ، أو ما يُسمى بالتوافق النفسي في الصورة النفسية ، و " يعدُّ هذا المقياس الجمالي من أهم المقاييس ، إذ عليه تركز الصورة ، ومنه ينبعث التأثير في نفس المتلقي "^(٣) ، فكلُّ صورة تشبيهية هي تعبير صادق يظهر فيه التلاحم بين الفكرة ، والموقف النفسي ، وهذا بدوره يُساعد في التحليل البلاغي النقدي النفسي للصورة ، وهو أسلوب الشيخ عبد القاهر في نظريته " وما نادى به من النظرة الكلية للأدب "^(٤) ، وكلما ظهر الارتباط النفسي واضحاً في الصورة ، كانت الصورة أبلغ تأثيراً في نفس المتلقي وأجمل ، وعلى النقيض إذا اقتضت على العناية بالشكل والجمع بين الماديات بعيداً عن التأثير النفسي في القارئ ، والناقد ، وبه قد تفقد الصورة جمالياتها البلاغية ، والتوافق

(١) . القيس ، امرؤ ، الديوان ، ت : المصطاوي ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(٢) . شرفي ، خميسي شرفي (د . ت) ، جماليات الصورة البلاغية في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي ، مجلة قراءات جامعة بسكرة بالجزائر ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، (العدد ٢٠١١) ، ص ٤ .

(٣) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ،

مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

(٤) . ابن الأثير ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٦ .

النفسي في صور التشبيهية عند الشاعر ، اتضح في قوله عن اشتداد العراك ، وطرفا المعركة كلاهما على درجة واحدة من القوة والاستعداد:

﴿ كَأَنَّ نَسِيَجَ الشُّهْبِ وَالْبَيْضِ مُلْبَسٌ ﴾ أَسْوَدًا تَلَاقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا ^(١) غُضْفًا ^(٢) ^(٣)

فالشاعر يُشبهه صورة التقاء الأعداء في ارتدائهم لما يحميهم من الدروع وما يقتنونه من السلاح، بصورة التقاء الأسود في مكان الترصّد والترقب لهم ، وحتى يُلقِي بظلال الرعب ، والهلع على الموقف قال : (كَأَنَّ نَسِيَجَ الشُّهْبِ وَالْبَيْضِ مُلْبَسٌ) ، فالدروع التي يحتمي بها الفارس ، والسيوف التي أتقنوا صناعتها هي الأسود ، فكيف بمن يلبسها ويقا تل بها ؟ ، وليصدق الوصف وينصف يقول في (مراصدها) ؛ بمعنى أنّ كلاً منهما يتربّب الآخر لينال منه، فوجه الشبه المراد : الهدم والدمار والقوة والشراسة بمعنى أنه شبّه صورة الشراسة في التقاء الجيشين القويين ، والمحتمين بالدروع القوية ، والأقواس ، والرماح والسيوف المصنوعة بعناية ، بصورة التقاء الأسود الشرس ، فإذا التقوا كان الدمار والهلاك ، فظهر الاستعداد والتأهب ، والترقب ، وظهرت القوة ، والعزم ، والنضال ، والدموية ، التي هي من أوجه الشبه التي يمكن تأويلها من هذه الصورة ، وحاول العباس الربط بين المشاهد الحسيّة ، وشعوره المتردد ، ما بين الخوف ، والأمل عن طريق وصف المشاهد حية مباشرة ؛ ليعبّر بها عن أمور نفسيّة مكبوتة منها : الخوف من العدو ؛ لعلمه بما يمتلك ، ومنها الأمل في الانتصار ؛ لكثرة جيشه ، وشجاعته ، واستعداده ، ومن هذا يتجلى أن الصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) .

فالجيشان بهما من العدد والعدة ، ما يجعلهما على درجة من القوة ، والاستعداد لا يُهان بها؛ لذا ترقب كلٌّ منهما الآخر، والأمر لا يقتصر على العدة والعتاد، بل يشمل شجاعة الفرسان

(١) . المرصد: طرِيق الرصد والارتقَاب أو مَوْضِعُه ، والجمع(مراصد) . / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (رصد) ، ج ٣٤٨ / ١ .

(٢) . غَضَف: الغين وَالضاد والفاء أصل صحيح يدلُّ على استرخاء وتهدّم وتغشّ . / الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (غطف) ، ج ٤ / ٤٢٦ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

وإقدامهم ؛ لذا وصفهم بالأسود ، وهذه الأسود إذ التقت نال كل منهما من الآخر ، واشتدّ الوقع وساد الخوف والقلق ، وهذه الأسود لا تستمع لوقع السهام ، وصليل السيوف بل تُرخي آذانها ؛ لتحقيق الهدف وهو النصر ، وهو المراد من قوله (عُضْفًا) ، كما أنّهما إذ التقيا رأيت الهدم وغشيك الخوف والقلق .

وبما أنّ الصور التشبيهية " هي انعكاس لنفسية الشاعر ، وما يدور في داخله ، وما ينبض به إحساسه " ^(١) ، حرص العباس على تشكيل تناغم بين شعوره ، وتعبيره عن طريق (التشبيه الضمني) ؛ لوصف ما يخالجه من مشاعر تجاه محبوبته ، مع الحرص على مكانته الاجتماعية :

إِنَّ الْحَيِّبَ الَّذِي أَمْسَيْتُ أَهْجُرُهُ مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَّةٍ ^(٢) مَيِّ وَلَا غَضَبٍ
أَصْدُ عَنْهُ ارْتِقَابًا أَنْ أَلْمُ بِهِ وَمَنْ يَخْفُ قَالَةَ الْوَاشِينَ يَرْتَقِبُ ^(٣)

تأمل صدق قوله: (وَمَنْ يَخْفُ قَالَةَ الْوَاشِينَ يَرْتَقِبُ) صور حالة الشاعر حين يهجر محبوبته وهو المشبه ، بحالة من يرتقب الوشاية به وهو المشبه به ، والصورة مُنتزعة من متعدد فهي من التشبيه (المركب الضمني) ؛ فقد ادعى الخوف ضمن معنى التشبيه وبين قضية الواشين ، ولم يُصرّح عن خوفه هو من ذلك ؛ إيجازاً لما يُريد التعبير عنه ، وتلميحا لكونه المراد من الكلام ، فلا ينبغي التصريح به حتى لا يوصف بالخوف ، أو الجبن ، ونحوهما، فقد ربط بين مشاعره المسيطرة عليه ، وبين أمور حسية كالترقب ، أو الوشاية ؛ لينقل بذلك تجربته ، وشعوره للقارئ في صدق ، وبُعدٍ عن التعقيد ، والمبالغة ، وعلى هذا يكون وجه الشبه : الخوف والترقب والحذر .

فهو سيّد في قومه ، وله أعداء يتربون منه الزلة ؛ لذا ابتعد عنها ، واضطر إلى هجر المحبوبة ، لا لغضب منها ، ولا لقلّة محبة ، بل هو الخوف والترقب من أن يُلام على أمرٍ لا يليق به فيقلّ قدره ، وهو يسعى إلى علو المكانة بين قومه ، ويظهر من ألفاظه في هذه الصورة مع رقتها

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

(٢) . القلي: البغض . / الجوهري ، مصدر سابق ، (قلا) ، ج ٦ / ٢٤٦٧ .

(٣) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

وعذوبتها على السمع واللسان ، شدة تعلقه بمحبوبته ورجائه منها أن تقبل عذره ، كما يتضح حرصه الشديد على البعد عما يُدنس عرضه، أو يمس من سمعته فهو يسعى للقيادة ، والرئاسة ، ويحرص على ذلك أيما حرصٍ .

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى أن الصورة ينبغي أن تُبنى على " التناغم الوجداني بين الصورة وإحساس الشاعر ، لا على التنافر والتصادم فتتفر منها النفس وتشمئز ، بل لا بد من التوافق النفسي والشعوري " ^(١) ، وبخلافه تتعقد الصورة ، ويخفى معناها ، كما في قوله واصفاً التغييرات النفسية ، والأخلاقية لقومه بعد إسلامهم :

﴿ كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَحْوَكُمُ وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ

كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلْمِ عُورُ ^(٢)

الشاهد في قوله :

﴿ كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلْمِ عُورُ

يُشَبِّهُ مَجِيءَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي بَدْءِ أَيْبَاتِهِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ صَفَاءِ النُّفُوسِ ، وَخَلْوِ صُدُورِهِمْ مِنَ الشَّحْنَاءِ ، وَالْبَغْضَاءِ ، وَالْحَقْدِ ، وَالغَيْرَةِ ، وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ بِالْعُورِ ، وَيَنْعَقِدُ التَّشْبِيهِ مِنْ خِلَالِ تَشْبِيهِ خُلُوقِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ أَوْ قِلْتِهَا بِالْعُورِ ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْعَيْنَ إِذَا كَانَ بِهَا عُورٌ عُدِمَ النَّظَرُ كَلِيَّةً فِي الْعَيْنِ الْمَصَابَةِ بِهِ فَيَقِلُّ النَّظَرُ ، وَنَلْحِظُ هُنَا تَبَاعُدَ الطَّرْفَيْنِ ، وَعَدَمَ حُضُورِ وَجْهِ الشَّبَّهِ فِي ذَهْنِ الْقَارِئِ ؛ لِكَوْنِهِ عَقْلِيٍّ ، وَيُمْكِنُ تَحْيِيلَهُ أَوْ تَأْوِيلَهُ وَهِيَ قِلَّةُ الْبَغْضَاءِ فِي نَفُوسِهِمْ كَالنَّظَرِ الَّذِي بِهِ عِلَّةُ الْعُورِ وَقِلَّتِ رُؤْيَتُهُ إِذَا مَا قُورِنَ بِالنَّظَرِ السَّلِيمِ ، وَأُرْسِلَ التَّشْبِيهِ بِكَأَنَّ الَّتِي شَمِلَتْ التَّأَكِيدَ ، وَالتَّشْبِيهِ ؛ لِإِشْرَاكِ الْأَمْرَانِ بَعْضُهُمَا الْبَعْضَ فِي النِّقْصِ نَقْصِ النَّظَرِ بِالْعُورِ كَنَقْصِ الْبَغْضَاءِ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ؛ وَفِيهِ بَيَانٌ

(١) . الظهار ، أ.د. نجاح أحمد ، الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ،

مرجع سابق ، ص ١٤٠

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

للغرض من التشبيه وهو التقريب والمدح ، وليقرب بين طرفي التشبيه فهما متباعدان جداً ، أما عدم ذكر وجه الشبه فهذا من الغموض في البيت وليرسم بدوره صورةً جديدةً لا يمكن تصوّرها أو يندر حضورها في الذهن ، وهنا تكمن البلاغة والبراعة والجمال الإبداعي فقد قصد الوصف ليكون دليلاً قوياً على قوة هذا الدين ، وأنه دين إصلاح وإعمار ، نهي عن البغضاء لما لها من أثر سيء على الفرد والمجتمع فعمل على إصلاح الفرد ليصلح المجتمع بأكمله ، ويتضح من هذا أن الصورة التشبيهية هي من التشبيه (المركب التمثيلي) ، فقد أراد تشبيه صورة المسلمين بعد إسلامهم وحالهم ، بصورة من بعينه عور ، فتنص الرؤية عنده ، كما ينقص ، الحقد ، والبغضاء ، والضعينة ، والحرص على أخذ الثأر ، والتهاجي ، في نفوس المسلمين بدخولهم الإسلام ، وما إلى ذلك من صفاتٍ نتجت عن هذا التصوير ، ومن أسباب الغرابة في بيت العباس بعد تباعد الطرفين، الخفاء والغموض، فقد عمد الشاعر إلى الصورة التشبيهية التمثيلية ؛ لإخفاء وجه الشبه حتى لا يظن أنه قصد من التشبيه بالعمور الذم أو التنقيص من شأن هذه المودة بل هو مدح ، وتحفيز على المُضي في طريق الإخوة ، والمودة ، خاصة وأن العباس عُرف عنه الإصلاح الاجتماعي ، والدعوة إلى الأخوة ، والتماسك في وجه العدو ونبد الخلاف قبل إسلامه ، فكيف به بعد إسلامه؟!، وهو في هذه الصورة تنافى مع التوافق النفسي الذي ، هو شرط جمال الصورة التشبيهية في اختياره للعمور في التصوير .

والشاعر في بدء حديثه أشار إلى أنهم أصبحوا إخوة (إِنَّا أَخُوكُمْ) ، و (بِرَأْتِ مَنْ الْإِحْنِ الصُّدُورُ) ، فالصدر شُفيت من الحقد ، والغيرة ، وما كان في الجاهليّة من أخلاق كرهها العرب ؛ لتسببها في الحروب ، والقطيعة بين القبائل ، وهذه العلة وهي العور حملها العباس معنى آخر ، وأنها ميزة اختصت به نفوس المؤمنين لم تظهر إلا بعد إسلامهم كدليل على صدق إيمانهم واتباعهم لتعاليم الدين وتأثرهم بها وأنه دين عدل ومساواة ورحمة ، فقد نهي الشرع الكريم عن التباغض ف" عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث " (١) ، وهذا البيت له نظير في شعر أوس بن حجر إذ وصف نظرة الأعداء وما بها من حقد ، وغل ، وإعراض عنه بالعمور وكأنهم لا يرونهم فقال :

(١) . النيسابوري مسلم بن الحجاج ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

- صحيح مسلم - ، مصدر سابق ، ج٤ / ١٩٨٣ .

إِذْ يَشْرُورُونَ^(١) إِلَى الطَّرْفِ عَنْ غُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بُعْضَتِي عُرُورٌ^(٢)

يُصور أوس في هذا البيت نظرة أعدائه، وأنها تنمّ عن حقد، وعداء؛ ولذا قال: (عن غُرْض (؛ ولشدة العداوة أصاب العين عور فلم تعد تراه إطلاقاً، وفي هذا تجاهل له، أو عدم مبالاة به، بل لعل في هذا مزيد سخرية، وعداء، وإعراض، وتكبر، واحتقار للشاعر، فالشاعر هنا أراد وصف الكراهية، والحقد، والاحتقار بأن العين بها عور، بخلاف العباس الذي أراد بيان أثر الإسلام وتعاليمه وأنه ساوى بين الجميع، ونشر المحبة، والإخاء فخلت النفوس من البغضاء، فهي كالعين التي بها عور لا ترى إلا المحاسن، وإن كان هناك غير ذلك غضت الطرف عنه والتمست العذر، فصفت النفوس بذلك وحسنت الأخلاق.

وعلى هذا يمكن القول بأن العباس قد أحسن توظيف بعض صوره التشبيهية؛ لخدمة الغرض والتأثير في نفسية المُتلقي " فبدت صوره التشبيهية رائعة، قوية، مبدعة تُعبر عن نفسيته، وتدلُّ على خالص تجربته " (٣)، وكما أنّ له مواضع أجاد فيها، وأفاد، وأحسن، له كذلك صور ظهر فيها نوع من التكلف، والصنعة، والتعقيد، وينبغي بيانها ليكتمل جوانب البحث في سمات صوره التشبيهية، من ذلك قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ وَجَنَاءُ^(٤) مُجْمَرَةٌ^(٥) الْمَنَاسِمِ^(٦) عَرْمَسٍ^(١) (٢)

(١). شَرَّرَ يَشْرُرُ: إذا نظر من جانب عينه، من العداوة. / الأنباري، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، مصدر سابق، (شزر)، ج ٢ / ٤٠.

(٢). ابن حجر، أوس، ديوان أوس بن حجر، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣). عواف، أحمد يحيى بن إبراهيم، (١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ)، الصورة البيانية في شعر أبي الحسن التهامي " دراسة بلاغية نقدية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، الرياض، ص ١٨٣.

(٤). ناقةٌ وجنَاءُ: غليظة. / العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، مصدر سابق، ص ٣٥٨.

(٥). مُجْمَرَةٌ: مسرعة. / الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، ط ١؛ (الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩ م)، ج ٢ / ٧١٢.

(٦). الْمَنَسِمِ: بوزن المجلس خفُّ البعير. / الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٣١٠.

انظر إلى غرابة الألفاظ وعناية العباس في انتقائها في قوله : (وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةٌ مَنَاسِمِ عَرْمَسٍ) ، فهو أراد تشبيه الناقة بالصخرة الصلبة الجلدة لقوتها ، وشدة تحملها ، وهذا من قبيل التشبيه (المركب التمثيلي) ، فحالة الناقة في قوتها ومتانها ، وصلبها ، كحال الصخرة القوية المتينة ، أما وجه الشبه فيمكن أن يُؤول بالقوة ، الصلابة ، التحمل ، التجلّد ونحوها .

والشاعر في هذه الصورة أراد مدح النبي - ﷺ - بوصف سرعة ناقته ، وأصالتها ، وقوتها وصلابتها ، فسلك مسلك الصنعة ، والتكلف بأن اختار ألفاظاً صعبة ، ووعرة ، وكنتى عن الناقة بذكر صفاتها بدلاً من التصريح باسمها ، فكنى عنها ب(الوجناء) ، وجاء في معنى هذا البيت كما يذكر البغدادي (٣) " تهوي بكسر الواو: تُسرع ، والوجناء: الناقة الغليظة الوجنات ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ: وَجَنَاءُ: غَلِيظَةُ الْوَجَنَاتِ بَارِزَتَهَا ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى غَثُورِ عَيْنِهَا ، وَهِيَ يَصِفُونَ الْإِبِلَ بِغَثُورِ الْعَيْنِينَ عِنْدَ طَوْلِ الْأَسْفَارِ ، مَجْمَرَةٌ بِالْجِيمِ: اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْمَرَ الْبَعِيرَ إِذَا أَسْرَعَ فِي سِيرِهِ ، وَالْمَنَاسِمُ: جَمْعٌ مَنْسَمٍ كَمَجْلَسٍ ، وَهُوَ مَقْدَمُ طَرَفِ خِفِّ الْبَعِيرِ ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ: مَجْمَرَةٌ الْمَنَاسِمُ أَي: نَكَبَتْ مَنَاسِمَهَا الْجَمَارَ وَهِيَ الْحِجَارَةُ ، وَقَدْ يُرِيدُ أَيْضًا أَنْ مَنَاسِمَهَا مَجْتَمِعَةٌ مَنْصُومَةٌ فَذَلِكَ أَقْوَى لَهَا ، وَقَدْ حُكِيَ: أَجْمَرَتِ الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا إِذَا ضَفَرْتَهُ ، وَأَجْمَرَ الْأَمِيرُ الْجَيْشَ أَي: حَبَسَهُ عَنِ الْقُفُولِ ، وَالْعَرْمَسُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُثَمَّلَتَيْنِ وَكَسْرِ الْمِيمِ ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ: هِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ وَيَشْبَهُ بِهَا النَّاقَةُ الْجُلْدَةُ. " (٤) ، ولجوء أبي الهيثم إلى الصنعة في اختياره لألفاظ قوية ، صعب الوصول إلى معرفة المراد ، إلا بتفسيرها ، والعودة إلى

(١) . العرْمَسُ: اسْمٌ لِلصَّخْرَةِ تُنْعَثُ بِهِ النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (عرمس) ، ج ٢ / ٣٣٠ .

(٢) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٣) . هو عبد القادر بن عمر البغدادي ، علامة بالأدب والتاريخ والأخبار ، ولد ببغداد عام ١٠٣٠ هـ ، وبها تعلم ، وأولع بالأسفار ، فرحل إلى دمشق ومصر وأدرنة . وجمع مكتبة نفيسة وتوفي في القاهرة عام ١٠٩٣ هـ ، كان يتقن آداب التركية والفارسية ، أشهر كتبه : خزانة الأدب ، شرح به شواهد شرح الكافية للاستراباذي ، ومن تصانيفه شرح شواهد الشافية ، وشرح شواهد المغني وتعريب تحفة الشاهدي وحاشية على شرح بانة سعاد ، لابن هشام . / كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني ، معجم المؤلفين ، د. ط ؛ (بيروت : مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي ، ج ٥ / ٢٩٥ .

(٤) . البغدادي ، مرجع سابق ، ج ٩ / ٣١ .

المعاجم لمعرفة معانيها ، وهذه الألفاظ مع أنّها قوية في ذاتها ، قوية أيضاً على السمع يظهر فيها نوع من التكلف ، إذا ما قُورنت بما سبقها فـ(مجمرة المناسم) و (العرمس) كلها كلمات ثقيلة دلت على القوة ، وحملت نوعاً من التكلف بين طياتها ، وبُعُدت عن الطَّبعية والسهولة ، ولعلّ السبب في عدم ظهور المعنى جلياً لأول وهلة ، هو تباعد الفترات الزمنية بين شعر العباس الذي كان في عصر القوة ، والمتانة ، ويفهمه معاصروه، وبين العصر الحديث ، الذي اختفت فيه ألفاظ مثل هذه ، على أن من الشعراء في عصره من اتخذ من لفظة (عرمس) مُشبهاً به للناقة في سرعتها ، وصلابتها كما عند العباس ، من مثل قول ذي الرِّمة :

رفعت له رَحلي على ظَهْرِ عِرْمَسٍ رُواعِ الْفُؤَادِ^(١) حَرَّةَ الْوَجْهِ عَيْطَلٍ^(٢) (٣)

وكذا قول المتلمس^(٤) :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورُهُ^(٥) عَنَسٌ^(٦) مُدَاخِلَةُ الْفَقَارَةِ^(٧) عِرْمَسٍ^(٨)

(١) . الرَّوْعَاءُ: الفرس والناقةُ الحديدةُ الْفُؤَادِ. / الزبيدي ، مرجع سابق ، (روع) ، ج ٢١ / ١٣٣ .

(٢) . الْعَيْطَلُ: الطَّيْلَةُ. / المرسي ، ابن سيده ، المخصص ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣٣٧ .

(٣) . ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

(٤) . المتلمس : هو جرير بن عبد الْمَسِيح بن عبد الله بن زيد بن دوفن بن حَرْب بن وهب بن جلي بن أحسن بن ضبيعة بن ربيعة ويُقال ضبيعة أضجم ، وكان سيّدا ، جعله ابن سلام في الطبقة السابعة ، وهو خال طرفة بن العبد ، وفي الأمثال (أشأم من صحيفة المتلمس) وهي كتاب حمله من عمرو ابن هند إلى عامله بالبحرين ، وفيه الأمر بقتله ، ففضه وقرئ له ما فيه ، ففقد في نهر الحيرة ، ونجا ، له ديوان شعر مطبوع . / الجمحي ، محمد بن سلام بن عبید الله ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، د.ط (جدة : دار المدني ، د.ت) ، ج ١ / ١٥٦ ، ١٥٥ . و الزركلي ، مرجع سابق ، ج ٢ / ١١٩ .

(٥) . الكورُ بالضم: الرَّحْلُ بأداته. / الجوهري ، مصدر سابق ، (كُور) ، ج ٢ / ٨١٠ .

(٦) . عنس: العنْسُ من أسماء الناقة سمّيت به لتمام سِنِّها وشدّة قُوَّتِها. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (عنس) ، ج ١ / ٣٣٦ .

(٧) . الفقارة: وَاحِدَةٌ من عِظَامِ السَّلْسَلَةِ العِظْمِيَّةِ الظَّهْرِيَّةِ الممتدة من الرَّأْسِ إِلَى العِصْعِصِ. / مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، (فقر) ، ج ٢ / ٦٩٧ .

(٨) . الضبعي ، المتلمس ، ديوان المتلمس ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، د.ط ؛ (القاهرة : معهد المخطوطات العربية بالجامعة الدول العربية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م) ، ص ١٧٨ .

ففي البيتين نوع من الصنعة عند الشاعرين ؛ بُغية المبالغة في الوصف والفخر ، وهي عند العباس أظهر وأوضح ، خاصة وأنه اختار من الألفاظ ما دلّ على صنعة وتكلف ، فترتيبه للألفاظ صعب على القارئ فهم المراد ، وأبعد استحسان البيت ، و استطرافه لدى السامع أو القارئ ، رغم أنّ الصورة حوت أوصافاً جميلة للناقة كالجمال والسرعة .

ومن صور العباس التي حوت الصنعة فحال ذلك دون الوصول إلى جماليات الصورة ، إلاّ بمعرفة معنى البيت من خلال كُتب اللغة ، ومعاني الكلمات قوله :

❖ وَلَا زَائِلٌ أُزْجِي الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى (١) وَرَادًا (٢) سِرَاءً (٣) وَ كُتْمًا عَنَادِمًا (٤)

وَدُهْمًا (٥) وَحُورًا (٦) لِلْغُرَابِ تَخَالُهَا إِذَا اعْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ طَيْرًا عَلَاجِمًا (٧) (٨)

تأمل اختياره للألفاظ وقوتها مع غرابتها بغية تشبيه خيله بالغراب في قوله : (تَخَالُهَا إِذَا اعْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ طَيْرًا عَلَاجِمًا) ، والصورة التشبيهية تنعقد من خلال تشبيه حال لون الخيل وتدرجه حتى السواد الحالك ، بصورة تدرج سواد الغراب أو الطير شديدة السواد ، وذكر الأداة وهي الفعل (تخالها) ، أما وجه الشبه فمنه : شدة السواد ، وتدرج اللون مع الاسوداد، ثبات لونها ، وأصالتها ، وعليه فإن الصورة من التشبيه (المركب التمثيلي) .

والشاعر لتعلقه بالخيل أفرط في وصف خيله افتخاراً بها ، وألجأه ذلك إلى المجيء بمترادفات ، دلت كلها على السواد وأن خيله بلغت من شدة سوادها درجة لم تبلغها أي خيل عربية ، وقد

(١) . الوجى: أن يشتكي البعيرُ بخصّة خُفّه، أو الفرسُ مُشاشةً خافره . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (وجى) ، ج ٢ / ١٠٤٦ .

(٢) . فَرَسٌ وَرْدٌ، إذا كان بَيْنَ الكُمَيْتِ والأَشْقَرِ . / الفارابي ، مصدر سابق ، (ورد) ، ج ٣ / ٢٠٥ .

(٣) . سِرَاءُ الفرس: أعلى ظهره ووسطه . / الجوهري ، مصدر سابق ، (سرى) ، ج ٦ / ٢٣٧٥ .

(٤) . العندم: دم الغزال . / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (عندم) ، ج ٣ / ٢٢٧ .

(٥) . الدُهْمَةُ: السّوَادُ، والأدْهَمُ: الأسود . / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (دهم) ، ج ٤ / ٢٧٣ .

(٦) . الحُوَّةُ: سَوَادٌ إِلَى الحُضْرَةِ، وَقِيلَ: حُمْرَةٌ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (حوا) ، ج ١٤ / ٢٠٦ .

(٧) . العُلْجُمُ والغُلْجُومُ: الشَّدِيدُ السَّوَادِ . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (علجم) ، ج ٢ / ١١٣٩ .

(٨) . السلمى ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

والبيت في / الغندجاني ، الأسود ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

اختلطت لونها ما بين أسود بحمرة ، إلى أسود مشوباً بصفرة ، إلى أسود مشوباً بخضرة ، وعلى هذا لم يتضح اللون حقيقة ، ثم أراد تقريب اللون ، وأنها كالغراب سواداً، وأن هذا اللون لا يتغير حتى وإن اغتسلت ، بل يعود أكثر سواداً مما كانت عليه ، وأدى الترادف بين الألوان إلى التعمية، وعدم الإيضاح على أن اختلاط الألوان ، وتدرجها ؛ يُعطي جمالاً للصورة الحسيّة ، غير أنّه ظل في حلقة واحدة وهي السواد ، وزاد من غموضه ؛ اختياره لألفاظ بدت صنعته واضحة في ترتيبها ؛ لكونها لم توضح اللون المقصود التشبيه به ، فهو في البدء أشار على أنه أسود محمر ، ثم أسود مشوباً بصفرة، ثم أسود مختلط بخضرة ، وشتان ما بين الألوان المرادة ، فجمع بين متضادات صعب تخيلها ، ثم استقرّ الأمر إلى أنّه أسود حالك شديد السواد شبيه بالغراب في اسوداد لونه .

ومن هذا اتضح أن الصورة التشبيهية عند العباس تفاوتت في ميزان الجودة ، فأغلبها كان جيداً حسناً بليغاً مُعبّراً ، وحين لجأ إلى التكلف ، والصنعة قلّت تلك الإجادة، والحُسن ، وهو كغيره من الشعراء يصيب ويخطئ ، وتبرز له مواطن إجادة ، وتُعدّ عن التقعيد -وهي الغالبة- ، وأخرى في الإخفاق ، وعدم وضوح الغرض ، أو المراد من التشبيه والوصف ، أرجو أن أكون قد وفقت في بيان ذلك وإيضاحه .

الفصل الثالث :

المُوازنةُ بينَ الصورِ التشبيهِيةِ في شعرِ العباسِ
في الجاهليةِ والإسلامِ.

الفصل الثالث : المُوازنة بين الصورة التشبيهية في شعر العباس في الجاهلية والإسلام.

حاولت الباحثة في الفصلين السابقين بيان أسلوب الشاعر ومستويات ذلك الأسلوب وخصائص الصورة التشبيهية لديه من الناحية البلاغية ، وذلك بُغية معالجة مشكلة البحث وهي: التهمة الموجهة لشعر صدر الإسلام ، وأنه ضَعْفٌ بسبب الإسلام أو بعد ظهوره ، وذكروا لذلك أسباباً : فمنهم من أرجع الضعف إلى انشغال شعراء صدر الإسلام بالفتوحات وقلة النَّتاج الشعري في هذا العصر ، وتناقلوا حديث المصطفى - ﷺ - "لأنَّ يمتلئ جوفُ أحدكم قيحاً حتى يَرِيَهُ خَيْرٌ له من أن يمتلئ شعراً" (١) ، ومنهم من نسب إلى عمر بن الخطاب - ﷺ - قوله : "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ... " (٢) ، وهو ما جعل ابن سلام يصف ذلك العصر بالضعف ويستدلُّ بما قاله عمر - ﷺ - (٣) ، ولكنّه مع ذلك تجده " يذكر ما يقرب من خمسة وعشرين شاعراً من صحابة الرسول - ﷺ - " (٤) ، وكذا الأصمعي حين نعت شعر حسّان - ﷺ - وأنه فحل من فحول الشعراء قبل إسلامه ، فهو يرى بأن شعر حسّان - ﷺ - ضعف بعد إسلامه ؛ وذلك بسبب إسلامه وأنَّ " الشعر نَكِدٌ بابه الشرّ ، فإذا دخل في الخير ضَعْفَ ، هذا حسّان بن ثابت فحل من فحول الجاهليّة، فلما جاء الإسلام سقط شعره ، وقال مرّة أخرى: شعر حسّان في الجاهليّة من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبيّ - ﷺ - " (٥) ، ومع ذلك أوردته في كتابه ، وأنه فحل من فحول الشعراء

(١) . الشيباني ، الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرنبوط ، وبشير عيون ، ط ١ ؛ (مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان ، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م .) ج ٥ / ١٦٤ .

(٢) . علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١٨ / ٤٠٤ .

(٣) . الجمحي ، ابن سلام ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢٥ .

(٤) . الشنطي ، محمد صالح ، في الأدب العربي القديم (عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه) ، ط ٢ ؛ (حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ، ص ٢٥٨ .

(٥) . الدينوري ، ابن قُتَيْبَة ، الشعر والشعراء ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢٩٦ .

وكذا قال عن النابغة الجعدي (١)، و أورد مجموعة من أشعار عيون الشعر لشعراء صدر الإسلام منهم حُفاف والعباس بن مرداس وغيرهم (٢)، وكذا كان من ابن خلدون الذي أرجع الضعف إلى انشغالهم بأمر " الدين والتبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في التّظم والنثر زمانا .." (٣)، وهذه النظرة إلى شعر صدر الإسلام وأنه أُصيب بنوع من الضعف استمرت حتى في العصر الحديث ، بل زادوا بأنه لا يستحق النظر إليه ، ومن هؤلاء د. نجيب البهيتي (٤)، فهو يرى أن الإسلام حارب الشعر مما أدى إلى كراهية المسلمين لهذا الفن من القول ، وأنّ شعر تلك الفترة لا يستحق الدراسة (٥) ، ومن أدعى ضعف الشعر في تلك الفترة أرجعها إلى عوامل عدة أهمها : " ضياع كثير من أدب هذه الفترة ، وكثرة الانتحال في أدب هذه الفترة ، وشيوع ظاهرة الارتجال في شعر هذه الفترة وخصوصاً في شعر الفتوحات " (٦) ، وكما كان لهذه الدعوى أنصارها كان لها معارضون ويطلقون كل ما قيل في ضعف شعر صدر الإسلام ، ومن أبرز من نفى الضعف عن ذلك العصر د. شوقي ضيف ، فهو ينفي كل ما قيل عن ضعفه و" يرى أنّ الشعر ظلّ مُزدهراً في صدر الإسلام وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف " (٧)، وممن يرى بأن شعر صدر الإسلام

(١) . انظر الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك ، فحولة الشعراء مصدر سابق ، ص ١١ ، ١٩ .

(٢) . انظر الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك ، الأصمعيات ، مصدر سابق ، ص ٢١ وما بعدها ، و ص ٢٠٣ ، وما بعدها .

(٣) . الإشبيلي ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق: خليل شحادة ، ط ٢ ؛ (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ١ / ٨٠٤ .

(٤) . نجيب محمد البهيتي ، أديب وناقد ، أحد الذين عُرفوا بإسهاماتهم ودراساتهم الثقافية والأدبية في المغرب وعلى مستوى العالم العربي ، عمل أستاذاً في جامعة القاهرة وبغداد ومحمد الخامس وفاس ومراكش ، من مؤلفاته : المعلقات السبع ، تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث ، توفي عن عمر يناهز السبعين عاماً ، عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م . / الجبوري ، كامل ، مرجع سابق ، ج ٦ / ٣٤٩ .

(٥) . البهيتي ، نجيب محمد ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، د.ط ؛ (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ م) ، ص ١١٣ ، ١١٤ باختصار شديد .

(٦) . ولد مينحن ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٧) . الشنطي ، محمد صالح ، في الأدب العربي القديم (عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه) ، مرجع سابق ، ص

يعدُّ من العصور الذهبية للأدب د. عمر فروخ^(١)، فهو يقول مُمتدحاً الشعر في ذلك العصر: "إنَّ الجانب الأقل منه قد بقي على نسجه المتين الجاهلي كشعر الحطيئة وحسان...."^(٢). كما قام د. الشنطي^(٣) بدراسة هذه القضية، وقسّم الباحثين فيها على شقين: قدماء ومحدثين، وذكر الأسباب التي ادعاها من يرى ضعف الشعر في تلك الحقبة، واستشهد بشعر تلك الفترة على عدم صحتها وبما ورد عن الرسول الكريم -ﷺ- وأصحابه -رضوان الله عليهم- في اهتمامهم بالشعر وإكرامهم للشعراء^(٤)، وكذا كان من بنت الشاطيء^(٥)، فقد عرضت لأهم ما ذكره من أنَّ الإسلام أضعف الشعر ونبذه، ومثلت بموقف الرسول الكريم -ﷺ- من كعب بن مالك، ودُعائه للنابغة الجعدي، وإعجابه بمراثي الخنساء^(٦)، حتى تقول: "فهذا، ومثله كثير

(١) عمر فروخ أديب ومؤرخ وناقد وعلامة باللغة العربية والأدب والفلسفة ولد ببيروت عام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، وبها تعلم وتابع دراسته في ألمانيا وتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب، أختير عضواً بمجامع دمشق والقاهرة وبغداد، تزيد مؤلفاته على سبعين كتاباً منها: تاريخ علوم العرب، والمنهاج في الأدب العربي وتاريخه، والثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، وأصدر مجلة الأمانى، توفي عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. / الجبوري، كامل، مرجع سابق، ج ٤ / ٣٦٠.

(٢) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ط ٤؛ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م)، ج ١/ص ٢٥٧.

(٣) أ.د. محمد صالح الشنطي، أديب معاصر، ولد عام ١٩٤٥م ببيافا، حصل على الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من جامعة القاهرة عام ١٩٨٣م، عمل أستاذاً مساعد في كلية المعلمين بجائل ثم رئيساً لقسم اللغة العربية بجائل أصدر عدداً من الكتب منها: فن القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، فن التحرير العربي، المهارات اللغوية، الادب العربي القديم، في النقد الادبي الحديث، آفاق الرؤيا وجماليات التشكيل. / مركز البيان للبحوث والدراسات

<http://albayan.co.uk/RSC/AuthorBio.aspx?authorid=4071>

(٤) انظر، الشنطي، محمد صالح، في الأدب العربي القديم (عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه)، مرجع سابق، ص ٢٥٩-٢٦٢.

(٥) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء، ولدت عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٣م، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية، تركت بنت الشاطيء وراءها أكثر من أربعين كتاباً في الدراسات الفقهية والإسلامية والأدبية والتاريخية، وأبرز مؤلفاتها هي: التفسير البياني للقرآن الكريم، كما حققت الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها: نص رسالة الغفران للمعري، ومقدمة في المنهج، وقيم جديدة للأدب العربي، توفيت عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. / <http://ar.wikipedia.org/wiki/>.

(٦) بنت الشاطيء، عائشة بنت عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ط ٢؛ (مصر: دار المعارف، د.ت)، ص ٦٦.

قد يردُّ على من أساءوا فهم موقف الإسلام من الشعر " (١) ، فهي إذاً قضية جدل بين الدراسين قديماً وحديثاً ، وبما أنّ العباس من الشعراء المخضرمين كان من المناسب أن تُعالج هذه القضية من خلال شعره ، وذلك بالموازنة بين صورته التشبيهية قبل إسلامه ، وبعده ؛ بُغية معرفة أثر الإسلام في شعره ، وهل دعوى ضعف الشعر تنطبق على شعره ، خاصة بعد دراسة مستويات أسلوبه وخصائص صورته التشبيهية .

وفي البدء سأقف على معنى الموازنة قبل الدخول فيها ، فالموازنة في اللغة من الفعل : (وزن) يقال : " وزنَ الشيءَ إذا قَدَّرَه " (٢) ، وفي الاصطلاح : " المقابلة بين فكرتين ، أو أثرتين ، أو مدرستين ، أو شخصين في مبحث طويل ، أو فصل من مبحث " (٣) ، ولهذه الموازنة معايير عند النقاد بحسب نظرة كلٍ منهم إلى العمل ، ومجال تلك الموازنة ، فمثلاً الآمدي يعدُّ عيار المفاضلة عنده " السير على عمود الشعر المتعارف عليه عند العرب في الألفاظ والمعاني " (٤) ، بينما تعدد هذه المعايير وتتنوع عند القاضي الجرجاني لتشمل النص من جميع جوانبه وأثره في المتلقي ، واختلاف الأذواق في ذلك ، وأنَّ الأمر يعود للناقد فـ "قد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر ؛ فتشترك الجماعة في الشيء المتداول ، وينفرد أحدهم بلفظة تُستعذب ، أو ترتيب يُستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ؛ فيريك المشترك المبتدل في صورة المبتدع المخترع " (٥) ، وهو بهذا يجعل معايير التفاضل بين النصوص بعد " اتحاد المعنى : عذوبة الألفاظ ، وحسن الترتيب ، وحسن اختيار مواضع الكلام ، والاهتداء إلى المعاني والتفرد بها " (٦) ، ومن هذا المنطلق قسمت الباحثة هذا الفصل إلى مبحثين الأول : الأسلوب ، ومدى تأثره أو ضعفه وقوته ، والمعاني المستجدة عليه بعد إسلامه .

(١) . المرجع السابق .

(٢) . الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (وزن) ، ج ١٣ / ١٧٥ .

(٣) . وهبه ، مجدي ، والمهندس ، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط ٢ ؛ (بيروت : مكتبة لبنان ،

١٩٨٤ م .) ص ٣٩٥ .

(٤) . ولد مينحن ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(٥) . الجرجاني ، القاضي ، ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

(٦) . ولد مينحن ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

والثاني : الأبعاد الموضوعية ، وما طرأ عليها من تجديد وتطوير ، وأثر ذلك في معانيه ورسم صورته والموازنة هنا ستكون لشاعر واحد في عصرين .

المبحث الأول : الأسلوب .

في فصل المستويات الأسلوبية للصورة التشبيهية عند الشاعر ، اتضح بعد تحليل الصور لغوياً ، ودلالياً ، ونفسياً ، أنّ صور العباس امتازت بالرصانة والقوة ، وجودة السبك ، وجمال الأسلوب ، مع تمايز ذلك بحسب البعد الموضوعي لها ، وكذا كان من نتائج سمات صورته ، وتعدد مصادره وتنوعها ، وتفاوت أسلوبه ، ورقته وسهولته ، وروعة معانيه مع شرفها ودلالاتها على القائل ، والموازنة في هذا المبحث على جزأين أحدهما : الألفاظ ، والثاني : المعاني والأفكار ، وستبدأ الباحثة بذكر الألفاظ ، وما طرأ عليها من تغير ، وهذه الألفاظ هي : (العَنَاجِيحُ ، والسواهلك ، و شَأْيِبُ و مُشْتَجِرُ) .

وذلك في قوله قبل إسلامه :

﴿صَبَحْنَاكُمْ الْعُوجَ^(١) الْعَنَاجِيحَ^(٢) بِالضُّحَى تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيحِ السَّوَاهِكِ^(٣)﴾

وقوله في شاهد آخر على التصوير بالتشبيه :

﴿وَإِنْ أَدْعُ يَوْمًا فِي قُضَاعَةٍ تَأْتِي شَأْيِبُ^(٤) بَحْرِ ذِي غَوَارِبِ^(٥) مُزِيدِ^(٦)﴾

وبعد إسلامه في قوله :

﴿قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمَرَ النَّاسِ مُشْتَجِرُ^(١)﴾^(٢)

(١) . العُوجُ: القوائم. صفة غالبية. / المرسي ، ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مرجع سابق ، (عوج) ، ج ٢ / ٢٨٢ .

(٢) . العَنَاجِيحُ: جِيَادُ الحَيْلِ، وَاجِدَهَا عُجُوجٌ. / الأزهري ، أبو منصور، مصدر سابق ، (عنج) ، ١٠ / ٢٤٣ .

(٣) . الشُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٢٥ .

(٤) . الشَأْيِبُ من المَطَرِ الدُّفَعَاتِ. / الأزهري ، أبو منصور، مصدر سابق ، (شوب) ، ج ١١ / ٢٩٦ .

(٥) . غَوَارِبُ المَاءِ: أَعَالِي مَوْجِهِ . / الفيروزآبادي ، مجد الدين، مرجع سابق ، (غرب) ، ص ١٢٠ .

(٦) . الشُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦١ .

ففي الشاهد الأول مال الشاعر إلى الغريب والصنعة ؛ استزاءً بأعدائه ، وذلك في معرض رده على ما كان منهم (يوم برزة) ، وكان ذلك في جاهليته ، مُفتخراً بفروسية بني سليم عن طريق رسم صورة لسرعة خيله وبراعتها وكثرة جيشه :

صَبَحْنَاكُمْ الْعُوجَ الْعَنَاجِيحَ بِالضُّحَى تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيَّاحِ السَّوَاهِكِ^{(٣)(٤)}

تأمل تصويره للمكان وما أصابه من خراب في قوله : (تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيَّاحِ السَّوَاهِكِ) ، فقد شبه صورة مرورهم على أعدائهم بصورة الرياح المهلكة المدمرة ، فمكان الحرب ظلَّ شاهداً على تلك المعركة ؛ وآثار الدمار تعمر المكان ، مع أنه قال مَرَّ الرِّيَّاحِ فكيف لو كان حلول الرِّياح بالمكان ، ونزولها فيه ومكثها فيه؟! ، لكنه أراد وصف شدّة السرعة مع قوة الانتقام كالدمار الذي تحدّثه الرِّياح المهلكة ، وعليه فالصورة من التشبيه (التمثيلي) وفيها تشخيص لمنظر الدمار الذي أحدثه بنو سليم في أرض المعركة ، وقد اعتمد فيها على تعدد وجوه الشبه والتي منها : (الهلاك ، والدمار ، والتفرق ، والذعر والخوف ، وملء المكان بالخراب) ، لتكتمل جوانب الصورة ، وليقع الأثر في نفس المتلقي ، بوصف قدوم جيشه على أعدائهم وأن هذا الجيش به من الخيل الكثير ، وقد اختيرت من أنفس الخيل وأجودها وأسرعها ، حتى أنّها إذا مرت بجانب قوم كان ذلك المرور كمرور الرياح العاتية المهلكة التي لا تُبقي ولا تذر ، فهو إذاً تهديد ووعيد مع الاعتداد بقومه ، ويذكر بأن وقت المرور هذا كان في الصباح وقت الضحى ولم يكن ليلاً ، لوضوح رؤية ما أحدثته من خراب ودمار ، ولكونها أشدّ وقوعاً في النفس ؛ فالضحى وقت للعمل والكل مشغول بأمره ، فيكون بذلك درساً لهم ، ولغيرهم ليحذروا من بني سليم ومحاربتهم ، وكلمة (العُوج) التي وسم بها خيله لكثرة خوضها المعارك وعدوها وعودتها منتصرة ، فأصابها عوج في قوائمها ، ورسمه هذا لشكل القوائم يُعطي صورة أبعد وهي رشاقة الخيل وأصالتها ، وأكد تلك الأصلة بقوله : (العَنَاجِيحَ) وجمعها ؛ لبيّن كثرة ذلك الجيش واستعداده وثقته

(١). اشتجر الشَّيْءُ: اشتبك وتداخل بعضه في بعض "اشتجرت السيوف في المعركة". / عمر ، أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ج ٢ / ١١٦٦ .

(٢). السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٣ .

(٣). رِيحٌ سَاهِكَةٌ وَسَهُوكٌ وَسَيَّهَكٌ: عاصف قاشرة شديدة المُرور . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (سهك) ، ج ١٠ / ٤٤٥ .

(٤). السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٢٥ .

بنفسه ، ثم أتى بلفظة (السواهك) ، ليصور شدة ما أصاب القوم من الدمار والتفرق بمر
(الرِّيَاحِ السَّوَاهِكِ) ، فهي رياح مهلكة مفرقة ، وصورة العباس هذه التي رسمها لنهاية المعركة
، وكثرة الخسائر مع سرعة الانتقام ، هي من النقائص التي دارت بينه وبين عبد الله بن جدل
، وقد نصح فيها طريقاً يختلف عن طريقة رده على ابن عمه خُفاف، وخوات بن جبير " فسار في
طريق الموازنة ، وتنازع المآثر مع شيء من الوعيد " (١) ، و(العناجيج) هذه لفظة غريبة جاءت في
أشعار الشعراء الجاهليين كقول الخصفي المحاربي (٢) :

وَيَوْمَ رُجِيجٍ صَبَحَتْ جَمْعَ طَيْءٍ عَنَاجِيجُ يَحْمِلْنَ الْوَشِيجَ (٣) الْمُقَوَّمَا (٤)

فالشاعر يبين ما حل بالطيبين ، وأنهم أحاطت بهم عتاق الخيل وعليها فوارس تحمل أسلحة
حادة ومجهزة للقتال ، فالخصفي هنا أسند القتال والدفاع للخيل في قوله : (عَنَاجِيجُ يَحْمِلْنَ
الْوَشِيجَ) ؛ لكونها لشدة بأسها تكفي المقاتل القتال على سبيل (الاستعارة التصريحية) ، فالخيل
تحمل السلاح دفاعاً عن قومه ، وتأمل كيف وصف العباس نتيجة المعركة وما حلّ بالقوم يوم
الفيفا (٥) ، ومجيئه بالمشبه به (مَرَّ الرِّيَاحِ السَّوَاهِكِ) ، وانتصار بني سليم عليهم وانتقامهم لمقتل
سيدهم صخر بن عمرو بن الشريد ، وأن المكان ظل شهيداً ذلك .

ولعاصره حسّان بن ثابت - رضي الله عنه - تشبيهه قريب من تشبيهه العباس هذا ، واستعان فيه بلفظة
(العناجيج) لوصف الكثرة مع القوة في قوله :

تَذُرُّ الْعَنَاجِيجُ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ (٦) مَرَّ الدَّمُوكِ (٧) بِمُخَصَدٍ وَرِجَامٍ (١) (٢)

(١) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٢) . عامر الخصفي المحاربي: شاعر جاهلي ، كانت بينه وبين الحصين بن الحمام المري مساجلة ، وكانا قبيل ظهور
الإسلام . / الزركلي ، مرجع سابق ، ج ٣ / ٢٥٠ .

(٣) . الوشيج: الرماح ، واحدها وشيجة . / البغدادي ، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، السلاح ، تحقيق: حاتم
صالح الضامن ، ط ٢ ، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، ص ١٩ .

(٤) . الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ، المفضليات ، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ،
ط ٦ ؛ (القاهرة : دار المعارف ، د.ت .) ، ص ٣١٩ .

(٥) . انظر السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٢٤ .

(٦) . القفر: الأرض التي لا أنيس بها ولا نبت . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (قفر) ، ج ٣ / ١٢٥٦ .

(٧) . الدموك: أعظم من البكرة يُستقى عليها بالسانية . / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (دمك) ، ج ١٠ / ٧٦ .

فهدف الشاعرين واحد وهو الوصف مع الفخر ، فانظر إلى قول حسان (مَرَّ الدَّمُوكُ بِمُحْصَدٍ
وَرَجَامٍ) ، فكما أراد العباس وصف خيله بالسرعة والندرة ، كذلك أراد حسان وصف "فرسه
وشدة عدوها وسرعتها في الجري وتقدمها على مثيلاتها ، فيصفها بأنها تترك الخيول الرائعة الجياد
واراءها في الخلاء ، وتسير بسرعة فائقة تشبه سرعة البكرة في تدلية الجبل المشدود بأسفله حجر ،
والصفة الجامعة بين الطرفين هي السرعة " (٣) ، وهنا يظهر أثر البيئة في شعر العباس وحسان ،
فبيئة العباس صحراوية تكثر فيها الفيافي وتعمها الرياح والعواصف الرملية ، بينما بيئة حسان
زراعية ، ويعتمدون على أدوات كالدموك مثلاً في جلب الماء والمحصد في الزراعة ، وفي أعلى
هذا الدلو العظيم رجام قوي شديد يدفعه بسرعة فلذا أسقط هذا المنظر وتلك السرعة على
خيله ، في حين أثارت الرياح (السواهك) المهلكة المخربة الكثير من الخوف والحذر من آثارها
الدمرة في نفس العباس ، فشبه بها أثر قدومهم على عدوهم في يوم الفيفا ، وماحلّ بهم من
خسائر بالخسائر التي تحدثها الرياح المدمرة في المكان .

(١) الرّجّام: حجر يشد في طرف الحبل ثم يدلى في البئر فتخضخض به الحمأة حتى تثور ثم يستقى ذلك الماء، فتستقى
البئر، وهذا كله إذا كانت البئر بعيدة القعر لا يقدرون على أن ينزلوا فينقوها، وقيل: هو حجر يشد بعروة الدلو، ليكون
أسرع لانحدارها. / المرسى ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مرجع سابق ، (رجم) ، ج ٧ / ٤٢٠ .

(٢) . الأنصاري ، حسان بن ثابت ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

(٣) . ولد مينحن ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

وكان العباس في حقيقة أمره إذا افتخر لجأ إلى الغريب من الألفاظ عليها تعبر عمّا في نفسه من
عُجب ، ومن ذلك فخره بكثرة جيشه وعتاده :

﴿ وَإِنْ أَدْعُ يَوْمًا فِي فُضَاعَةٍ تَأْتِنِي شَأْيِبُ بَحْرِ ذِي غَوَارِبِ مُزَيْدٍ ﴾

وَعَكُّ بِنِ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَاعَبُوا بَعْسَانَ حَتَّى طُرِدُوا كُلَّ مَطْرِدٍ^(٩١٢)

يلحظ القارئ أن الصورة التشبيهية تظهر في قوله (شَأْيِبُ بَحْرِ ذِي غَوَارِبِ مُزَيْدٍ) ، وقد
جاءت هذه الأبيات فخرًا بغلبة عك على غسان^(٩١٣)، ورداً على عمرو بن معد يكرب
الزيدي وكان ذلك في الجاهلية ، فهو يفخر بكثرة أنصاره ، وتعدددهم ، وأنهم لكثرتهم يأتون
على دفعات كبيرة ، كالماء الكثير الذي يغمر المكان بفيضانه وزبده ، وتشبيهه هذا لكثرة
أنصاره فيه عامل نفسي ، وهو السرور بكثرة الأنصار، والرغبة في الانتقام ، ويُفرغ شحنة غضبه
فيهم على دفعات فيزيد ، ويرعد ، فيخيف عدوه ، وينال منه ، والصورة التشبيهية من التشبيه (البليغ)،
فقد حذف الأداة ووجه الشبه الذي قد يكون في الكثرة مع القوة ، أو القدرة على
سرعة النجدة والقتال ، ووسع الصورة بقوله : (ذِي غَوَارِبِ مُزَيْدٍ) حتى تُعطي أبعاداً أكثر وأشمل
للصورة .

ولفظة (شَأْيِبُ) التي شبه بها أتى بها الشعراء للتعبير عن كثرة الماء ، أو كثرة الدمع مع
الانتشار كالصورة التي رسمها الطرماح^(٩١٤) للدمع :

كَأَنَّ الْعُيُونَ الْمُرْسَلَاتِ عَشِيَّةً شَأْيِبُ دَمْعِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَاتِنِ^(٩١٥)(٩١٦)

(٩١٢) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦١ .

(٩١٣) . انظر المغزبي ، الحسين بن علي بن الحسين ، أبو القاسم الوزير ، الإيناس بعلم الأنساب ، تحقيق : حمد الجاسر ،
ط ١ ؛ (المملكة العربية السعودية : الرياض ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م ، ص ٦٢ .

(٩١٤) . الطَّرْمَاحُ ابْنُ حَكِيمِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ نَفَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَجْدَرِ أَبُو نَفَرٍ وَأَبُو ضَبِينَةَ شَامِي الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَأُ خَارِجِي
الْمَذْهَبِ وَالطَّرْمَاحُ فِي اللُّغَةِ الطَّوِيلِ وَجَدَ جَدَّهُ قَيْسٌ لَهُ صُحْبَةٌ ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ ، وَحَدَّثَ الطَّرْمَاحُ عَنِ
الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ وَرَوَى عَنْهُ ابْنَاهُ صَمِصَامَةُ وَضَبِينَةُ وَمَا رُوِيَ بِالْكَوْفَةِ اثْنَانِ دَامَ صِفَاؤُهُمَا عَلَى كَثْرَةِ اخْتِلَافِهِمَا غَيْرَ الطَّرْمَاحِ
وَالْكَمَيْتِ كَانَ الْكُمَيْتُ وَكَانَا بِالْكَوْفَةِ وَالشَّرْكَةَ فِي الصَّنَاعَةِ تَوْجِبُ الْبُغْضَاءَ ، شَغَلَ الطَّرْمَاحُ فِي شَعْرِهِ بِالْفَخْرِ وَالْهَجَاءِ ،
ذِيَوَانَهُ حَقَّقَ عِدَّةَ مَرَاتٍ كَانَ آخِرَهَا مِنْ تَحْقِيقِ د. عَزَّةِ حَسَنِ . / الصَّفْدِيُّ ، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله ،
الوافي بالوفيات ، مرجع سابق ، ج ١٦ / ٢٤٥ .

فالطرماح استخدم لفظة (شآبيب) في تشبيه الدّم المرسل على الحديد وكثرته (شآبيب دّمع العبرة المتحانين) ، وأنّ تتابعه على شكل مجموعات كبيرة ، وكذلك هم أنصار العباس فهم في كثرتهم يقدمون مجموعات كأهم أمواج بحر كثيرة متدفقة مرتفعة مقبلة بقوة ، ودون تردد كل ذلك للتعبير عن حبهم له وثقتهم به .

وهذه الألفاظ التي عمد العباس إلى اختيارها في فخره بها نوع من الغرابة على الرغم من وجودها في أشعار معاصريه ، فهي تعدّ غريبة على السمع في عصرنا الحاضر ، وبها نوع من التكلف ، على خلاف ألفاظه بعد إسلامه فقد عذبت ورقت ، وحسن مخرجها ، وعبرت عن المراد في سهولة ويسر كقوله مُفتخراً بقومه في كثرتهم وعدتهم :

﴿ قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرٌ ﴾ (٩١٧)

اختار الشاعر تشبيه حال الناس بتداخل الشجر وذلك في قوله : (وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرٌ) وانتقى لأجل ذلك ألفاظاً تدلّ على التغير الذي طرأ عليه بعد إسلامه من مثل : (نصروا ، اتّبعوا ، دين الله ، الرسول) ، فلم يكن لها إلى شعره سبيل قبل إسلامه ، فالنصر كان له معنى آخر وهو المعاونة ، أو النجدة وغيرها ، ولم يكن ذلك إلا لمنفعة دنيوية واضحة ، أما اتباع القائد فقد كان على درجاتٍ ولم يكن مُطلقاً ، ولذا تنازع هو وابن عمه حُفاف على الزعامة بعد مقتل صخر ، ولفظة (الله والرسول والدين) ، كلها مُكتسبة من الدين الإسلامي ، أما تصويره لتداخل الأمور ، واشتباكها ، وعدم وضوح الرؤية بقوله : (مُشْتَجِرٌ) فهو وصف لحال العرب في ذلك الوقت خاصّة القبائل حول المدينة ومكة المكرمة ، ما بين عبدة للأوثان ، ومجوس ، ونصارى ويهود ، ومسلمين التفوا حول رسول الله - ﷺ - ونصروه كما كان من بني سليم يوم حُنين ، وفي فتح الطائف ومكة ، فهذا التشتت والتداخل الذي شبّه به العباس حال الناس في ذلك الوقت له دلالات نفسية أخرى ، وهي الحيرة والتفرّق ، والبعد عن الطمأنينة لمن لم يُسلم عكس من أسلم ، فقد كان مطمئناً واثقاً بالله ورسوله ، فقاده ذلك إلى الاتباع

(٩١٥) .تحاتت دموعه إذا تتابعت. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، ج ٣ / ١٩٢ .

(٩١٦) . الطرماح ، بن حكيم ، ديوان الطرماح ، تحقيق: عزة حسن ، ط ٢ ؛ (لبنان : بيروت ، سورية : حلب ، دار الشرق

العربي ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ، ص ٢٦٤ .

(٩١٧) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٣ .

والنصر؛ أملاً في الثواب ودخول الجنة ، وليس لمصالح دنيوية كما كان ، فالأسلوب هنا رقيق ، ولان ، وقرب معناه ، وأثرت المعاني في النفس ؛ لذا لم يحتج إلى أداة للربط بين طرفي التشبيه ، وهو حال الناس بالأمر المشتجر كأغصان الشجرة المتداخلة لا يُعرف أولها من آخرها ، ولم يحتج كذلك لبيان وجه الشبه وهو (التداخل وعدم الوضوح) ، مما أدى إلى الاختلاف والتفرق فلمشبهه به وضّح الغرض وأوجزه ، وهو أن النصر هنا كان بقبيلة كاملة ولم يذكر (شأيب) ، ولم تنزل لديهم من العتاد والعدة ما جعل رسول الله - ﷺ - يخصص لهم ثلاث رايات ، ولكثرة فرسانهم وكثرة خيلهم وعتادهم ومع ذلك لم يلجأ للفظه (عناجيج) ، ولم يُعرج عليها كما كان منه سابقاً ، بل كان أسلوبه سهلاً سلساً عذبا ملائماً للنصر ، والاتباع ، والهداية بعد ضلال ، والمُلاحظ فيما سبق أن المعنى المراد واحد ، وهو (الكثرة مع القوة والقدرة) ، في حين اختلفت الألفاظ المعبرة عن هذا المعنى ، واختلف كذلك تصويره للموقف .

والجزء الثاني من الأسلوب وهو الأفكار والمعاني ، وما دخلها من تغيير وتطور ، وتعديل بعد إسلامه ، فبالعودة لصوره قبل إسلامه ، وقد ارتكزت فيها المعاني على ثلاثة محاور:

الأول : معنى الوحشية والدموية في القتال ، والثاني : الأخلاق و الدعوة إلى الإصلاح ، أما المعنى الثالث فهو الانتقام ، وتغيير تلك الأفكار بعد إسلامه ، وذلك في قوله قبل إسلامه :

وَمَا زَالَ مِنْهُمْ رَائِعٌ^(٩١٨) عَنْ سَبِيلِهَا وَأَخْرَ يَهُوِي لِّلْيَدِينِ وَلِلْقَمِ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَبِيحُوا عَشِيَّةً^(٩١٩) وَذُلُّوا فَكَانُوا حَمَةً الْمُتَلَحِّمِ^{(٩٢٠)(٩٢١)}

وفي قوله في بدء إسلامه :

حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَانَهُ عَيْرٌ^(٩٢٢) تَعَاقَبَهُ السَّبَاعُ مُفَرَّسٌ^(٩٢٣) (٩٢٤)

(٩١٨) . فلائٌ يروغ عتي، أي: يجيد. وطريقٌ رائعٌ، أي: مائل ./الفراهيدي ، مصدر سابق ، (راغ) ، ج ٤ / ٤٤٥ .

(٩١٩) . العشيّ هو آخر النهار، وقد قيل: كلّ ما كان بعد الزوال فهو عشيّ، والعشاء ممدود مهموز بفتح العين، هو الطّعام الذي يُؤكَل من آخر النَّهارِ وأوّل اللَّيْلِ ./ الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (عيش) ، ج ٤ / ٣٢٢ .

(٩٢٠) . لحمٌ بالكسر: اشتهى اللحم، فهو لحمٌ ./ الجوهري ، مصدر سابق ، (لحم) ، ج ٥ / ٢٠٢٨ .

(٩٢١) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس، الديوان ، ص ١٥١ .

(٩٢٢) . العَيْرُ: الحِمَار الوحشيُّ وجمعه أعيار . / كراع النمل ، المُنْجَد في اللغة ، مصدر سابق ، (عير) ، ص ٦٥ .

وحين عرف تعاليم الإسلام ووعاها اختلف التعبير ولطف ، وذلك في قوله :

﴿ حَتَّى تَوَلُّوا وَقَفَّالَهُمْ كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ ﴾^(٩٢٥) مُنْقَعِرٌ^(٩٢٦) (٩٢٧)

ففي الجاهلية نجد الوحشية، والتصوير الدّموي، والاستهزاء بالعدو، مُسيطرًا على مشهد المعركة معتدًا بذاته ، وبفروسيته مبتهجًا بما حلّ بأعدائه مبيّنًا صور القتل في العدو:

﴿ إِذَا هِيَ صَدَّتْ نَحْرَهَا عَنْ رِمَاحِهِمْ أَقْدِمُهَا حَتَّى تَنْعَلْ بِالِدَمِّ ﴾

وَمَا زَالَ مِنْهُمْ رَائِعٌ عَنْ سَبِيلِهَا وَآخَرَ يَهْوِي لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِّ

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اسْتَبِيحُوا عَشِيَّةً وَذَلُّوا فَكَانُوا لِحِمَّةِ الْمُتَلَحِّمِ

فَأَبُوا^(٩٢٨) بِهَا غُرْفًا وَأَلْقَيْتُ كَلْكَلِي عَلَى بَطْلِ شَاكِي السَّلَاحِ مُكَلِّمٌ^(٩٢٩)

يصور المشهد حيًّا كما هو أمام عينيه ببشاعته وعنفه، ويختار لذلك التصوير التشبيهي في قوله: (وَذَلُّوا فَكَانُوا لِحِمَّةِ الْمُتَلَحِّمِ) ، والصورة التشبيهية من التشبيه (البليغ) ، إذ شبه القوم وكثرة القتل فيهم بلحمة المتلحم ، دون أن يأتي بأداة تشبيه ، أو وجه الشبه لكون التشبيه غريبًا ودالًّا على وجه الشبه لفضاعة المنظر ، وشدّته ، وقسوته ، ودمويته، فهم كلحمة في شكلهم ، أو تقطيعهم ، أو كثرتهم ، وأن هذه المعركة استمرت حتى الليل أو حتى غروب الشمس ؛ لذلك حين شاهدوا تلك المناظر وذلك البطش ذلوا ووصلوا لدرجة أنهم كانوا (كلحمة المتلحم)، أي

(٩٢٣) . فَرَسَ الشَّيْءَ فَرَسًا دَقَّةً وَكَسَّرَهُ وَفَرَسَ السَّبْعُ الشَّيْءَ يَفْرِسُهُ فَرَسًا وَفَتَرَسَهُ أَخَذَهُ وَدَقَّ عُنُقَهُ . / المرسي ، ابن سيّدة ،

الحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (فرس) ، ج ٨ / ٤٨١ .

(٩٢٤) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٨٩ .

(٩٢٥) . البطحاء هو التراب السهل في بطونها ممّا قد جرّته السُّيُولُ . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، (بطح) ، ج

٦ / ٣١٤ .

(٩٢٦) . الْمُنْقَعِرُ : الْمُنْقَلِعُ مِنْ مَنِيَّتِهِ . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (نخل) ، ج ٧ / ٢٤٩ .

(٩٢٧) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٣ .

(٩٢٨) . آب الرجل يؤوب إيابا إذا رجع إلى مستقره . والمآب : المرجع . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (أوب) ،

ج ١ / ٢٢٩ .

(٩٢٩) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٥١ .

كومة لحم لمن يشتهي اللحم ، وقد يكون أُنهم أصبحوا عشاء لمفترسهم، وهنا وصل المنظر إلى درجة لم يصلها إليها أحد في أنه يشتهي لحم البشر أو قتل البشر ، وفيه مبالغة بل غلو تجاوز الحد ، حتى وإن كان للتهديد والوعيد ، لكنّه عمد إليها من أجل الفخر بفروسيته وإقدامه وكثرة القتل في أعدائه ، حتى قادهم هذا إلى الاستسلام والرجوع إلى ديارهم مخافة زيادة الخسائر البشرية والحربية ، وعاد هو مُفتخراً مُشهوراً سلاحه مغترّاً بأصالة خيله ، فهو يعتلي أجود الخيل وأنفسها لذا قال عنه (بطل شاكي السلاح مكلم) ، نسب البطولة وإشهار السلاح إليه وحتى أنّها تبادله الحديث عن الانتصار في المعركة وما أصاب أعداءه من كرب وهزيمة على سبيل (الاستعارة المكنية) ، التي وسعت الصورة التشبيهية قبلها ، والصورتان رسم لمشهد حي مباشر من أرض المعركة ، يظهر فيه سعة الخيال ورغبته في الانتقام بشراسة متأثراً بوصف شعراء الجاهليين لبطولاتهم ، ومعاركهم ، وإهانتهم للأعداء وشراسة القتل والعراك.

وتظهر في هذا طباع الجاهلية من حبّ للقتل وسفك الدماء ، وهو في أبياته هذه يتأثر بعنتره بن شداد حين قال في معلقته واصفاً كثرة الدماء :

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُعْرَةٍ نَحْرِهِ وَلَبَّانِيهِ حَتَّى تَسْرُبَلَ بِالْدَمِ (٩٣٠)

يتضح مدى الشبه بين الشاعرين غير أن العباس زاد من مناظر الصورة حتى تكتمل ، وتتضح للرأي ، مع أنّ بها الكثير من الاستهزاء بالعدو ، وأنهم حين رأوا العباس أصابهم الفزع ، وفريق فرّ من أمامه خوفاً من بطشه ، وفريق آخر يترجاه ويتذلل له حتى لا يصيبه أذى ، ولكن هذا لم يؤثر في العباس بل ظلّ يقاتلهم ، ويدفع بخيله في المعركة حتى وإن أبت وأعرضت ، ومن بشاعة القتل وشدّته وصلت الدماء لدرجة أن جعلها الفرس نعللاً له ، وهي كناية عن (اكتساء الفرس بالدم) ، وهنا يتبين الفرق بين وصف العباس ، ووصف عنتره ، فعنتره لم يزل يرمي " الأعداء بنحر فرسه حتى جرح ، وتلطح بالدم وصار له بمنزلة السربال ، أي عمّ جسده عموم السربال جسد لابسه " (٩٣١) ، أما العباس فالدماء زادت عن الجسد وعمته حتى جعلها نعللاً له ، وفي هذا مزيد سُخرية ، واحتقار للأعداء ، ورسمٌ لشدة البطش ، وسرعة سفك الدماء دون رادع .

(٩٣٠) . العبيسي ، عنتره ، الديوان ، الخوري ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٩٣١) . الزّوّني ، حسين بن أحمد بن حسين ، شرح المعلقات السبع ، ط ١ ؛ (دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ -

وظلّ هذا النهج من التصوير لدموية القتل مُستمرّاً في شعر العباس في بداية إسلامه ، وأنّ نهاية المعركة قوية ضارية بالعدو مهلكة له كافتراس السباع لفرستها :

﴿ حَتَّى تَرَكَنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السَّبَاعُ مُفَرَّسٌ ﴾ (٩٣٢) (٩٣٣)

الصورة التشبيهية في قوله : (وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السَّبَاعُ مُفَرَّسٌ) ، فهذه الصورة من التشبيه المركب التمثيلي) ، لكونه شبه حال بني سليم في قتل أعدائهم في المعركة بحال السباع في افتراسها وشراستها ، وقد فصل في ذكر الأداة ووجه الشبه ، بمجيئه بالأداة كأنّ تأكيداً لذلك الشبه وتقريراً له ، وبصيغة المبالغة (مُفَرَّسٌ) ، ووجه الشبه منتزع من أمور عدّة ، منها بشاعة القتل وشدّته ، ومنها قوة الضرب ، ومنها كثرة القتل فيهم مع قوته ، ومنها الشراسة ، ليرسم بها صورة الدمار وكثرة القتل ، وشموله ، و دمويته ، وبشاعته ، وكأنهم سباع في قتالهم ؛ لكثرتهم وإقدامهم ، وبراعتهم في القتال والظفر بالعدو .

والصورة من مقطوعة يمدح بها النبي - ﷺ - ويصف فيها بلاء بني سليم يوم حنين ، وأنهم صدقوا ووفوا بما وعدوا به النبي - ﷺ - ودافعوا عن المسلمين ، وشدّوا على عدوهم حتى ذلّهم ، وأصبحوا كفريسة السبع التي لا يُترك منها شيئاً لغيره بل يستأثر بها لنفسه ، وهذا من عادة السباع ، ولم يكتف بتصوير حالتهم بل زاد في البعد والاستقصاء ، وأنهم افترسوهم وبددوهم حتى لم يبق منهم أحد ، فهو لم يقتصر على دموية التصوير ، وصورة الدّم التي يُخلفها السبع حال افتراسه ، وبشاعة منظر الفريسة بل تجاوز الحد بافتخاره بأنهم افترسوهم ، ودقوا منهم كل ناحية ، وذلك على مستوى الفرد والجماعة، فقد عرّض بأعدائه وما أصابهم حين نزلوا بهم :

وغداة أوطاوسٍ ^(٩٣٤) شدّدنا شدّةً كفتِ العدوَّ وقيلَ منها: يا احبسوا
تدعو هوازئُ بالإخاوةِ بيننا نُدِّي تمدُّ به هوازئُ أيّسُ ^(٩٣٥)

(٩٣٢) . فَرَسَ الشَّيْءَ فَرَسًا دَقَّهُ وَكَسَرَهُ وَفَرَسَ السَّبْعُ الشَّيْءَ يَفْرِسُهُ فَرَسًا وَافْتَرَسَهُ أَخَذَهُ وَدَقَّ عَنْقَهُ ./ المرسي ، ابن سيّدة ،

المحكم والمحيط الأعظم ، مصدر سابق ، (فرس) ، ج ٨ / ٤٨١ .

(٩٣٣) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٨٩ .

(٩٣٤) . أَوْطَاسٌ: يَفْتَحُ الِهْمَزَةَ مَوْضِعَ ./ الرازي ، مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٩٣٥) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٨٩ .

فهم لشدة ما أصابهم ولكثرة الطعن والقتل فيهم دعوا بحبس القتل عنهم وإيقافه ، فلم يفد ذلك فلجأوا إلى التذكير بالقرابة والنسب (تدعوا هوازن بالإخاوة بيننا) ، ذكروهم بما بينهم من صلوات وفُرى ، ولكن ذلك لم يؤثر فيهم ، ولم يستمعوا له ، ذلك لأنهم أتوا لنصرة دين الله:

نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الْإِلَٰهَ بِحِفْظِهِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ
وَلَقَدْ حُسِنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْسَبًا رَضِيَ الْإِلَٰهَ بِهِ فَنِعْمَ الْمَحْسَبُ

فهدفهم واضح بيّن ، ولن يؤثر فيهم تذكير برحم أو استعطاف ، بل تناسوا كل ذلك وتركوه خلفهم ومضوا في القتال حتى تمّ للمسلمين النصر ، وتركوا العدو على حالة أشبه ما تكون بحالة الحمار الوحشي بعد افتراس السباع له ، فالجثث مبعثرة في كل مكان ، والمنظر مليء بالدماء والوحشية والقتل عشوائي ، لم يستثن أحداً ، وترك آثاره واضحة في المكان ، وحتى يزيد في التأكيد اعتمد على أداة التشبيه (كأن) ؛ لتحمل التشبيه وتقريب المنظر مع تأكيده ، وتقديره في ذهن المتلقي ، ثم عاد لتوسيع الصورة ، وأنهم لم يكتفوا بالقتل بل دمروا ، وعملوا على تشتيت الجيش وعدته ، ولم يبق من ذلك الجيش إلا الأثر لكون الدمار لحق به من أوله إلى آخره .

وهذه الصور الدّموية قلت حين تغلغل الإسلام في نفسه وتعمّق ، فقد تأثر بتعاليم الدين ، وما فيها من رحمة ، ونهي عن التمثيل بالعدو بعد قتله ، فقد " روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي - ﷺ - كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثُمَّ قَالَ: " اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا و لا تَعْلُوا ، وَلَا تَعْدُوا ، وَلَا تَمَثَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا... " (٩٣٦) ، فنراه بعد إسلامه ، يصف نهاية المعركة بتحقيق النصر لهم ، مُتَخَلِّياً عن وصفه الدموي السابق ، مُضْمِنًا أبياته بعضاً من آيات القرآن الكريم كما في قوله :

﴿ حَتَّى تَوَلُّوا وَقَاتِلَهُمْ كَانْتَهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْفَعِرٌ ﴾ (٩٣٧)

(٩٣٦) . النيسابوري ، مصدر سابق ، ج ٣ / ١٣٥٧ .

وانظر: أبو شُهبة ، محمد بن محمد بن سويلم ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٩٧ .

(٩٣٧) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٣ .

انظر لقوله : (أَنْتَهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْفَعِرٌ) ، فقد أراد رسم نهاية المعركة عن طريق التشبيه فهو يُشَبِّهُ نهاية هؤلاء الأعداء ، والقضاء عليهم بنخل البطحاء الذي اسْتُلِّمَ من جذوره ، وفي هذا كناية عن الإبادة التامة ، والقضاء عليهم مع التشتت والتفريق ، فالنخل إذا انقلع من منبته يكون مرمياً على الأرض ، كذلك فعل العباس وجنده بأعدائه فرقوهم ، وقضوا عليهم حتى لم يبق إلا آثارهم ، ولم يكتفوا بالتفرقة بل شملهم القتل حتى أباد الجيش بأكمله ، والصورة التشبيهية من (التشبيه التمثيلي) ؛ لكون وجه الشبه عقلي ، وهو الإبادة ، والفناء مع الاستهزاء ، فهو أراد أن يبين للقارئ هيئة القتلى تحقيراً لهم ، دون اللجوء إلى الدموية في الوصف ، وهو مع ذلك ملاً النفوس رعباً ، وتحويفاً ، وألقى عليه نوعاً من المهابة حين استعان بألفاظ القرآن الكريم في وصفه ، فقد أتى بنفس المعنى السابق ، وهو الانتصار ، وهزيمة الأعداء ، وتشريدهم وإبادتهم ، واستعان في ذلك بوصف القرآن الكريم للنخل الذي أَلْفَهُ في بيئته الصحراوية ، فكثيراً ما يرى مناظر لتساقط النخل وفناءه بعد تعميره ، ونشر خيره ، وثمره وذلك في قوله - ﷻ - : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٢٠) . (٩٣٨)

والذي يبدو هنا أن ذكر يوم حنين ، ووصف أحداثه لم يفارق مخيلة الشاعر ، ونفسه فأكثر " ما قيل من الشعر للعباس بن مرداس الذي أسلم قبيل فتح مكة بقليل ، وأكثر شعره فخر بنصر بني سليم (قومه) لرسول الله - ﷺ - حين واعدته في قديد " (٩٣٩) ، وهو في كل مرة يأتي بوصف مختلف وينظر له من زوايا متعددة ؛ ليصف بذلك معاناة الشاعر ، وجنوده في تلك المعركة ، وما بذلوه لأجل تحقيق النصر ، والوفاء بالوعد الذي قطعوه على أنفسهم أمام رسول الله - ﷺ - ، ومن أجل تحقيق هذا المعنى جاء بالصورة التشبيهية ، وظهر هنا تضمينه من القرآن الكريم تأثراً به ، وبتعاليم الشريعة الإسلامية ، ويتضح الفرق بين الصور السابقة جميعها ، وبين هذه الصورة الأخيرة :

﴿ لَدُنْ عُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَبِيحُوا عَشِيَّةً وَذُلُّوا فَكَانُوا حَمَّةَ الْمُتَلَجِّمِ ﴾ (٩٤٠)

(٩٣٨) . سورة القمر : آية (٢٠) .

(٩٣٩) . الجبوري ، يحيى ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ط٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)

، ص ٢٩٠ .

(٩٤٠) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٥١ .

فالصورة التشبيهية في قوله (فَكَاثُوا لِحْمَةَ الْمُتَلَحِّمِ) ، هي أبشع صورة رسمها للقضاء على العدو ، في كونه أصبحوا ككومة اللحم المليء بالدم ، أو أنهم صاروا لحمة لمن يشتهي أكل اللحم ، فهي تحمل معنى الانتقام الشرس المليء بالدموية .

وقوله :

﴿ حَتَّى تَرَكَنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السِّبَاعُ مُفْرَسٌ ﴾^(٩٤١)

وهنا لا يزال المنتقم يبحث عن فريسته ؛ ليقضي عليها ، ويسيطر ، ولا يترك منها شيئاً بل يستأثر بها فيهلكها هلاك السباع لفرائسها مع التعاقب على الفريسة ؛ ليستمر منظر هدر الدماء ، مع أن هذه الصورة قالها في وصف يوم حنين وبعد إسلامه ، لكن حين تأثر بالوحي الرباني و النهج المحمدي ، أخفى تلك الوحشية ، وأبعد عنها صورة الدماء ، وترك للبيئة أثرها في الرسم فشبه بالنخل المنقلع من جذروه ، كناية عن الإبادة ، والفناء ، وذلك في صورته الأخيرة :

﴿ حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْفَعِرٌ ﴾^(٩٤٢)

على أنه في الصورة السابقة قال : (تركنا جمعهم) ، وفي الأخيرة قال : (حتى تولوا وقتلهم) ففي الأول أراد رسم جمع الأعداء وكأهم فريسة ، في حين تल्प في الصورة الثانية ليوضح أثر الإسلام في شعره ، ويقتبس من القرآن الكريم صوره ، فيكسبه ذلك بلاغة وجمالاً ، وسعة تصوير وإيغالاً في الوصف واستهزاءً بالعدو ، وقد حدد المراد وصفه ، وأن القتل استمر حتى قلع جذورهم فلم يبق منهم أحد ، واقتلعهم من مكان المعركة ، وردوهم منهزمين خائبين ذليلين واستعان بالاقْتَباس من القرآن الكريم في إيصال الصورة .

والعباس في مجمل أشعاره يدعو إلى التخلق بالأخلاق الحميدة ؛ لكونه يسعى إلى القيادة ، وعلو الهمة ، ونيل أعلى المراتب ، والسيادة لا تأتي إلا بحسن الأخلاق ، ومن المعاني التي تأثرت بالإسلام وتعاليمه : الأخلاق وما فيها من إصلاح للمجتمع ، ومن الأخلاق التي أُعجب بها

^(٩٤١) .المرجع السابق ، ص ٨٩ .

^(٩٤٢) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٣ .

العباس ، ودعا إلى التحلي بها (خلق الوفاء) ، وبالموازنة بين صورته قبل الإسلام وبهده يظهر تحليه ودعوته إلى تلك الصفة ، ويتضح في بعضها أثر الأثر الإسلام في الدعاء والثناء :
فمن صورته قبل الإسلام عن الوفاء وجزائه :

أَلَا تُؤْفِي كَمَا أُؤْفَى شَيْبِئُ فَحَلَّ لَهُ الْوَلَايَةُ وَ الشُّمُولُ
أَبُوهُ كَانَ خَيْرَكُمْ وَفَاءً وَخَيْرَكُمْ إِذَا حُمِدَ الْجَمِيلُ (٩٤٣)

فقد أتى على وصف معنى الوفاء بأكثر من أسلوب ، وفي غرضين متباعدين تماماً الأول : في هجاء سفيان بن عبد يغوث ، وممتدحا التخلق بالوفاء وكان ذلك قبل إسلامه في قوله :

أَلَا مِنْ مُبْلِغِ سُفْيَانَ عَيِّي وَظَيِّي أَنْ سَيَبْلِغُهُ الرَّسُولُ (٩٤٤)

في مقابل قوله مثنياً على الوفاء بالعهد ، ولم يكتف بالممدح والثناء بل زاد على ذلك بالدعاء تأثراً بالإسلام بعد إسلامه :

﴿ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرَنَا لِصَدِيقِهِ وَزَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أَبِي سَعْدٍ
وَزَوَّدَهُ صِدْقًا وَبِرًّا وَتَائِلًا وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْوِفَادَةِ مِنْ حَمْدٍ (٩٤٥) ﴾

ثم ذكره بعد إسلامه للحكمة والأنبياء كأحد آثار التحلي بمكارم الأخلاق وليظهر فيها علمه بالأنبياء وإيمانه بهم في قوله :

﴿ وَمَلِكٌ لُقْمَانَ الْحَيَاةَ فَرَدَّهَا إِلَى تَاهِضٍ حَرٍّ قَوَائِمُهُ نَهْدٍ (٩٤٦)
وَكَانَ يُجِبُّ الْخُلْدَ لَوْ حَصَلَتْ لَهُ أَقَاحِيصُ (٩٤٧) صَارَتْ لَيْلَةَ الْقَطْرِ وَالرَّعْدِ
وَقَالَ أَبُو سَعْدٍ إِلَهِي فَأَعْطِنِي مُنَايَ عَلَيَّ مَا كَانَ أَذْهَبَ مِنْ وَجْدٍ
فَزَوَّدَهُ بِرًّا وَتَقْوَى كِلَاهُمَا وَمَا كَانَ عَنْ رِفْدِ الْوِفَادَةِ مِنْ صِدِّ (٩٤٨) ﴾

(٩٤٣) . المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٩٤٤) . المرجع السابق .

(٩٤٥) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٠ .

(٩٤٦) . نهد: التَّهْدُ من الخَيْل: الجَسِيمُ المُشْرِفُ . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، ج ٤ / ٢٨ .

(٩٤٧) . الفحص: البحث عن الشيء ، وقد فَحَصَ عنه ، وَتَفَحَّصَ ، وَافْتَحَّصَ ، بمعنى . وربما قالوا فَحَصَ المطرُ الترابَ :

قَلْبَهُ ، وَالْأَفْحَوصُ: جَبْنُ الْقَطَاةِ لِأَنَّهَا تَفْحَصُهُ . / الجوهري ، مصدر سابق ، ج ٣ / ١٠٤٨ .

فهو في البيت الأول وكان في جاهليته ، يتجلى فيه قصد الشاعر من التصوير في قوله : (كَمَا أَوْفَى شَيْبٌ فَحَلَّ لَهُ الْوَلَايَةُ وَ الشُّمُولُ) ، معايرة وهجاء سفيان بن عبد يغوث ، بنقضه للعهد، وعدم وفائه ويذكره بما كان منه ، فشبه صورة الوفاء بصورة وفاء شبيب المعروف عندهم بالوفاء ، وما نتج عن ذلك من سؤدد وحسن خلق وكرم ، فالصورة إذاً من التشبيه (المركب التمثيلي) ووجه الشبه منتزع من أمور عدّة ففيها صفات الوفاء و صفات الممدوح ، التي مكّنته من الولاية على قومه ، والسيادة عليهم بوفائه ، وحسن خلقه .

وقد جاء في ذكر مناسبة هذه الأبيات أنّ العباس غزا بني نصر ، وأكثر فيهم القتل ، وأسر منهم ثلاثين رجلاً ، في حين أخذوا هم فرسه وتدعى (زرّة) ، ثمّ ما كان منه إلا أن جمع الأسرى ، وأطلق سراحهم أملاً في أن يرد عليه سفيان فرسه، وقال في ذلك :

أَزْرَةَ خَيْرٌ أُمَّ ثَلَاثُونَ مِنْكُمْ طَلِيقاً رَدَدْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُسَلِّماً^(٩٤٩)

وظل العباس يهجو بني نصر على فعلتهم هذه ، وبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده ، وردّ عليه العباس بأبيات ، يذكر فيها عدم خوفه من تهديده ووعيده ، وأن الأولى به أن يفي بوعده ويرد عليه خيله^(٩٥٠) ، فذكر هذه الأبيات وقد استهلها بأسلوب اختصّ به شعراء صدر الإسلام وأكثر في ذلك العصر ، وهو قوله (من مبلغ) ، وهذه اللفظة مميزة من مميزات شعر شعراء صدر الإسلام ، كما يذكر د. العاني^(٩٥١) أنّها " تصدّرت أشعار تلك الفترة لفظة (أبلغ) ، ومشتقاتها ، وتكررت في مطالع كثيرٍ من قصائد الشعراء ؛ لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على أشعارهم ؛ ولحرص كل فريق على إيصال خطابه إلى الآخر " ^(٩٥٢) ، فهم في

(٩٤٨) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٦ .

(٩٤٩) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٠ .

(٩٥٠) . انظر القصة في / الأصفهاني ، أبو فرج ، مصدر سابق ، ج ١٤ / ١٩٢ .

(٩٥١) . سامي مكّي العاني باحث معاصر ، عراقي الأصل ، وله عدد من الكتب منها: دراسات في الشعر الإسلامي

دُمية القصر ، وعُصرة أهل العصر ، حقق كتاب : أشعار النساء لمحمد بن عمران المرزباني ، وله كتاب : كعب بن مالك شاعر العقيدة الإسلامية ، منهج تحقيق النصوص ، الإسلام والشعر . / موقع أهل الحديث :

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=27549>

(٩٥٢) . العاني . د. سامي مكّي ، الإسلام والشعر ، ط ؛ (عالم المعرفة : سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطنية للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ١٩٩٦ م) ، ص ٢٠٠ .

نظره بعد أن أحسن إليهم بإطلاق سراح أسراهم قوم " لا يعرفون الوفاء فيحضهم على ذلك ، ويذكرهم بأن أبا سفيان المذكور كان أكثرهم وفاءً وأفضلهم ... " (٩٥٣) ؛ لذلك حلّ له الشمول ، والولاية على قومه فشمل إحسانه الجميع ، ورضي به الجميع سيّداً وقائداً ، وهو يحضُّ سفيان على الاقتداء بوالده ، ويوفي بوعدته ليكون سيّداً كريماً ، ويوقف الحرب بينهما ، ويرد عليه خيله ، ومع ذلك ضجر العباس منه ، ومن هجائه ووعيده له ، فجعله ذلك يزيد في الهجاء والوعيد ؛ لكونه صاحب حق فلم يلام على ذلك :

﴿ أَلَامٌ عَلَى الْهَجَاءِ وَكُلُّ يَوْمٍ تُلَاقِيَنِي مِنَ الْجِيرَانِ غُؤْلٌ ﴾

سَأَجْعَلُهَا لِأَجْمَعِكُمْ شِعَارًا وَقَدْ يَمْضِي اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ (٩٥٤)

والصورة التشبيهية في قوله : (سَأَجْعَلُهَا لِأَجْمَعِكُمْ شِعَارًا) ، فالشاعر حين أراد الحث والتحريض شبه حالة الوفاء الحسن بوفاء شبيب والده ، وكان نتاج ذلك أن صار سيّداً ، وشمل خيره الجميع مع أنها دعت إلى التحلي بخلق الوفاء ؛ لكونه يحقق لصاحبه الرئاسة ورضاء العدو والصديق مع الاحترام والتقدير ، إلا أنها أظهرت بين طياتها الغضب والضيق مما قام به بنو نصر ، حتى ألجأه ذلك إلى تهديدهم بأنه سيجعل هذه القصيدة علامة لهم ولذا اختار فعل (سأجعلها) أداةً للتشبيه ، فهي شاهد على عدم وفائهم بالعهد وردهم الجميل ، تنتقل من جيل إلى جيل (٩٥٥) .

أما الصورة الثانية ، والتي فيها المدح ، والاعتراف بالجميل ، فيظهر فيها أثر الإسلام جلياً (٩٥٦) ، وذلك في أسلوب الدعاء الذي ضمنه للبيت :

﴿ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرَنَا لِصَدِيقِهِ وَزَوَّدَهُ زَادًا كَرَادِ أَبِي سَعْدِ ﴾

وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الْوِفَادَةِ مِنْ حَمْدٍ (٩٥٧)

(٩٥٣) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلَمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٩٥٤) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٢٦ .

(٩٥٥) . انظر ، بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلَمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٩٥٦) . شرح هذا البيت في / ص ٥٧ ، ٥٨ من هذا البحث .

(٩٥٧) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٠ .

سبق شرح البيت في / ص ١٣٠ - ١٣٣ ، من هذا البحث .

انظر لجمال الدعاء وتصوير الجزاء في التشبيه بقوله (وَزَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أَبِي سَعْدٍ) ، فهو جزاء لا يقدر بثمن ، فقد أقر له بحسن الجميل والوفاء والصدق والبر ؛ لكونه قام بوفادة حسنة وأصلح فيها ما أراده الشاعر ، فهو دائما يدعو إلى المؤاخاة ، و التلاحم ، والأخوة وحسن الأخلاق فوجدها فيه ، وهي نادرة في ذلك العصر ، وتجلي الأثر الإسلامي في تغلغل الإسلام في فكره وسلوكه ، فمثلاً الجزاء الحسن من الله و الخير، والبر، والحمد ما كانت لتدخل معجمه اللغوي لولا إسلامه ، وانظر لفتنته لاختياره لفظة الحمد في نهاية الجزاء الحسن ذلك أن الحمد؛ ليشمله الخير ، وتلزمه صفة الوفاء ، والصدق .

ويتضح هنا الاختلاف بين الصورتين من حيث الغرض ، ومن حيث الأسلوب ، والاتفاق في المعنى : وهو الدعوة إلى التحلي بخلق الوفاء ، ففي الأولى عتاب وتوبيخ و إنكار ، وفي الثانية مدح وثناء ودعاء ، فتوسعت الصورة الثانية مع أنها للمعنى نفسه، لكن ظهر فيها تأثر الشاعر فيها بالشريعة الإسلامية، وتعاليمها ومحاوله اقتدائه بها ، وقد وضحت الأبيات السابقة تمسك العباس بالأخلاق العالية ، والثناء على من يتحلى بها .

وهو في الشاهد الأول الذي تحدّث فيه عن الوفاء بالعهد بُغية إرجاع فرسه له ، تبين منه شدة حبه لفرسه حتى أنه افتدها بثلاثين رجلاً كانوا أسرى لديه ، لكنه فضّل إطلاقهم على أن تبقى فرسه عند غيره ، فهو يعلم خيله تماماً يفخر بها دائماً ، فلا يزال الوفاء وحسن الخلق محور حديثه، غير أنه زاد عليها بإدخال ذكر الفرس والخيل والأنبياء - عليهم السلام - والتقوى وله كأثر من آثار إسلامه ، ومن ذلك :

﴿ وَمِثْلِكَ لُقْمَانُ الْحَيَاةَ فَرَدَّهَا إِلَى تَاهِضٍ حُرٍّ قَوَائِمُهُ نَهْدٍ ﴾^(٩٥٨)
 وَكَانَ يُحِبُّ الْخُلْدَ وَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ أَفَاحِيصُ^(٩٥٩) صَارَتْ لَيْلَةَ الْقَطْرِ وَالرَّعْدِ
 وَقَالَ أَبُو سَعْدٍ إِلَهِي فَأَعْطِنِي مُنَايَ عَلَى مَا كَانَ أَذْهَبَ مِنْ وَجْدِ
 فَزَوَّدَهُ بَرًّا وَتَقْوَى كِلَاهُمَا وَمَا كَانَ عَنْ رَفْدِ الْوِفَادَةِ مِنْ صَدِّ^(٩٦٠)

(٩٥٨) . نهد: النَّهْدُ من الخَيْلِ: الجَسِيمُ المُشْرِفُ . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، ج ٤ / ٢٨ .

(٩٥٩) . الفحص: البحث عن الشيء ، وقد فَحَصَ عنه ، وَتَفَحَّصَ ، وَافْتَحَّصَ ، بمعنى . وربما قالوا فَحَصَ المطرُ الترابَ:

قَلْبَهُ ، وَالْأَفْحُوصُ: مَجْمُوعُ الْقَطَاةِ لِأَنَّهَا تَفْحَصُهُ . / الجوهري ، مصدر سابق ، ج ٣ / ١٠٤٨ .

(٩٦٠) . السُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٦ .

حديثه ما يزال متصل عن الوفاء وعمّا سبق وأشار إليه من حمد تلك الصفة ، لكنه هنا عرج على الخيل ووصفها ، وذلك في قوله في الصورة التشبيهية (فَرَدَّهَا إِلَى تَاهِضٍ حُرِّ قَوَائِمُهُ نَهْدٍ) ، وامتدح حُسنها ورشاققتها فهي قريبة إلى نفسه محبة إليه يوُدُّ ذكرها في كل أمر ، فبذلك يجمع عدّة أمور منها امتداح الخيل الأصلية ، ويشبها بالنسر دون ذكر لأحدهما ، فهو لم يذكر الخيل أو الفرس صراحة بل ألمح إليها من حسن القوام ورشاقته والسرعة ، وذلك في قوله: (ناهض حُرِّ قوائمه نهد) ، وألمح إلى صفات خاصة بالنسر وهي قوله (قوائمه نهد) فهو في شكله كالنسر لرشاقة قوائمه مع جسامته ، وقد حذف أداة التشبيه ووجهه ؛ فيكون بذلك التشبيه من (المركب الضمني) ، وقصد بهذه الصورة ترتيب الوصف ، فهو عرج على الخيل لتعلق نفسه بها ، وشبها بالنسر ؛ ليعطي صورةً عن أمل لقمان في أن يحصل على عمر النسر^(٩٦١) ، فلذلك لجأ إلى الفحص والتنقيب عن أمور تطيل في عمره وهو ما جرت به الصورة التشبيهية التالية في قوله: (وَلَوْ حَصُلْتَ لَهُ أَقَاحِيصُ صَارَتْ لَيْلَةَ الْقَطْرِ وَالرَّعْدِ) فانظر إلى جمال الفحص والتنقيب عن تلك الأمور ليجدها في الإحسان ، والوفاء والتقوى ، ونيل الأجر ، والدعاء ، وأنه لكثرة بحثه وتنقيه قلب الأرض رأسا على عقب ، واستمرّ بحثه حتى ظهر الماء ، واختلط التراب بالماء ، بل واختلط الأمر كله ، وظهرت حركة قوية هزت الأرض ، وحركتها حتى ظنّ الشاعر أن تلك الليلة صارت كليلة ماطرة شديدة الرعد والمطر ، لكثرة بحثه وفحصه ، والذي يظهر من هذه الصورة أنّه حين لجأ إلى ترتيب التشبيهات ، وترابط بعضها ببعض ، مع أنه خرج قليلاً عن المعنى المراد عن طريق تشبيه الخيل بالنسر ، ورشّح ذلك التشبيه بالكناية ، وبالإشارة إلى النسر والخيل ؛ ليلفت انتباه القارئ إلى علمه بالأنبياء وبما كان من قصصهم ، من ملك وطول عمر ، ولكنّه علق ذلك بالتمسك بالدين والأخلاق الحميدة ، وتبين ذلك من خلال الكلمات التي حوتها الصورة (كالتقوى ، والبرّ) ، ولنباهته اختار لقمان -عليه السلام- لكونه عرُفت عنه الحكمة حتى لُقّب بها ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^(٩٦٢) ، والحكمة هي أفضل نعمة امتن بها الله على عباده بعد الهداية ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

(٩٦١) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٦ ، الهامش .

(٩٦٢) . سورة لقمان : آية (١٢) .

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكَرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ (٩٦٣) ، إذاً هي نعمة ومنّة ، وهي في رأي الشاعر إحدى نتائج الوفاء ، مع البر والتقوى ، وعلى هذا يكون في الصورة تشبيهان مرتبطان ، يترتب الأول منهما على الثاني، فالصورة الأولى تشبيه مضمّر ، وذلك من خلال تشبيه الخيل بالنسر ، (ناهض حر قوائمه نهد) ، والثانية الحركة المترتبة على هذا النسر ، وهي تشبيهه لكثرة الفحص والتنقيب بأنها (صارت ليلة القطر والرعد) ، فلو حصلت له هذه الأفاحيص والتنقيبات لصارت كليلة القطر والرعد يختلط فيها الأمر ويمتزج ، ليعود بعدها إلى حديثه الذي خرج عنه وهو الوفاء ، وكأنّ هذا الاستطراد مقصود لأسباب: منها تعريف الناس بالأنبياء ، وما عُرف عنهم من حسن خلق وتقوى ، ومنها بيان جزاء من يتصف بخلق الوفاء ، ومنها أيضاً ذكر الحكمة وما يترتب عليها من مكارم الأخلاق تُهدي بدورها إلى الصلاح والهداية ، ومن هذا يتّضح تماماً أثر القرآن ، والإسلام في نفسه وفكره .

والشاعر في حقيقة نفسه ، ومع تأثره بالإسلام ، إلا أنه يغلب على شعره حبُّ الظهور، وتبيان الشجاعة والفروسيّة ، وحب الانتقام من الأعداء ، وذلك من خلال صورتين ذكر فيهما معنى (الانتقام) ، ووسّع المعنى في كليهما ، إلا أنه في الأولى يُشير إلى طريقة ذلك الانتقام ، مُبيناً الأدوات التي كان بها القتال ، وكان ذلك قبل إسلامه وذلك في قوله :

﴿ كِلَانًا عَدُوًّا لَوْ يَرَى فِي عَدُوِّهِ مَسَاعًا وَكُلًّا فِي الْعِدَا غَيْرِ مُجْمِلٍ إِذَا مَا التَّقِيْنَا كَانَ أَنْسُ حَدِيثِنَا صُمَاتًا ﴾^(٩٦٤) بِطَرْفِ كَالْمَعَابِلِ^(٩٦٥) أَطْحَلِ (٩٦٦)

فَحُدَّهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِحُطَّةٍ^(٩٦٧) وَفِيهَا مَقَالٌ لَا مَرِيٍّ مُتَدَلِّلٍ (٩٦٨)

(٩٦٣) . سورة البقرة : آية (٢٦٩) .

(٩٦٤) . صمت : سكت ، وأصمت مثله ، والتضميت : التسكيث . وَرَمَيْتُهُ بِصُمَاتِهِ وسكاته، أي بما صمت به وسكت .

الجوهري ، مصدر سابق ، (صمت) ، ج ١ / ٢٥٦ .

(٩٦٥) . المِعْبَلَةُ : سهم عريض التّصلّ والجميع المعابِلُ . / الأزدي ، كراع النمل ، المنتخب من غريب كلام العرب ، مصدر

سابق ، ص ٤٩٨ .

(٩٦٦) . الطُّحْلَة : لَوْنٌ بَيْنَ الْعُبْرَةِ وَالْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ قَلِيلٍ كَسَوَادِ الرَّمَادِ ، ذئب أطحل ورماد أطحل . / الأزهرى ، أبو

منصور ، مصدر سابق ، (طحل) ، ج ٤ / ٢٢٣ .

وفي الصورة الثانية اكتفى فيها بتضمين الأمثلة العربية التي تذكر بأحداث تاريخية عالقة في الأذهان ، وذلك في قوله :

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كُتَيْبٌ بِظُلْمِهِ مِنْ الْعَزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يَنْزِلُ الْكَلْبُ مَائِحًا^(٩٦٩) وَإِذْ يَمْنَعُ الْأَكْلَاءَ مِنْهَا حُلُولُهَا^(٩٧٠)

ففي الصورة الأولى يكني عن الوحشية ، والشراسة ، والعنف ، وحب الانتقام الذي طغى على النفوس ، بذكر الأدوات ، والتي يُمثلها قوله :

كِلَانًا عَدُوًّا لَوْ يَرَى فِي عَدُوهِ مَسَاعًا وَكُلًّا فِي الْعِدَا غَيْرُ مُجْمِلٍ
إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَنْسُ حَدِيثِنَا صُمَاتًا بِطَرْفِ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلِ
فَحُذَّهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِحُطَّةٍ وَفِيهَا مَقَالٌ لَا مَرِيٍّ مُتَدَلِّلٍ^(٩٧١)

تأمل الصورة التشبيهية في الشطر الثاني من البيت الثاني حيث يظهر المشبه في قوله : (إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَنْسُ حَدِيثِنَا صُمَاتًا) والمشبه به في قوله : (بَطَرْفِ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلِ) ، و الصورة تنعقد من خلال تشبيه القتل ، أو الانتقام ، أو التصميم ، أو رميه بما يُسكته ويصمته، بضرب المعابل ، أو أطراف السهم القاتلة ، فهي لا تخطيء هدفها ، وهو يستحق ذلك ، والتشبيه من (التشبيه المرسل المجمل) ، فقد ذكر الأداة وهي الكاف ثم بين وجه الشبه ، ووصف المشبه به بأنه (أطحل)المظلم الأسود فقد بدأ بالقتل الظالم ويستحق قتلاً مثله مُظلم ، أما وجه الشبه فيظهر أنه القوة في الضرب ، أو الشراسة في الانتقام ، ومهد الشاعر لصورته بذكر لفظة العداوة صريحةً، ودون تأويل ؛ ليعبر عن مدى ما بينهما من كراهية

(٩٦٧) . خَطَّ الشَّيْءُ بِيَدِهِ يَخْطُهُ خَطًا إِذَا خَطَهُ بِقَلَمٍ أَوْ غَيْرِهِ . / الأزدي ، ابن دريد ، مصدر سابق ، (خطط) ، ج ١ /

١٠٥ .

(٩٦٨) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣١ .

(٩٦٩) . المَيْحُ فِي الاستِقَاءِ أَنْ يَنْزِلَ الرَّجُلُ فِي قَرَارِ الْبَثْرِ إِذَا قَلَّ مَأْوَاهُ فِيمَا لَدُو ، يَمِيحُ فِيهَا بِيَدِهِ وَيَمِيحُ أَصْحَابَهُ ،

والجميع مَاحَةً . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (ميح) ج ٥ / ١٨٠ .

(٩٧٠) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣٨ .

والبيت في / الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢١٢ .

(٩٧١) . السُّلَمِيُّ ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣١ .

وحبّ انتقام ، فكل منهما يتربّب الآخر علّه يجد الفرصة السانحة ، فيقتصّ منه ، وبه استعارة في قوله (مساعاً) فقد جعل طريقة التّربّب ، والقتل كالمساع والاستماع ، كما يستمتع المرء بالطعام ويستسيغه ، يتربّب كل منهما ، والعداء بينهما صريح لا يحتمل الجدل أو النفي ، وأحد أسباب العداء ، وأقوها هي الرغبة في الثأر من مقتل أخيه هريح بن مرداس^(٩٧٢) ، ويأتي على صورة غريبة فيها نوع من السُّخرية والتهكم ، أنّه حال لقائهما يكون أنس الحديث مُسكتاً وقاتلاً للطرف الآخر ، وهو قتال شرّس ، وضرب كضرب المعابل القوية القاتلة ؛ لذا صدر البيت باللقاء حتى تتم له الصورة التي أراد ، بأن سخر من عدوه ، وكونه لا يخشى لقاءه ولا يخشى القتل ، بل إن القتل عنده كالحديث الممتع المؤمنس ، ثم عاد وصرّح بالعداء والأمل في النيل منه والأخذ بالثأر ، وأن لقاءهما مُصممة قاتل كضرب المعبل الثقيل ، فمن أصابه ضرب المعبل هلك، وقتل، وصمت ، وعلا الضرب ، والقتل ، والعراك ، وكُثر إثارة الغبار حتى تلون المكان باللون الرمادي القاتم الأطحل ، فهو قتل مهلك مظلم كضرب طرف المعبل القوي المائل إلى السواد ، وأعطى هنا الألوان ؛ لبين حدّة المعبل وقوته وجدّة الشاعر فيما يسعى إليه ، ولم يذكر وجه الشبه هنا ؛ لدلالة الصمات الذي جاء في الشطر الأول من البيت ، وأن القصد هو (الثأر لمقتل أخيه باستخدام المعابل القوية القاتلة) ، وجمعها هنا ؛ ليظهر كثرة من معه ومن يريد الثأر لمقتل أخيه ، ونلاحظ حدّة النبوة وقوتها ؛ لتوضح مدى الحزن المسيطر على الشاعر ، وكذا شدّة الغضب ، والرغبة في الانتقام ، وهذا ما أبان عنه الشاعر في البيت التالي ، بأن هذا ما اخطته لنفسه ، وأنّه يستحق هذا النوع من الضرب حتى يهلك ، وحتى يكون عبرة لمن يعتبر ، فهي إذا من صنّع يده وليست بعزيرة ، بل أدت إلى ذله وقتله ، فقله : " فخذها : أي خذ هذه الخطة إن رضيت بها فإنها ليست بعزيرة ، فإن قيل لك : إنك ذليل ، فلا تنكر ، فإنك لم تدفع ذلك أقررت به " (٩٧٣) .

هذا في مقابل قوله في صورة أخرى اكتفى بالتذكير بعاقبة الظلم ، فخفت النبوة ، وهذب الخطاب ، واكتفى بالتذكير بجزاء كليب الذي قُتل، وكان سببا في حرب بكر وتغلب ابني

(٩٧٢) . المرجع السابق .

(٩٧٣) . السُّلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣١ .

وائل^(٩٧٤) ، وما ناله من مذلة هوان ، وانتشار خبره بين القبائل ؛ ليكون ذلك عبرة له بدلاً من التصريح وذكر الأدوات والعنف ، والرغبة في الانتقام عن ذكر الأدوات والطريقة في ذلك :

﴿ كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كَلْبٌ بِظُلْمِهِ مِنْ الْعِزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا ﴾

عَلَى وَائِلٍ إِذْ يَنْزِلُ الْكَلْبُ مَائِحًا وَإِذْ يَمْنَعُ الْأَكْلَاءَ مِنْهَا حُلُولَهَا^(٩٧٥)

فالصورة هنا انتقلت من الوصف الحسي المباشر ، كما كان في الصورة السابقة إلى التذكير والنصح ، وذلك في قوله: (كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كَلْبٌ بِظُلْمِهِ) ، فإياك وعاقبة الظلم التي قادت إلى حرب ضروس بين تغلب وبني وائل ، وحفرت في ذاكرة كل عربي حتى صارت عِزَّة كليب يضرب بها المثل: " قول الناس: أعز من كليب بن وائل " ^(٩٧٦) ، " وقد أثار مقتل (كليب وائل) ، هذا حرباً استمرت أربعين سنة على ما يذكره أهل الأخبار عرفت بـ(حرب البسوس). " ^(٩٧٧) ، وفي الصورة تشبيه ؛ لبغية كليب للرئاسة والسيادة وتخصيص الماء له ولخاصته ، ومنعه غيرهم ، ظلماً وعدواناً ، بالمشبه به وهو القتل ، في قوله: (حتى طاح وهو قتيلاً) ، والمراد " أن "كليب وائل" كان متغطراً، حتى كانت غطرسته هذه سبب قتله. وإلى ظلمه وتعسفه " ^(٩٧٨) ، والهاء هنا عائد على الظلم وحب السيادة ، فهي إذاً تشبيه حالة بحالة حالة الظلم بنتاجها وهو القتل، فالظلم يقتل في المتكبر الشعور بالآخرين ومراعاة خواطهم ، وهو يؤدي إلى الضغينة ، والكراهية ، والتي هي بدورها من دواعي القتل وانتشاره ، والتي يظهر من خلالها وجه الشبه والذي يمكن تأويله بالمرارة ، والثأر ، القسوة وغيرها ، زوال النعمة ، الاحتقار ، و عليه فالصورة من التشبيه (المركب التمثيلي).

^(٩٧٤) . انظر ، البغدادي ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، الأمثال ، تحقيق : د.عبد المجيد قطامش ،

ط ١؛ (د . م ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ، ص ٣٦٢ .

^(٩٧٥) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣٨ .

والبيت في / الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، ج ١ / ٢١٢ .

^(٩٧٦) . انظر القصة في / الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم ، أمثال العرب ، تحقيق: إحسان عباس ؛ ط ١)

لبنان : بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

^(٩٧٧) . علي ، د . جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ / ٨٦ .

^(٩٧٨) . المرجع سابق ، ج ٨ / ، ج ٩ / ٢٦٧ .

فهو يُعيد له شريط الذكريات ، وليست أيّ ذكريات ، بل هي حرب ، فقد فيها العرب الكثير وأهلكتهم ودامت أربعة عقود ، بسبب ظلم وتعدي ، فإذا إياك أن تظلم ، أو أن تتعدى حدودك ، حتى لا تلقى ما لقيه كليب بظلمه ، وفي هذا تهديد ، مع تذكير بقدرته على انتقام كانتقام جساس من ظلم كليب وإصابة ناقتهم ، وهنا انتقال من انتقام عن طريق ذكر الأدوات؛ لتكون رادعة ، إلى تذكير بحال الظلم ، وما أدى بصاحبه من هلاك ، وهلاك الآلاف معه ، وظلّ ذكرها على مرّ العصور ، مع أنه أخفى جانب الدّموية والوحشية، إلا أن القارئ حين قرأ (كليب بظلمه) ، عادت به الذكريات إلى شراسة الحرب ، وفضاعتها مع استمرارها لسنوات طوال ، كادت أن تُهلك العرب بأكملهم ، وهنا وسّع المعنى ، وزاد فيه بذكره لكليب وما لقيه جزاء ظلمه ، والملاحظ أنه في هذه الصورة تخلى عن الصور الوحشية، وأدوات القتل ، والتصريح بالعداوة ، واستساغة القتل ، كما في الصورة الأولى بل ركّز على صورة حربٍ كادت تُهلك العرب ، وهي نتاج للظلم ، وحب السيادة ، والسيطرة ، وذكّر بشخصيات عُرف عنها ذلك ، وتسببت في حروب وأيام ، استمر ذكرها حتى العصر الحديث، ولعل هذا أحد آثار الإسلام في نهيهِ عن الظلم ، والتعدي على الآخرين ، فلكثرة مضار الظلم وخطره على الفرد والمجتمع ، وتنوّع مفساده ، وكثير شرّه؛ حرّمه الله بين عباده كما حرّمه على نفسه، فقال تعالى في الحديث القدسي : " يا عبادي! إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتهُ بينكم محرّمًا، فلا تظالموا" (٩٧٩) .

ومما سبق ظهر تماماً أثر الإسلام في فكر الشاعر ووجدانه ،والذي انعكس بدوره على ألفاظه وعباراته ، فقد هدّب الإسلام الكثير من العبارات ، واختفت عنده الوحشية ، والشراسة في القتل، والتمثيل بالعدو والمصارحة بالعداء، والتي كانت في شعره قبل إسلامه ، كما ظهر في شعره بعد إسلامه ، مصطلح الالتزام " حيث اتخذ من الشعر أداة لإصلاح المجتمع ، وخدمة العقيدة التي آمنوا بها ، كما تميز الشعر بالواقعية ، حيث كان الشعراء يعيشون حياة الناس ، وينقلون مشاعرهم وأحاسيسهم ، ويعبّرون بصدق عما يعتل صدورهم ، ويجري بينهم ، في وقت

(٩٧٩) . النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، مصدر سابق ، ج ٤ / ١٩٩٤ .

السلم و عند الحرب " (٩٨٠) ، فالشاعر في هذه المرحلة الانتقالية بالنسبة للعرب مخيرٌ بين أمرين كما يرى د. القط (٩٨١) وفي كلتا الحالتين " تأثر تأثراً واضحاً بالمعاني الدينية الجديدة ، والأسلوب القرآني ، مما يؤكد أن مواجهة الشاعر للمجتمع الجديد كانت مواجهةً سريعة ، فرضت عليه إمّا التكيف السريع ، وإما الصمت ... " (٩٨٢) ، وعلى هذا اختار العباس التكيف مع هذه البيئة الإسلامية مُستمتعاً بذلك ، مقتنعاً به ، مدافعاً عن القيم، والعادات، والعقيدة والدين ، فقد وجد في تعاليم الإسلام الكثير مما كان يدعو إليه قبل إسلامه ، فالدين الحنيف جاء على الفطرة السليمة ، والشاعر في شعره الإسلامي تحلى بذلك ، واقتبس من القرآن وتعاليم الإسلام ما يؤيد قوله ، ويبرهن على صحة رأيه ، وهذا هو الهدف من عقد الموازنة بين معانيه ومدى تأثرها بالإسلام ، والتي بدورها تكشف عن الأثر النفسي ، والفكري في نفس الشاعر ، وتبين ذلك خلال أسلوبه .

(٩٨٠) . العاني . د. سامي مكي ، الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

(٩٨١) . د. عبد القادر حسن القط ، ولد بمحافظة الدقهلية بمصر عام ١٣٣٥ هـ ، تخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٥٠ م ، ، نال جائزة الملك فيصل العالمية ، وجائزة الدولة التقديرية في الأدب ، له ديوان مطبوع بعنوان : ذكريات الشباب ، ومن مؤلفاته : مفهوم الشعر عند العرب ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، الكلمة والصورة . / الجبوري ، كامل سلمان ، مرجع سابق ، ج ٤ / ١٠ .

(٩٨٢) . القط ، د. عبد القادر ، في الشعر الإسلامي والأموي ، د. ط ؛ (دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت ،

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .) ، ص ١٤ .

المبحث الثاني : الأبعاد الموضوعية .

إنّ شعر العباس في أغلبه شعر حرب وحماسة ، كما ظهر سابقاً ، والموازنة لا تتوقف عند الألفاظ والمعاني وحدها بل إنّ " في كل بيت معنى جميل ، وفي كلّ بيت خيال رائع ، ولكن الصورة الشعرية لا تتم إلاّ بضم هذه المعاني بعضها إلى بعض ومنها يتكون الغرض ... " (٩٨٣) ، أو البعد الموضوعي ، أو الأغراض الشعرية ، فكما عُقد المبحث السابق على المعاني والألفاظ فإنّ هذا المبحث يدرس التغييرات أو ما استحدثت على شعر الشاعر بعد إسلامه من موضوعات شعرية ، وما طرأ على الموضوع أو البعد الشعري من تغيير بعد إسلامه على مستوى الغرض ذاته والتجديد فيه ، أو تركه ، وعلى مستوى الألفاظ ومعاني في الغرض الذي استمر بعد إسلامه ، وقد برع العباس في فنون الشعر كلها ، لكنّ الغلبة كانت للفخر ، والاعتزاز بالنفس وببني سليم ، ومما امتاز به شعر العباس أن غزله كان عفيفاً بعيداً عن الفحش والأوصاف المخلة ، وحين حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية خلا شعره من الخمرات ، التي كثرت عند غيره من الجاهليين بل وحتى الإسلاميين فيما بعد ، وظهرت عنده بعض أغراض متعددة كالمدح ، والهجاء ، والوصف ، فشعره قبل إسلامه غلب عليه طابع الحكمة ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، ومعالي الأمور ، كما اتضح مما سبق ، وظل ذلك مُستمرّاً بعد إسلامه مع التأثير بالقرآن وتعاليمه كما سيتضح ، وهو كغيره من الشعراء المخضرمين تأثر بالإسلام بعد إسلامه ، فظهر عنده المدح النبوي ، وشعر الجهاد ، والذي تحوّل فيه الفخر الذاتي إلى فخر جماعي ، فقد كثر عنده الفخر الذاتي قبل إسلامه من ذلك قوله :

﴿ إِذَا حَمَلْتُ سِلَاحِي فَوْقَ مُشْرِفَةٍ مِنْ الْعِيَادِ تَرَدَّى ^(٩٨٤) الْعَيْرُ مَجْلُودًا ^(٩٨٥) (٩٨٦) ﴾

وتتمثل الصورة التشبيهية في قوله : (تَرَدَّى الْعَيْرُ مَجْلُودًا) ، حيث شبه حال رعب وخوف العير حين تراه معتلياً فرسه ، حاملاً سلاحه بحال العير حين تقط أرضاً من شدة الضرب

(٩٨٣) . مبارك ، زكي ، الموازنة بين الشعراء ، د.ط ؛ (القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د.ت) ، ص ١١٠ .

(٩٨٤) . تَرَدَّى أَي سَقَطَ كَأَنَّهُ تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى الْهَلَاكِ / ابن منظور ، مرجع سابق ، (ردى) ، ج ١٤ / ٣١٦ .

(٩٨٥) . جلده بالسياط . وجلد الكتاب : ألبسه الجلد . وجلد البعير : كشطه عنه . / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٤٣ .

(٩٨٦) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٥٦ .

والبيت في / الزمخشري ، أساس البلاغة ، مرجع سابق ، ج ١ / ١٤٣ .

والجلد، وفي هذا مزيد فخر بأنه يمتلك الفرس النادرة في نوعها ، ورشاقتها فهو إذا اعتلا فرسه المشرفة على جميع الجياد لطولها ورشاقتها ، فإن العير تخشاه ، وتكون كأنها مجلودة ، تفر من أمامه ، كأنما ضربها صاحبها وجلدها جلدًا مبرحاً ، فأسرعت خشية مما تراه أمامها ، فالجياد تفرّ منه خوفاً فإذا كان هذا حال الجياد والعير التي لا تعقل فما حال راكبها ، أو من يعتليها؟!، وهذه الصورة إضافة إلى الرسم لصورة الجلد وقوة تعذيبه ، وسرعة الجري والهروب منه ، وقوة الجياد وأصالتها ورشاقة الخيل ، هي مبالغة للفخر بذاته وشجاعته ، حتى إن العير تفرّ من أمامه خشيةً منه ، أو من أن يلحقها أذى منه أو من سلاحه ، فهي ما هي إلا وصف لحالة العدو عند لقاء العباس حاملاً سلاحه ، والصورة من التشبيه (البليغ) ؛ فقد حذف الأداة ووجه الشبّه ، ليوسع الصورة أمام القارئ ، وكأنها حقيقة ، وليست من الخيال ، وحتى يثبت لنفسه الفخر ، فهو وبلا منازع الفارس الذي يخشاه الجميع ، ويحذر لقاءه ، بدليل هروب العير من أمامه ، فهو يرسم صورة حمله للسلاح وأنه سلاح خاصٌّ به ومنسوب له ، وعنده عتاق الخيل ، وأحسنها وأنفسها ، لذا حين يراه العير ، يتردى ويصبيه الفزع فيهلك قبل وصوله إليه ، فهو كالمجلود ، كمن كُشط جلده لشدة خوفه ، أو هو هارب من الجلد والضرب المتوقع من فارس كالعباس .

وله في الفخر بنفسه والاعتداد بشجاعته أن يستعين بأي مشبّه يُظهر شجاعته وإقدامه ومكانته ، فهو كالليث المتمكن من عرينه ، له السيادة على الجميع ، ويُشرك معه قومه في تلك الشجاعة ؛ ليزلّ محتفظاً بمكانته بينهم ، وأنّه الليث بينهم والسيد عليهم ، لا يستطيع أي امرئ التعدي على مُمتلكاته مهما بلغ من قوة وإقدام ، ويحذف أداة التشبيه ، ليصير المشبه ذات المشبه به :

﴿ إِن تَلَقَّنِي تَلَقَّ لَيْثًا فِي عَرِينَتِهِ مِنْ أَسَدٍ خَفَّانٍ فِي أَرْسَاغِهِ فَدَعُ
لَا يَبْرُحُ الدَّهْرُ صَيْدًا قَدْ تَقَنَّصَهُ مِنْ الرِّجَالِ عَلَى أَشْدَاقِهِ الْقَمْعُ ﴾ (٩٨٧)

وتأمل قوة العبارات وجمالها في الصورة التشبيهية (إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّ لَيْثًا فِي عَرِينَتِهِ) ، فهو ليث وليس كالليث ، حذف الأداة ليضرب المثل في التفاني والدِّفاع عن الحمى والذود عن

(٩٨٧) . السلمي، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وسبق شرح البيت في ص / ٦٢ - ٦٤ من هذا البحث .

الرّعيّة ، لتبقى له الساحة فيصول فيها ويجول ، ويُشهد أعداءه على فروسيته ، ويستعين بشبه
المثل في وصف الحال ، والتشبيه :

﴿ فَإِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّ امْرَأً قَدْ بَلَوْتَهُ حَدِيثاً وَإِنْ تَفَجَّرَ عَلَيَّ تُفَنِّدِ ﴾

وَمَا زِلْتُ أَحْمِي صُحْبَتِي وَأَدُودُكُمْ بُرْمُحِي حَتَّى رُحْتُ فَطَرّاً بِمَطْرَدِي^(٩٨٨)

فالتشبيه في قوله : (وَأَدُودُكُمْ بُرْمُحِي حَتَّى رُحْتُ فَطَرّاً بِمَطْرَدِي) ، ليصف ويكفي عن شجاعته في
حماية قومه ، وأنّ الفضل يعود له من بين كل الفرسان .^(٩٨٩)

و في صورةٍ أخرى يقوده الحزن على فقد أخيه إلى ذكر مناقب قومه ، بغرض الاعتزاز بالنفس
وإظهار مكانته بين قومه وأحقّيته في السيادة ، وتزيد تلك الثقة وقد تصل لدرجة الغرور
بنفسه، حين يجعل نفسه قائداً لجيش يسد الأفق ، ويهز الأرض حال سيره ، يحذّر عدوه منه ،
يتساوى أمامه الصعب والسهل ، متوعداً بالانتقام الشرس ؛ حتى يُشفي غليله من مقتل أخيه
عمار بن مرداس^(٩٩٠) وكان ذلك قبل إسلامه :

﴿ لَنْ لَمْ أَزِرْ حَوْلَانَ فِي عَقْرِ دَارِهَا بِأَرْعَنْ^(٩٩١) رَجَافٍ^(٩٩٢) تُزْجِي^(٩٩٣) قَنَابِلُهُ ﴾

(٩٩٤)

وَأَشْفِي غَلِيلِي مِنْ سُرَاةٍ فُضَاعَةٍ وَكُلُّ صَقِيلٍ يَمْلَأُ الْكَفَّ حَامِلُهُ^(٩٩٥)

(٩٨٨) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٩٨٩) . سبق شرح البيت في ص / ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٩٩٠) . المرجع سابق ، ص ١٣٦ .

(٩٩١) . جيشٌ أرعنٌ، إذا كان كثيراً، شبهُ برعنِ الجبل، وهو أنفه . / العسكري ، أبو هلال ، التلخيص في معرفة أسماء

الأشياء ، مصدر سابق ، ص ٣٣١ .

(٩٩٢) . رجف: الرجف: الاضطراب . / الرازي ، ابن فارس ، مجل اللغة ، مصدر سابق ، ص ٤٢٢ .

(٩٩٣) . التزجّية: دفع الشيء كما تزجّ البقرة ولدها، أي: تسوّفه . / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (زجو) ، ج ٦ /

١٦٥ .

(٩٩٤) . القنبلة: الطائفة، قنبلة من الخيل، وقنبلة من الناس . / الأزهرى ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (قنبل) ، ج ٩ /

٣١١ .

هذه الأبيات اجتمع فيها الحزن، والعزم على الانتقام من المقتل ، فانظر إلى الخنق والغضب الذي صورته الصورة التشبيهية في قوله : (بَارِعَنَ رَجَافٍ تُرْجِي قَنَابِلُهُ) فقد بلغه مقتل أخيه عمار ، وله مكانة في نفسه ، " وقد قتل في حقل صعدة في بلاد اليمن ، وحينما علم بذلك أخوه العباس راح يرثيه مُستعظماً فقداه ، مُهدداً ومتوعداً لمن كان السبب في قتله ،....." (٩٩٦) ، واتخذ من الألفاظ القوية سبيلاً إلى التهديد والوعيد ، للتعبير عن قسوة الصدمة على نفسه ، ورغبته الشديدة في الانتقام من عدوه ، فتظهر ألفاظه قوية بما نوع من الفخر مع الوعيد كقوله (أرعن) ، و (رَجَاف) ، والتشديد للجيم في رَجَاف: ليين كثرته وقوته ، وأن الأرض تهتر وتضطرب لقوته وكثرته ، وأنه جيش عرمرم ، ينقاد لأمرته ، يفتخر ويثق بقائده ويحقق النصر دائماً ، وعكس التشبيه فقد قال : (أرعن رجاف تزجي قنابله) ، أي كأن كثرة خيله تدفع الفرسان إلى خوض العراك فهي من تقود لاعتيادها القتال ولكثرتها أصبحت كالقنبلة تفيض من الجيش لتحيط بالعدو فتهلكه ، فمن المفترض أن يكون التشبيه (كأن قنابله تزجي العدو) أي ترمي به أو تملكه ، لكنه اعتمد على التشبيه (المقلوب) ؛ ليوصل تهديده ، ولينقل حالته النفسية من حزن إلى انتقام وأخذ بالثأر ، وفرح بتحقيق النصر على العدو .

ومن عادة الشعراء في فخرهم أن يصفوا الجيش بأنه جرار ؛ لبيّنوا كثرته وعدّته كقول حسّان :

أَقْمَنَّا عَلَى الرَّسِّ (٩٩٧) النَّزِيعِ (٩٩٨) لَيَالِيًا بِأُرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ (٩٩٩)

لكن العباس في حالة نفسية مليئة بالحزن ، والرغبة في الانتقام ، فلجأ إلى الألفاظ الوعرة والغريبة ؛ ليشفي بها غليله كما ذكر ، وهو لشدة غضبه من مقتل أخيه ، لام أخاه الميت ، وأنه ما كان له أن يذهب إلى أرض الشؤم تلك ، ويترك دياره المزهرة (١٠٠٠) :

(٩٩٥) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣٦ .

(٩٩٦) . عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

(٩٩٧) . الرَّسُّ: البئر المطوية بالحجارة. / الجوهرى ، مصدر سابق ، (رسس) ، ج ٣ / ٩٣٤ .

(٩٩٨) . النَّزِيع: البئر القريبة القعر ، تُنزع دلاؤها بالأيدي نزعاً، لقرنها . / الزَّيْدِي ، مرتضى ، (نزع) ، ج ٢٢ / ٢٤٢ .

(٩٩٩) . الأنصاري ، حسّان بن ثابت ، ديوان حسّان بن ثابت ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

وانظر /العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا ، الأوائل ، ط ١ ؛ (طنطا : دار البشير) ، ص ١٢٤ .

أَقَامَ بِدَارِ الْعَوْرِ فِي شَرِّ مَنْزِلٍ وَخَلَّى بِيَاضَ الْحَقْلِ يَزْهُرُ حَامِلُهُ (١٠٠١)

فهو يتعجب من تركه ديار بني سليم المخضرة النضرة ، وذهابه إلى صعدة باليمن ليلقى حتفه بعيداً عن أهله وأنصاره ، ولكنه عازم على الانتقام لمقتله ، والانتقام خاصة من عمرو بن عوف ومن أشرف قضاة كلهم ، وسيطر عليه الحزن حتى عزم ألا تضع الخيل أوزاها ، ولا يستريح إلا بعد أخذ ثأره ؛ لأنه وكما يُشير في بدء الأبيات أن الخير انقطع بمقتل أخيه :

أَبْعَدَ عِمَارِ الْخَيْرِ نَرْجُو سَلَامَةً وَقَدْ بُتِّكَتْ (١٠٠٢) آرَابُهُ (١٠٠٣) وَمَقَاصِلُهُ

فَلَا وَضَعَتْ عِنْدِي حَصَانٌ حِمَارَهَا وَلَا ظَفِرَتْ كَفِّي بِقَرْنٍ أَنْازِلُهُ (١٠٠٤)

فلا تقرَّ عينه وتهداً نفسه إلا بالانتقام ممن قتل أخاه الذي قُطعت أوصاله إرباً لبعده عن قومه ، وغرته في المكان ، وفي هذا تشخيص لبشاعة المنظر وطريقة القتل والعنف ، وهو ما زاد من غضبه ، وعزمه على حرق الحقل ، وجعله دماراً بعد عمار ، و أنه سيشن عليهم حملة بجيش لا يُعلم منتهاه ، وفي هذا يلجأ إلى الإبلاغ وهو أسلوب اعتمد عليه جلُّ شعراء صدر الإسلام :

أَلَا مِنْ مُبْلِغِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ رِسَالَةً وَيَعْلَى بْنِ سَعْدٍ مِنْ ثَوْرٍ يُرَاسِلُهُ

بِأَنِّي سَأَزِمِي الْحَقْلَ يَوْمًا بِعَارَةٍ لَهَا مَنَكَبٌ حَانَ تَدْوِي زَلَازِلُهُ

فهو لن يقر حتى يرمي الحقل ويأخذ بالثأر ، ويعلم قتلة أخيه بأن له من يأخذ بثأره ، ويقروا بشجاعة بني سليم ، وبسالة العباس وإقدامه ، وهو في البيت السابق يجعل من الاستعارة (التصريحية) في قوله (بِعَارَةٍ لَهَا مَنَكَبٌ حَانَ تَدْوِي زَلَازِلُهُ) ، سبيلاً لوصف جيشه ، وقوة ضربه ، وشراسة انتقامه ، وكثرته .

وإذا ما عندنا إلى الشاهد في الصورة التشبيهية ، وأنه سيزور خولان في عقر دارها ، بأرعن رجاف تزجي خيله لكثرتها فترمي بالعدو من كل مكان حتى لا تذر منهم أحداً ، وأن كلمة

(١٠٠٠) . عسيان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٧٩ ، بتصرف .

(١٠٠١) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٣٧ .

(١٠٠٢) . البتُّك: القطع، بتكت الشيء قطعته. / الحميري ، نشوان ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، مرجع سابق ، (بتك) ، ج ١ / ٤٢٠ .

(١٠٠٣) . آراب : أي أعضاء . / الزبيدي ، مُرتضى ، مرجع سابق ، (أرب) ، ج ٢ / ١٦ .

(١٠٠٤) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ، ص ١٣٦ .

(رَجَّاف) قلّ استعمالها في وصف الجيش وفي الفخر به ، عدا بيت للنابغة الذبياني والذي يقول فيه :

وَهُمْ زَحْفُوا ، لَغَسَّانٍ ، يَزْحَفُ رَجِيْبُ السَّرْبِ ، أَرَعَنْ ، مُزْجَحَنْ (١٠٠٥)

ومعرض الحديث هنا في بيت النابغة أخذ الثأر كذلك ، " حين قُتِل نضلة الأسدي على يد رجل من بني عبس ، وقتلت بنو أسدٍ رجلين من بني عبس ، فأراد عيينةُ عون بني عبسٍ ، وأن يخرج بنو أسدٍ من خلف بني ذبيان " فقال النابغة هذه الأبيات مفتخرًا بجيش قومه وكثرته ، في مقابل وصف العباس لتلك الكثرة وعكسه للتشبيه ليوصل الشعور ويصور القوة التي يمتلكها جيشه .

وفي الفخر الذاتي نلاحظ كيف ارتقت المعاني عند الشاعر من الروح الفردية إلى الروح الجمعية ففي الجاهلية نراه يفتخر بذاته وبشجاعته ، و قد صوّر فخره الذاتي في أكثر من صورة منها : تشبيه نفسه بالجبل الشامخ (١٠٠٦) الخطر على أعدائه المُهْلِك لهم ، وأتّم عند الرهان يثقون به ؛ لعلمهم بقوته وقدرته على النيل من العدو ، ورِدّ الظلم والدفاع عنهم ، وهو معروف المكانة عند قومه ، وهو الخطر المهدق المحيط بأعدائه ، لا يهمله ضرب السيوف أو كثرة الصليل ، بل إنه يألف صوت المعركة والعراك وصوت السيوف ، والطعن حتى عدّها من العزف المفضّل عنده :

عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسَبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفًا (١٠٠٧)

ومنها تشبيه نفسه بالليث (١٠٠٨) ، وأنه ليث العرين ملكه والمتحكم فيه وسيّد قومه وقائدهم ، وكذا في الإشادة بإقدامه ، وأنه كان أوّل ضارب في أرض المعركة ، وأول مدافعٍ عن قومه يوم تثليث (١٠٠٩) ، ومنها فخره بما يملك من عتاد الحرب ، وعدّته من السيوف والخيول خاصة ، بل

(١٠٠٥) . الذبياني ، النابغة ، ديوان النابغة الذبياني ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(١٠٠٦) . انظر ص / ١٣٣ - ١٣٥ ، من هذا البحث .

(١٠٠٧) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

وانظر شرح البيت في ص / ١٧٤ - ١٧٦ ، من هذا البحث .

(١٠٠٨) . انظر البيت وشرحه ص / ٦٢ - ٦٤ ، من هذا البحث .

(١٠٠٩) . انظر البيت وشرحه ص / ١٠٧ ، ١٠٨ ، من هذا البحث .

ويسمىها بأسماء تُعرف بها ، وتميز كخيفانة والصموت و صوبة^(١٠١٠) ، وهذا كله اعتداد بنفسه وبشجاعته ، ومن فخره الذاتي صورة يفخر فيها بخيله ؛ يُعلم شرف صاحبها ، وسرعته ، وخفته ، وفروسيته ومكانته وذلك في قوله :

﴿ جَمِيعُ الْبَرِّ تَحْمِلُنِي وَآةٌ^(١٠١١) كَشَاةِ الرِّمْلِ^(١٠١٢) تَجْمَعُ بِالْوَلِيدِ^(١٠١٣) أَبُوهَا " لِلضُّبَيْبِ " ^(١٠١٤) وَافْتَلَّتْهَا^(١٠١٥) ذَوَاتُ السِّنِّ^(١٠١٦) مِنْ آلِ الصُّيُودِ^(١٠١٧) (١٠١٨)

هذه الصورة تظهر ما لدى الشاعر من ثقة في نفسه ، وقدرته على صدِّ العدو ، فيصف استعداده للحرب والعراك ، فتأمل معي تصويره المعتمد على الصورة التشبيهية في قوله : (وَآةٌ كَشَاةِ الرِّمْلِ تَجْمَعُ بِالْوَلِيدِ) يفخر بأنه جمع أفضل وسائل المعارك ، وأكثرها بطشاً بالعدو ، وفتكاً ، وله خيل كالظبي في سرعتها وقوتها وخفة سيرها ، وأنها تعدو به كالظبي يلحق بصغيره خوفاً عليه يحاول اللحاق به خشية عليه من أن يُصيبه أذى ، وفي ذات الوقت يُسرع ليلحق به ، فهو يحنو على العباس ويُسرع في الميدان ليحقق له النصر ، والعباس يثق بها ، لعلمه بأصلاتها والصورة تحوي المشبه (وآة) ، والمشبه به (شاة الرمل) ، واتخذ من الكاف سبيلاً

(١٠١٠) . انظر ص ٦٦ ، ٦٧ ، ١٨٥ - ١٨٧ من هذا البحث .

(١٠١١) . البَرِّ والْبِرَّةُ أيضاً: السلاح . / الأنباري ، أبو بكر ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، مصدر سابق ، (بَرٌّ) ، ج ١ / ٧٩ .

(١٠١٢) . الثور الوحشيّ . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (شاة) ، ج ١ / ٢٤٥ .

(١٠١٣) . الْوَلِيدُ (: الضُّبَيْبُ) ما دام صغيراً ، لُقِّبَ عهده من الولادة . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، ج ٩ / ٣٢٣ .

(١٠١٤) . الضُّبَيْبُ : فرسان حَسَّان بن حنظلة الطائيِّ وحضرمي بن عامر الأسدي . / المرجع السابق ، ج ٣ / ٢٣٥ .

(١٠١٥) . الفتل: ما يكون مفتولاً من ورق الشجر ، أفتلت إفتالاً إذا أخرجت الفتللة . / ابن منظور ، مرجع سابق ، (فتل) ، ج ١١ / ٥١٥ .

(١٠١٦) . يَعْني الدَّوَابَّ . وَالسِّنُّ الرَّعْيُ يُقَالُ : سَنَّ الإِبِلَ إِذَا صَقَلَهَا بِالرَّعْيِ . / الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الفائق في غريب الحديث والأثر ، تحقيق ، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ؛

لبنان : دار المعرفة (سنن) ، ج ٢ / ٢٠٣ .

(١٠١٧) . الصُّيُودُ : (فرس مشهور) نَجِيبٌ . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، (صيد) ، ج ٨ / ٣٠٦ .

و الصيود: فرس لبني سليم، وكانت منسوبة مشهورة . / الكلبي ، ابن بشر ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(١٠١٨) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٤ .

للربط بين طرفي التشبيه ، ووجه الشبه منتزع من متعدد (تجمع بالوليد) ، تلحق بصغيرها ، فمن يراها يظنُّ أنّها مُسرعة للحاق بالعدو والنيل منه ، وإنجاز ما وُكِّل إليها ، وهي في الوقت ذاته تعرف صاحبها وتحنو عليه، وترعاه وتخشى عليه من العدو فتحميه بسرعتها وخفتها باذلة قصارى جُهدها ، في ذلك كالظبي يلحق بصغيره خوفاً عليه من أن يُصيبه أذى ، وزيادة في الحرص والحماية له ، وإذا كان هذا حال الفرس في حماية صاحبها ، فحال الشاعر في حماية قومه ، وفي شجاعته وإقدامه ، وفي ثقته بنفسه ، وثقة قومه به أكثر من ذلك وأقوى وأشد ، والصورة التشبيهية هنا من التشبيه (المركب التمثيلي) ؛ لكون وجه الشبه منتزع من أمور عدّة تعتمد على التأويل من قوله (تجمع بالوليد) ، وعليه يكون وجه الشبه : السرعة والخفة ، والحنو والرفق ، والتفوق في الميدان ، ولذا انتقاها لتشبيهه خيله بها ، فعُدو الفرس كعدو الظبي ، وهي تنتمي إلى أَسْر معروفة بالأصالة ، فهي تنتسب للضبيب من جهة الأب ، وهي فرس أصيلة و إلى آل الصيود خيل بني سليم ، المعروفة بأصالتها ، وقوتها ، وتحملها للصعاب ، وهو في تشبيهه للفرس بشاة الرمل ، يُلقِي بصفات الظبي الحسيّة على خيله ، من حُسنٍ وخفّةٍ ورشاقةٍ ، وطول عنق ، وحسن جلدٍ مع طيب الرائحة ، والجامع بين صورة الفرس ، والظبي السرعة، والخفة والجمال ، والمُضي في المهام ، كظبي منطلق للحاق بصغيره ، فهو يجمع قوته ويُسرّع في خطاه ليلحق به ، وانتقى الظبي لكون الضباء توصف " بجدّة البصر، وفيها نفور أشد من غيرها من الحيوان، وهي تلى التمر في سرعة العدو" (١٠١٩) ، وشاة الرّمل التي اختارها العباس في هذه الصورة لتشبيهه خيله بها فخراً بنفسه ، وبعثاده ، شبّه بها كذلك عبيد بن الأبرص (١٠٢٠) خيله في صورة تشبيهية بديعة ، فبعد أن خصص اللون ، خصّ كذلك السرعة ، والشكل :

(١٠١٩) . عاشور ، عبد اللطيف ، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، د.ط؛ (د. م ، القاهرة) ، ص ٢٦٩ .

(١٠٢٠) . عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي ، من مضر ، أبو زياد : شاعر ، من دهاة الجاهلية وحكائها ، وهو أحد أصحاب " المجهرات " المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات . عاصر أمراً القيس ، وله معه مناظرات ومناقضات ، وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه ، له ديوان شعر مطبوع . توفي عام ٢٥ ق. هـ . - ٦٠٠ م . / الزركلي ، خير الدين ، مرجع سابق ، ج ٤ / ١٨٨ ، ١٨٩ .

كُمَيْتٍ (١٠٢١) كَشَاةِ الرَّمْلِ صَافٍ أَدِيمُهُ (١٠٢٢) مُفَجِّحِ الْحَوَامِي (١٠٢٣) جُرْشُعٍ (١٠٢٤) غَيْرِ
مخشوب (١٠٢٥) (١٠٢٦)

فُعَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ جَعَلَ هَذِهِ الصُّورَةَ سَبِيلًا إِلَى وَصْفِ "فَرَسِهِ الْكُمَيْتِ" ، وَقَدْ شَبَّهَهُ بِالظُّبِيِّ ، فَهُوَ نَاعِمُ الْجِلْدِ ، مُفَرِّجُ الْحَوَافِرِ ، مُنْتَفِخُ الْجَنْبِينَ ، وَغَيْرُ مُقْرَفٍ ، بَلْ مَطْوَاعٌ لَهُ " (١٠٢٧) ، وَتَرْتَكِزُ الصُّورَةُ عِنْدَ الشَّاعِرِينَ عَلَى الطَّابَعِ الْحَسِيِّ ، وَالْوَاقِعِيَّةِ فِي تَصْوِيرِهَا لِلْفَرَسِ ، وَفَخَرُ فَارِسِ الْعَبِيدِ بِفَرَسِهِ لَهُ أَسْبَابُهُ مِنْهَا : أَنَّهَا قَوِيَّةُ السَّمْعِ فَهِيَ " تَسْمَعُ وَقَعَ الْخَطِيءُ قَبْلَ أَنْ تَرَى الَّذِي يَمْشِي ، وَتَسْمَعُ وَقَعَ حَوَافِرِ خَيْلٍ أُخْرَى قَبْلَ أَنْ تَبْتَدِئَ لَهَا فِي الْأَفْقِ وَتَنْبَهُ صَاحِبُهَا ... وَالْحِصَانُ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَحْمَلِ الْمَصَاعِبِ وَالْمَشَاقِ ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ رِبْعَ وَزْنِهِ ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْدُو مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً وَأَمْدًا طَوِيلًا دُونَ طَعَامٍ وَلَا مَاءٍ ، ... وَيَتَمَيَّزُ بِذَاكِرَةٍ حَادَّةٍ جَدًّا ، وَهَذِهِ الذَّاكِرَةُ تَنْصَبُّ عَلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا ، وَيَعْرِفُ صَوْتَ صَاحِبِهِ وَلَوْ لَمْ يَرِهِ ، بَلْ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ صَاحِبَهُ مِنْ طَرِيقَةِ رُكُوبِهِ ، فَيَعْرِفُهُ إِمَّا مِنْ صَوْتِهِ وَإِمَّا مِنْ رَائِحَتِهِ ، وَيَسْتَجِيبُ الْحِصَانُ بِرَدُودِ فِعْلٍ سَرِيعَةٍ جَدًّا لِحَرَكَاتِ فَارَسِهِ " (١٠٢٨) ؛ وَهَذَا مَا أَرَادَ الشَّاعِرُ إِيْصَالَهُ لِلْمَتَلَقِّي لِيَعْلَمَ صِفَاتِ خَيْلِ الْعَبَاسِ وَصِفَاتِ صَاحِبِهَا.

(١٠٢١) . الكُمَّتَةُ: لَوْنٌ مِنَ أَلْوَانِ الْحَيْلِ يَبِينُ الشَّقْرَةَ وَالذُّهْمَةَ . / الْأَزْدِيُّ ، ابْنُ دَرِيدٍ ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ ، (كَمْت) ، ج ١ /

.٤٠٩

(١٠٢٢) . الْجِلْدُ . / الْفَيْرُوزْآبَادِيُّ ، مَجْدُ الدِّينِ ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ ، (أَدَم) ، ص ١٠٧٤ .

(١٠٢٣) . مُفَجِّحٌ أَيْ إِحْدَاهُمَا مُتَبَاعِدَةٌ عَنِ الْأُخْرَى . / ابْنُ السَّكَيْتِ ، أَبُو يُوْسُفَ ، الْكَزْنَزُ اللَّغَوِيُّ فِي اللَّسَنِ الْعَرَبِيِّ ،

مَصْدَرٌ سَابِقٌ ، ص ٢٦ .

(١٠٢٤) . جُرْشُعٌ: الْجُرْشُعُ: الضَّخْمُ الصَّدْرُ . / الْفَرَاهِيدِيُّ ، مَصْدَرٌ سَابِقٌ ، (جُرْشُع) ، ج ٢ / ٣١١ .

(١٠٢٥) . الْمَخْشُوبُ الَّذِي لَمْ يُرْضَ ، وَلَمْ يَحْسَنْ تَعْلِيمَهُ ، مُشَبَّهٌ بِالْجَفْنَةِ الْمَخْشُوبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْكَمْ صَنْعَتَهَا . / ابْنُ

مَنْظُورٌ ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ ، (خَشْب) ، ج ١ / ٣٥٥ .

(١٠٢٦) . ابْنُ الْأَبْرَصِ ، عُبَيْدٌ ، دِيْوَانُ عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ ، شَرْحٌ ، أَحْمَدُ أَشْرَفُ عَدْرَةَ ، ط ١ ؛ (بَيْرُوتُ : دَارُ الْكِتَابِ

الْعَرَبِيِّ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ، ص ٣٤ .

(١٠٢٧) . الْمَرْجِعُ السَّابِقُ .

(١٠٢٨) . الصَّوْفِيُّ ، د. مَاهِرُ أَحْمَدُ ، الْمَوْسُوعَةُ الْكُونِيَّةُ الْكُبْرَى (آيَاتُ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ وَبَعْثِهَا

وَحِسَابِهَا) ، ط ١ ؛ (بَيْرُوتُ وَصَيْدَا : الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

وهذا الفخر الفردي أو الذاتي والذي نفى فيه الشجاعة عن غيره وأثبتها لنفسه ، بكل ما أوتي من طرق ووسائل ، سواءً أكان عن طريق الإشادة بنفسه وشجاعته ، أو عن طريق وصف ما يملك من عدّة وعتاد ، اختلف هذا الفخر تماماً بعد إسلامه ، ورقى الفكر وتغلغل الإسلام في نفسه ، وأصبح الهدف نشر الإسلام ونصره وفداء رسول الله -ﷺ- بالمال والنفس ، والعمل في صف واحد دون تمييز بينهم ، فرقى بذلك الفكر وسادت الأخوة والمحبة ، وأصبح الفخر فخراً جماعياً أو قبلياً ، مُسنداً فضل النصر إلى الجماعة وليس لفرد بعينه ، بل إنه لم يعد فخراً بل هو شعر جهاد يُصور فيه ما عاناه المسلمون في المعارك بعد أن أذن لهم الإسلام في الجهاد والدفاع عن الدين والحِمى ، فهم قومٌ نصرُوا دين الله واتبَعُوا أمر النبي -ﷺ- (١٠٢٩) ، وكان لواؤهم يرتفع عالياً أمام رسول الله -ﷺ- كخزروف السحابة لامع (١٠٣٠) ، ووجد في يوم حنين " المادة الكافية لافتخاره.... " (١٠٣١) وحصر غالب " معناه في الفخر ببلاء الذين نصرُوا الرسول -ﷺ- وأبلوا البلاء العظيم في حنين وفي قهر هوازن وإذلالها... " (١٠٣٢) ، " وكان العباس بن مرداس أكثر الشعراء إلحاحاً على تأكيد الفخر بقومه ، على أساس إسلامي جديد فقد نظم في يوم حنين العديد من القصائد التي تزخر بالاعتزاز بقومه ، وتفيض بالإشادة بفضائلهم ، وبما قدّموا في سبيل الإسلام... وظلّ يردد هذا اللون من الفخر في حنين ، حتى بلغت أشعاره تسع قصائد في مائة واثنين وثلاثين بيتاً " (١٠٣٣) ، من ذلك قوله :

فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
نَوْمٌ^(١٠٣٤) الْجَمْعُ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ عَلَى حَنْقٍ^(١٠٣٥) نَكَادٌ لَهُ نَطِيرُ
فَكُنَّا أُسْدَ لَيْتَةٍ^(١٠٣٦) ثُمَّ حَتَّى أَبْحَنَاهَا وَ أَسَلَمَتِ النَّصُورُ^(١٠٣٧)

(١٠٢٩) . انظر ص / ٢١٢ ، ٢١٣ ، من هذا البحث .

(١٠٣٠) . انظر ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، من هذا البحث .

(١٠٣١) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(١٠٣٢) . الجبوري ، ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

(١٠٣٣) . العاني ، د. سامي العاني ، الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(١٠٣٤) . الأُمَمُ: القُصْدُ. / الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، (أمم) ، ج ١ / ٣٠ .

(١٠٣٥) . الحنق: شدة الاحتياط ، حنق حنقا فهو حنق. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (حنق) ، ج ٣ / ٥١ .

وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ فَأَقْلَعَ وَالِدِمَاءُ بِهِ تَمُورٌ^(١٠٣٨)
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ دُكُورٌ

إلى أن قال :

❖ فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْقَوْا نُؤْفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
وَأِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا فَهُمْ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَمَتْ بَنِي سَعْدِ وَجَرَّتْ بِرَهْطِ بَنِي عَزِيَّةٍ عَنَقْفِيرُ^(١٠٣٩)

انظر كيف يصور الأحداث للقارئ بكل تفاصيلها حتى يشاركه القارئ فرحة النصر ويرتكز على الصورة التشبيهية في قوله : (فَكُنَّا أُسْدٌ لِيَّةٍ ثُمَّ) ، ويلاحق له الصور تباعاً بعد هذه الصورة ليعلم ما عاناه المسلمون في بداية الدعوة من أجل نشر الإسلام ، وحتى يُسجّل التاريخ موقف بني سليم ونصرتهم لنبي الله - ﷺ - ، وهو في هذه الأبيات " يذكر قارب بن الأسود وفراره عن بني أبيه وقومه ، وذا الخمار وحبسه قومه " ^(١٠٤٠) ، في بداية هذه الصور المتلاحقة يُشبهه صورة مجيء بني سليم وقدمهم على بني ثقيف بصورة الأسود في مشيتهم وقوتهم ، وأنهم (أسد غابات) ، وأسد الغابة هو الملك فيها والمسيطر ، وله السيادة في ملك الغابة ، وله من المهابة ما جعل الحيوانات تخشاه وتخاف لقاؤه ، فالمسلمون لهم من الهيبة عند القدوم وخاصة بعد

^(١٠٣٦) . لِيَّةٌ: اسم موضع بالحجاز. / ابن منظور ، مرجع سابق ، (ليا) ، ج ١٥ / ٢٦٨ .

^(١٠٣٧) . النصور: من هوازن وهم رهط مالك بن عوف النصري . / ابن عساكر ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن

هبة الله ، تاريخ دمشق ، مرجع سابق ، ج ٢٦ / ٤١٨

^(١٠٣٨) . مور: المور: الموج ، والدِّمَاءُ تَمُورٌ في وجه الأرض، إذا انصبَّت فتردَّتْ. / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (مور) ، ج ٨ / ٢٩٢ .

^(١٠٣٩) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

والبيت في / الحميري ، ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ج ٢ / ٤٥١ .
و المكّي ، العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق
:عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، ط ١؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ، ج ٢ /
٢٧٩ .

^(١٠٤٠) . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، مرجع سابق ، ج ٢٦ / ٤١٧ .

فتح مكة ، حين ذاع خبرهم وعلا شأنهم ، ويظهر هنا إعجاب العباس بكثرة المسلمين وقوتهم وشجاعتهم وبسالتهم في القتال حتى شبههم بالأسد ؛ ذلك أن الأسد " أشرف الحيوان المتوحشة ، فمنزلته منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته (غلظ وجهه وسماجته) وشراسة خلقه، ويضرب به المثل في القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام، والجرأة والصولة، ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب (أسد الله) ومن أمثالهم في الأسد: (أكرم من الأسد) و (أبخر من الأسد) و (أكبر من الأسد) و (أشجع من الأسد) و (أجراً من الأسد) " (١٠٤١) ، وحين قال : (فَجِئْنَا أُسْدًا غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ) ف(نا الفاعلين) هنا تُشعر بالعظمة والهيبة التي أرادها الشاعر ، وحتى يؤكد لها شبههم بأسود الغابة دون أن يوسط أداة التشبيه بين المشبه والمشبه به ، ودون أن يُبيّن وجه الشبه ، بل جعله تشبيهاً (تمثيلاً) ، حتى يكون له ما أراد من وصف المسلمين ، بالهيبة والعظمة ، والسيطرة ، والنصر على الأعداء، والشجاعة ، والإقدام ، وحتى يُرثخ هذا التشبيه أتى بوصف أقوى وأفخر فهم (جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ) نسب السير إلى الضاحية على سبيل (المجاز العقلي) وعلاقته مكانية ؛وقصد من ذلك بيان كثرتهم ، وتوحدتهم ، واجتماعهم حول قائدٍ واحد .

وفي الصورة التالية يصور المرحلة الثانية من المعركة ، وأنهم خرجوا من ديارهم قاصدين (جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ) ، وواصلوا القتال والعراك معهم حتى اشتد غضبهم ، ويصوّر شدة غضبهم بأنهم (عَلَى حَنْقٍ نَكَادٌ لَهُ نَطِيرٌ) علا الحنق والغضب واعتلوه هم لقوله (على حنقٍ) ، أو شكوا على الطيران لشدة الموقف ، وضيقه ، وعسره ، وهنا كتى عن شدة الغضب بعد أن صرّح به ، فقد أراد زيادة في رسم الصورة بأبعادها الحسيّة والنفسيّة ، فقوله: (نكاد له نطير) ، كناية عن صفةٍ وهي (الغضب) للمبالغة في وصف الغضب ، وأيضاً تشخيص الموقف ، فالموقف اشتد وعسر ، وعلى الأسود أن يخوضوا بشراسة العراك حتى يحسموا الموقف ، وهو بالفعل ما كان من شجعان بني سليم وغيرهم ، وهنا يرسم صورة أخرى للشجاعة والإقدام ، ويوسع الصورة ، فيشبههم بأنهم (أسد لية) وهي أكثر شراسة من بقية الأسود ؛ لكونها تنزل الوادي ، وتقاتل فيه بشراسة ووحشية وجميع الحيوانات تخشاها ، والملاحظ أن تشبيهه السابق والذي شبّه فيه بني سليم بأسود الغابة ، به فرق عن تشبيهه هنا بأسد الوادي ، وقد بحثت الباحثة عن الفرق بينهما في كُتب الحيوانات فلم تجده ، ولعل الفرق هو أنّ أسود الغابة بها شراسة وعنف أقوى

(١٠٤١) . عاشور ، عبد اللطيف ، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

وأشد ، ولها السيادة ويَحْشَاهَا سكان الغابة ، وكذلك هم المسلمون بعد فتح مكة خشيتهم المدن من حولها خاصة الطائف فحال قدومهم على بني ثقيف لهم من الهيبة والوقار كأسد الغابة ، أما أَسَد الوادي فهي لا تنزل الوادي إلا إذا كانت تريد الصيد والنيل من العدو، وقد احتاج الموقف بعد ذلك إلى نزول الميدان لحسم الموقف، فهم (أسود لِيَّة) وليَّة وادٍ قريب من الطائف ، وهو من مواضع الأسد التي يضرب بها المثل والتي منها : " أسد حَقَّان وأسد الشَّرَى من بلاد لحم ، وأسد عَثْر .. وأسد حاملة ... وأسد لية وأسد حلية وأسد السَّحول وأسد تباله وأسد ترج وبيشة ... " (١٠٤٢) ، ثم وصف القتال بأنه استمر حتى استسلم بنو نصر ومنهم من فرَّ خوفاً من القتل ، وتشبهه هنا لقومه بـ(أسد لِيَّة) قصد منه الإلقاء بصفات الأسد على قومه ، والتي منها الشجاعة والإقدام والقوة ، والشراسة في القتل ليعطي المسلمين ثقة في نفوسهم والعزم على تحقيق النصر وتصويرهم بأحسن صورة في الشجاعة في نظره ، وليثير الرعب في قلوب المشركين فيخوفهم من لقاء المسلمين من جهة أخرى ، وهذا ما جعل ذا الخمار ، وهو قائد بني نصر يفر من أرض المعركة فعيرَه العباس بذلك ، والصورة التشبيهية في قوله : (فَكُنَّا أُسْدُ لِيَّةٍ ثُمَّ) من التشبيه (البليغ) حذف أداة التشبيه والوجه واكتفى بطرفي التشبيه ، حتى يُعطي الصورة كامل الوصف ، ويثير الرعب ، ويجدِّر العدو، ويصور النصر ، وفرار العدو من أمامهم .

والأحداث التي صوّرها العباس وما فيها من عُجْبٍ بالكثرة والقوة ، ثم ما أصابهم من ضيق وحنق حتى ضاقوا ذرعاً من الموقف ، ثم سكنت النفوس وهدأت واستقرت وعاودوا القتال ، وأنزل الله جنوده لنصر المسلمين يؤكدُها القرآن الكريم قال جل وعز : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١٠٤٣)

(١٠٤٢) . الحمداني ، ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ، صفة جزيرة العرب ، ط ؛

(مطبعة بريل : ليدن، ١٨٨٤ م) ، ص ١٢٧ .

(١٠٤٣) . سورة التوبة : آية (٢٥) و (٢٦)

ويُكْمَلُ تصوير المشاهد ، وما كان من كثرة القتل والعراك فهو يوم لم يشهد الخلق مثله ، بل ولم يسمع به قوم ذكور :

﴿ وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ فَاقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورٌ ﴾
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورٌ (١٠٤٤)

فهو يُصَوِّرُ سيلان الدماء وكثرة جريها على الأرض كأنها تدور وتموج فقال : (فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورٌ) ، فهي تردد يمينا وشمالاً لكثرة القتل من جانبي المشركين ، فالمسلمون ضربوا الجيش بكل أجنحته وجوانبه ، وأصابوا عدداً غير قليل منهم ، وأصبحت الدماء كالموج تمور ، وتتدحرج وتتردد في المكان ، ويستعين بالاستعارة ، ليصف ويصوّر ويوضح قسوة المنظر ، ودمويته وشراسته ، فأولاً وصف اليوم بأنه أقلع وكأنه كان مُطَبَقاً عليهم لقسوته وشدته ، فاستعار الاقلاع لانتهاء اليوم والعراك على سبيل الاستعارة (المكنية التشخيصية) ، ليشخص بها الموقف، ثم شبه كثرة الدماء ودورانها في المكان ، وترددها بالموج في قوله (تمور) ، أي كأنها تموج وتتردد وتدور في المكان لكثرتها ، وحذف الأداة ووجه الشبه ، ليلغ التشبيه غايته في البلاغة ، فقد استعار الموج للدماء ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو المور ، فالموقف جدُّ صعب، ويحتاج إلى الاختصار في الوصف ، وحتى يكون أوجز ، وأبلغ وأكثر أثراً في النفس ، وقد ترك للعقل مجاله ، وللخيال فرصة في تصوّر شدة الموقف وصعوبته ، وكثرة القتلى فيه ، وكثرة الدماء؛ لذا قال عنه: إنه أقلع ؛ ليشخص ثقله على النفوس وضيق نفوسهم به وتابع الوصف فقال:

﴿ مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ ﴾ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورٌ (١٠٤٥)

حتى يُشْعِرُ بتميّز ذلك اليوم نفى عنه المثل والشبه في قوله : (مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ) ، في جميع الأيام والمعارك التي خاضها العباس على الرّغم من كثرتها وقسوتها ، فمثلاً يوم (برزة) ، ويوم (تثليث) ، ويوم (الفيفا) و (فتح مكة) ، وغيرهم لم ير العباس أقسى من ذلك اليوم ، وأكثر قتلاً وأطول وقتاً ، بل ولم يسمع به قوم ذكور ، لعله يقصد أهل الشجاعة والنجدة

(١٠٤٤) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٠ .

(١٠٤٥) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٧٠ .

واعتياد خوض المعارك ، ولعله هنا استعان بالكناية ، لتجسيم المنظر وتحويله وتعظيمه ، وهي كناية عن صفة (القسوة والشدّة)، فالمراد هنا أن هذا اليوم لا شبيه له ولا نظير لقسوته ، وما أصاب المسلمين فيه، وما لاقوه وما قدّموه من أجل النصر ، على أنّه بعد هذا الوصف ، ثم الهجاء ، والمعيرة بالفرار والحبس لقارب ابن الأسود وذو الخمار ، لكونهما قوّاد قومهم وفروا من أرض المعركة ، يدعو ثقيفاً وأعوانهم إلى الإسلام ويرغبهم فيه فيقول :

﴿ فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْفَوْا ﴾ أَنْوَفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ (١٠٤٦)

وإن لم يُسَلِّمُوا فَهُمْ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرٌ

كَمَا حَكَمْتُ بَنِي سَعْدٍ وَجَرَّتْ بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةٍ عَنَقْفِيرٌ (١٠٤٧) (١٠٤٨)

والمشبه في هذه الصورة حال بني ثقيف وهوزان وأنهم حال إسلامهم يلقوا خيرة الناس ، وأشرفهم ، وسادتهم من المسلمين ، وإلا فإنهم سيلقون حرباً هالكة تحكم بالقضاء عليهم ، قال : (كَمَا حَكَمْتُ بَنِي سَعْدٍ) ، وقد كُنِيَ عن ذلك بأنوف الناس ، وهذه الكناية إنما هي كناية عن فضائل الإسلام ، ومحاسنه ، ومكارم الأخلاق التي عُرف بها السادة وعلية القوم، وأنّ من أكرمه الله بالإسلام ، فسيجد النصرة ، ويجد من يُعينه ومن يُشدُّ من أزره بعد الله ، وأن هذه المكارم ، والمسامرة ، وأهلها الكرام مستمرة طوال الدهر بلا انقطاع عند بني الإسلام، فهم إخوة ، ولا فرق بين أحد منهم إلا بالتقوى ، وأن النصر لدين الله ورسوله ، وفي هذا بيان حبه للإسلام ودفاعه عنه وتأثره به ، وأما إذا لم يُسَلِّمُوا فقد أذن لهم الله في مقاتلتهم ، حتى يُسَلِّمُوا أو يدفعوا الجزية ، وأن هذه الحرب لن يجدوا فيها النصير ولن ينفعهم كثرتهم ، بل ستكون مُهلكة لهم قاضيةً عليهم ، ويشبه ذلك بحال بني سعد وما جرته من المهالك على بني غزية ، ثم يذكر وجه الشبه ليوضحه ويقرّه في الأذهان وهو (عنقفير) على أنها كلمة غريبة وصعبة ، إلا أن الشاعر اختارها لتصوير النهاية الوخيمة وأنها حرب مُهلكة لا قبل لهم بها ، والصورة هنا من

(١٠٤٦) . السَّمَرُ: المُسامرة ، وهو الحديث بالليل ، السَّمِيرُ : الدهرُ . وابناه: الليل والنهار . / الجوهري ، مصدر سابق ،

(سمر) ، ج ٢ / ٦٨٨ .

(١٠٤٧) . العنقفير: الداهية . / المرسي ، ابن سيّدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج ٢ / ٤٠٨ .

(١٠٤٨) . السُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

التشبيه (المرسل المفصل) فهي حرب من الله لعدم إسلامهم ،وقد أدت الصورة التشبيهية هنا الغرض ، وهو التهديد ، والوعيد مع الترغيب في السلم وعدم الحرب بضرب المثل .

ويقول في صورة أخرى مُفتخراً بمشاركته في فتح مكة ، وبنصرة النبي - ﷺ - ؛ ليتخلى عن النظر لذاته ، ويرى نفسه ضمن جماعة ، يجمعها هدف واحد ، وتحت راية واحدة ، خلت النفوس من الشحناء ، واتسمت بالصفاء ، والنقاء ، و اللُّحمة ؛ ابتغاء مرضاة الله ومحبة لرسوله - ﷺ - في يوم من أعظم الأيام ، لطالما انتظره المسلمون :

﴿ وَغَدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ بِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَرَّغُ ﴾
كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِذَاعِي رَبِّنَا بِالْحَقِّ مِنَّا حَاسِرٌ وَ مُقَنَّعٌ (١٠٤٩)

فهم كالجناح للنبي - ﷺ - تأمل قوله : (نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ) فهم جناحه حمايةً وإعانةً وحباً ، وتعزيزاً لجيشه ، وهم أحد أركانه المهمين ، المدافعين عنه بكل ما أتوا من قوة، وعتاد، وكثرة، وامتداد ، كما يشكل الجناح أهم أجزاء الطائر في المساعدة على التحليق ، والحماية من عواصف الرياح ، أو أي أمر يلحق به ، والمشبه هو قوله : (نحن) والمشبه به ، وهو (جناحه)، وغفل عن الأداة ووجه الشبه عمداً لكونه يريد المبالغة ، وأنهم فعلاً كانوا كالجناح للنبي - ﷺ - في ذلك اليوم ، وتشبيهم هنا بالجناح ليكون ذلك فخراً لهم على مدى الدهر ، فيوم فتح مكة من الأيام العظام للمسلمين ، وإذا كانوا هم عماد الجيش وأحد أهم دعوماته ، فحقّ لهم الفخر ، وذكر ذلك حتى تكون لهم الصورة الأكمل والأجمل ، وأما وجه الشبه فقد يؤول بالحماية ، والأهمية ، وقوة الدفاع ، وعليه فالصورة من التشبيه (التمثيلي) ، ويضرب المثل بالجناح في الحماية والمعونة ، كقول مسكين الدارمي (١٠٥٠) :

(١٠٤٩) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٩٩ .

(١٠٥٠) . مسكين الدارمي ، هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الملقب بمسكين الدارمي ، كان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة، فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع فتكافأ، واتفقا الفرزدق خشية أن يستعين عليه بجزير، واتفق مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسان ، مات مسكين الدارمي سنة ٨٩ هـ . / الحموي ،

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَعِيرٍ سَلَاحٍ

وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَأَعْلَمَ جَنَاحَهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بَعِيرٍ جَنَاحٍ (١٠٥١)

فالشاعر هنا يُشير إلى أهمية التعاون ، والحماية ، والمحبة ، فهو أولاً يذكر الأخ ، وكونه ضرورة لا غنى للمرء عنه ، فمن لا أخا له كمن يسير في البداء بدون سلاح ، ومعلوم ما تحويه الصحراء من مخاطر يجب على المرء الحذر منها ، واتقاءها بأخذ السلاح والعدّة ، وأن ابن العم كالجنح ، في الحماية والإعانة ، وحتى يوضّح أهميته ، يتساءل (وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بَعِيرٍ جَنَاحٍ ؟) ، فلا يمكن الاستغناء عنه ، أما ما قصده أبو الهيثم من هذه الصورة ، أنهم مع النبي - ﷺ - جناحه ، الفخر بعددهم ، وعتادهم وأهميتهم ، وأنه لا غنى لجيش المسلمين عنهم .

ويبدو أثر الإسلام في هاتين الصورتين السابقتين جلياً واضحاً ، فقد تخلى عن قوله (أنا) ، و (أيّ) ، وأبدلها بروح الجماعة ، والمحبة ، والتعاون ، والطاعة لولي الأمر باستخدامه لـ (نا الفاعلين) ، وما يدلُّ على الجماعة والوحدة ، وقوله (نحن) ، وفكرة النصر ، والدفاع عن النبي - ﷺ - طاعة لأمر الله ورسوله ، بدلاً من فكرة الانتقام ، وإراقة الدماء بلا سبب والإغارة التي كانت في الجاهليّة ، ويتضح من خلال ذلك أيضاً سمو الروح ، والفكر ، والخلق ، وهذا أثر آخر من آثار الدين الحنيف ، الذي هدّب الروح ، والفكر ، والخلق ، وسوى بين الناس حتى جعل القائد يقول نحن ، وينسب النصر للجماعة بدلاً من الفرد .

و ظهر في شعره بعد الإسلام ، غرض آخر وهو المدح النبوي ، فقد قلّ المدح عنده قبل الإسلام ، ذلك أنّ المدح في غالبه في الجاهليّة كان على نوعين : " مدح صادق ، ومدح تكسبي " (١٠٥٢) ، ومكانة العباس في قومه ، وسيادته تجعله في غنى عن المدح التكسبي " حيث تأبى عليه طبائعه أن يفعل مثل ذلك ، ولذلك فإنّ ما نقع عليه من مدحٍ في ديوانه هو من

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) ، ج ٣ / ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ .

(١٠٥١) . الدارمي ، مسكين ، ديوان مسكين الدارمي ، تحقيق : كارين صادر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ،

٢٠٠٠ م) ، ص ٣٣ ، ٣٤

(١٠٥٢) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

الشعر الصادق الذي يُعَبِّرُ عن صفاء نيّة وإعجابٍ بالممدوح لا تشوبه شائبةٌ " (١٠٥٣) ، فشعر العباس في مجمله يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها ، لذا لا يمدح من الأشخاص إلا من تحلى بأحسن الأخلاق ، ومن له صفات عربيّة محمودة ينبغي التحلي بها ؛ ليكون قدوة لغيره ، ومن صورته في المديح قبل إسلامه ما امتدح به أبا الحليس النصري ، في أخذه بثأر أخيه هريم بن مرداس ، وحفظه الود و الوفاء للعباس ، " فقد لقي أبو الحليس هذا حُوَيْلِدَ قاتل هريم فقتله فقال بنو نصرٍ : بؤ فلان النصري - رجلٌ كانت حُرَاعة قتلته - فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بؤ بدم هُرَيْمِ بن مرداس وبلغ الخبر العباس فقال مادِحاً " (١٠٥٤) :

أَتَانِي مِنَ الْأَنْبَاءِ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ كَفَى نَائِرًا مِنْ قَوْمِهِ مَنْ تَعَبَبْنَا

إلى أن يقول :

فِدَى لَكَ أُمِّي إِذْ ظَفِرْتَ بِقَتْلِهِ وَأُقْسِمُ أَبْغِي عَنْكَ أُمًّا وَلَا أَبَا

فَمِثْلُكَ أَدَى نُصْرَةَ الْقَوْمِ عَنُوةً (١٠٥٥) وَمِثْلُكَ أَعْيَا ذَا السِّلَاحِ الْمُجْرِبَا

(١٠٥٦)

انظر لجمال الصورة التشبيهية في قوله (فَمِثْلُكَ أَدَى نُصْرَةَ الْقَوْمِ عَنُوةً) و (وَمِثْلُكَ أَعْيَا ذَا السِّلَاحِ الْمُجْرِبَا) ، والصورة تجمع بين المشبه ، والمشبه به ، فهو المشبه وهو المشبه به ، ووجه الشبه منتزع من متعدد يعتمد التأويل للوصول إلى ما أراده الشاعر من كريم الأخلاق ومحاسن الخلال ، وعليه فإن الصورة من التشبيه (التمثيلي) ، أي أن مثيله اعتاد نصرة القوم ، وأعانهم ، ونجدهم ، والأخذ بثأرهم ، ومثله أتعب السلاح وأعياء لخبرته في القتل ، وكثرة القتال ، والشجاعة ، والإقدام ، وأن هذه الصفات لا يمكن أن تكون إلا له ، لتخلقه بها ، وذكر هذه الصفات بغرض إثابتها له ، والصورة تجمع بين الإثبات والنفي ، إثبات الشجاعة والنجدة ،

(١٠٥٣) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلَمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(١٠٥٤) . انظر / الأصفهاني ، أبو الفرج ، مصدر سابق ، ج ١٤ / ١٩٨ .

و السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٤٤ .

(١٠٥٥) . العَنُوةُ: القهر، يُقال أخذناها عَنُوةً، أي قَهراً بالسَّيْفِ./ الرازي ، ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ،

عنى) ، ج ٤ / ١٤٧ .

(١٠٥٦) . السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٤٤ .

والمروءة ، والنصرة ، وفي كرمه وحسن خلقه ما يجعله مثلاً على ذلك ، ونفي خلافها من جبن ، وخيانة ، وضعف ، وقلة همّة ، وغيرها مما يتصف به الجبناء ، ومقاطع المديح التي جاءت في ديوانه أنت موافقةً لمشاعر وجدائيّة عاشها الشاعر وشعر بها الآخر فأشفي غليله من ذلك خاصّة ما كان من أبي الحليس " فما كان ليمدح أبا الحليس لو لم يأخذ بثأر أخيه ، ولذلك نلحظ الزّخم العاطفي قد غطّى على العناصر الأخرى في الأبيات ؛ لأنّ القضيّة لصيقة بوجودان الشاعر ، ولا مجال لاصطناع الأحاسيس والانفعالات في مثل هذا الموقف ، فأبو الحليس ثأر وانتقم لهريم فهو بطل بنظر العباس ، لأنه قام بعمل عجيب يستحقُّ الشكر والثناء " (١٠٥٧) ، فالمدح هنا ردٌّ للجميل ، وكونه شعر بحزن العباس على أخيه ، وأخذ الثأر ، لكنّ هذه المقاصد باتت بعيدة تماماً عن مقاصد الشاعر بعد إسلامه ، ولم يُعن بمدح شخص أو حمده على الجميل ، بل خصّ مديحه بالمديح النبوي ، فقد تغلغل حبُّ النبي - ﷺ - في الوجدان ، وأُعجب بأخلاقه ، وصفاته ، ورأى فيه ما كان يرجو أن يعثر عليه في البشر ، وقد أحدث الكثير من التغيرات الاجتماعية ، والفكرية والنفسيّة ، والخلقية كان المجتمع الجاهلي بأشد الحاجة إليها؛ لذا تجده " في أولى قصائده يُعلن تخليه عن صنم أبيه ، و يتوجه إلى النبي - ﷺ - مادحاً " (١٠٥٨) :

لَعَمْرِي إِنْ يَوْمَ أَجَعَلُ جَاهِدًا ضِمَارًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُشَارِكًا
وَتَرْكِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ أَوْلَيْكَ أَنْصَارًا لَهُ مَا أَوْلَيْكََا
كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحُزْنَ يَبْتَغِي لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا
فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَخَالَفْتُ مَنْ أَمَسَى يُرِيدُ الْمَهَالِكَا

إلى أن قال :

نَبِيٌّ أَنَا بَعْدَ عَيْسَى بِنَاطِقٍ مِنْ الْحَقِّ فِيهِ الْفَصْلُ فِيهِ كَذَلِكَا
أَمِينٌ عَلَى الْفُرْقَانِ أَوْلُ شَافِعٍ وَأَوْلُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا

(١٠٥٧). بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة" ، مرجع سابق ، ص ٣٥.

(١٠٥٨). المرجع السابق .

تَلَاقَى عُرَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ انْتِقَاضِهَا فَأَحْكَمَهَا حَتَّى أَقَامَ الْمَنَاسِكََا

رَأَيْتُكَ يَا حَايِرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا تَوَسَّطْتَ فِي الْفُرْبَى وَالْمَجْدِ مَالِكَا

﴿ سَبَقْتَهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعُلَا ﴾ وَبِالْعَايَةِ الْقُصْوَى تَفُوتُ السَّنَابِكَا (١٠٥٩) (١٠٦٠)

فهذه الأبيات تثبت صدق إيمان العباس ، وتخليه عن صنمه الذي طالما اهتم به وحافظ عليه تلبيةً لوصية أبيه ، فقد قام بحرقه ، واتبع النبي - ﷺ - فهو محب له ، ومعجب بما جاء به من إصلاح للنفس والمجتمع ، وبما خصه به الله جل جلاله ، ويظهر ندمه على ما فات من عمره ، ولم يُسلم ، وأنه كان بوده لو شارك مع الأوس والخزرج في نصرة الرسول - ﷺ - ويكون ممن سبق إلى الإسلام ، وذلك في قوله :

﴿ كَتَارِكِ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ يَبْتَغِي ﴾ لَيْسُ لَكَ فِي غَيْبِ الْأُمُورِ الْمَسَالِكَا (١٠٦١)

وهنا يُشبهه حاله أثناء شركه ، وتركه لرسول الله - ﷺ - بمن يبتغي الصعاب ، ويترك سهل الأرض ، فيدخل بذلك في ظلمات وصعوبات لا يمكنه الخروج منها ، فكلما خرج من ظلمة دخل في أخرى ، حتى يهلك ، كذا هي حال من لم يتبع الرسول - ﷺ - ويهتدي بهديه ، ففيه الراحة والطمأنينة ، وبه يكون العلم واتباع الحق ومعرفة الخطأ من الصواب ، فطريقه واضحة سهلة تهدي إلى رضا الله ودخول الجنة ، وهي المراد ، فالمشبه حاله حين ترك الرسول - ﷺ - واتخذ صنمه معبوداً له ، وأنه في حيرة وظلمة وعدم رضا ، والمشبه به حال من يترك سهل الأرض واضح المعالم سهل السير ، وأن ذلك سيؤدي به إلى غياهب الأمور ومشتبكها وظلمات لا انقطاع لها ، وهو وجه الشبه الذي هو الظلمات ، وللمتلقي أن يأول تلك الظلمات والتخبطات ، ظلم الأسر للبنات من وأد وغيره ، وظلم في التعدي على الحقوق ، وإغارة القبائل على بعضها وسلبهم أمنهم ، وشرب خمر وانتهاك الحرمات ، ومغيبات لا علم له بها فيضل ويهلك ، فالصورة هنا من تشبيهه (التمثيلي) ، فحاله لما ترك النبي ، واتخذ الصنم كحال من ترك سهل الأرض؛ ليدخل في صعوبات لا قبل له بها .

(١٠٥٩) . السُّنْبُكُ: طرف الحافر وجانباه من قدم ./ الفراهيدي ، مصدر سابق ، (سنك) ، ج ٥ / ٤٢٧ .

(١٠٦٠) . السُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٠٦١) . المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

وهذه الصورة تظهر الحيرة التي كان عليها الشاعر قبل إسلامه ، فقد أوصاه والده بالصنم ، ومن حوله من الأعراب أكثرهم مشركون ، واعتادوا عبادة الأصنام ، وهو على يقين بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ، ولا ترشد إلى علم أو إلى خير ، فظلَّ يبحث عما يُريح نفسه ويرشده للخير والحق ، وهو على علم بالأنبياء السابقين ، وعلى علم بأن عيسى -عليه السلام- سبق نبينا -عليه السلام- " وهذا يدفعنا إلى القول إنّه كان مُثقفاً ، ومُلمّاً بما يدور في بيئته ، ويتفاعل معها " (١٠٦٢) ، وهو مقرُّ بالرسالة و أن محمداً -عليه السلام- أتى بالحق وبما يرشد إليه ، وكان أميناً ونزل عليه الفرقان ، ففرق به بين الحق والباطل ، وله من الصفات ، والمعجزات ما لم تكن عند غيره من الأنبياء والتي منها قصة إسلامه ، وأخذ يعدد تلك الصفات ، وأنه الشفيح لأمته يوم القيامة ، تأمل تلك الصفات في قوله :

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ عَيْسَى بِنَاطِقٍ مِنْ الْحَقِّ فِيهِ الْفَضْلُ فِيهِ كَذَلِكَ
أَمِينٌ عَلَى الْفُرْقَانِ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا

ثم إنّه حافظ على المجد والعز وله مكانة في قومه ، ومحبة في قلوب أصحابه ، وأقام مناسك الإسلام ، وسوى بين الناس حتى شمل عدله كل إنسان ، وملاً حبه القلوب ، وأنه سبق غيره في المجد والجود والعلا ، حتى فاق الخيل المسرعة في الميدان ، وهو الشاهد على الصورة التشبيهية :

سَبَبْتَهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالْعَلَا وَبِالْعَايَةِ الْفُصُوى تَفُوتُ السَّنَابِكَا

وهنا يصور سرعة جوده وعلو مجده، وسبقه في ذلك بالخيل السنابك المسرعة في جريها لا تتوقف أبداً تبصر ذلك في قوله : (تَفُوتُ السَّنَابِكَا) ، فقد شبه صورة سبقه -عليه السلام- في امتلاك صفات عدّة من مجد، وجود، وعلا، وتحقيق الغاية بصورة سباق الخيل في ميدانها ، وأنها تسبق حافر الخيل المسرعة ، فلا تستقر حتى تحقق الأمر وتنجزه على أحسن حال ، فهذه الخيل تسير دون توقف أو ملل وكلل ، كذلك أخلاق النبي -عليه السلام- متجددة لا تبلى ، ووجه الشبه يكون في تأمل تلك الصورة واستنتاج الصفات منها ، كالرفعة ، والسرعة في امتلاكها ، والقدرة على التحلي بها في كل المواقف ، والأصالة في ذلك ، وثبات تلك الصفات بتنقلها بين الأجيال

(١٠٦٢) . بسج ، أحمد ، العباس بن مرداس السُّلمي "شاعر الفخر والحماسة " ، مرجع سابق ، ص٣٦ ، بتصرف .

على مرّ العصور ، كتتنقل الخيل في الميدان وسيورها سيراً حثيثاً ، فالصورة هنا من تشبيهه (المركب التمثيلي) ، فهو مجمع الخير ، والجود ، ومعالي الأمور ، وكان من مجده تخصيصه بالرسالة ، ورفع اسمه مع اسم الله في الأذان ، وكان أجود من الريح المرسله ، وكان من كرمه - ﷺ - أن أعطى رجلاً غنماً بين جبلين كما جاء في الأثر عن " أنسٍ ، أَنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ - ﷺ - فَسَأَلَهُ ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَتَى الرَّجُلُ قَوْمَهُ ، فَقَالَ : أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - يُعْطِي عَطَاءَ رَجُلٍ مَا يَخَافُ فَاقَةً " (١٠٦٣) ، ونشر الأخوة و الأمن بين المسلمين ، ووحد صفهم ، فعلا شأهم ، وارتقت نفوسهم ، فحق له أن يُعجب ، ويمدح ، ويسجل مدحه على مدى التاريخ ، وهذا ما جعله يقتنع بالإسلام ويدخله ، فقد وجد في شخص الرسول الكريم - ﷺ - القدوة الحسنة ووجد في الإسلام الراحة والهدية ، ووضوح الطريق ، والدعوة للمساواة ، وحسن الخلق ، والرفعة ، وعلو الهمة في كل أمر ، بعد أن كادت الحيرة ، والتشتت تذهب به في المهالك والصعاب .

وفي صورة أخرى يمدح ، ويصف شجاعة النبي - ﷺ - يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطِيَّ (١٠٦٤) وَمَنْ مَشَى فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تَعَدُّ الْأَنْفُسُ
بِكَ أَسْلَمَ الطَّاعُوثُ وَأَتَّبَعَ الْهُدَى وَبِكَ أَنْجَلَى عَنَّا الظُّلَامَ الْحِنْدِسُ (١٠٦٥)

حتى قال :

يُرْوَى الْقَنَاةُ (١٠٦٦) إِذَا بَجَّاسِر (١٠٦٧) فِي الْوَعَى وَتَخَالَه أَسَدًا إِذَا مَا يَعْبِسُ (١٠٦٨)

(١٠٦٣) . الأصبهاني ، أبو الشيخ ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، أخلاق النبي وآدابه ، تحقيق : صالح بن محمد الونيان ، ط ١ ؛ (د.م ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) ، ج ١ / ٢٨١ .

(١٠٦٤) . المطي ، : الركاب و الواحدة راحلة . / الرازي ، ابن فارس ، مجمّل اللغة ، مصدر سابق ، (ركب) ، ص ٣٩٦ .

(١٠٦٥) . الحنيس : الظلمة / الفراهيدي ، مصدر سابق ، (حنيس) ، ج ٣ / ٣٣٢ .

(١٠٦٦) . القناة : الرمح . / الجوهري ، مصدر سابق ، (قنا) ، ج ٦ / ٢٤٦٨ .

(١٠٦٧) . بَجَّاسِر : تطاول . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (جسر) ، ج ١٠ / ٣٠٤ .

في هذه الأبيات يرسم صورة نادرة عن الشجاعة مخاطباً " بها النبي -ﷺ- ويذكر بلائه وإقدامه مع قومه في تلك الغزوة وغيرهما من الغزوات " (١٠٦٩) ، فهو يمدح الرسول -ﷺ- بأنه خير وأفضل من اعتلى فرساً ، ومن مشى فوق الثرى منذ بدء الخليقة ، فإذا هنا " كلمة تدل على ما مضى من الزمان " (١٠٧٠) ، فقد جاء بالإسلام ، فأسلم طواغيت العرب ، واهتدوا ، وأخرجهم من ظلمات الجهل والظلم والتخبط ، وقد كانوا في أشد ظلمة تكاد تطغوا على العقول وتذهب بمحاسن الأخلاق ، إلى نور الإيمان وعبادة الله والحق ، وإلى طريق الرحمة والسلام ، ثم أخذ يصف ويذكر صفاته في الحرب ، وأنه يُشبع الرمح من كثرة الطعن به ، ولا يكف عن الدفاع وصد العدو حتى يتحقق النصر ، وأنه يتقدم الجيش مع اشتداد الحرب والعراك ، حتى أن من يراه يظنه أسد الحرب ، مع ما فيه من رحمة بالمسلمين وشفقة ، فهو شديد على العدو رحيم بالمسلمين رؤوف بهم ، وقد جاء بالصورة التشبيهية في قوله : (وَتَحَالَهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعِيسُ) فشبهه بالأسد حال عبوسه لوصف شدة المعركة وصمود رسولنا الكريم -ﷺ- دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ، وأن عليه من المهابة والجلال ما يجعل عدوه يخشاه قبل أن يلقاه ، ومن ذلك موقفه مع الأراشي فقد رد عليه حقه بعد أن أخذه منه أبو جهل ، فحين وقف يتظلم ويطلب رد ماله عليه في المسجد ، أشار عليه نفر من رجال قريش بأن يذهب إلى محمد -ﷺ- لعلمهم بالعداوة التي بينه وبين أبي جهل ، فأتى الرجل إلى رسول الله -ﷺ- يتظلم وقص عليه قصته مع أبي الحكم بن هشام وسلبه حقه ، وأنه سأل القوم عن من يرد عليه حقه فدلوه عليه فقال -ﷺ- : " انطلق إليه ، وقام معه رسول -ﷺ- ، فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع ، قال: وخرج رسول الله -ﷺ- حتى جاءه فضرب عليه بابه ، فقال: من هذا؟ قال: محمد ، فاخرج إليّ ، فخرج إليه ، وما في وجهه من رائحة ، قد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه ، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله -ﷺ- ، وقال للإراشي: الحق

(١٠٦٨). السُّلَمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٨٨ .

والأبيات في / التادلي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي ، (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق. محمد رضوان الداية ، ط ١؛ (دار الفكر المعاصر : بيروت ، ١٩٩١م) ، ج ١ / ٦٦ .

و / البصري ، أبو الحسن ، علي بن أبي الفرج بن الحسن ، الحماسة البصرية ، مرجع سابق ، ج ١ / ١١٩ .

(١٠٦٩) . البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، مرجع سابق ، ج ٩ / ٣٠ .

(١٠٧٠) . ابن منظور ، مرجع سابق ، ج ٣ / ٤٧٦ .

بشأنك ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال: جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقي، ثمّ جاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحه فقال له: أعط هذا حقه، فقال: نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا (له) ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط! قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي، وسمعت صوته ، فملتت رُعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني. " (١٠٧١) ، فهي إذاً مهابة كمهابة الأسد ، وخشية من بطشه وفتكه بالعدو، وهو هنا استخدم الفعل (تخال) كأداة للتشبيه ؛ ليعطي للخيال مجاله في التخيل وتصوّر الصورة التي تجمع بين المهابة، والإجلال ، والمحبة في نفوس المسلمين ، و المهابة والخوف من البطش في نفوس أعدائه ، وأن هذه الحال تأتيه حال غضبه ، فيخشى بأسه ويُهَاب بطشه ، والصورة هنا من التشبيه (المركب التمثيلي) ؛ لكونه لم يذكر وجه الشبه صراحةً بل اقتصر على تصوير الحالة ليسهل تأويله ، وأنّ في حال الغضب في المعركة يكون كالأسد شجاعاً، وإقداماً وبتشاً ، وجراءة ، فتعدد وجه الشبه أدى إلى توسع الصورة .

وفي صورتين المديحتين يظهر أثر الإسلام بيّنا ، في تخصيصه المديح لشخص الرسول الكريم - ﷺ - وفي اعتماده على المعاني الإسلامية من هدي ونور وحق ومجد ونبوة ، وخصائص تلك النبوة من كتابٍ مُنزل ، وأمانة على حمل الرسالة ، وشفاعة يوم القيامة ، وأنه لا نبي بعده ، وهو خير البشر ، وأنه مُقر بصدق الرسالة وصدق صاحبها ، وهو خير من مشى على التراب وأشرف من اعتلى فرساً منذ بدء الخليقة ، ويظهر فيها صدق العاطفة والبعد عن الغموض والإحساس بالراحة والطمأنينة ، و فيها كذلك مشاكلة الألفاظ للمعاني ، ومناسبتها لها في خفة ورشاقة .

وفي آخر فنونه الشعرية وأقلّها بعد إسلامه : الهجاء ، له صور يُعبر فيها عدوه، ويصوره بصور ساخرة ، بُغية السخرية منه ، وتحقير شأنه وكان ذلك في الجاهلية :

(١٠٧١) . الحميري ، ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ج ١ / ٣٨٩ ،

﴿ إِنَّكَ لَمْ تَكُ كَابِنِ الشَّرِيدِ وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ ﴾

حَمَلَتْ الْمَيْمَنَ وَأَثْقَالَهَا عَلَى أُذُنِي فُنْفُذِ رَازِمٍ (١٠٧٢)

وَأَشْبَهَتْ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو دِ وَالْعِرْقُ يَسْرِي إِلَى النَّائِمِ (١٠٧٣)

انظر لشدة السخرية والاستهزاء بأن جعل الصورة ممتدة من القدم فشبهه بجده في الشر في قوله: (وَأَشْبَهَتْ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو) ، فهذه الأبيات لم يُذكر فيمن قيلت ، وفيها يحاول الشاعر أن يرسم له صورة ساخرة ؛ ليصفه بها وليضحك بها غيره ، سخرية منه واستهزاءً به ، ففي البدء ينفي عنه الشجاعة ، والمكانة بين قومه ، وأنه لم يكن كابن الشريدة ، ولعله يقصد صخر بن عمرو بن الشريدة ، المعروف بالشجاعة والإقدام ، وكان سيّداً في قومه ، وله عليهم الأمر والنهي ، ثم أخذ في تشخيص الصورة بأنه حمل مئات العيوب التي لا يمكن حصرها ولا عدّها ، على أُذُنِي فنُفذ أي أنها صغيرة الحجم بل متناهية ؛ للتقليل من شأنه ، وتصغيره بين قومه ، وتشبيهه بالقنفذ فيه كذلك وسّم له بالجن ، فالقنفذ لا يظهر إلا بالليل ، وبه يُضرب المثل في الجبن " وبأذنيه في القلّة والصّغر " (١٠٧٤) ، وأنه مستقر على هذه الصفات ثابت عليها لا يمكن أن يتغيّر ، فهو من فرط صغره وتناهيه في الذل ، كان كمن يحمل مئات العيوب ، وهو كالقنفذ في الصغر ، والحقارة ، فنقله من طبائع البشر إلى الحيوانات ؛ استصغاراً به واحتقاراً لقدره وشأنه ، ولم يكتفِ بهجائه له بل أرجع هذه الصفات ، وتلك الصورة البشعة إلى جودده وأصوله ، وأنّ هذه الصفات يتوارثها الأجيال عندهم ، وأنه شبيه بجده شرّ الجدود ، كناية عن لزومية هذه الصفات لهم ، من جبن وصغر وذل ، وفي هذه الصورة أكثر من تشبيه ، فقد شبه أُذُنِيه بأذُنِي القنفذ ، دون أن يُوسط الأداة بين طرفي التشبيه لتكون الصورة من التشبيه (البليغ) ، حتى يصف ، ويُعير ، ويزيد من الإهانة ، والذل له ، ثمّ شَبَّهه بجده في الشر ، واستعان فيها بالفعل (أَشْبَهَتْ) ليقرن الطرفين ببعضهما في الصفات والشكل ، والصورة على هذا من التشبيه

(١٠٧٢) المرّام: الثابت المقيم لا يبرح / الشيباني ، الولاء ، الجيم ، مصدر سابق ، (رازم) ، ج ١ / ٣٠٧ .

(١٠٧٣) . السُّلَمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ١٥٢ .

والأبيات في / الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، ج ٦ / ٥٦٦ .

و الدينوري ، ابن فُتَيْبَة ، عيون الأخبار ، مصدر سابق ، ج ٢ / ١٠ .

(١٠٧٤) . الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، ج ٦ / ٥٦٦ .

المرسل المفصل) ، فقد ذكر وجه الشبه في قوله (شر الجدود) ، فالصورة هنا قُصد منها التحقير والتقليل من شأنه ، بل وزاد في التشبيه بالحيوان استصغاراً وانتقاصاً من شأنه ، والصورة تحمل بين طياتها تعبيراً عن مشاعر الشاعر ، وسخطه ، وغضبه ، واشتمزازه من المهجو على أنه لم يذكر اسمه ؛ مع أنه في صورة أخرى يُعيّن المهجو ، ويذكر اسمه ، واسم قبيلته ؛ عظة وعبرة لغيره ، ويجعل صاحبه مثلاً ، كأثر من آثار الجاهلية وحب الانتقام :

﴿ أْبْلَغُ سُرَاةِ بَنِي شِهَابٍ كُلِّهَا وَدَوِي الْمَثَالَةِ ﴾^(١٠٧٥) مِنْ بَنِي عِتَابٍ

كَثُرَ الضَّجَاجُ وَمَا مُنِيثٌ بِعَادِرٍ كَعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

جَلَلَتْ حَنْظَلَةُ الْمَخَانَةَ وَالْحُنَا^(١٠٧٦) وَدَنَسَتْ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ^(١٠٧٧)

اتسع نطاق انتشار هذه الأبيات ، وأثرت في وجدان الناس ، وتأثروا بها حتى ضُرب بصاحبها المثل في الغدر " أَعْدِرُ مِنْ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ " ^(١٠٧٨) ، وقصة المثل وسبب قوله للأبيات ، غدر عتيبة بالعهد الذي كان بينهما ^(١٠٧٩) ، فقد أنكر الميثاق وأسر ابن أخيه أنس ، وبذا بلغ من الغدر مالم يبلغه أحد من العرب في نظر العباس وغيره ، ذلك أن أنساً أعانهم على أعدائهم فتنكروا له ، وأخذوا إبله ، وأخذوه هو أسيراً حتى افتدى نفسه بممّتي ناقة ، والذي يظهر أنه

(١٠٧٥) . المَثَالَةُ: حُسن الحال . / الزبيدي ، مرتضى ، مرجع سابق ، (مثل) ، ج ٣٠ / ٣٨٩ .

(١٠٧٦) . الْحُنَا مِنْ الْكَلَامِ : أَفْحَشُهُ . / الأزهري ، أبو منصور ، مصدر سابق ، (حنا) ، ج ٧ / ٢٣٨ .

(١٠٧٧) . السُّلْمِي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٥٠ .

(١٠٧٨) . النيسابوري ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ، مجمع الأمثال ، مرجع سابق ، ج ٢ / ٦٦ .

(١٠٧٩) . " بين ثعلبة بن يربوع وبني رعل ألا يؤكل مال ولا يسفك دم ، فأغار عتيبة بن الحارث على طوائف من بني كلاب (يوم الجوين) فاطردوا إبلهم ، وكان أنس بن العباس الأصم أخو بني رعل من بني سليم مجاوراً في بني كلاب ، فلما عرفهم بنو كلاب قالوا لأنس: قد عرفنا ما بين بني رعل وبني ثعلبة فأحبسهم علينا حتى نلحق بهم ، فخرج أنس في آثارهم ، فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة بن الحارث أكفنيه ، فقال أنس: إنما أنا أخوكم وعقيدكم ، وقد مضت إبلي فما أخذتم من هؤلاء القوم؟ فقال له: حياك الله ، هلم فاعزل إبلك ، فقال: والله ما أعرفها وبنو أخي وأهل بيتي قد أمرتهم بالركوب وهم في إثري ، وهو أعلم بما مني ، فبينما هم كذاك إذ طلع فوارس بني كلاب فاستقبلهم حنظلة في فوارس معه ، فقال لهم أنس: إنما هم بني وبنو أخي وإنما بريتهم لنلاحق جماعة فوارس بني كلاب ، فلحقوا فقتلوا الحوثة ابن قيس الكلابي وحنظلة بن الحارث وحمل لأم ابن سلمة من بني ثعلبة على الحوثة فأسره ، فدفعه إلى عتيبة فقتله صبراً ، وهزم الكلابيون ، ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، ثم أتبعهم أنس طمعاً في أبله ، فوافق عتيبة ، فأخذة عتيبة أسيراً ، وأتى به أصحابه ، فافتدى أنس نفسه بممّتي بغير " النهشلي ، عبد الكريم القيرواني ، المتع في صنعة الشعر ، تحقيق: د. محمد زغلول سلام ، د. ط ؛ (مصر : الإسكندرية ، منشأة المعارف) ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

احتفظ به أسيراً حتى يذل قومه أو طمعاً في الزيادة في الفداء لأسيرهم ، وجاء أيضاً أن أنساً هذا " هو أنيس بن مُرة بن مرداس" (١٠٨٠) ، أي أنه ابن أخ العباس ، لذا تعاضم ذلك في نفس العباس ، وأخذ يُعيّره ، ويعدد مساوئه على الملاء وأنه دنس أهله وعشيرته بهذه الخيانة ، ولم يبق أحد في جزيرة العرب إلا وعلم بسوءته التي قام بها ، لذا استهزل أبياته بطلب (أبلغ سُرارة بني شهابٍ كُلّها) ، حتى يُعرف خبره ، وما كان منه فيحذر ، ويعيّر بفعلته ، وعظم خطب هذا الغدر ، حتى أصبح أمراً جليلاً يوسم به قومه ، ويمهد من خلال ذلك للصورة التشبيهية في قوله : (وَمَا مُنِيتُ بِعَادِرٍ كَعَتِيْبَةٍ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ) فالصورة التشبيهية هنا من التشبيه (التمثيلي) ، فقد حدد الصفة أولاً وهي الغدر ، وأعلن المشبه به وهو عتيبة بن الحارث ، بينما أخفى وجه الشبه لكونه من الصفات الذميمة التي تنكرها الفطرة الإنسانية ، مثل: الدناءة ، والمكر ، وشناعة الفعل ، والذمامة وغيرها ، ثم ما تلاها من الصفات هو من قبيل إضافة أبعاد للصورة ، من القول الفاحش ، والخيانة ، ونقض العهد ، وكره الناس لهذه الخصال ، ولحق العار بنفسه وبقومه ، وهو لم يرد الهجاء فقط بل أراد " أن يتشقى ويُنقى عن غضبه ، ثم لا يُيالي بعد ذلك شيئاً" (١٠٨١) .

بينما بعد إسلامه لم يظهر هذا النوع من الهجاء اللاذع ، وابتكار صور ساخرة ؛ لتحقير الناس منه بتشبيهه بالحيوان ، أو تعميم ذكره بين الناس بما فعله ، وإشهاره بذلك حتى يُضرب به المثل في أسوأ الصفات ، وأحقرها فالهجاء الجاهلي يرى الشاعر فيه أن المهجو مجرم ، وأن " هناك طائفة من المجرمين ، قد غلظت طبائعهم بما أُشربوا في قلوبهم الباطل والإثم والغرور ، حتى ما يؤثر فيهم نُصْحٌ أو تحذير ، فهو ينشر على الناس مخازيهم ، ويجعلهم أضحوكة ومثلة ، وقد لا يرجو من وراء عمله هذا أن يُصلحهم أو يُطهرهم ،" (١٠٨٢) .

في حين أن الهجاء بعد الإسلام " كان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة ، وبما رضيه النبي - ﷺ - من حسان بن ثابت شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتحرج منه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي - ﷺ - وخلفائه ؛ ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين (الخطيئة) ، وهدده بقطع لسانه ؛ لنيله من

(١٠٨٠) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، ص ٥٠ .

(١٠٨١) . حسين ، م. محمد حسين ، الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، د.ط ؛ (مكتبة الآداب بالجاميز) ، ص ١٩ .

(١٠٨٢) . المرجع سابق ، ص ١٦ .

بعض المسلمين: ثم صار يتساهل في حَظِّهِ حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع ، والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في العصر الآتي... " (١٠٨٣) ، فقد اتجه نحو المشركين ولم يعد هجاءً شخصياً من أجل النيل من الشخص لأفعاله ، أو نحوه ، بل من أجل ردعه عن عمله ، ولفت انتباهه إلى أخطائه ، لعله يُسلم ، أو يعود إلى صوابه ، فيعرف الحق والصواب ، فهو في أغلبه إصلاحية تهذيبي ، أكثر من كونه لأجل السخرية أو الاستصغار و التحقير ، ذلك أنّ الإسلام دعا إلى التآخي ، ونبت العداوة ، والإصلاح ، والبعد عن الدم ، و التهاجي ، وجاء في تفسير حديث " (لأن يمتلي جوف أحدكم فيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلي شعراً) ، إنّما يُراد به الشعر الذي فيه الباطل ، والهجو من القول . " (١٠٨٤) ، فلذا هدّب الإسلام الشعراء ، ونهاهم عن التهاجي بالنسب ، أو وصف الخلق ، والسخرية من ذلك ، ويظهر هذا جلياً في هجاء العباس لبني ثقيف يوم حنين :

لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ ثَقِيفُ بِجَنبِ الشَّعْبِ أُمْسٍ مِنَ الْعَذَابِ

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَتَلْتُهُمْ أَلْدُ مِنَ الشَّرَابِ (١٠٨٥)

فهو أولاً وجّه الخطاب إلى ثقيف مباشرة ، لعلمهم بسبب الهجاء ، فما كان منهم مع النبي - ﷺ - قبل الهجرة ، ثم ما كان منهم من إعراض عن الإسلام ، والدخول فيه بعد فتح مكة ، فهو الدافع عند شعراء الرسول - ﷺ - ، وهنا يُشبههم برأس العدو دون أن يسخر من صفاتٍ خلقية ، ودون أن يرسم لهم صورة ساخرة مستصغراً ومحقراً ، كما كان منه في الشاهد السابق ، فالقصد منه ردعهم عما هم عليه من الغواية ، وعدم اتباع الحق ، والإعراض عنه ، واكتفى بالتهديد لهم ، وأنّ قتلهم بالنسبة له ألد من الشراب ، فهو يطلب رضا الله ورسوله ، ونصر دينه بقتل الأعداء ، وردهم عن غيهم ، وهذا ما أكّده مطلع القصيدة :

(١٠٨٣). الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، مرجع سابق ، ج ٢ /

. ١٣٢

(١٠٨٤). العيني ، بدر الدين ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين ، عمدة القاري شرح صحيح

البخاري ، تحقيق : عبدالله محمود محمد عمر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) ، ج ٧ /

. ٣١١

(١٠٨٥). السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

سبق شرح البيت في / ص ٤٩ - ٥٢ ، من هذا البحث .

إِذَا فُرسَ الْعَوَالِي لَمْ يُخَالِجْ هُمُومِي غَيْرَ نَصْرٍ وَأَقْتَرَابِ

فَأَيُّيِ وَالسَّوَابِحَ يَوْمَ جَمْعٍ وَمَا يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ (١٠٨٦)

فالهدف عنده هنا هو اتباع الرسول ، وتحقيق النصر للمسلمين ، وتأبيدهم ، ومن ذلك التأييد تنبيط أعدائهم ، وتحقيرهم ، وردعهم عما هم عليه من معاداة الرسول - ﷺ - والإسلام ، فلذا وصفهم بأنهم أكثر الناس عداوة ، بل بهم من العداوة والشر ما جعلهم على رأس أعداء العباس والمسلمين .

وبالموازنة بين الصور نجد في الصورة الأولى تشخيصاً ، ورسماً لمعالم غير حقيقية ؛ استصغاراً وتحقيراً بالمهجو ، فقد أراد الشاعر في هذه الأبيات الهجاء اللاذع عن طريق تشبيه المذموم بالقنفذ في شكله ، ومكره ، وذمامته ؛ ذلك أنّ القنفذ من الحيوانات التي لا تخرج إلا ليلاً ، وهذا من المكر والخداع ، وهنا يظهر لِمَا اختار أبو الهيثم القنفذ من بين سائر الحيوانات ؛ لما فيه من الدلالة على الخداع ، والذمامة ، والتحقيق ، وصغر القدر ، وأنّ هذه الصفة لا تقتصر عليه بل هي وراثية عنده ؛ ولذا جاء بذكر جده ومن يسري دمهم فيه ، وهذا زيادة في الذم والتحقيق ، ساخراً منه ، ومن قبيلته ، ونسبه ، وخلقته ، وعلى ما في البيت من إهانة ، وذم فإن القاضي الجرجاني يعدُّ هذا النوع من الهجاء أبلغ المهجو " فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض " (١٠٨٧) ، وفي الثانية معايرة ، واستهزاء بذكر الصفة التي على أساسها استحقَّ الهجاء ، وتصريح باسمه ، وبقومه ، وقبيلته ، وإذاعة ذلك بين العرب ؛ ليزداد ذلاً ، وتحقيراً ، وليوسمه بعاره .

وفي الصورة التي قُصد منها هجاء بني ثقيف ، أظهر العداوة الصريحة ، وأنهم نالوا ما يستحقونه من العذاب ؛ لكونهم رأس العدو في تلك المنطقة ، وأنّ هذه العداوة لم تأت من عداوة شخصية أو تأثر شخصي بينهم كما كان من حنظلة ، بل هو نصرٌ لله ورسوله - ﷺ - ؛ لعله يكون رادعاً لهم ، وداعياً لهم لا تباع الحق ، والسير مع النبي وصحابته ، دون أن يتعرّض لصفات جسدية ، أو خلقية ، أو طعن في النسب ، أو تشخيص ، أو رسم لهيئة معينة استهزاء واحتقاراً ، و ذلك تماشياً مع تعاليم الدين الحنيف ، وتأثراً به أسلوباً وفكراً .

(١٠٨٦). السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(١٠٨٧). الجرجاني ، القاضي ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

وحين نذكر الهجاء تحضر صورة هجاء العباس لابن عمه خُفاف والتي تحولت فيما بعد إلى نقائص ، والتهاجي بينهما بسبب الخلاف على رئاسة القبيلة ، ومن الأحق بذلك ، فأخذ يذكره بما يملك ، ويهدده بما من خيل ، وفرسان ، وقوة ، وعتاد ، كما في قول خفاف:

أعباسُ إنّا و ما بيننا كصدع الرّجاجة لا يُجبرُ (١٠٨٨)

وردّ عليه العباس بقوله مُهدداً له ومتوعداً :

خُفافُ ألم ترّ ما بيننا  يزيدُ استعاراً إذا يُسعرُ

لنا شيمٌ غيرُ مجهولةٍ توارثها الأكبرُ الأكبرُ

وخيلٌ تكدّسُ بالدارعيِ نَ تُنحرُ في الروعِ أو تُعقرُ

عليها فوارسُ محبورةٌ كجنّ مَساكِنها عَبقرُ (١٠٨٩)

وبعد الإسلام خجل مما كان بل وأصبحت العلاقة علاقة أخوة ، لا تنافس ، وتحول من كره إلى ودٍ ، وأخوةٍ ، وحياءٍ مما كان بينهما :

وأيقنتُ أني لِمَا جئتُهُ  مِنَ الأَمْرِ لايسُ ثويّ خزي

حياءً ومثلي حقيقٌ به ولم يلبس القوم مثل الحيا (١٠٩٠)

فهي إذاً تعاليم الإسلام ، وأخلاقه أعادت المحبة بينهما وأوقفت الشحناء ، فخلت النفوس من البغضاء وتوقف الهجاء بينهما ، وكلُّ اعترف للآخر بالفضل ، والأخوة ، يقول خُفاف :

أعباس إن الذي بيننا أبى أن يُجاوزهُ أربَعُ

علائق من حسب داخل مَعَ الإل والتّسب الأرفعُ

وَأَن ثنية رأس الهجاء مء بيني وبَيْنك لا تطلُعُ (١٠٩١)

(١٠٨٨) .السلمي ، خفاف بن ندبة ، ديوان خفاف بن ندبة السلمي . تحقيق : نوري حمود القيسي ، (ط بغداد : مطبعة المعارف ١٩٦٨ م) ، ص ٥٩ ، نقلاً عن عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(١٠٨٩) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٧٤،٧٥ .

والأبيات سبق شرحها في ، ص ٤٦ من هذا البحث .

(١٠٩٠) . السلمي ، العباس بن مرداس ، الديوان ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

والبيت سبق شرحه في ، ص ٥٣ - ٥٦ من هذا البحث .

(١٠٩١) . التبريزي ، أبو زكريا ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو

تمام حبيب بن أوس) ، د.ط ؛ (بيروت : دار القلم) ج ١ / ٢٥٠ .

فقد تذكروا الرحم ، وما بينهم من علائق تجعلهم ينهون العداوة ، ويتناسونها بل ويبدلونها بالأخوة ، والود ، وإنهاء التهاجي ، وعلى هذا يظهر أثر الإسلام جلياً في صفاء النفوس من الشحنة ، والبغضاء والحسد ، وفي الوعي الفكري ، والوجداني ، وأيضاً اتضح أن الإسلام لم يُبطئ الشعر عما كان عليه ، ولم يوقف مسيرته التعبيرية ، والتصويرية ، بل أمدّ الشاعر بألفاظ ومعانٍ مُكتسبة ، قويّة ، ومعبرة ، وأسلوب رصين ، وبفكر ، وحكمة ما ألفها من قبل وبأخلاقٍ سادت المجتمع ؛ لتعلو معها الهمة ، والتآلف ، والوحدة ؛ لذا من العلماء من عاود النظر في شعر صدر الإسلام ، وأنصفه من الضعف ؛ فابن خلدون بعد أن اتهمه بالضعف لانشغال المسلمين بالوحي عنه ، وبالفتوحات عاد فذكر " أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليّة في منثورهم ، ومنظومهم ، إنّا نجد شعر حسّان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجريير والفرزدق ونصيّب وغيلان ذي الرّمّة والأحوص وبشّار ، ثمّ كلام السّلف من العرب في الدّولة الأمويّة أرفع طبقة في البلاغة من شعر النّابغة وعنترة وابن كلثوم ، وزهير ، وعلقمة بن عبدة ، وطرفة بن العبد ، ومن كلام الجاهليّة في منثورهم ، ومحاوراتهم ، والطّبع السّليم والدّوق الصّحيح شاهدان بذلك للنّاقذ البصير بالبلاغة ، والسّبب في ذلك أنّ هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطّبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللّذين عجز البشر عن الإتيان بمثلتهما لكونها ولجت في قلوبهم ، ونشأت على أساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم ، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهليّة ممّن لم يسمع هذه الطّبقة ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة ، وأصفى رونقا من أولئك ، وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالی الطّبقة... " (١٠٩٢) ، وهو ما كان من د. الجندي ، فقد حكم على الألفاظ ، والمعاني في تلك الفترة بالقوة والعدوبة ، وأنها امتازت بسلاستها ، وعدوبتها ، وتُعدّها عن التعقيد، ودلالاتها على المعنى ، فقد عمد الشعراء إلى الاهتمام " بألفاظهم وعباراتهم ، فينتقون ويدققون في اختيار الألفاظ، ويتحرون أن تكون ألفاظاً شعريّة تؤدي الغرض المقصود ، بما

(١٠٩٢) . الإشبيلي ، ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج ١ / ٧٩٨ .

تحمل من معاني القوة ، والتأثير " (١٠٩٣) ، ومن هذا فضله المنصفون له ، و رأوا فيه القدوة ، والمثل الحسن في الجودة ، واللفظ ، والمعنى ، وهو ما تراه الباحثة : فمن خلال الموازنة ظهر تماماً أن الإسلام هذب اللفظ، وحسن المعنى ، وركز الطبع السليم ، ونشر الخلق الحسن ، وحث عليه ، فكان شعر شعراء صدر الإسلام قدوةً لغيرهم ، في حُسن العبارة ، والمعنى ، وسلاسة الأسلوب وانسجام المعاني ، وتألفها ، والبعد عن التكلف ، آملةً أن أكون قد وفقتُ في بيان ذلك وتوضيحه .

(١٠٩٣) . الجندي ، علي ، في تاريخ الأدب الجاهلي ، ط دار التراث الأول ؛ (مكتبة دار التراث ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) ، ص ٤٥٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان ، ويسّر ، وأتمّ ، وأنعم ، فيما قصدت إليه ، من استتمام الوطر ، واستيفاء النظر في المتخير من شعر العباس بن مرداس ، وتبين ما فيه من بلاغة ، وحسن نظم ، وبديع صنعة فنيّة ، كشفت عن خبايا من جوانب شخصيّة الشاعر ، وحياته ، فقد كانت هذه الدّراسة الممتعة مع إرهاقها ، دليلاً على قدرة الشاعر الإبداعية في التصوير والتشخيص والابتكار ، وقد ظهر لي بعد تمعن في صور العباس التشبيهية نتائج وهي :

- ١- تنوع الصور التشبيهية عند الشاعر ، واختلافها تبعاً للغرض والهدف منها .
- ٢- كان شعر العباس صورةً ناطقةً ، نستجلي من خلالها أموراً ذات قيمة تاريخية ، وأدبية ، ولغوية تتعلق بواقع فترتين متميزتين ومتباينتين .
- ٣- تداخل الصور البيانية مع الصورة التشبيهية ، إمّا تمهيداً لها ، وإمّا تعقيباً عليها ، وتوسيعاً لها .
- ٤- كانت صوره التشبيهية ، كسيفه في الدّفاع ، يحمي بها ، ويفخر .
- ٥- أكثر صوره كانت من التشبيه (المركب التمثيلي) ، وتلاه (المركب الضمني) مما يدلّ على سعة خيال الشاعر في تعدد ، وجوه الشبه ، وتنوعها ، وتنوع أبعاد الصورة ودلالاتها .
- ٦- استعانته بأنواع بلاغية ، كالتقديم والتأخير ، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، والطباق ، وغيرها لإضافة دلالات جديدة على الصورة .
- ٧- تفرّده من بين شعراء عصره باستخدامه لفعل (جعل) ، وما جرى مجراه من أفعال الشك واليقين مثل (حسب) ، و (ظنّ) ، وغيرها في الربط بين طرفي التشبيه .
- ٨- تأثرت صوره بالقرآن في الاقتباس منه ، وفي لطف عباراته ، وألفاظه بعد إسلامه ، وتأثره أيضاً بتعاليم الإسلام في القتل ونبد العنف والوحشيّة ، والبعد عن الهجاء والضعيفة .
- ٩- توخى الوعر من الألفاظ ، والأعرابيّ الحشن في الصورة التشبيهية ، إن كان المجال في الفخر والدفاع ، والهجاء ، ووصف المعارك ، والقتال ، وندر استعمالها في المديح ، والغزل .

١٠- ثراء صوره التشبيهية بالألفاظ، والمعاني القديمة التي يفتقر إليها أدبنا الحديث ، والتي من شأنها أن تفيد الدارس العربي .

١١- تنوع الصور داخل الصورة التشبيهية ، ما بين صورة حسية شمّية وحسية بصرية ، كما عمل على تلوين الصورة من خلال الصورة البصرية ، واختارها بحسب الموقف ، سواء في الحزن ، والخوف ، والترقب ، أو في الفرح والسرور والحماس .

١٢- جاء وصفه ليوم حنين موافقاً لما ذكر في القرآن الكريم من عجب بالكثرة ثم ضيق وحنق إلى نزول الرحمة وتحقيق النصر .

١٣- بعده عن الغزل الفاحش في التصوير ، فقد اكتفى في صوره بالصفات الخلقية ، والحسية ، دون وصف لجسد المرأة ، كما عند قرنائه في تلك الحقبة .

وهذه النتائج التي ترتبت على معايشة لشعر العباس ، ومدارسة له ، لا تتوقف على ناحية الصورة التشبيهية التي ارتكزت عليها الدراسة ، بل هناك توصيات ترى الباحثة أهميتها فيما يتعلق بشعر العباس ، ومن ذلك :

*دراسة الصورة البلاغية عند العباس بشكل عام ، لتتضح جوانب البلاغة عنده ، وتظهر جماليات شعره ، وقدرته الفنية في التصوير والإبداع والابتكار .

*العناية بشعر عصر صدر الإسلام وشعرائه ، خاصة المغمورين منه كبشر بن أبي خازم ، والمتملمس ، ومسكين الدارمي ، وغيرهم ، مما يُسهم في دحر شبهة ضعف الشعر في صدر الإسلام ، وأنه لا يستحق النظر إليه ، كما ادّعى بعض الباحثين .

*محاولة الكشف عن العلاقات الدلالية لشعراء صدر الإسلام ، في الألفاظ والمعاني المشتركة ، وذلك بقصد إثراء المعجم اللغوي في العصر الحديث ، ودعّمه بمفردات وألفاظ جديدة وفصيحة ، والذي بدروه يسهم في البلاغة وتطورها واتساع مجالها الدراسي .

وفي نهاية المطاف تؤكد الباحثة على ضرورة الاستزادة من الدراسات البلاغية التحليلية التطبيقية - خاصة في الشعر القديم ، لما لها من أثر في الكشف عن معاني القرآن الكريم، وأثره في

النفوس وفي الشعر والنثر ، وعلى اللغة في اكتساب المعاني الجديدة والفريدة ، كما تسهم في فهم معانيه وخدمته على الوجه الذي يليق به .

هذا ، وما كان من حسنٍ ، أو توفيقٍ ، أو إجادة فهو من الله عز وجل ، و ما كان من خطأٍ أو نقصٍ ، أو زللٍ ، أو تقصيرٍ ، فمن نفسي ومن الشيطان ، وصلى الله على نبي الرحمة وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان .

ملحقات البحث الجداول والإحصاءات

جدول بعدد الصور التشبيهية التي تم دراستها في هذا البحث

عدد الصور التشبيهية المفردة :

٧	التشبيه المرسل الجمل
٩	التشبيه المرسل المفصل
١٤	التشبيه البليغ
المجموع : ٣٠	

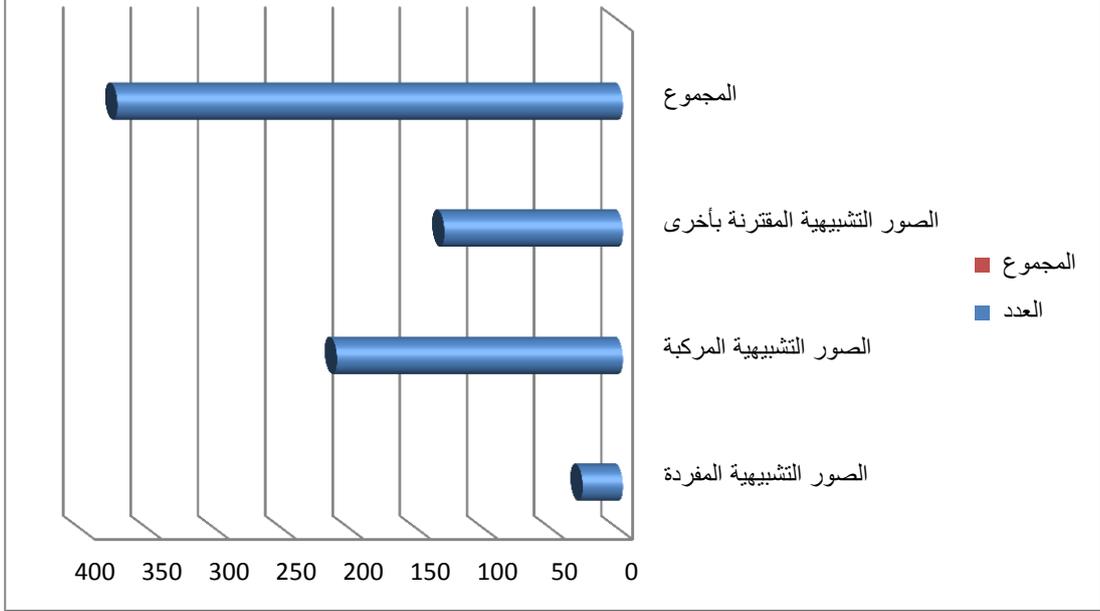
عدد الصور التشبيهية المركبة :

١٥٩	المركب التمثيلي
٥٤	المركب الضمني
المجموع : ٢١٣	

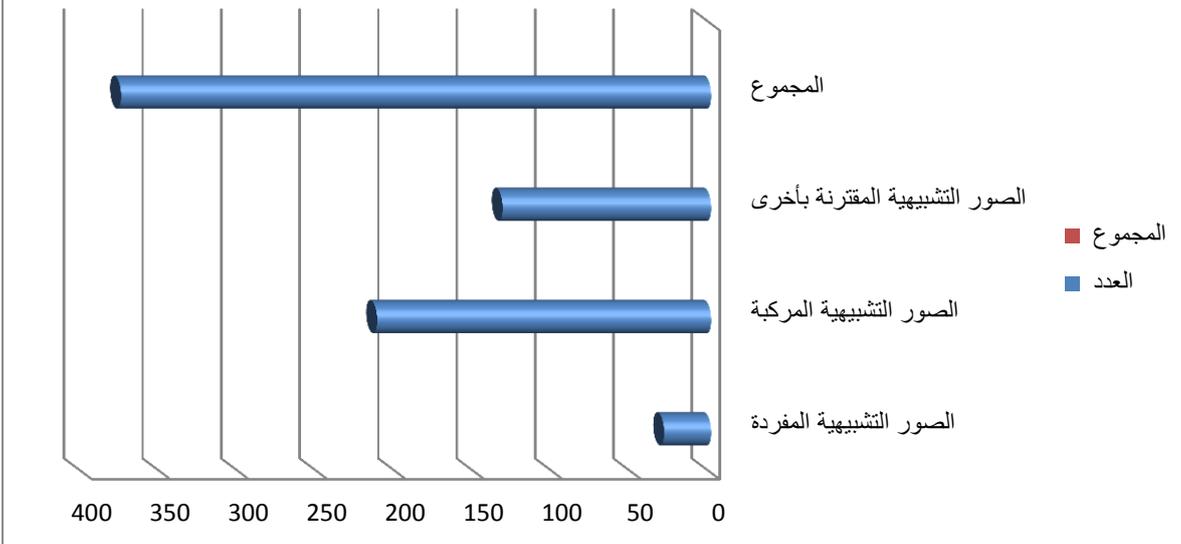
عدد الصور التشبيهية المقترنة بصور بيانية أخرى :

٤٧	في المستويات
٥٤	في سمات الصورة
٣٢	في الموازنة
المجموع : ١٣٣	

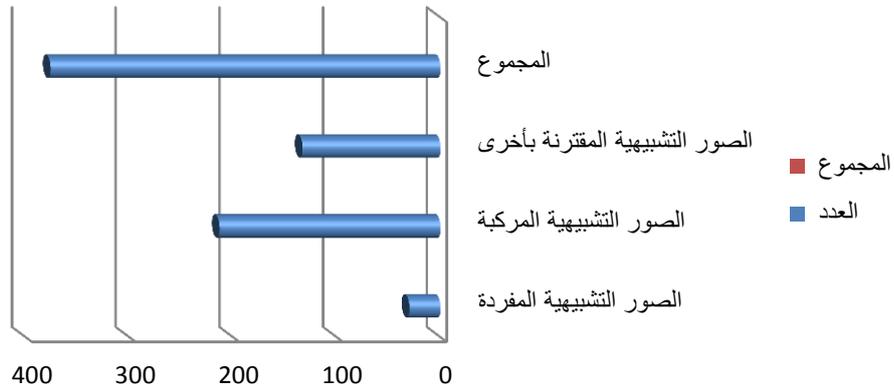
عدد الصور التشبيهية المفردة



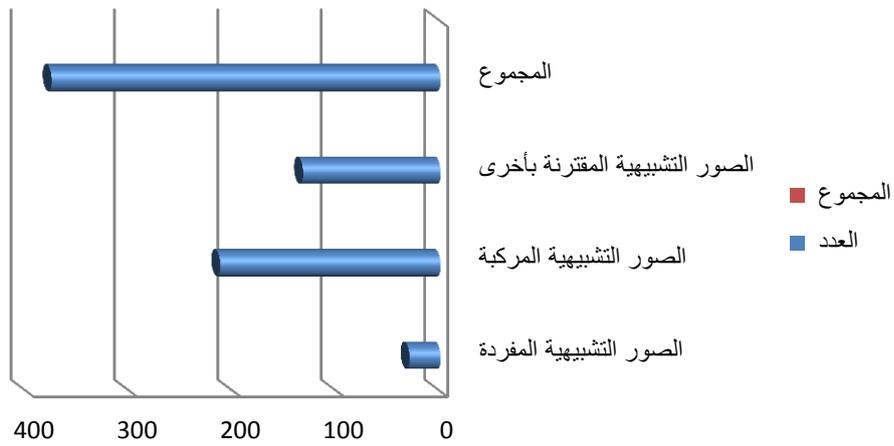
عدد الصور التشبيهية المركبة



عدد الصور التشبيهية المقترنة بصور بيانية أخرى



إجمالي عدد الصور التشبيهية



الفهارس الفنية

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الآيات

- فهرس الأعلام

- فهرس الأبيات الشعرية

- فهرس المصطلحات البلاغية

- فهرس الموضوعات

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ،

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري_، تحقيق/ السيد أحمد صقر ، والمجلد الثالث من تحقيق / د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه) ، ط ٤؛ (مصر : دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب (٢٥) ، والمجلد ٣ ، ط ١؛ (مكتبة الخانجي ، ١٩٩٤ م) . .

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، تحقيق : د ف. كرنكو ، ط ٢، (لبنان : بيروت : دار الكتب ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .

- ابن الأبرص ، عبّيد ، ديوان عبّيد بن الأبرص ، شرح ، أحمد أشرف عدرة ، ط ١؛ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .

-إميرت ، إنريك أندرسون ، د. الطاهر ، أحمد مكّي ، (ترجمة) ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ،
، مناهج النقد الأدبي ، القاهرة ، مكتبة الآداب .

- ابن الأثير ، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، د. ط ؛ (القاهرة ، الفجالة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) .

- ابن الأثير، الجزري ، الشيباني ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، عز الدين ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .

- ابن الأحنف ، العباس ، ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخزرجي ، د. ط ؛ (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) .

- الأجدّابي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية ، تحقيق : السائح علي حسين ، د. ط ؛ (الجماهيرية الليبية : طرابلس : دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة) .

- الأخفش الأصغر، علي بن سليمان بن الفضل ، الاختيارين ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، ط ١ (لبنان : بيروت ، سوريا: دمشق ، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

- الأزدي ، ابن دريد. بكر محمد بن الحسن . **جمهرة اللغة**. تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط ١، (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٧ م) .
- الأزدي ، كراع النمل ، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي ، المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، ط ٢؛ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٨ م) .
- **المنتخب من غريب كلام العرب** ، تحقيق. د محمد بن أحمد العمري ، ط ١؛ (جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .
- الأزهرى، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١ م) .
- الأسترابادي ، ركن الدين ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني ، **شرح شافية ابن الحاجب** ، تحقيق : د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة) ، ط ١؛ (د.م ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) .
- الأسدي ، ابن يعيش ، ابن الصانع ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، **شرح المفصل للزخشي** ، تحقيق : د. إميل بديع يعقوب ، ط ١؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- الأسدي ، أبو خازم ، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق : مجيد طراد ، ط ١، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .
- اسماعيل ، عز الدين ، **التفسير النفسي للأدب** ، ط ٤ ، (الفضالة : مكتبة غريب) .
- الأسود الغندجاني ، أبو محمد الأعرابي ، **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها** ، تحقيق: أ.د. حمد علي سلطاني . ط ١، (سوريا : دمشق . دار العصماء . ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م) .
- الإشبيلي ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة ، ط ٢؛ (بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- الإشبيلي ، ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : عبدالله محمد الدرويش ، ط ١، (دمشق : دار البلخي و دار الهداية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) .

- الإشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط ١؛ (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م).

- الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود خليل، ط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ).

- الأصبهاني، أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، ط ١؛ (د.م، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، دلائل النبوة، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط ٢؛ (بيروت: دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسن، كتاب الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس و د. إبراهيم العسافين، وأ. بكر عبّاس، ط ٣؛ (بيروت: دار صادر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

- الأصبغي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب:

الأصمعيات، تحقيق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، ط ٧، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٣م)، ص ٢٠٤ وما بعدها.

فحولة الشعراء، تحقيق المستشرق: ش. تورّي، قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، ط ٢؛ (لبنان: بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ١٤).

فحولة الشعراء، ط المنيرية، ص ٦٤.

- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢).

- الأندلسي، ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، العقد الفريد، ط ١؛ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ).

- الأندلسي، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط ١؛ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣/١٤٠٣).

- الأندلسي ، ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ، **العقد الفريد** ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) .
- الأنصاري ، ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، **لسان العرب** ، ط ٣ ؛ (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ) .
- الأنصاري ، ابن هشام ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، ابن هشام ، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، د. ط ، (القاهرة : دار الطلائع للنشر ، د. ت) .
- الأنصاري ، الأحوص ، **شعر الأحوص الأنصاري** ، تحقيق : عادل جمال و قدّم له :د. شوقي ضيف ، ط ٢ ؛ (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .
- الأنصاري ، حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : أ. مهنا عبد ، ط ٢ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- الأنصاري ، عبد القدوس الأنصاري . **كتاب بنو سليم** ، ط ١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ١٣٩١ هـ) .
- أنيس ، إبراهيم أنيس ، **دلالة الألفاظ** ، ط ٥ ؛ (مصر : مكتبة الأنجلو . ١٩٨٥ م) .
- بابتي ، عزيزة فوال ، **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين** ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٨) .
- ابن برد ، بشار بن برد ، **ديوان بشار بن برد** ، تحقيق ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، د. ط ، (الجزائر : وزارة الثقافة ، ٢٠٠٧ م) .
- ابن بطل ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، **شرح صحيح البخاري لابن بطل** ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط ٢ ، (السعودية، الرياض: مكتبة الرشد ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- البرقوقى ، عبد الرحمن ، **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري** ، ط ١ ؛ (مصر : المطبعة الرحمانية ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) .
- البرمكي ، ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان الإربلي ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، (بيروت: دار صادر ، ١٩٠٠ م) .

- بستان ، صُبْحِي ، الصَّوْرَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي الْكِتَابَةِ الْفَيْيَةِ وَالْفُرُوعِ ، ب ط ١ ، (بيروت : دارُ الفكرِ اللَّبْنَانِي ، ١٩٨٦ م) .
- البستي ، ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التَّمِيمِي الدارمي ، صحیح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط . ط ٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .
- بسج ، أحمد حسن ، العباس بن مرداس السُّلَمِي (شاعر الفخر والحماسة) ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- بسيوني ، فيود ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط ٢ (المملكة العربية السعودية : الأحساء : دار المعالم الثقافية و مؤسسة المختار ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ م) .
- البصري ، صدر الدين ، علي بن أبي الفرج بن الحسن ، الحماسة البصرية ، تحقيق: مختار الدين أحمد ، د. ط ؛ (بيروت : عالم الكتب ، د. ت) .
- البصير ، كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، موازنة وتطبيق ، د. ط ، (العراق : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ هـ) .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، ط ٤ ؛ القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- البغدادي ، ابن الجعد ، علي بن الجعد بن عبید الجَوْهَرِي ، مسند ابن الجعد ، تحقيق: عامر أحمد حيدر ، ط ١ ؛ (بيروت : مؤسسة نادر ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- البغدادي ، ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- البغدادي ، أبو الفرج ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، نقد الشعر ، ط ١ ؛ (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٣٠٢ هـ) .
- البغدادي ، أبو المعالي ، محمد بن الحسن بن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ط ١ ، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٧ هـ) .
- البغدادي ، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، الأمثال ، تحقيق : د. عبد المجيد قطامش ، ط ١ ؛ (د. م ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط ٤ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط ٤ ؛ (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .
- البغدادي ، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، السلاح ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، ط ٢ ، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- البغوي ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه ، معجم الصحابة ، تحقيق ، محمد الأمين بن محمد الجكني ، ط ١ ؛ (الكويت : مكتبة دار البيان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .
- البهيتي ، نجيب محمد ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، د.ط ؛ مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ م) .
- البيهقي ، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ) .
- التادلي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجزائري ، (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق : محمد رضوان الداية . ط ١ ، (بيروت: دار الفكر المعاصر ، ١٩٩١ م) .
- التبريزي ، أبو زكريا ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس) ، د.ط ؛ (بيروت : دار القلم) .
- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخران ط ٢ ؛ (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) .
- التلب ، د. إبراهيم عبد الحميد السيد التلب ، التشبيه دراسة في تطور المصطلح ، ط ١ ، (دار الطباعة المحمدية بالأزهر ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
- التوحيددي ، أبو حيان ، علي بن محمد بن العباس ، الإمتاع والمؤانسة ، ط ١ ؛ (بيروت : المكتبة العنصرية ، ١٤٢٤ هـ) .

- التونسي ، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، د. ط ؛ (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ هـ) .
- التميمي ، أبو عبيدة معمر بن المثنى :
 كتاب النقائص - نقائص جرير والفرزدق ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، ط١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .
- الخييل ، ط١ ؛ (الهند : حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨ هـ) ، ص ١٥٤ .
- شرح نقائص جرير والفرزدق ، تحقيق: محمد إبراهيم حور ، وليد محمود خالص ، ط ٢ ؛ (الإمارات ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي، ١٩٩٨ م) .
- مجاز القرآن ، تحقيق: محمد فواد سزكين ، ط (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٨١ هـ) ، المقدمة .
- الثعالبي ، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق :عبد الرزاق المهدي ، ط ١ ؛ (د.م ، إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) .
- ثويني ، حميد بن آدم ، فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور ، ط ١ ، (عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ) .
- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني :
 البيان والتبيين ، د.ط ؛ (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣ هـ) .
- الحيوان ، ط ٢ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ) .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٠ هـ) .
- الجبوري ، كامل سلمان ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي وحتى ٢٠٠٢ م ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ) .
- الجبوري ، يحيى ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ط ٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .
- الجرجاني ، أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي :
 دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر، ط ٣ ، (القاهرة : مطبعة المدني ، جدة: دار المدني ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .

أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، (مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) .

أسرار البلاغة ، تحقيق : الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أسامة صلاح الدين ميمنة ، ط ٢ ، (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

- الجرجاني ، الشريف ، علي بن محمد بن علي الزين ، كتاب التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، ط ١ ، (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

- الجرجاني ، القاضي ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتبني وخصومه ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، د.ط ؛ (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) .

- الجنيد ، محمد السيد ، الوحي والإنسان - قراءة معرفية ، د.ط ، (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع) .

- الجمحي ، محمد بن سلام بن عبید الله ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، د.ط (جدة : دار المدني ، د.ت) .

- الجندي ، علي :

فن التشبيه ، ط ١ ، (مصر : مكتبة تحفة مصر ، ١٩٥٢ م) .

- في تاريخ الأدب الجاهلي ، ط ؛ دار التراث الأول ؛ (مكتبة دار التراث ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) .

- الجواليقي ، ، أبو منصور ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن ، شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق : مصطفى صادق الرافعي ، د.ط ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) .

- الجوزية ، ابن قيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ٢٧ ؛ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، و الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) .

- الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ، ط ٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

- ابن حجر ، أوس ، ديوان أوس بن حجر ، تحقيق: محمد يوسف نجم ، ط ١ ، (بيروت : دار بيروت للطباعة ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م) . حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ط ١٥ ، (مصر : دار المعارف ، د . ت) .
- حسين ، د ، عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، د ، ط ، (القاهرة : دار غريب ، ١٩٩٨ م) .
- حسين ، م . محمد حسين ، الهجاء والهجاءون في الجاهليّة ، د . ط ؛ (مكتبة الآداب بالجاميز) . (
- الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ، أبو إسحاق الحصري القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، بيروت : دار الجيل ، د . ط .
- الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، تحقيق : حمدو طماس ، ط ٢ ؛ (لبنان : بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- الحَمِصِيّ ، إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن عبد الله بن ناصف بن جنبلاط بن سعد الأيازجيّ ، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، د . ط ؛ (مصر : مطبعة المعارف ، ١٩٠٥ م) .
- حمود ، د . حمادي حمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ط ١ ، (منشورات الجامعة التونسية ، طبع بالمصلحة الرسمية بالجمهورية التونسية ، ١٩٨١ م) .
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي : معجم البلدان ، ط ٢ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٥ م) .
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .
- الحميري ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : د . حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، ط ١ ، (دار الفكر المعاصر : لبنان : بيروت و سوريا : دمشق ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
- الحميري ، بن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ الشليبي ، ط ٢ ؛ (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م) .
- الحنفي ، أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني ، لكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري ، د . ط . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د . ت) .

- الخالديان ، أبو بكر محمد بن هاشم و أبو عثمان سعيد بن هاشم ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين (حماسة الخالدين) ، تحقيق.د. محمد علي دقة ، د.ط (الجمهورية العربية السورية : وزارة الثقافة، ١٩٩٥) .
- الخركوشي ، أبو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، شرف المصطفى ، ط ١ ؛ (مكة :دار البشائر الإسلامية ،١٤٢٤ هـ) .
- الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ،سر الفصاحة ، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .
- خفاف بن ندبة ، ديوان خفاف بن ندبة السُّلمي . تحقيق : نوري حمود القيسي ، (ط بغداد : مطبعة المعارف ١٩٦٨م) ، ص ٥٩ ، نقلاً عن عسيلان ، العباس بن مرداس (الصحابي الشاعر) .
- خليف ، مي يوسف ، القصيدة الجاهلية في المفضليات " دراسة موضوعية وفنيّة " ، د. ط. (الفجالة : مكتبة غريب ، د.ت) .
- ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي ، كتاب ذم المسكر ، تحقيق : د. نجم عبد الرحمن خلف ، د.ط (الرياض : دار الراجعية ، د.ت) .
- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م) .
- داود ، د. محمد محمد ، العربية وعلم اللغة الحديث ، د.ط ؛ (القاهرة : دار غريب ، ٢٠٠١م) .
- الدارمي ، مسكين ، ديوان مسكين الدارمي ، تحقيق : كارين صادر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠م) .
- الداية ، د، فايز الداية ، جماليات الأسلوب -الصورة الفنية في الأدب العربي ، ط ٢ ، (لبنان :بيروت : دار الفكر المعاصر وسورية دمشق : دار الفكر ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م) .
- الدمشقي ، يوسف البديعي ، الصبح المنبي عن حيشة المنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري) ، ط١، (المطبعة العامرة الشرفية ، ١٣٠٨ هـ) .

- د. أحمد علي ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً ، ط ٢ ، (دمشق : مطبوعات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٠ م)
- الدينوري ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم :
- المعاني الكبير في أبيات المعاني ،** تحقيق : المستشرق د سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، ط ١ ؛ (الهند ، حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٦٨هـ ، ١٩٤٩م ، و لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- الجرائم ،** تحقيق : محمد جاسم الحميدي و مسعود بوبو ، د.ط ؛ (دمشق :وزارة الثقافة ، د.ت .).
- الشعر والشعراء ،** ط ؛ (القاهرة: دار الحديث ، ١٤٢٣ هـ) .
- غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (بغداد : مطبعة المعاني ، ١٣٩٧) .
- المعارف ،** تحقيق: ثروت عكاشة ، ط ٢ ؛ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م) .
- عيون الأخبار ،** د. ط ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ) .
- **الذبياني ، النابغة ، ديوان النابغة الذبياني ،** تحقيق ، حمدو طماس ، ط ٢ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- **الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز :**
- تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ ،** تحقيق: د. بشار عوَّاد معروف ، ط ١ ؛ (دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣ م) .
- سير أعلام النبلاء ؛** ط (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) .
- العرش ،** تحقيق : محمد بن خليفة بن علي التميمي ، ط ٢ ؛ (المملكة العربية السعودية : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- **الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، مختار الصحاح ،** تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، ط ٥ ؛ (بيروت : المكتبة العصرية ، و صيدا :الدار النموذجية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) .
- **الرازي ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني :**

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط ١؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، د.ط (د.م : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- مجمّل اللغة ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، ط ٢، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
- الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ، مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، ط ٥ ؛ (بيروت وصيدا : المكتبة العصرية :الدار النموذجية) ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- الرافي ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، تاريخ آداب العرب ، ط ١؛ (القاهرة : مكتبة الإيمان) .
- الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، كتاب معاني الحروف ، تحقيق : حسين إسماعيل شلبي ، ط ٢؛ (المملكة العربية السعودية : جدة: دار الشروق ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .
- زايد ، د، علي عشري ، البلاغة العربية -تاريخها مصادرها مناهجها - ، ط ٦، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) .
- الزبيدي ، عمرو بن معد يكرب ، شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، جمعه : مطاوع الطرايشي ، ط ٢ ، (دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام ، ط ١٥؛ (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م) .
- الزحشري ، أبو القاسم ، جار الله ، محمود بن عمرو بن أحمد :
الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض ، د.ط (القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ١٣١٩هـ - ١٩٩٩م) .
- أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط ١؛ (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .
- الفائق في غريب الحديث والأثر ، تحقيق، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢؛ (لبنان : دار المعرفة) .

- المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق : د. علي بو ملحّم ، ط ١ ، (بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٩٣) .
- الرّوزنيّ ، حسين بن أحمد بن حسين ، شرح المعلقات السبع ، ط ١ ؛ (دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) .
- السامرائي ، فاضل ، الجملة العربية - تأليفها وأقسامها - ، ط ٢ ، (الأردن : عمان . دار الفكر ناشرون ومفكرون ٢٠٠٧م - ١٤٢٧ هـ) .
- السبكي ، بهاء الدين، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندراوي ، ط ١ ؛ (لبنان : بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ، الأشباه والنظائر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .
- السّري الرّفاء ، ديوان السري الرّفاء ، شرح : كرم البستاني ، مراجعة : ناهد جعفر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٦ م) .
- السعران ، محمود ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ط ٢ ؛ (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٧) .
- ابن أبي سلمى . ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي فاعور ، ط ١ ، (لبنان : بيروت . دار الكتب العلمية . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، مفتح العلوم ، تحقيق: نعيم زرزور ، ط ٢ ، (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- سلمان ، د. علي جاسم ، موسوعة معاني الحروف العربية ، د. ط ؛ (الأردن : عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ م) .
- السلمي ، العباس بن مرداس ، ديوان العباس بن مرداس السّلمي ، تحقيق : د. يحيى الجبوري ، ط ١ ؛ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) .
- السلمي والغوث ، عبد الله ومختار ، مناهج البحث في اللغة والأدب ، د. ط (خوارزم العلمية للطباعة والنشر ، ١٤٣٠ هـ) .

- سيويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط^٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- السيوطي ، جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر :
الخصائص الكبرى ، د. ط ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م) .
ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ؛
- الكنز اللغوي في اللسن العربي ، تحقيق: أوغست هفتر ، د. ط؛ (القاهرة : مكتبة المتنبجي) ، (فدع) .
إصلاح المنطق. تحقيق : محمد مرعب . دار إحياء التراث العربي.
- إصلاح المنطق ، تحقيق : أحمد شاکر و عبد السلام هارون . د. ط ، (مصر : دار المعارف د. ت) .
- الشايب ، أحمد ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ط ٢؛ (مصر : مطبعة النهضة المصرية ١٩٥٤ م) . بنت الشاطيء ، عائشة بنت عبد الرحمن ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، ط ٢؛ (مصر : دار المعارف ، د. ت) .
- الشنطي ، محمد صالح :
فن التحرير العربي ، طه ، (السعودية : حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- في الأدب العربي القديم (عصوره واتجاهاته وتطوره ونماذج مدروسة منه) ، ط ٢؛ (حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- أبو شُهبة ، محمد بن محمد بن سويلم ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ط ٨؛ (دمشق : دار القلم ، ١٤٢٧ هـ) .
- شوقي ، أحمد ، الشوقيات ، ط (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٨ م) .
- شوقي ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، المدارس النحوية ، د. ط . (مصر : دار المعارف د. ت) .
- الشيباني ، أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١؛ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) .

- الشيباني ، الجزري ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، وبشير عيون ، ط ١ ؛ (مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان ، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م .).
- شيخو ، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب ، مجاني الأدب في حدائق العرب ، د.ط ؛ (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩١٣ م) ، ج ٥ / ١٨٢ .
- الصالح ، صبحي:
دراسات في فقه اللغة ، ط ١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) .
مباحث في علوم القرآن، ط ٢٤ ؛ (بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠ م) .
- الصالحي ، محمد بن يوسف الشامي ، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .
- صباغ ، د . محمد علي زكي ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ، ط ١ ، (بيروت وصيدا: المكتبة العصرية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) .
- صبح ، علي علي مصطفى :
المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ط ١ ؛ (المملكة العربية السعودية : جدة ، دار تهامة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، د.ط (دار إحياء الكتب العربية ، د.ت) .
-الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، د.ط ؛ (بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، د.ط ؛ (مصر : المطبعة الكاستلية ، ١٢٨٣ هـ) .

- صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر ،
فوات الوفيات ، تحقيق: إحسان عباس ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ١٩٧٣ - ١٩٧٤هـ) .
- ابن الصمة ، دريد ، ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول د.ط ؛ (القاهرة :
دار المعارف ، د.ت) .
- الصوفي ، د. ماهر أحمد ، الموسوعة الكونية الكبرى (آيات الله في خلق الحيوانات البرية
والبحرية وبعثها وحسابها) ، ط ١ ؛ (بيروت وصيدا : المكتبة العصرية ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧
م) .
- الضبعي ، المتلمس ، ديوان المتلمس ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، د.ط ؛ (القاهرة :
معهد المخطوطات العربية بالجامعة الدول العربية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ، ص ١٧٨ .
- الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم :
أمثال العرب ، تحقيق: إحسان عباس ؛ ط ١ (لبنان : بيروت : دار الرائد العربي،
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- المفضليات ، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، ط ٦ ؛ (القاهرة : دار
المعارف ، د.ت .) .
- ضيف ، شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ط ١٢ ، (مصر : دار المعارف ،
د.ت) .
- الطائي ، أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، الوحشيات وهو الحماسة الصغرى
، تحقيق : عبد العزيز الميمني و محمود محمد شاكر . ط ٣ ، (القاهرة: دار المعارف ، د.ت .) .
- طبانة ، بدوي طبانة ، البيان العربي - دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب
ومناهجها ومصادرها الكبرى ، ط ٧ ، (جدّة : دار المنارة للنشر والتوزيع ، الرياض : دار
الرفاعي للنشر ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٠م) .
- الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط ١ ،
(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) .
- طبل ، د، علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ط ٣ ، (بيروت: دار الأندلس ، ١٩٨٣م) .

- الطرابلسي ، ، إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو إسحاق اللواتي الأجدابي ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية ، تحقيق: السائح علي حسين . د. ط ، (الجماهيرية الليبية : طرابلس : دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة . د. ت .) .
- طرفة بن العبد ، ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : مهدي محمد ناصر الدين ، ط ٣ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) .
- الطرماح ، بن حكيم ، ديوان الطرماح ، تحقيق: عزة حسن ، ط ٢؛ (لبنان : بيروت ، سورية : حلب ، دار الشرق العربي ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- طنوس ، وهيب ، نظام التصوير الفني في الأدب العربي (من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ومن القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي) ، د. ط . (منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .
- طه ، أبو أسماء محمد بن طه ، الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية ، تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي ، والشيخ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر ، ط ٢ ، (القاهرة ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، و الفيوم : دار سبل السلام ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م) .
- الظاهري ، أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، جوامع السيرة النبوية ، د. ط ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت .) .
- الظهار ، أ. د . نجاح أحمد عبد الكريم : الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني " توثيق وتحليل ونقد " ، ط ١ ، (د. م ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، ج ٣ / ٣٥٣
- الصورة البلاغية وأثرها في المتلقي (التشبيه - الاستعارة - الكناية) دراسة تحليلية ، قيد الطباعة .
- نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني " دراسة ، وتحليل ، ونقد " ، ط ١ ؛ (دار الرشد ، د. ت .) .
- عاشور ، عبد اللطيف ، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، د. ط؛ (د. م ، القاهرة .) .
- العامري ، ليبيد بن ربيعة ، ديوان ليبيد بن ربيعة العامري ، د. ط ، (بيروت . دار صادر ، د. ت .) .

- العامري ، لبيد بن ربيعة بن مالك، ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : حمدو طماس ، ط ١ ؛ (د.م . دار المعرفة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- العاني . د. سامي مكّي ، الإسلام والشعر ، ط ؛ (عالم المعرفة : سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطنية للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ١٩٩٦ م) .
- عباس ، إحسان ، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، د.ط ؛ (الكويت : التراث العربي ، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، ١٩٦٢ م) .
- عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، ط ٤ ؛ (الأردن : إربد : دار الفرقان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- العباسي ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط ، (بيروت: عالم الكتب ، د. ت .) .
- عبد ربه ، أ. د. فوزي السيّد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، د.ط ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٥ م) .
- عبد الرحمن ، نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ط ٢ ، (الأردن : عمان : مكتبة الأقصى ١٩٨٢ م) .
- عبد المطلب ، د. محمد ، البلاغة والأسلوبية ، ط ٤ ، (مصر : الشركة المصرية العالمية للنشر ، ٢٠١٢ م) العبسي ، عنتر بن شداد ، ديوان عنتر بن شداد ، تحقيق : مجيد طراد ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- العبيدي ، أ.د. رشيد عبد الرحمن ، معجم الصوتيات ، ط ١ ؛ (العراق : مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ديوان الوقف السني ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) .
- العتكي ، ثابت ، شعر ثابت بن قطن ، تحقيق : ماجد أحمد السامرائي ، ط (وزارة الثقافة والإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، د.م ، د. ت .) .
- عتيق ، عبد العزيز ، علم البيان ، ط ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) ، ط ١ ؛ (لبنان : بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .

- عرفة ، عبد العزيز عبد المعطي ، من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - ، ط ٢؛ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ م) .
- ابن عساكر ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف ، تاريخ دمشق ، تحقيق ، عمرو بن غرامة العمروي ، ط ؛ (د.م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .
- العسقلاني ، ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد :
- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق ، عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ط ١ ؛ بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ) .
- تهذيب التهذيب ، ط ١؛ (الهند : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٦ هـ) .
- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران :
- الأوائل ، ط ١؛ (طنطا : دار البشير) ، ص ١٢٤ .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، تحقيق : الدكتور عزة حسن ، ط ٢ ؛ (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٩٦ م) .
- جمهرة الأمثال ، د.ط ، (بيروت : دار الفكر) ، ج ١ / ٥٣٨ .
- ديوان المعاني ، تحقيق : أحمد حسن بسج ، ط ١؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ، الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، د.ط ؛ (بيروت : المكتبة العنصرية ، ١٤١٩ هـ) .
- المصون في الأدب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط ٢؛ (مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤ م) .
- معجم الفروق اللغوية ، الشيخ بيت الله بيّات ، ومؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم) ، ١٤١٢ هـ) .
- عسيلان ، عبد الله عبد الرحيم ، العباس بن مرداس السُّلمي (الصحابي الشاعر) ، ط ١ ؛ الرياض : دار المريخ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) .
- عصفور ، د. جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط ٣ ؛ (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢ م) .

- عكاشة ، د. محمود ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية) ، ط ٢؛ (القاهرة : دار النشر للجامعات ، ٢٠١١ م) .
- العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي : إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي ، تحقيق : د. عبد الحميد هندراوي ، ط ١، (مصر: القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .
- اللباب في علل البناء والإعراب ، تحقيق : د. عبد الإله النبهان، ط ١، (دمشق: دار الفكر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .
- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٤، (د.ت ، دار الساقى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .
- عمر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط ٥ (عالم الكتب ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) .
- عمر ، أحمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط ١، (د.م . عالم الكتب ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) .
- عياد ، شكري ، علم الأسلوب ، ط ١، (. المملكة العربية السعودية : الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .
- عيد ، د. رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، ط ٢؛ (الاسكندرية : منشأة المعارف ، د.ت) .
- العيني ، بدر الدين ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : عبدالله محمود محمد عمر ، ط ١؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) .
- العُنيَم. د. يوسف يعقوب ، قراءة في دفتر قديم - من آمالي العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر من كتاب الأصمعيات للأصمعي - ، ط ٣، (الكويت : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، مجلة الوعي الإسلامي ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) .
- الفاخري ، د. صالح سليم عبد القادر ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، د. ط ؛ (الأسكندرية : المكتب العربي الحديث) .
- الفارابي ، أبو إبراهيم ، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ، معجم ديوان الأدب ، تحقيق: د. أحمد مختار عمر و د. إبراهيم أنيس ، د. ط (القاهرة : مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .

- الفارسي ، أبو علي ، المسائل البصرية ، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، ط ١ ؛ (د.م ، مطبعة المدني ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ هـ) .
- فتحي ، إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، ط ١ ؛ (الجمهورية التونسية : التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، ١٩٨٦) .
- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق : أحمد يوسف النجاشي وآخرون ، ط ١ ، (مصر : دار المصرية للتأليف والترجمة ، د ، ت) .
- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، العين ، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، د.ط ، (دار ومكتبة الهلال) .
- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، كتاب العين ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ - ١٤٢٤ هـ) .
- فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ط ٤ ؛ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١ م)
- فهمي ، جابي زاده علي ، حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، ط ١ ، (الرياض : دار الملك عبد العزيز ، ١٤٣٤ هـ) .
- فياض ، سليمان ، استخدامات الحروف العربية . (معجمياً ، صوتياً ، صرفياً ، نحويّاً ، كتابياً) ، ط ١ ، (المملكة العربية السعودية : الرياض : دار المريخ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) .
- الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٨ ؛ (لبنان : بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- القاضي ، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ط ١ ؛ (د.م ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- القرشي ، أبو محمد ، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري ، الجامع في الحديث لابن وهب ، تحقيق : مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير ، ط ١ ، (الرياض : دار ابن الجوزي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .
- القرشي ، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط ١ ؛ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .

- القرطاجني ، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم ، منهج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : د. محمد الخوجة بن حبيب ، ط ٣ ، (تونس : دار العربية للكتب . ٢٠٠٨ م) .
- القرطبي ، ابن مضاء ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ، ابن عمير اللخمي ، الرد على النحاة ، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا ، ط ١ ؛ (د.م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .
- القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- القزويني ، ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط ١ ، (د. م ، دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) .
- القزويني ، أبو المعالي ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين الشافعي ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ٣ ؛ (بيروت : دار الجيل) .
- القط ، د. عبد القادر ، في الشعر الإسلامي والأموي ، د. ط ؛ (دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .) .
- القطامي ، ديوان القطامي ، تحقيق: إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، ط ١ ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٠ م) .
- قطب ، سيد قطب ، ، النقد الأدبي- أصوله ومناهجه ، ط ٥ ؛ (القاهرة: دار الشروق ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .
- قطرب ، أبو علي ، محمد بن المستنير بن أحمد ، الأزمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، ط ٢ ؛ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .
- القيرواني ، ابن رثق ، أبو علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ؛ (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .
- القيس ، امرؤ ، ديوان امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي . ط ٢ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) .
- القيس ، امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، تحقيق، مُصطفى عبد الشافي ، ط ٥ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ) .

- كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني :
معجم المؤلفين ، د.ط ؛ (بيروت : مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي)
- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، د.ط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) .
- ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب ، نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام ، تحقيق :
نورى القيسى وحاتم صالح الضامن . د.ط ، (مطبعة المجمع العلمى العراقى . ١٩٨٥ م .
١٤٠٦ هـ) .
- لاشين ، د. عبد الفتاح :
التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. ط ، (المملكة العربية
السعودية : الرياض : دار المريخ ، د . ت) .
- البيان فى ضوء أساليب القرآن ، د.ط؛ (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ م) .
- المالكي ، حسن بن محمد المشاط ، إنارة الدجى فى مغازى خير الورى صلى الله عليه وآله
وسلم ، ط٢؛ (جدة : دار المنهاج ، ١٤٢٦ هـ) .
- مبارك ، زكى ، الموازنة بين الشعراء ، د.ط ؛ (القاهرة : مؤسسة هنداونى للتعليم والثقافة ،
د.ت) .
- المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد :
الكامل فى اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣؛ (القاهرة : دار الفكر
العربى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- المقتضب ، محمد عبد الخالق عظيمة ، د.ط ؛ (بيروت : عالم الكتب ، د.ت) .
- المحولى ، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام ، أبو بكر ، فضل الكلاب على كثير ممن لبس
الثياب ، تحقيق : ركس سميث/محمد عبد الحليم ، ط١ ، (د.م ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٣ م) .
- مختار ، أحمد عمر ، علم الدلالة ، ط٥ ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٨ م) .
- المرزوقى ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق :
غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين ، ط١؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ -
٢٠٠٣ م) .
- المرسي ، ابن سيّدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل :

- المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .
- المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١؛(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .
- المرقشين ، ديوان المرقش الأكبر ، تحقيق : كارمن صادر ، ط ١ ؛ (بيروت : دار صادر ١٩٩٨) .
- المصري ، حمدي فراج محمد فراج المصري ، الأفعال الناسخة ، د.ط. (د. م . ١٩٩٨ م) .
- المصري ، د. محمد عبد الغني ، نظرية أبي عمر الجاحظ في النقد الأدبي ، ط١، (الأردن : عمان : دار مجدلاوي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ،
- مصطفى ، والزيات ، وعبد القادر ، والنجار ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار ، المعجم الوسيط ، ط٢، (تُرْكِيَا : استنبول ، دار الدّعوة ، ١٩٨٩م - ١٤١٠هـ) .
- مطلوب ، أحمد ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ط ١ ، (الكويت : وكالة المطبوعات ، وبيروت : د، م ، ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ) .
- المغزي ، الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم الوزير ، الإيناس بعلم الأنساب ، تحقيق : حمد الجاسر، ط١؛ (المملكة العربية السعودية : الرياض ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م) .
- المقرئزي ، تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .
- المكّي ، العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ، ط ١ ؛ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .
- الملوحّي ، عبد المعين ، المنصفات ، د.ط (دمشق ، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، إحياء التراث القديم ، ١٩٦٧م) .
- أبو موسى ، د . محمد محمد :
- التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط٢، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، ط ٢ ، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .

- الموصللي ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان :
سر صناعة الإعراب ، ط ١ ؛ (لبنان : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) ،
الخصائص ، ط ٤ ؛ (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
- الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَ ، البلاغة العربية ، ط ١ ، (دمشق : دار القلم ،
بيروت : الدار الشامية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .
- أبو ناجي ، محمود حسن ، شعراء العرب الفرسان في الجاهليّة والإسلام ، ط ١ ؛ (بيروت
ودمشق : دار علوم القرآن ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ، ص ٢٤٣ .
- ناجي ، د. مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ط ١ ، (لبنان :
بيروت ، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
- النبالي ، عبد اللطيف مطيع ، لغة الحرب في شعراء الحماسة " دراسة دلالية " ، ط ١ ، (الأردن : عمّان : دار جرير ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) .
- النجار ، محمد عبد العزيز ، ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ط ١ ؛ (د.م. مؤسسة
الرسالة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- النمري ، الحافظ يوسف بن البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : الدكتور شوقي
ضيف ، ط ٢ ؛ (القاهرة : دار المعارف - القاهرة ، ١٤٠٣ هـ) .
- النهشلي ، عبد الكريم القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، د.ط
؛ (مصر : الإسكندرية ، منشأة المعارف) .
- النويري ، أحمد شهاب الدين ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قميحة ، ط ١ ؛
(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ) .
- النيسابوري مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري :
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -
صحيح مسلم - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ط ؛ (بيروت : دار إحياء التراث
العربي) .

- الكنى والأسماء ، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، ط ١؛ (المملكة العربية السعودية ،
المدينة المنورة ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).
- النيسابوري ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ، **مجمع الأمثال** ، تحقيق: محمد محي
الدين عبد الحميد ، د. ط ، (لبنان : بيروت : دار المعرفة ، د. ت) .
- الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى :
جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، تحقيق : لجنة من الجامعيين ، د. ط ؛
(بيروت : مؤسسة المعارف) .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، تحقيق : د. يوسف الصميلي ، د. ط ، (بيروت
- صيدا: المكتبة العصرية . د. ت .) .
- هذّارة ، مصطفى هذّارة ، **في البلاغة العربية - علم البيان -** ، ط ١ ، (بيروت : دار
العلوم العربية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .
- الهذليين ، **ديوان الهذليين** ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، د. ط ؛ (القاهرة : الدار
القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م) .
- الهمداني ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي زين الدين ، **الأماكن أو ما اتفق لفظه
وافترق مسماه من الأمكنة** ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ، د. ط ، (دار اليمامة للبحث
والترجمة والنشر ١٤١٥ هـ) .
- الهمداني ، ابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ، **صفة
جزيرة العرب** ، ط ؛ (مطبعة برييل : ليدن ، ١٨٨٤ م) .
- أبو يحيى ، د. أحمد إسماعيل ، **الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين** ، ط ١؛ (بيروت :
المكتبة العصرية ، ١٩٩٧ م) ، ص ١١٩ ، نقلاً عن السعيد ، ناصر بن دخيل الله بن فالح
(١٤٢٠ هـ - ١٤٢١ هـ) ، **البناء البلاغي في شعر علقمة بن عبدة الفحل** " دراسة تحليلية
" ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية وآدابها ، قسم الدراسات العليا فرع الأدب والبلاغة
والنقد ، مكة المكرمة .
- الوطواط ، أبو إسحق ، برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي ، **غرر الخصائص
الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة** ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط ١؛ (لبنان : بيروت
: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .

- الولاء الشيباني ، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني الولاء ، الجيم ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، محمد خلف أحمد ، د. ط ، (القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) .
- وهبه ، مجدي ، والمهندس ، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط ٢ ؛ (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م) .
- اليحصبي ، أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي . مشارك الأنوار على صحاح الآثار ، د.ط ، (المكتبة العتيقة ودار التراث . د.ت .) .
- اليزيدي ، أبو عبد الله ، محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك ، كتاب الأمالي ، ط ١ ؛ (الهند : حيدر آباد الدكن : مطبعة جمعية دائرة المعارف ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٣٨ م) .
- اليسوعي ، زُفائيل نخله ، المنجد في المترادفات والمتجانسات ، ط ٣ ؛ (لبنان : بيروت : دار المشرق . د . ت .) .
- اليشكري ، الحارث بن حلّزة ، ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، صنعة : مروان عطية ، ط ١ ؛ (دمشق : دار الامام النووي و دار الهجرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤) .

الرسائل العلمية

- البدارين، مؤمن عمر محمد ، (١٤٢٠ - ١٩٩٩ م) ، بناء الجملة العربية في شعر السُّلميين (الخفاف بن ندبة ، والخنساء بنت عمرو ، والعباس بن مرداس) ، (رسالة ماجستير) ، إشراف د. كمال جبري عبهري ، كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت .
- بن جدو ، وهيبة ، (١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٥ م - ٢٠٠٦ م) ، التشبيه عند المبرد ، (رسالة ماجستير) ، إشراف د . عبد الجليل مُصطفى . كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر .
- الجبّاري محمّد آية الله ، (١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ) ، التشبيه في شعر السّري الرّفاء ، (رسالة ماجستير) ، إشراف : أ. د : محمود السيّد شيحون . صدرت هذه الرّسالة عن قسم البلاغة والتّقد بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة .

- الحارثي ، مريم بنت عوض بن جابر ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، التصوير البياني في شعر عُدي بن الرقاع العاملي ، (رسالة ماجستير) ، إشراف د. يوسف عبد الله الأنصاري. كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى .
- حسن ، محمد ناجح (٢٠٠٤م) ، الإبداع والتلقي في الشعر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين .
- الديك ، محمد ساري عبد رشيد ، (١٩٩٤م) ، العباس بن مرداس السلمي " حياته وشعره " ، (رسالة ماجستير) . ، كلية الآداب بجامعة الكوفة .
- الربيعي ، حامد صالح خلف (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، رسالة دكتوراه (منشورة) ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، مركز بحوث اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- الراددي ، صباح محسن ، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ، شعر بني سليم في الجاهلية والإسلام حتى نهاية العصر الأموي (جمع و توثيق ودراسة) ، (رسالة دكتوراه) ، إشراف أ.د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة طيبة .
- السعيد ، ناصر بن دخيل الله بن فالح (١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ) ، البناء البلاغي في شعر علقمة بن عبدة الفحل " دراسة تحليلية " ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية وآدابها ، قسم الدراسات العليا فرع الأدب والبلاغة والنقد ، مكة المكرمة.
- السفياني ، مرزوقة عبد الله ، (١٤٢٤هـ - ١٩٩٤م) ، التصوير البياني في شعر القطامي " دراسة وتحليل " ، (رسالة ماجستير) ، إشراف د. عوض بن معيوض ، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا في البلاغة و النقد بجامعة أم القرى .
- عواف ، أحمد بن يحيى بن إبراهيم ، (١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ) ، الصورة البيانية في شعر أبي الحسن التهامي . " دراسة بلاغية نقدية " ، (رسالة ماجستير) ، إشراف د. صالح بن محمد الزهراني . كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي . بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- غبن ، يحيى أحمد رمضان ، (٢٠١١) ، الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .. (رسالة ماجستير) ، إشراف أ.د. عبد الخالق محمد العف. كلية الآداب ، قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بغزة في فلسطين.

- الفهمي ، لسعيدة بنت عتيق بن مليح، (١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م) ، التَّشْبِيه التَّمثِيلِي فِي قَصِيدَةِ الْمَدْحِ عِنْدَ أَبِي تَمَامٍ ، (بَحْثُ تَكْمِيلِي لِنَيْلِ دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ) ، إشراف أ.د. السَّعِيدِ عَبْدِ الْمَجِيدِ النَّوْتِي . كَلِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِرْعُ الْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ . بِجَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى .
- قَبَائِلِي ، حُمَيْد ، (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م) ، الصُّورَةُ الْبَيَانِيَّةُ فِي الْمَدْحَةِ النَّبَوِيَّةِ عِنْدَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ (رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرِ) إشراف د . حسن كاتب . كَلِيَّةُ الْآدَابِ وَاللُّغَاتِ ، قَسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا . جَامِعَةُ مَنْتَوْرِي . قُسْنَطِينَةُ . الْجَزَائِرِ .
- مَقْبَل ، ثَابِتُ مُحَمَّدٍ صَغِيرٍ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، الْمُنْصَفَاتُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرِ ، جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى ، كَلِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، قَسْمُ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا ، فِرْعُ الْآدَابِ ، مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ .
- وُلْدُ مَيْنَحْنِ ، مُحَمَّدُ الْمَأْمُونِ (١٤٢٥ هـ - ١٤٢٦ هـ) ، فَنُّ التَّشْبِيهِ عِنْدَ شِعْرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ (مَاجِسْتِيرِ) إشراف : أ.د: سعد الدّين كامل عبد العزيز شحاته ، صدرت هذه الرسالة عن قسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

المجلات والصحف

- بشير ، د. تاوريرت ، (٢٠٠٩ م) ، مُسْتَوِيَّاتُ وَآلِيَّاتُ التَّحْلِيلِ الْأَسْلُوبِيِّ لِلنَّصِّ الشَّعْرِيِّ ، مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ جَامِعَةِ مُحَمَّدِ خَيْضَرٍ - مَسْكْرَةَ . الْجَزَائِرِ . المجلد (٥) .
- العريبي ، عبد الله صالح ، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، مَقَائِيْسُ جُودَةِ الشَّعْرِ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ ، المَجَلَّةُ الْعِلْمِيَّةُ لِجَامِعَةِ الْمَلِكِ فَيصَل (الْعُلُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَ الْإِدَارِيَّةُ) ، المجلد الرابع - العدد الثاني - ، (مقبول للنشر) .
- عيسى ، د. محمد ، (٢٠٠٣ م) ، الْقِرَاءَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلنَّصِّ الْأَدْبِيِّ الْعَرَبِيِّ ، مَجَلَّةُ جَامِعَةِ دِمَشْقِ ، المجلد (١٩) .

- ممتن ، مهدي (١٣٨٨ هـ) ، الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية ، مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى العدد الثالث ، جامعة آذار الإسلامية بجيرفت . (مقبول للنشر) .

- مقالة / عبد الحمين القرني ، (الجمعة ٠٣ / ٠١ / ٢٠١٤ م) ، " تبالة متكأ التاريخ على ضفاف بيشة " ، جريدة المدينة ، المدينة ، العدد : ١٨٨٢٣ ، الأربعاء ١٤٣٦ / ١ / ١٢ هـ .

المواقع الالكترونية

موقع الاثنية :

<http://alithnainya.com/default.asp>

موقع أهل الحديث

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php>

موقع جامعة أم القرى

<https://uqu.edu.sa/page/ar/184454>

موقع صحيفة البيان :

<http://albayan.co.uk/RSC/AuthorBio.aspx?authorid=4071>

موقع الدكتورة نجاح بنت أحمد الظهار

<http://www.moalafat.drnajah.net>

ويكيديا

<http://ar.wikipedia.org/wiki/>

فهرس الآيات

رقم الصفحة	السورة	الآية
١٦٧	سورة البقرة	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْمُومِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
٧٣		﴿ مَسَّيْنِ الْمَوْتِ الْأَسَافِ ﴿٢١٤﴾ ﴾
٢٢٥		﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾ ﴾
٥٥	سورة الأعراف	﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾

٥٦		﴿ وَبِئْسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ﴿٢٦﴾ ﴾
٢٤٥	سورة التوبة	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾
١٧٥		
٣٨	سورة الأنبياء	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾
٢٢٥	سورة لقمان	﴿ وَلَقَدْ ءَايَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۖ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾
٤٠	سورة سبأ	﴿ وَلَقَدْ ءَايَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ اٰوِيْ بِمَعِهِ ۚ وَالطَّيْرَ وَالنَّٰلَةَ ﴿١٠﴾ الْحَدِيدَ ﴾
٦	سورة الصفات	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيْطٰنِ ﴿٦٥﴾ ﴾
١٢٤	سورة الطور	﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

٢١٨	سورة القمر	﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾
١٦٩	سورة الواقعة	﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾
١٣٧	سورة القلم	﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾
١	سورة الانفطار	﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

الصفحة	الحديث
٢١٨	" اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا و لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً... "
٨٤	(اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه ينس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها ينس البطانة)
١٢٤	(إن في الجنة لمجتمعاً للخور العين يُرْفَعْنَ بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها) "
١٥٢	(إن فيك حصلتين يُحبهما الله : الحلم ، والأناة)
١٣١	(ثلاثٌ من كنَّ فيه فهو مُنافق ، وإن صَلَّى وصام وزعم أنه مؤمن : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان)
١٥٢	(الحلم زين للعالم ستر للجاهل)
٥٥	(دَعَهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ)
٢٠٣	(لأن يمتلي جوف أحدكم قيحاً حتى يرى خيراً له من أن يمتلي شعراً)
١٩٦	(لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)
٥٦	(لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء)

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم
٦٧	إبراهيم أنيس
١٦٥	أبو بكر المحولي
٤	أحمد شوقي عبد السلام ضيف
٦٦	أحمد مختار عمر
١٨١	الأحوص عبد الله الأنصاري
٨٩	الأخفش الصغير

١٩٠ ، ١٢٦ ، ٧٤ ، ٣	امرؤ القيس
١٩٦ ، ١٧٨	أوس بن حجر
٣	بشار بن برد
١٣٨ ، ٧	بشر بن أبي خازم .
١١ ، ١٠	د . بدوي طبانة
٨٣ ، ٨٢	ثابت بن قطننة
٩٩	الحارث بن حلزة اليشكري
٨٧ ، ٣١ ، ٣٠	حازم القرطاجي
٢٣٦ ، ٢١٠ ، ٦٣	حسان بن ثابت

١٤٦	الخطيئة
٢٠٤ ، ١٣٤ ، ٤٦ ٢٦٤ ، ٢٦٣	خفاف بن ندبة
١٣٨	دُرَيْد بن الصَّمَّة
٤٩	زهير بن أبي سلمى
٢٢٢	سامي مكّي العاني
١٧٠ ، ١٦٩	السريّ الرِّفَاء
١٣٠	سَلَام ابن مشكم
٦٨ ، ٦٧	صبحي إبراهيم الصالح
٩	طرفة بن العبد

٢١٢، ٢١١	الطّرمّاح ابن حَكِيم
٢٠٩	عامر الخصفي المحاربي
٢٠٦	عائشة بنت الشاطئ
١٦٩	العباس بن الأحنف
٥	عبد السلام هارون
٤٥	عبد العزيز عتيق
١٩٨	عبد القادر البغدادي
٢٣١	عبد القادر القط
٧٠	عبد الله عبد الرحيم عسيلان

٩٣	عبد المعين الملوحي
٧٦	ابن عبد ربه الأندلسي .
٢٤٠	عبيد بن الأبرص
٩	علي الجندي
٢٠٩	عمر فروخ
٢١٥ ، ٩٨	عنتر بن شداد
٥٢	فاضل صالح مهدي السامرائي
٨	القُطاميُّ
١٢٥ ، ٧١	ليبيد بن ربيعة العامري

١٩٩	المتمس
١٤٠ ، ١٣٩	المُتَنَجِّل : مالك بن عويمر
٢٠٥	د. محمد صالح الشنطي
١٢٣	محمد علي السنوسي
١٠	أ . د. محمد محمد حسنين أبو موسى
٩٩	المُرقش الأكبر
٢٤٩	مسكين الدارمي
٣٩	ابن مضاء القرطبي
٥	النابعة الذبياني

١١	نجاح بنت أحمد الظهار
٢٠٥	نجيب محمد البهيتي
١٥٦	النوري أحمد شهاب الدين

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	القائل	الشاهد الشعري
٥٥ - ٥٣٨	القطيب العباس بن مرداس	مواقف الماء من الذي العلة الهيادي وم يلبس الصوم مثل الحيادي
٥٣ - ٥٠	العباس بن مرداس	بجنب الشعب أمس من العذاب
٩٧ ، ٩٦	العباس بن مرداس	ومن يخف قالة الواشين يرتقب
١٥٠ - ١٤٨	العباس بن مرداس	نحن فيها حين الوله السلب
٢٤١ ، ٢٤٠	عبيد بن الأبرص	مفج الحوامي جرشع غير محشوب
٢٥٩	العباس بن مرداس	ودوي المثالة من بني عتاب
٢٦٢	العباس بن مرداس	وما يتلو الرسول من الكتاب
١٥٦	عقبة بن مكدّم التعلبي	جمر ننحى عنه القين مكروب
٧	بشر بن أبي خازم	وكل جار على جيرانه كلب
١٢٣ ، ١٢٢	العباس بن مرداس	أوانس يصبين الحلیم المجربا
٢٥٠	العباس بن مرداس	كفى ثائراً من قومه من تعبنا
١٢٧	العباس بن مرداس	له بوجه كالذنانير مرحبا
٣	بشار بن برد	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها
٩٩	الحارث بن حلزة	وتبينت رعة الجبان الأهوج
١٢٨	ابن المعتز	عتاق دنانير الوجوه ملاح
٢٤٩	مسكين الدارمي	كساع إلى الهيجا بغير سلاح
٢٢٤	محمد بن علي السنوسي	من الحسان الرائعات الصباح
١٧	العباس بن مرداس	أودى ضمائر وعاش أهل المسجد
٥	النابعة الدباني	له صريف صريف القعو بالمسد
١٤٤	العباس بن مرداس	برمحي حتى رحت قطراً بمطردى
١٥٠	العباس بن مرداس	ومالك في ظلم العشييرة من رشد

٢٢٣ ، ١٣٠	العباس بن مرداس	وَزَوْدَهُ زَادَا كَزَادِ أَبِي سَعْدِ
٩	طرفة بن العبد	كَمَا قَسَمَ الثَّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ
٢٢ ، ٢٠٨	العباس بن مرداس	شَايِبُ بَحْرِ ذِي عَوَارِبِ مُزِيدِ
٧٤	امرؤ القيس	تَضَاءَلُ فِي الطَّيِّ ، كَالْمُبْرِدِ
١٥٨	العباس بن مرداس	فَيَضْرِبُكَ أَوْ يَطْعَنُكَ طَعْنًا عَلَى عَمْدِ
٢٢١	العباس بن مرداس	إِلَى تَاهِضٍ حَرٍّ قَوَائِمُهُ نَهْدِ
٨٣	العباس بن مرداس	وَيَأْوِي إِلَى جُرْثُومَةٍ لَمْ تَوَسَّدِ
٢٣٨	العباس بن مرداس	كَشَاةِ الرِّمْلِ تَجْمَعُ بِالْوَلِيدِ
١٣٨	دريد بن الصّمة	تَضِيقُ بِهِ حُرُوقَ الْأَرْضِ مَجْرٍ
١٨٧	العباس بن مرداس	شَبَابٌ مَحْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدُ
١٦٤	العباس بن مرداس	كَكَلْبٍ لَا يَهْرُ وَلَا يَصِيدُ
١٨٤	العباس بن مرداس	شَوَازِبَ مِثْلَهَا فِي الْأَرْضِ عُوْدُ
١٨٤	العباس بن مرداس	كَأَنَّ رِمَالَ صَحْصَحِهَا فُعُودُ
٢٧	العباس بن مرداس	وَتَتْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ نَكَائِدُ
١٦٣	العباس بن مرداس	مِنَ الشَّحْنَا النَّيِّ لَيْسَتْ تَبِيدُ
٢٣٣ ، ٢٣٢	العباس بن مرداس	مِنَ الْحِيَادِ تَرَدَّى الْعَيْرُ مَجْلُودًا
١٧٠	السري الرفاء	صَبَا الْأَصَائِلِ مِنْ أَنْفَاسِ نَوَارِ
١٠	أحمد شوقي	يَبْدُو لَهَا ذَيْلٌ مِنَ الْأَنْوَارِ
٢١	العباس بن مرداس	كَعَالِيَةِ الْمُرَانِ بَيْعَةِ الْقَدْرِ
١٧٩	العباس بن مرداس	فَالَمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ
١٧٢	العباس بن مرداس	لَا الْعُزْلُ فِيهَا وَلَا الْحُسْرُ
١٦٩	العباس بن الأحنف	قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ رِيَّانَ أَحْضَرُ
٢٦٣ ، ٤٦	العباس بن مرداس	يَزِيدُ اسْتِعَارًا إِذَا يُسْعَرُ
١٨٧	العباس بن مرداس	تُدِيمُ الْجِرَاءَ إِذَا تَخْطُرُ
٢٤٢	العباس بن مرداس	جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
٢٤٢	العباس بن مرداس	أَبْخَنَاهَا وَ أَسْلَمَتِ النُّصُورُ

٢٤٢	العباس بن مرداس	أُثُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
٢٤٧	العباس بن مرداس	بِرْهَطِ بَنِي غَزِيَّةَ غَنَقَفِيرُ
٤٤ - ٤٢	العباس بن مرداس	فِي دَاوَةِ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَ الْعَكْرُ
٢١٨ ، ٢١٤	العباس بن مرداس	نَحْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
٤٦	العباس بن مرداس	كَجَنٍّ مَسَاكِنُهَا عَبَقْرُ
٣٣	العباس بن مرداس	تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٩٤	العباس بن مرداس	وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ
١٩٥ ، ١٩٤	العباس بن مرداس	مِنَ الْبَعْضَاءِ بَعْدَ السَّلْمِ عُورُ
١٩٦	أوس بن حجر	كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بُعْضَتِي عُورُ
٧٨	العتابي	سَفْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ
٢٦ ، ٢٢	العباس بن مرداس	وَلَكِنْ فخرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
١٦٦	العباس بن مرداس	فَكُلُّ فَتَى يُخَايِرُهُ مَحْيِرُ
١٧	العباس بن مرداس	زَيْدًا فَقَدْ أَوْدَى بِنَجْدَيْهَا عَمْرُو
٢٢	العباس بن مرداس	وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَرِيرُ
٧٢	العباس بن مرداس	جَاءَ كَلَمَعَ الْبَرْقِ جَاشَ نَاطِرُهُ
٢٥	العباس بن مرداس	صَعْلًا عَلَى أَنْ فِي الْجَنْبَيْنِ إِجْفَارًا
٢٠	عمرة بنت مرداس	أَبِي الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
١٣٦	العباس بن مرداس	فِيهَا الْأَسِنَّةُ وَ الْعَنْبَرَا
١٩٠	امرؤ القيس	كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرُ
١٩٧	العباس بن مرداس	وَجَنَاءُ مُجْمَرَةَ الْمَنَاسِمِ عَرْمَسِ
١٩٩	المتلمس	عَنْسٌ مُدَاخِلَةُ الْفَقَارَةِ عَرْمَسِ
٢٥٥	العباس بن مرداس	وَتَحَالَهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعِيسُ
٢١٦ ، ٢١٤	العباس بن مرداس	عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السِّبَاعُ مُفَرَّسُ
٢١٧	العباس بن مرداس	كَفَتِ الْعَدُوَّ وَقِيلَ: يَا أَحْسُوا
٣٥ ، ٢٥	العباس بن مرداس	وَالشَّمْسُ يَوْمَعِدٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ

١٦	عمرو بن معد يكرب	بَتَثْلِيثَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِيسَا
٩٤	العباس بن مرداس	نَحَالُ بِهِ الْحِرْبَاءَ أَشْمَطَ جَالِيسَا
٩٣	العباس بن مرداس	دَلَالًا وَأَنْسَا يُهْبِطُ الْعُصَمَ أَنْسَا
٩٨	العباس بن مرداس	تُرْجَلُ بِالرَّيْحَانِ رَطْبًا وَيَابَسًا
١٠٥	العباس بن مرداس	وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمُذْيِدِ الْحَوَامِيسَا
١١٢	العباس بن مرداس	أَبَانَا بِهِ قَتَلَى يَدُلُّ الْمَعَاطِيسَا
١١٠	العباس بن مرداس	ضِبَاعُ بِأَكْنَفِ الْأَرَاكِ عَرَائِيسَا
١١٥	العباس بن مرداس	مِنَ الْقَوْمِ مَرُؤُوسًا وَأَخَرَ رَائِيسَا
٢٦٤	خفاف بن ندبة	أَبَى أَنْ يُجَاوِزَهُ أَرْبَعُ
١٨	العباس بن مرداس	فَلَيْتِي وَ زَيْرٌ لِلنَّبِيِّ وَ تَابِعُ
٦٢	العباس بن مرداس	مِنْ أَسَدِ خَقَانَ فِي أَرْسَاغِهِ فَدَعُ
٦٣	حسان بن ثابت	أُسْدُ يَيْشَةَ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ
١٩	العباس بن مرداس	الْعُبَيْدِ بَيْنَ عَيْيِنَةَ وَالْأَفْرَعِ
٢٧	العباس بن مرداس	تِسْعَ الْمِئَتَيْنِ فَتَمَّ أَلْفٌ أَفْرَعُ
٢٤٨	العباس بن مرداس	بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْفَنَا يَتَهَزَّعُ
١٥٣	العباس بن مرداس	لِوَاءِ كَحُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لِأَمْعُ
١٦٠	العباس بن مرداس	إِذَا أَدْبَرْتَ عَنْ عَجَّهَا وَهِيَ تَلْمَعُ
٧٩	العباس بن مرداس	وَكُمْنَا لَوْنُهَا كَالْوَرْسِ صَافِ
٨١	العباس بن مرداس	وَمَا مِثْلِي يُجَوِّفُ بِالْقَوَائِي
٨٢	العباس بن مرداس	وَلَكِنْ رَمِينَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَانِي
٨١	خفاف بن ندبة	أَمْرٌ بِفَيْكَ مِنْ سَمِّ ذَعَابِ
١٧٤	العباس بن مرداس	إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَرْفَا
١٩٢	العباس بن مرداس	أَسُودًا تَلَاقَتْ فِي مَرَاوِدِهَا غُضْفَا
٢٥	أبو الطيب المتنبي	إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
٧٥	العباس بن مرداس	تَلَاؤُلًا فِي دَاجٍ مِنْ اللَّيْلِ حَالِكِ
٢٣٦	حسان بن ثابت	بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ

٧٧	ابن جندل	إِلَى مَالِكٍ أَعَشُو إِلَى ضَوْءِ مَالِكِ
٢٠٨ ، ٢٠٧	العباس بن مرداس	تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الرِّيحِ السَّوَاهِكِ
٢٥٢	العباس بن مرداس	أَوْلَيْكَ أَنْصَارٌ لَهُ مَا أَوْلَيْكََا
٢٥٢	العباس بن مرداس	وَأَوْلُ مَبْعُوثٍ يُجِيبُ الْمَلَائِكَا
٥٩ ، ٥٨	العباس بن مرداس	لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُو يِرَاكَا
٢٥٤	العباس بن مرداس	وَبِالْعَايَةِ الْقُصُوى تَفُوتُ السَّنَابِكَا
٢٢٧ ، ٢٢٦	العباس بن مرداس	صِمَاتَا بِطَرْفِ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلِ
١٢٦	امرؤ القيس	إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دَرْعٍ، وَجَحُولِ
٦٩	العباس بن مرداس	فِي رَأْسِ نَابِيَةٍ مِنَ النَّحْلِ
٢٥	العباس بن مرداس	فَإِنْ مِعْشَرًا جَادُوا بِعِرْضِكَ فَابْخَلِ
١٤٠	المنتخل الهذلي	سُحَّ نِجَاءِ الْحَمَلِ الْأَسْوَلِ
١٩٩	ذي الرِّمَّة	رُوعِ الْفُؤَادِ حَرَّةِ الْوَجْهِ عَيْطَلِ
٣	امرؤ القيس	لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابِ وَ الْحَشْفُ الْبَالِي
٢٢٠	العباس بن مرداس	وَخَيْرِكُمْ إِذَا حُمِدَ الْجَمِيلُ
٢٢٢ ، ٥٧	العباس بن مرداس	وَقَدْ يَمْضِي اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ
٢٣٥	العباس بن مرداس	بِأَرْعَنَ رَجَافٍ تُزْجِي فَنَابِلُهُ
٢٣٦	العباس بن مرداس	وَقَدْ بُتِّكَتْ آرَابُهُ وَمَقَاصِلُهُ
٢٢	العباس بن مرداس	شِفَاءٌ لِطَلَّابِ الثَّرَاتِ مِنَ الْوَعْمِ
٢١٠	حسان بن ثابت	مَرَّ الدَّمُوكُ بِمُحْصَدٍ وَرَجَامِ
٢٥٨	العباس بن مرداس	عَلَى أُذْتِي فُنْفُدِ رَازِمِ
٢٦	العباس بن مرداس	وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلطَّسَامِ
٢١٤	العباس بن مرداس	أَقْدَمُهَا حَتَّى تَنْعَلِ بِالدِّمِ
٢١٥ ، ٢١٤	العباس بن مرداس	وَذَلُّوا فَكَانُوا لِحِمَّةِ الْمُتَلَحِّمِ
٢١٥	عنتره بن شداد	وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرَبِلَ بِالدِّمِ
١٧٨	أوس بن حجر	مُعْضِلَةٌ مِنَّا بِجَمْعِ عَرْمَرِمِ
٩٩	عنتره بن شداد	إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

١٣٨	بشر بن أبي خازم	تَجَلَّى عَنْ صَرِيحَتِهِ الظَّلَامُ
٨٣	ثابت بن قطنه	لَدَى أَرْضٍ مَعَانِيهَا الْحَمِيمُ
٢٠٠	العباس بن مرداس	إِذَا اعْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ طَيْرًا عَلاَجِمًا
٢٠٩	الخصفي المحاربي	عَنَّا جِيحُ يَحْمِلُنَ الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا
٢٢١	العباس بن مرداس	طَلِيقًا رَدَدْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُسَلَّمًا
٢١٢	الطرماح	شَأْيِبُ دَمَعِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَاتِنِ
١٥٥ ، ١٥٤	العباس بن مرداس	كَتَفَشَ كَيْرِينَ بِكَفِّي قَيْنِ
٩٩	المُرَقَش الأكبر	فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا
٢١	العباس بن مرداس	أَخْتَفَى كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا
٢١	العباس بن مرداس	سَتَلَفُ أَوْ أَبْلَغُهَا مَنَاهَا
٢٥	العباس بن مرداس	يَبِينُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسْوُدُهَا
٧١	ليبيد العامري	فُرْطٌ ، وَشَاحِي إِذْ عَدَوْتُ لِحَامِهَا
١٢٥	ليبيد العامري	هَبَطًا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا
٢٢٩ ، ٢٢٨	العباس بن مرداس	مِنَ الْعِزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا
٤٩	زهير بن أبي سلمى	جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا
١٤٦	الخطيئة	هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيِّ

فهرس المصطلحات البلاغية الواردة في البحث

الصفحة	المصطلح
٢٣٧ ، ١٥٩ ، ١٣٦ ، ١٢٩ ، ٧٧ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٦٦ ، ٤٣	الاستعارة التصريحية
٢٤٦ ، ١٤٩ ، ٢١٢ ، ١١٤ ، ١٠٥ ، ٧٧ ، ٤٧	الاستعارة المكنية
٥٠	الإغراق
١٩٣ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٤٧ ، ١٣٧ ، ١٣٣	الإيجاز
٨٢	تأكيد المدح بما يشبه الذم
١٨٨ - ١٨٦	تباعد الطرفين
١٧٨ - ١٧٢	التشخيص
٩٢ ، ٩١	التصريع
٢٠١ ، ١٩١	التوافق النفسي
١١٦ ، ١١٣	الجناس

١٨٥ - ١٨٢	الخفاء والغموض
١٣٢	ذكر الخاص بعد العام
٢	الصورة التشبيهية
١٠٢	الطباق
١٨٥ - ١٨٢	الغراية
٧٦	الفصاحة
١٠٧	القصر
١٠١ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٢ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٥٠ ، ٤٣ ، ١٨٥ ، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٥٣ ، ١٤٧ ، ١١١ ، ١٠٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ١٨٨ ٢٥٨	الكناية عن صفة
٩٥	الكناية عن نسبة
١٧٩ - ١٧٧	كثرة تفاصيل وأبعاد الصورة
١٣٤ ، ١١٦ ، ٧٣ ، ٥٥ ، ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤١ ، ٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢١٥ ، ١٨٣ ، ١٧٧ ، ١٣٦	المبالغة
٢٤٤	المجاز العقلي
٥٠	المسند والمسند إليه

Abstract

This study seeks to statement of the features of the image simulations when Abbas bin Merdasal–soulemy, also contribute to the field of rhetorical studies and applied stylistic, and give a picture of the evolution of the image after Islam and in that of renovation and innovation, through simulations image that is the most important the pillars of photography when Abbas, has manifested itself through linguistic analysis, and semantic, and psychological strength hair poets of early Islam, and not weakness, and richness of language with words and meanings expressive, and that literary and .rhetorical ammunition for generations over time

This study was built on my part, a boot, and another application, a message chapters, the researcher analyzed the evidence rhetorical .and showed what Hute of eloquence and good systems

One of the most important results of this research:

Hair Abbas is speaking image, Nstgele through which things of value, and literary, and linguistic related by two distinct –historic .and contrasting

Overlap graphical images with the image simulations, either as a .her, or commenting on them, or their expansion–prelude to – After the image for the brutality, and the complexity of verbal after his conversion to Islam, influenced by the Koran in his style, .and the teachings of Islam in the rejection of hatred and Althadjiy

Choose the poet of verbal semantics sensual expressive, its – .uniqueness and its own tools analogy

Ministry of Higher Education

Taibah University

Faculty of Arts and Humanities

Department of Graduate Studies

Arabic language branch (literature and rhetoric



Image simulations in hair Abbas bin Merdas Al-soulemy

**Rhetorical analytical study Search provider to complete the
requirements for a master's degree**

by : Aisha Ahmed Baba

Supervision

Pr. Dr: Najah Ahmed Al_zahar

1436-1437 H

2015 A